
الإمام محمد المنصور والمدخل العثماني في اليمن
سيرة الإمام
محمد بن يحيى حميد الدين
المسماة
بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور
لمؤلفه المؤرخ العلامة
علي بن عبدالله الإرياني
المتوفى عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م
دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية
جامعة اليرموك
الناشر
مؤسسة الرسالة

سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين

المسماة

بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور

الطَّبْعَة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٣١١/١٠/١٩٩٦)

رقم التصنيف	٩٥٦٫٧١٠١
المؤلف ومن هو في حكمه	علي بن عبدالله الارياني تحقيق محمد عيسى صالحية
عنوان المصنف	سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين المسماة بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور
الموضوع الرئيسي	١- التاريخ والجغرافيا ٢- اليمن - عهد الائمة
رقم الإيداع	(١٣١١/١٠/١٩٩٦)
بيانات النشر	عمان : دار البشير

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

دار البشير

ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس : (٦٥٩٨٩٣) تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

الإمام محمد المنصور والتدخل العثماني في اليمن

١٣٠٧ - ١٣٢٢هـ / ١٨٨٩ - ١٩٠٤م

سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين

المسماة

بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور

لمؤلفه المؤرخ العلامة

علي بن عبد الله الإرياني

المتوفى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية

جامعة اليرموك

الجزء الأول

دار البشير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى أرواح الشهداء، الذين كتبوا بدمائهم تاريخ اليمن الحديث

الحقيقة هي اليقين، وما دونها كتابة على الماء

وهج الحقيقة وضاء، يفند ويهدم ما يعرشون

إلى أبناء اليمن السعيد

إلى أبناء الأمة العربية والإسلامية

عرفاناً وإخلاصاً

د. محمد عيسى صالحية

المقدمة

هل أتى حينٌ منَ الدَّهرِ على أبناءِ أمَّتنا يُدركون معه، أنَّ الإقبالَ على الوعيِ التاريخيِ يغذو الحسَّ الحضاريَّ، يهزُّ الأمَّة من أعماقِها، يستفزُّ عوامل اليقظةِ والنهضةِ لتستكشفَ إرهاصاتِ هويَّتِها، فتنكفىءَ إلى جذورِها وإلى إحياءِ أصولِها، لتكونَ رَدْءاً لتثبيت كيانها، ففي استقراء أحداثِ التاريخِ واستجلائها دربٌ للتبصُّر، وبُعْدٌ عن التزوُّدِ والادّعاء، لأنَّ شواهدَ الحقِّ تظهرُ بأماراتِها.

ولّله درُّ العارفين بزمانِهم، الذين شمَّروا عن سوقِ الجدِّ في سوم العزائمِ. يروي ثقاتُ الباحثين في تاريخنا الحديث والمعاصر، أنَّ الإمامَ المتوكِّلَ على اللهِ، يحيى بن محمدٍ حميد الدين - رحمةُ الله عليهم - هو المؤسِسُ للدولةِ اليمنيةِ الحديثة وواضعُ نظامِها، وعندي، أنَّ الإمامَ المنصورَ باللهِ، محمد بن يحيى حميد الدين، رحمةُ الله عليهم، والدَ الإمام يحيى هو المهندسُ وغارسُ الجذرِ الأساس لهذه الدولةِ اليمنية الحديثةِ، لبنتهُ شادتِ البنيانَ وأعطتِ النتائج.

حَدَّث الوالي التركي، أحمد فيضي، غداةَ رحيلِه من اليمنِ، قال: الآن شخَّصْتُ الداءَ، وعرَفْتُ الدواءَ، وما على السلطنةِ العثمانيةِ إلاّ أنْ تُصالح الإمامَ محمد المنصور، فهو قطبُ الرَّحى، وما بقي إلاّ البحثُ عن الطبيب.

كان الإمامُ المنصورُ، رحمةُ الله عليه، يحملُ بين جنباته قلباً، أبَّد حبَّه لأمّته الإسلامية ووطنه اليمن، كان قويَّ الإيمانِ بالله تعالى، أيقنَ منذُ تَسنُّمه

الإمامةَ بعدَ تردُّدٍ طال أمدُهُ، أنَّ الحريةَ شجرةُ الخُلدِ تُسْقى بتضحيات الرجالِ، وأنَّ النفسَ العظيمةَ تزداد عِظماً بمبالغةِ الصِّعاب، وأنَّ الشجاعةَ لا تُعْرَفُ إلاّ بالجهادِ، فُرِضَ عليه وعلى أبناءِ وطنه القتالُ، وهمْ له كارهون. فكانَ لا بُدَّ من الهمّةِ لتحيا الأُمّةُ، كان أصحابُه رُكَّعاً سُجّداً آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار. فإذا كانت ساعةُ الجهادِ وثبوا فرساناً حتى يضربَ الحافِرُ بالحافرِ، كانوا الفرسانَ في ذرى شاهقاتِ الجبالِ، وفي أسافلِ قيعانِ الوديان، وفي النجود والصياصي..

منذ أمدٍ، كنتُ أُدْرِكُ أنَّ عصرَ الإمام محمد المنصور في اليمن، بأحداثِه وشخصياتِهِ وشهدائِهِ، من أهمِّ عصورِ اليمنِ في تاريخها الحديث، فقد أمضى، رحمةُ الله عليه، أكثر من عشرين عاماً ممتطياً صهوةَ جوادِهِ، افترشَ سرْجَ فرسِهِ والتحفَ سيفَهُ وخنجَرهُ وبندقيتَهُ، لم يعرفْ للراحةِ طعماً، حاربَ وجاهدَ وقارعَ الباغي، قائداً في ساحةِ المعركة، مدرِّساً في استراحةِ المحاربِ لطلبةِ العلمِ في المعاهد التي أنشأها، رعى المهاجرين إليه، كفلَ أسرةَ الشهيدِ، وأنفق على الجريحِ والمصابِ، ديدنهُ إقامةُ شرعِ الله، والحكمُ بما أنزلَ الله وسنة نبيِّه، صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم، يسعى لعزة اليمنِ وتخليصِها من المأمورين الظالمين، دون كسلٍ أو تفريطٍ في سبيلِ الحقِّ جاورَ الوحوشَ والضواري، سكَنَ الكهوفَ وصادَقَ الوديان، مشى حتى انتعلتْ قدماه الدَّمَ، وصبرَ حتى فاق صبرُه أكبادَ الجمالِ.

كان العصرُ الذي عاش فيه الإمامُ المنصورُ من أخطرِ العصورِ، فقد شهدَ انحلالَ الدولةِ العثمانيةِ، وبانتْ نوايا القوى الطامعةِ، فكان عليه أن يتَّقي غوائلَ الهجمةِ القادمةِ.

حاربَ بريطانيا، وكانت له معاركُهِ مع إيطاليا، ومع بُغاةِ الأتراك.

كان كثيراً ما يردِّدُ في مجالسِهِ «سنقاتلُ كلَّ مَنْ يحاولُ اختلاس فترٍ مِنْ أرضِنا، وكلَّ مَنْ هضَمَ ذرَّة من حقوقِنا، سنقاتلُ حتى نفوزَ بالشهادةِ، نُجاهِد، ونحن مؤمنون بالله، واثقون برحمتِه، وطيدو الأمل بعونه».

وحين فُتِحَتْ دواعي الصُّلْح مع الدولة التركية، وكما تؤكده الوثائقُ المبذولةُ في الكتاب كان، رحمةُ الله عليه، فَطناً يقظاً، لم يَخدعهُ من اللَّفْظِ معسولُه، ولا مِنَ المالِ عرضُه: كثيره أو فاحشه، ولا مِنَ الدنيا زُخْرُفها ومتاعها، عَرَضوا عليه لذيذَ الوَسَنِ في فراءِ شتاءٍ قارصٍ في استانبول، فرفضه، وحبب إليه اصطكاكُ أسنانِه وتجمُّد أقدامِهِ في وعرِ شواهق جبال اليمنِ، وما تنازلَ عن حقٍّ من حقوقِ ربِّهِ ووطنه، ولا تنازلَ عن شبرٍ تدفّأ بحرارةِ الإيمانِ المتفجر بينَ حنايا ضلوعِهِ، رائدُهُ «حرب مُبيرةٌ أو سَلْمٌ قريرةٌ أو مُداجاةٌ وَغفيرةٌ».

وبحمدِ اللهِ تعالى ورضوانه، ظهرت سيرةُ الإمامِ محمدِ بن يحيى حميدِ الدين، رحمةُ الله عليهم، إلى النورِ بعد أن دَفعنا بها إلى مؤرِّخ محايدٍ، لدرسها وتحقيقِها، طَلَبْنا إليه التمسُّكَ بالموضوعيةِ والنزاهةِ المطْلَقَة، وكانَ أن عَمِلَ بما أملاهُ عليه وجدانُهُ، ليكونَ عملُهُ شهادةً يُحاسَبُ عليها أمامَ اللهِ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون. إلاّ من أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

وكم سرَّنا أن يضمِّنَ دراسَتهُ وتحليلَهُ لسيرة الإمامِ، الرأيَ الآخرَ، فأثبتَ الوثائقَ العثمانية التي استحضَرَها من أرشيف رئاسةِ الوزراءِ في استانبول، وتُرْجِمَتْ إلى العربيةِ، وضُمِّنَتْ صورُها الأصليةُ في الدراسةِ، وقرنَ ذلك بوثائقَ يمنيةٍ فجاءت السيرةُ بمجملِها دراسةً وثائقيةً، أُعْمِلَتْ فيها مناهجُ النقدِ التاريخي.

ما كان هدفُنا إلاّ الحقيقةَ تذكرةً للمؤمنين، ولجماً للمُلْبسين.

تَذِلُّ الرجالُ لأطماعِها كـذُلِّ العبيـدِ لأربابهـا

فقدْ ذهبَ عرشُ بلقيسَ وبليَ جمالُ شيرين، وتمزَّق فرشُ بورانَ، وبقيَ نُسْكُ رابعةَ ولسانُ حالي يردِّدُ:

وإنَّ كلامَ المــرءِ في غير كُنهِهِ لَكَالنَّبْلِ تهوي ليسَ فيها نصالُها

وليرحمْنا الله برحمته، ويجعلْ لنا من أمرِنا رَشَدا.

الفصل الأول
المؤرخ والمخطوط

المطلب الأول:

المؤرخُ الإريانيُّ:

يتضِّحُ من خلالِ البحثِ عن سيرةِ المؤرخِ عليٍّ بنِ عبدِالله الإرياني أنّ مصادرَ العصرِ قد تناولَتْهُ بصورةٍ مختصرةٍ، بل وفي بعضِ الأحيان بإشاراتٍ عابرةٍ، ولم تفصِّلْ في سيرةِ حياتِه أو مؤلفاتِه، وحتى مصنَّفاتُه التي ذُكِرَتْ في بعضِ المصادرِ فهي مفقودةٌ في معظَمِها. فصاحبُ نزهةِ النظرِ، أفردَ له ثلاثَ صفحاتٍ ونصف، كانت اثنتان منها مساجلاتٍ شعريةً ومطارحاتٍ أدبيةً، استقاها من كتابِ المؤرخِ نفسِهِ، كما أنَّ صاحبَ نبلاءِ اليمنِ أوجزَ هو الآخرُ عندَ إيرادِهِ لسيرةِ المؤرخِ الارياني ومثلُه فعلَ صاحبُ كتابِ مصادرِ الفكرِ العربي الإسلامي في اليمن، ولولا عنايةُ عبدِالله بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ محسن العيزري بسيرةِ حياةِ المؤرخ لضاعَ الكثيرُ من أخباره، وذلك لأنَّ عبدَالله بنَ محمدِ العيزري (ت ١٣٦٥هـ /١٩٤٥م) أفرد لسيرته اثنتي عشرةَ ورقةً، ضمَّنَها حياتَهُ واساتذَتَهُ ومؤلفاتِه، إضافةً للعديد من شعرِه، والحوادثِ التي وقعتْ في عصرِهِ، وعبدُالله بنُ محمدِ العيزري الذماري كان من أترابِ مؤلفِ السيرةِ المنصوريةِ، المؤرخِ الارياني، وممَّن لازَمَهُ أيامَ طلَبِ العلم

بهجرةِ إريان[1].

ومؤرِّخُنـــا،عليُّ بنُ عبـدِالله بنِ علي بن علي الإرياني،ينتهي نسبُـه إلى الصديق بنِ محمدٍ الأرياني، وُلِدَ في ذي الحجة سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، في مدينةِ إرْيَان، غربي يريم، وشبَّ في مدينتِهِ، ودرسَ على شيوخِ العصر، حيثُ لازَمَ شيخَهُ يحيى بنَ عليٍّ بنِ عبدالله بنِ عليٍّ بن حسين الإرياني مدَّةَ خمسَ عشرةَ سنةً، لا يفارِقُهُ إلاّ في الليلِ، وأخذَ عنه في العربيةِ والأصولَيْن: أصولَ الدين، وأصولَ الفقه، والمعاني والبيانَ والحديثَ والتفسيرَ والفرائضَ والحساب[2].

ودرسَ على الشيخِ محمـدٍ الطائفي النحوَ والقراءةَ، وكان مشهوراً في علمِ النحو، وله منظوماتٌ ومؤلفاتٌ تدلُّ على تحقيقِهِ.

وعندما توجَّه مؤرخُنا سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م لأداء فريضةِ الحج، برفقةِ أخيه محمـدٍ، اتفقا بالسيدِ أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)، مفتي الشافعيةِ في مكةَ، وجرتْ بينهما مذكراتٌ ومحاوراتٌ، ثم أجازَه إجازةً عامةً في جميعِ مسموعاتِهِ ومرويّاتِهِ ومؤلفاتِهِ.

وفي طريقِ العودةِ، اتّفقَ بالعلاّمةِ سليمانَ بنِ محمدِ بنِ عبدِالرحمن بنِ سليمـانَ الأهـدلِ، (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) في مدينـةِ المـراوعة، شرقيَّ الحُدَيْدةِ، وبها العلماءُ من بني الأهدلِ، فأجازَه هو الآخرُ إجازةً عامةً في

(١) انظر النسخة رقم ٢، الكتب المصادرة بمدينة تعز.

(٢) أئمة اليمن، ٢/ ١٨٥.

الإفتاء والتدريس[1]، وفي مدينةِ زَبيد اتفقَ بالسيِّدِ العلّامةِ داودَ بنِ عبدالرحمن حِجر القُديمي (ت ١٣١٣هـ/، ١٨٩٥م) والذي عُرِفَ باتقانِه علومَ الآلاتِ على اختلافِ أنواعِها، وتولّى القضاءَ بمدينةِ زَبيد، وكانَ من الحفّاظ المتقنين، استجازَهُ مؤرخُنا وصنْوهُ إجازةً عامة[2]، وفي مدينةِ جِبْلَة كانت لمؤرخِنا إجازةً عامةً من السيدِ العلامةِ المحقِّقِ يحيى بنِ حسين بنِ قاسم المجاهد، في جميعِ مروّياتِهِ ومسموعاتِه.

وظل مؤرِّخُنا مُلازماً للدرس وناشراً للشريعةِ المطهَّرةِ، واعظاً ومرشداً لعامة القومِ، يرضى بالأجرِ القليلِ، لا يحرِصُ على زينةٍ في اللِّباس والزِّيِّ حتى كانَ حصارُ صنعاءَ سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وضُيِّقَ على المأمورين الأتراك، وهربوا من ذمارَ ويريمَ وضَوْرَانَ وغيرها من البلدان، وبلغتْ قواتُ الإمامِ المنصورِ باللهِ في حصارِها إلى إب، وخُطِبَ للإمام المنصور بالله في جميعِ تلكَ المدائنِ. وفد هو وصنوه حسين، على الإمام، فقابَلَهما بأحسنَ قَبولٍ، ولكنهما مكثا هناكَ أياماً قلائلَ عادا بعدَها إلى وطنِهما. واشتغلَ مؤرخُنا بالتدريس والإفتاء، حتى كانت سنةُ ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وخروجُ أحمدَ بنِ قاسم حميد الدين، والسيدِ محمدِ بنِ المتوكل بجيشٍ كثيفٍ من حاشد ويكيل إلى الروضةِ، وأخْذُهم شيخَ بني حارث مقبل دغيش، عندئذٍ كتبَ المؤرخُ قصيدةً مفيدةً إلى أحمد بنِ قاسم حميد الدين يحذِّرُه من مغبّةِ دخولِ يريم

(١) نزهة النظر، ٣١٠.

(٢) أئمة اليمن، ١٩١/٢، نزهة النظر، ٢٩٨، ومن العلماء أيضاً الذين كان له معهم مناظرات ومذاركات العلامة سليمان بن محمد بن عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، ومحمد بن أحمد عبدالباري الأهدل في المراوعة.

لما أُعِدَّ له ولقوّاتِه من قِبَل الأتراكِ وأعوانِهم. ويبدو أنَّ تلكَ الرسالةَ وقعتْ في يدِ أحدِ أعوانِ العجمِ، الذي أخذ يتوَعَّدُ ويهدِّدُ، بعدَ أن استوثق بأنَّ القصيدةَ بخطِّ وإنشاءِ مؤلفِنا، ولمّا كان حسين حلمي الوالي الجديدُ المُرْسَلُ إلى اليمن قد نَشَرَ بينَ الناسِ ،إنما قصدُه تحقيقُ العدالةِ والإنصافِ، وإراحةُ الناسِ من عَنَتِ وقسوةِ مشائخِ القبائلِ، أمِنَ المؤرخُ على نفسِه وعادَ إلى صنعاءَ، غيرَ مُبالٍ بوعيد عدوِّه الشيخ أحمد صالح النجم، الذي لم يتورعْ ـ وذلك حين ضمَّ الجميعَ مجلسٌ عند الوالي ـ أنْ أظهرَ القصيدةَ. فثارتْ ثائرةُ الوالي وطلبَ محاكمةَ المؤرّخِ الإرياني، لولا تدخلُ رئيسِ العلماءِ أحمدَ بنِ محمد الكِبسي، وتهدئتُه للأمور، ولكنَّ المؤرخَ لمْ يأمنْ ذلكَ، فخرجَ هو وصنوُه دونَ راحلةٍ إلى المنجدةِ من طرف البونَ ثم إلى رَيْدة فخَمِرْ، وهدفُه الهجرةُ لطرفِ الإمامِ، ثمَّ صارَ إلى القَفْلَة، فأكرمَهُ الإمامُ وألحقهُ بخاصّتِهِ، وليكونَ كاتبه وفي صحبتِهِ، وقد أمضى والامامَ فترةَ الإقامةِ في جبلِ كوكب عندَ دخولِ الأتراك إلى القَفْلَة، مقرِّ الإمام سنةَ ١٣١٦هـ، ثم عادا بعد أسبوع عندَ انسحابِ الأتراكِ منها، واستمرَّ مرافقاً للإمام سنتين، ومن ثمَّ تزوَّجَ واستقرَّ بذِي بين، المدينةِ الواقعةِ شمالَ غربِ صنعاءَ بمسافةِ أربعةٍ وتسعين كيلو متراً، التابعةِ لقضاءِ عَمْرَان، ولما أصابَ القحطُ تلك الجهاتِ، وعُدِمت المياهُ، ارتَحلَ إلى حَبُور، البلدةِ المشهورةِ من ناحيةِ ظُلَيْمة، ولم يناسِبْه سكنُها لاعتلالِ صحتِه، فانتقل إلى غُرْبَان، البلدة المعروفة مِن حاشد.

وروى مصنِّفُ سيرتِه عبدُالله العيزري الذماري، الذي كثيراً ما تردَّد على غُرْبَانَ لعيادتِهِ وتفقّدِ أحوالِهِ عندَ مرضِهِ، كيفَ مرضَ مؤرِّخُنا مرضاً شديداً حتى زالَ عقلُه، وانتظروا موتَه، فحُمِلَ على سريرٍ إلى أهل بيتِهِ، ولكنَّ المرضَ طالَ

به، ثم انتقلَ إلى حصنِ الصُّبَّةِ[1] طلباً للصحةِ وبردِ الهواءِ وقد نَقَهَ من مرضِهِ، ولكنّه أُصيبَ بمرضِ الرئةِ والاستسقاءِ، وتوفي في ٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، وقد رثاه جملةٌ من العلماءِ، منهم مصنِّفُ سيرتِهِ عبدُالله العيزري وصنوُه العلامةُ شرفُ الإسلام، حسينُ بنُ عبدِالله الإرياني، وابنُ أخيه يحيى بنُ محمدِ بنِ عبدالله وابنُ أخيه حمودُ بنُ حسين بمرثيتين.

ويُلاحَظُ بأنَّ وفاةَ مؤرِّخِنا قد وقَعَتْ بعدَ وفاةِ الإمامِ المنصورِ بالله، فقد أرسلَ إلى المتوكلِ على الله يحيى بنِ الإمام المنصورِ بالله بقصيدةٍ، قالها مؤلِّفُنا الإريانيُّ وهو في المرضِ الذي توفي فيه، وذلك في شهر ربيع الأول ١٣٢٣هـ حين قارب المتوكلُ على الله يحيى صنعاء، فوصلتْ إليه وهو بحصنِ كَوْكَبانَ، ثم ارتحلَ إلى صنعاءَ. جاءَ في مطلعها:

أهنّيك يا نجمَ الأئمةِ بالفتحِ   وما أفضلَ الرحمنُ فيه من النُّجْحِ

وقد تركَ مؤلِّفُنا وَلَدَيْن من عقبِهِ شُهِرَ أمرُهما وعُرِفا بالعلمِ والأدبِ هما: علي ويحيى[2].

المطلب الثاني:

مصنَّفاته:

صنَّفَ القاضي المؤرخُ الإرياني عدةَ مؤلفاتٍ في مختلفِ العلوم

---

(١) الصُّبَّة: حصن في غُرْبَان من بلاد حاشد، وخارج الحصن قبر القاضي علي بن عبدالله الإرياني، انظر، معجم المقحفي، ٣٧٦. معجم الحجري، ٢/٤٦٢.

(٢) انظر حول سيرتهما، نزهة النظر، ٤٤٣، ٦٢٥، ذيل أجود المسلسلات، ٧١، تحفة الاخوان، ٩٩.

والفنونِ. فُقِد معظَمُها نتيجةَ الأحداثِ التي ألَمَّتْ باليمنِ على الأغلبِ، وما زالَ بعضُها حبيسَ المكتباتِ الأُسَريةِ، وما ظهرَ منها في فهارسِ المكتباتِ العربيةِ والأجنبيةِ لا زالَ محدوداً، ومن هذه المصنَّفات:

- السيرةُ المنصوريةُ، وهي أصحُّ التواريخ، متوسطةٌ بين الإيجازِ والإطناب، تجنَّب فيها السَّجْعَ المتكلَّفَ إلّا في مواضعَ يسيرةٍ، وأساسُها تلكَ القصيدةُ التي كُنّا قدْ أشرْنا إليها، والتي أرسلَها للإمام المنصورِ بالله لتهييجِهِ،وسمّاها «الدرّ المنثور في سيرةِ الإمام المنصور» وهو الكتابُ الذي ننشره.

- منـظومـةٌ في الفقه، وقعت في ١٠٣٥ بيتاً، رتّبها على مقدمةٍ في أصول الدين، وما يجب على المرءِ معرفتُه وحملُه، وخاتمةٌ في علمِ النحوِ، وذيَّلَها بخاتمةٍ في التصوف الذي ندبَ إليه الشارعُ.

- رسالةٌ في أحكامِ التجارةِ وآدابِها.

- **رسـالـةُ «نجاحِ الطالب في صفةِ ما يكتبُ الكاتبُ»، محفوظةٌ في جامعِ الغربية تحت رقم ٦٤ فقه، تاريخ نسخها سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤.**

- **رسالةٌ مفيدةٌ في تفسير قولِه تعالى «إنّ الله يأمرُ بالعدلِ والإحسان».**

- **رسالةُ «كشفِ الهالةِ عند مسألةِ الإقالة».**

- **رسائلُ عدةٌ وجواباتٌ مفيدةٌ وهزلياتٌ ومداعبات.**

وله منظومات:

- في الآدابِ النبوية والحِكَمِ الشرعيةِ سمّاها «تحفةَ الندماءِ في سيرِ الحكماءِ».

- قصيدةُ «الإفادة في ذكرِ الأئمةِ السّادة»، أولها:

تاللهِ ما حلت لكــم عن وداد لو قطعــوا جسـمي وصــالا وداد

- ولـه مرثيـةٌ بليغةٌ ومـوعظةٌ حسنـةٌ للعلماءِ الذين وقعتْ وفـاتُهُمْ في ابتداءِ القـرن الرابـع عشرَ، وقبلَه بيسير، شرعَ بعلماءِ ضَحْيانَ ثـم الأَهْنوم وصنعاءَ وذمـارَ واليمن الأسفلِ وزَبيـد، وكان عـازماً على شرحِ أحـوالِ مَنْ تضمَّنَتْـهُ تلك المرثيةُ، فجـاءه الأجلُ.

المطلب الثالث:

كتابتُه التاريخية:

من خلالِ رصْـدِنا لمنهاجِ المؤلِّفِ في الكتابةِ التاريخيةِ، فإننا نسجلُ الأمورَ التاليةَ:

- أنه كتبَ التاريخَ تخليداً لمنْ قامَ بنُصْرةِ الشريعةِ المُطَهَّرةِ، الإمامِ المنصور بالله، محمـدِ بنِ يحيى، وسجَّـل وقـائـعَ الأجنـادِ المنصـوريةِ ضدَّ القـواتِ العثمانيةِ، التي تدخلتْ في الشئونِ العثمانيةِ، فحَرِيٌّ بتلك الوقائعِ أنْ تُحفَظَ وتُقَيَّدَ في بطونِ الأوراقِ، وهو يرى أنَّ في ذلك تبصرةً وذكرىً لمن يأتي بعدَه من الحُذّاقِ، وعبرةً لأهلِ الإيمان والوفاقِ، وإغاظةً لذوي الحَسَدِ والشّقاقِ، ويذهبُ أكثرَ مِنْ ذلك، فيَعُدُّ كتابتَه أنّهـــا من المروءةِ والواجبِ لشرعِ الفتّوةِ[1].

- أوردَ المؤرخُ العـديدَ من الآياتِ والأحـاديثِ النبـويةِ والأقـوالِ المـأثـورةِ

(١) الدر المنثور، ٢ أ ق.

والأشعارِ، ومع أنّهَ قصدَ بذلك التنبيهَ إلى أهميةِ الحَدَثِ وتقويةِ الحجة، ودعمِها بالبراهينِ والآياتِ والأحاديثِ، إلاّ أنّ الإكثار منها يَدُلُّ على اتساعِ ثقافةِ المؤرّخ واطلاّعهِ على معارِف العصرِ، وتلك ميزةٌ تزوِّدُهُ بقدرةٍ واضحةٍ في معالجتهِ للأحداث.

- أوردَ المؤرِّخُ العديدَ من الإرهاصاتِ والرؤى البصرية والمناميّة والجفريةِ، وكذا ما سمّاه بالكراماتِ الباهرةِ، ويتّفقُ هذا مع أسلوبِ العصرِ في الكتابةِ التاريخية، فتسجيلُ تلكَ الأمورِ من المهامّ المتعلقةِ بعمل المؤرّخِ، وما ذاك إلا لتنبيهِ أبناءِ العصرِ بالحوادث الجِسامِ، التي حلَّتْ بِهِمْ، وكيفَ يكشفُ الله مصابَهُمْ، فكأنها نوعٌ من الرَّدْعِ، ولهذا أكْثَرَ المؤرّخُ من إيرادِ المصائبِ التي حلَّتْ بالمخالفين لأوامرِ الإمامِ المنصورِ بالله، أو أولئك المانعين لواجباتِ الإمامةِ من أموالِهم وخاصةً الزكاة، وأورد من ناحيةٍ أخرى أخبارَ الطَّواعين والسيولِ الكوارثِ والأمطارِ المدمرة التي أنزلها اللهُ على أعداءِ الإمامةِ والمتخلّفين والقاعدين عن الجهاد، فكانَ إيرادُ مثلِ ذلك ترهيباً وترغيباً لكلِّ واقفٍ على الكتابِ، وموعظةً لكلّ مناصرٍ.

وأما نحن، فإننا نرى في هذا النوعِ من التدوين سجلاً للتاريخ الطبيعي للأحداثِ الكونية، مِنْ خسوفٍ وكسوفٍ ووقوعِ زلزلةٍ أو نزولِ مطرٍ وهبوبِ رياحٍ شديدةٍ، وتفشّي الأوبئةِ والطواعين، وأزماتِ المجاعاتِ والقحطِ. فكلُّ هذه الأحداثِ إنما تساعدُ في تفسير الظواهرِ الاجتماعيةِ، وتُلقي الأضواءَ على حركةِ المجتمعِ اليماني في تلك الفترة[1].

---

(١) حول ذلك انظر الأوراق، ٦أ، ٤٣أ، ٧١ب، ٨٥أ، ٨٧ب، وصفحات عديدة، وانظرها في الفهرس الملحق الحوادث الطبيعية، والأوبئة والأمراض.

يُلاحَظُ أنَّ المؤرخَ لم يتقيدْ بأسلوبٍ واحدٍ في كتابتِهِ التاريخيةِ، ومع أنه اعتمد أسلوبَ الحولياتِ، ابتداءً من سنة ١٣٠٧هـ حتى سنة ١٣٢٢هـ إلا أنّه كانَ لا يتقيَّدُ بهذه المنهجيةِ القائمةِ على تدوين الأحداثِ حسبَ اليومِ والشهرِ والسنةِ في أغلبِ الأحيانِ.

ويبدو أنَّ المؤرِّخَ كان يهتمُّ بتلك السنوَات التي تقعُ فيها الحادثةُ، غيرَ أنَّهُ يضربُ عن هذا المنهجِ ليطرحَ قضايا أخرى مثل: الكراماتِ والإطنابِ فيهـا أو فضلِ شُهارةَ على غيرِها من البلدان، ثم إنه اهتم أساساً بشهداءِ المعـاركِ الواقعةِ بينَ الإمام المنصورِ باللهِ والأتراكِ، وأغفلَ وفياتِ كلِّ سنةٍ يؤرِّخُ لها، وعذرُهُ في ذلك، أنه إنما يكتبُ سيرةَ الإمام المنصورِ بالله ولا يكتبُ تاريخاً عاماً شاملاً.

ـ كانت المصادرُ التي استقى منها المؤرخُ متنَ مادةِ كتابه مما شهِدَهُ وسمِعَه بنفسِه في كثيرٍ من المواضعِ، فقد أورد في مقدمةِ كتابِهِ:

«وإني لمّا وضعتُ عصا التَّسْيارِ، وحَطَطْتُ رحلي في شريفِ المقامِ، ومَنَّ الله عليَّ بذلك، فله الحمدُ على هذا الإنعامِ، سمِعَتْ أذناني وَوَعى قلبي وشاهَدَ بصري، وقائعَ جَرَتْ . . . الخ.

ويذكرُ «وكنتُ حاضراً إذْ ذاك»[1] أو «وممَّنْ سمِعْنا منهم».

كما حرصَ من ناحيةٍ أخرى على ذكرِ اسمِ مَنْ روى له خبراً، فتكونُ الروايةُ بغثِّها وسمينِها منسوبةً إليه. وإن كانَ المؤرِّخُ مُشاركاً في الحَدَثِ، أوْرَدَ

---

(١) الدر المنثور، ٦٠ب.

ذلـك: ففي أحـداثِ سنة ١٣٠٩هـ، ذكرَ، «وكنتُ مِمَّنْ حثَّ الناسَ على الطاعةِ والدخولِ في الجماعةِ»، ويُضيف: بأنَّ أهلَ مدينةِ ذمار أمروه بالكتابةِ إلى حضرةِ الإمام».

وممَّنْ نَسَبَ إليهم إخبارَه بالحـوادثِ، عبـدُالله بنُ يحيى أبـو منصـر، ومحمـدُ بنُ يحيى بن الهـادي، والسيدُ محمد بنُ عباسٍ، وأحمدُ بنُ قاسم حميدُ الدين، وأحمدُ بنُ محمدٍ الشرعي، وعبدُالله بنُ علي راجح وابنُه الشيخُ عزيزُ بن عبدالله، وغيرُهم كثيرٌ ممنْ أوردهم في ثنايا الكتاب.

والمتمعِّنُ في سِيَرِ هؤلاءِ الأعلامِ، يدركُ أنَّ معظمَهُمْ ممّنْ قادَ المعاركَ ضدَّ الأتراكِ أو كانَ مُشاركاً فيها، وكأني بمؤرِّخِنا وقد انتهتْ موقعةٌ من وقعاتِ الأجنادِ المنصوريةِ ضدَّ الأتراكِ، يبادر إلى استقصاءِ مجرياتِها ونتائِجِها، فيرسمُ صورةً لاستراتيجيةِ المعركةِ من حيثُ خطَّتُها الحربيةُ، والقوى المُشاركةُ فيها، ثم يقيِّمُ نتائجَها من حيثُ النصرُ أو الهزيمةُ والغنيمةُ والخسارةُ.

وفي مراتٍ كثيرةٍ يذكرُ: «ولقد أخْبرَني من يُوْثَقُ بخَبَرِهِ»، أو «ولَقَدْ وصفَ لي بعضُ ضُبَّاطِ العجم»، أو «أخبـرنـا بعضُ مَنْ حَضَرَ الوقعة» أو «هكذا أخبـرني مَنْ كانَ هذا العـامَ في الحـج». وفي معركةِ كُحْلان خُبَان، ذكرَ المؤرِّخُ: «وكتبَ إليَّ سيدي عزُّالإسلام بتحقيقِ ما وقعَ»[٢].

ومن اللافتِ للنَّظَرِ ما أوردَهُ المؤرخُ في الورقةِ (٥٥ب) من الكتاب: «هذا ما وصل إلى راقمِ هذه السيرةِ من الوقائعِ الخطيرةِ على جهةِ التّحقيقِ واليقين

---

(١) انظر، الدر المنثور، ٧٧أ، ١١٤أ، ١١٧أ، ١١٨أ.

(٢) الدر المنثور، ٣٥ب.

دونَ كَذِبٍ ولا تخمين». ثم عادَ ليذْكُرَ بعدَ أحداثِ سنةِ ١٣١٦هـ: «قدْ ذكرْنا فيما سلفَ من هذه السيرةِ بعضَ إشارةٍ إلى الوقائعِ الأنسيةِ ولم تُسْتَقْصَ، حيث لم يكنْ عندي حالَ رقمِ ذلك، كيفيةُ ذلك، وتفصيلُ الوقائعِ الواقعةِ هنالك».

ثم يقرِّرُ الإرياني أنه وقع له الاتفاقُ ببعضِ المجاهدين الثقاتِ الذين شاهدوا تلكَ المعاركَ، وعلِموا تفاصيلَ ما وقعَ مِنْ ذلك، فاقتضى الحالُ أنْ يذكرَ جميعَ ما بلغَهُ من الوقائعِ الأنسيةِ في هذا الفصلِ مجموعةً، ولمَّا لمْ يتّفقْ له العلمُ بتاريخِ كلِّ وقعةٍ على جهةِ اليقين، ذكرها بدونِ تاريخ، حتى لا يقعَ في التخمين.

ويفيدُنا ذلك، أنَّ المؤرخَ كان دائمَ الاستقصاءِ والبحثِ، آملاً في تسجيلِ أوثقِ الرّواياتِ مِنْ مصادرِها الأصليةِ، وإنْ جانَبَتْهُ الدقّةُ في التأريخِ للحدثِ، أوردَهُ مُجْمَلاً ثم عاودَ البحثَ والتحرّيَ، وهو لا يرى أيةَ مندوحةٍ مِنْ ذكرِ «لم تحضْرني الآن» فإذا وُجِدَتْ أُلحِقَتْ. وما هذا الا نوعٌ من الأمانة والدّقةِ في الكتابةِ التاريخية.

والإشارةُ الوحيدةُ التي اعتمد فيها مصدراً مكتوباً نقل عنه، هو سيرةُ الأميرين الأجلَّيْن الشريفين الفاضلين: القاسم ومحمد ابني جعفربنِ الإمامِ القاسم بنِ علي العيّاني، تأليف الأمير: مفرّج بن أحمد الربعي[1]، والخبرُ

---

(١) منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموعة تاريخ ١١٧، خط سنة ١٠٦٦هـ، ٩٨ ورقة ومصورة بالميكروفيلم بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، رقم ٢١٦٥.

يتعلقُ أساساً بفضائلِ شُهَارة.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإننا لا ندري مدى استفادةِ مؤرِّخِنا مما كانَ قد شرَعَ فيه يحيى بنُ قاسم عامر، في تدوينهِ لسيرةِ الإمامِ المنصورِ بالله. فقد وردت إشارةٌ في الدر المنثور حولَ ظروفِ خروجِ الإمامِ المنصور بالله، أفادَ مؤرِّخُنا أنَّ عمادَ الدين، يحيى بنَ قاسم بنِ عامر هو الذي أخبرَه بما وقع»[1]، وكذلك مدى استفادته من كتاب «بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور» للحسينِ بنِ أحمدَ بنِ صالحِ بنِ مصلح العَرَشي، والذي كانت مكتبةُ الجامعِ الكبيرِ بصنعاءَ تقتني نسخةً منه مكتوبةً بخط المؤلفِ[2]، وكذا كتابُ أحمدَ بن عبدالله الجنداري، «الجامع الوجيز في وفيات العلماء ذوي التبريز» والذي تحتفظُ المكتبةُ الغربيّةُ بنسخةٍ منه تحت رقم تاريخ ٦٥، والتي ابتدأها بالهجرةِ النبوية وانتهى فيه إلى سنةِ ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م[3].

والسؤال الذي يطرحُ نفسَه في هذا المجال: ما مدى التزامِ المؤرخِ بالنزاهةِ والحيادِ والبُعْدِ عن الانحياز؟

يبدو لي أن المؤرخَ حاولَ قدرَ جهدِهِ أنْ يأتيَ بالوقائعِ والحوادثِ كما وَقَعتْ فعلاً، ويبذلُ جُهْدَهُ علَّهُ يُضْفي جانباً من المصداقيةِ على كتابِهِ، ولا أخالُني إلّا مدركاً لانحيازِهِ التام لوطنِهِ المبتلى بالتدخُّلِ العثماني، وسوءِ الأحوالِ وفسادِ الإدارةِ العثمانية في اليمنِ، فكان الانحيازُ لجانبِ الإمامِ بَيِّناً واضحاً

---

(١) الدر المنثور، ٤أ.

(٢) انظر مجلة العرب، العدد ٦ (١٣٩٢هـ) ٨٧٩-٨٨٩.

(٣) وانظر أيضاً، دار الكتب والوثائق القومية مخطوط رقم ٢١٣٢.

في ثنـايا الكتـابِ، وما لهُ لا يكونُ منحازاً، ووطنُه يعاني من الاضطرابِ، وعدمِ الاستقرارِ، منذُ التدخُّلِ العثماني الأولِ في اليمنِ في سنةِ ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م وحتى عصرِ الإمامِ المنصورِ بالله سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م؟

فالحيادُ غيرُ واردٍ في مثلِ هذه الحالةِ، ولكنّ الإرياني كتبَ بمصداقيةٍ ونـزاهـةٍ عن طبيعـةِ المعـاركِ التي وقعتْ بين الأجنـادِ المنصـورية والقواتِ العثمـانيةِ، وكـذا عن القبـائـلِ اليمنية والأعـلامِ من سادةٍ وشيوخٍ وتجّـارٍ وغيرِهِمْ، وعن مدى علاقةِ كلِّ هؤلاءِ بنُصْرةِ الإمامِ المنصورِ من عَدَمِهِ، وهي أمورٌ تجعلُ الناقِدَ ينظرُ بميزانٍ مختلفٍ لمسألةِ الحِياد والانحياز فيما لو جاءَ الكتابُ بعيداً زمناً عن فترةِ الأحداثِ، أما وإنه قد عاصرَ الأحداثَ، وكان في بعضِها من صنَّاعِها، فالأمرُ مختلفٌ كلَّ الاختلاف.

ومـا أراه أنَّ ثقـافته الدينيّة، وتربيتَهُ الفقهيةَ إنما تفرضُ عليه أن يؤدي الشهادةَ على أصحِّ وجوهِها وأتقنها. ولا أُبْعِدُ المؤرخَ الإرياني عن هذا المسلك.

ثم إن المؤرخَ عليَّ بن عبدِالله الإرياني، قد عَمِلَ كاتباً عندَ الإمام، وكان موضعَ ثقته وموضعَ أسرارِه، وبذا أطَّلَعَ على جزءٍ من مراسلاتِ الإمام سواءً أكانت مع العثمانيين أمْ القبائلِ لحشدِ طاقاتها أو رَدْعها عندَ المخالفةِ، وتلك ميزةٌ تضيفُ إلى الكتابِ بُعْداً مهماً.

الفصل الثاني
تحليل مادة المخطوط

الإمام المنصورُ بالله، محمد بن يحيى حميدالدين

المطلب الأول:

ـ النشأةُ والدراسةُ:

يُعَدُّ الإمامُ المنصورُ باللهِ محمدُ بنُ يحيى حميد الدين من أهمّ الشخصياتِ اليَمانيةِ التي ظهرتْ في منتصفِ القرنِ الثالثَ عشرَ للهجرةِ / (أواخرِ القرنِ التاسعَ عشرَ الميلادي)، والربع الأولِ من القرنِ الرابع عشرَ للهجرة/ (الربعِ الأولِ من القرن العشرين). فقد شهدَ عصرُه انقضاءَ فترةِ الفوضى التي عمَّتْ اليمنَ بسببِ التدخُّل العثماني فيها، ودوامَ المعاركِ في أرجائِها بينَ العثمانيين واليمانيين، ثمَّ ،وبسببِ شدَّةِ التنافسِ بينَ القياداتِ المحلية الزيديةِ على تولّي منصبِ الإمامةِ، فقد خَرَجَ داعياً لنفسِه ولمبايعتِهِ كلٌّ من: محمد بنِ عبدالله الوزير في بلاد آنس، والمحسنِ بنِ أحمدَ في بلاد كُحلان، وغالب بنِ محمدِ بنِ يحيى في تهامة الحُدَيْدة، وحسين بنِ محمدٍ الهادي في حصنِ القرانع من بلادِ الطَويلة. وكانَ الصراعُ محتدماً بينَ هؤلاءِ، الأمرُ الذي سهَّلَ من أحدِ الجوانبِ في عودةِ الوجود العثماني إلى اليمن. وبالرَّغمِ من نجاحِ الإمام الهادي شرفِ الدين بنِ محمدٍ في توحيدِ القوى

الوطنية تحتَ قيادَتِهِ، إلَّا أنَّ دعوةَ محمدِ بنِ قاسم الحوثي في جبلِ بَرَط، كانت لها آثارُها على عهدِ الهادي شرفِ الدين[1]، أما الإمامُ المنصورُ باللهِ، فقد نجحَ في حصرِ إمامةِ الحوثي في منطقةِ جبل بَرَط، بل وفي مبايعتِه من قِبَلِ أفرادِ عائلتِه فقط.

وإزاءَ ذلكَ، فإنّه من المفيدِ دراسةُ سيرةِ حياةِ الإمامِ المنصورِ بالله، ومن ثمَّ إلقاءُ الضَّوْءِ على البيئةِ التي نشأ بها، والعلومِ التي تلقّاها قبلَ خروجِهِ، وعمومِ بيعتِه بالإمامة.

هو محمدُ بنُ يحيى بنِ محمدِ بنِ يحيى حميدُ الدين، من نسلِ الإمام القاسم بن محمدِ بن علي، ويتّصلُ نَسَبُه بالحسنِ بنِ علي بنِ أبي طالب[2]. وُلِدَ ـ كما تتّفِق أغلبُ المصادر ـ في سنةِ ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، بصنعاءَ، ونشأ في حجرِ والدِهِ السيدِ العلامةِ يحيى بنِ محمد بنِ يحيى حميد الدين، الذي كانَ الساعِدَ الأيمن للإمام عبدِالله بنِ الحسن (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦ ـ ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠)، ووُصِفَ بأنّهُ من «عيونِ الأعوانِ ووجوهِ الأعلام»، وشاركَ في الأعمالِ، وقامَ بالمهمّات التي أوكلت إليه، وقد رعاهُ والدُهُ حتى وفاتِه في ٢٨ ربيع الآخر ١٢٨١هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٨٦٤م وكان والدُه قد دفعه لشيوخِ العصر، بعدَ أنْ أجادَ الكتابةَ والقراءَةَ وحفظَ القرآنِ الكريم، فدرَسَ على جُمْلَةٍ من شُيوخِ وعلماءِ العَصْرِ. ويُلاحظُ تَنوُّعُ وتعدُّدُ العلومِ التي درسَها الإمامُ في شبابِهِ مِنْ علومِ نقليةٍ، وعلومٍ عقليةٍ، شملتْ أصولَ الدينِ وأصولَ الفقهِ

---

(١) رياض الرياحين، ٢٨، أئمة اليمن، ٢/٣٥٣.

(٢) انظر شجرة النسب الملحقة، أئمة اليمن، ٢/٣، نيل الوطر، ٢/٤٠٩، وورد في نزهة النظر، ٥٩٥ أنه ولد سنة ١٢٥٥هـ.

واللّغةَ والنّحوَ والتفسيرَ وغيرَها، ويمكنُ أنْ نميِّزَ في دراستِهِ على شيوخٍ وعلماءِ العصرِ بين فئةٍ درسَ عليها، وفئةٍ حصلَ على الإجازة منها، فممَّنْ أجازَه في جميعِ العلومِ الإسلاميةِ، الشيخُ محمدُ بنُ إسماعيل عشيش. العالمُ المحقِّقُ، المفتي والمدَرِّسُ بجامعِ صنعاءَ، فقد درسَ عليه، شرحَ الأساسِ الكبيرِ للقاسمِ بنِ محمدِ المنصور، في علمِ الكلامِ، والبحرَ الزخار الجامع لمذاهبِ علماءِ الأمصارِ لأحمدَ بنِ يحيى المرتضى، وشرحَ نهجِ البلاغةِ لابنِ أبي الحديد، وطريقةَ جحاف[1] في حسابِ الفرائض، والشافي للأمام عبدِالله بنِ حمزةَ بنِ سليمان[2]. ويوصفُ هذا الشيخُ بأنّهُ صاحبُ مَلَكةٍ قويّةٍ في التعليمِ والتفهيم مع صبرٍ ورفقٍ عظيمٍ، وحُسْنِ أخلاقٍ ومُقابلة للمبتدىء بوجهٍ وسيمٍ. وأجازه أيضاً في جميعِ العلومِ الإسلامية شيخُهُ محمدُ بنُ عبدِالله الثورِ بنِ محمدِ بنِ حسين الصنعاني، وكذا الفقيهُ محمدُ بنُ إسماعيلَ الخمري الصنعاني، وكانت أوضحَ الإجازاتِ التي انتهت إلينا، إجازةٌ عامةٌ من العلامةِ الحسنِ بنِ عبدِالوهاب بنِ الحسين بنِ يحيى الديلمي، تاريخُها ربيع الثاني سنةَ ١٢٧٩هـ/ سبتمبر ١٨٦٢م، لما بلغَ الثلاثين من عمرِهِ، وقد جاء في إجازة الحسن بن عبدالوهاب العامة، ما نَصُّهُ:

«سألني الولدُ العلاّمةُ، الحَبْرُ الفهّامَةُ، سليلُ المجدِ والفخامةِ، محمدُ بن

---

(١) في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير يوجد، طريقة جحاف في صناعة الكُتّاب في الضرب والتجميل والحساب لحسن بن شمس الدين بن جحاف، فرائض ١٦من (٢٠١ - ٢٠٧) من المجموع، وطريقة جحاف في الحساب قراءات رقم ٣ من (١-١٥) من المجموع.

(٢) أئمة اليمن، ٢/٣، نيل الوطر، ٢/٢٤٦.

يحيى بنِ محمدِ بنِ يحيى الإجازةَ المتوارثةَ بينَ أهلِ العلمِ، التي هي إحدى طرقِ الروايةِ في مسموعاتي ومقروءاتي عن مشايخي الأعلام، فقد أجَزْتُهُ ما قرأتُه وسمعتُه واستجزْتُهُ في سائرِ العلوم، فمنها: كتبُ السُّنّة الأمهاتُ السِّتُّ، وما عليها من شروحٍ وتعليقٍ، وكذا المنتقى، والمصابيحُ للبَغوي، والتيسيرُ للدَّيْبَعِ» وغيرُها من كتب الحديثِ والتفسيرِ واللغةِ والأصولين: الفقهِ والدينِ، والعربيةِ وغيرها، بل إنَّ شيخَهُ الحسنَ بنَ عبدِالوهاب الدَّيْلمي، قد ضمَّنَ إجازَتَهُ للمنصورِ باللهِ أبياتاً من الشعرِ، جاءَ منها:

أجزتُ لنجلِ الآلِ أعني محمدَ بنِيحيى لما أرْويه عن كلِّ أمجد
فأوّلُها علمُ الكلامِ لأنَّهُ أساسٌ به يهدي الإمامُ ويهتدي
وفي علمِ تفسيرِ الكتابِ فضيلةٌ على غيره كالشمسِ في كلِّ مَرْصدِ[1]

وشيخُه الحَسَنُ، محقِّقٌ مدقِّقٌ، له: عَقْدُ الإمامِ في وجوبِ طاعةِ الإمامِ، والطرازُ المُذْهَبُ في المختارِ لأهلِ المَذْهَب، ورسالةٌ ذكرَ فيها أربعين علماً، والتفويضُ على منحةِ اللطيفِ في فنِّ التصريفِ، ونزهةُ الطَّرْفِ في أحكامِ الصرْفِ وشرحُها، والإبريزُ المُذابُ في قواعِدِ الإعرابِ. والإجازةُ إنّما تكونُ لِمَنْ أتمَّ دراستَهُ في المرحلةِ العالية، وإنما كانَ الامتحانُ، امتحانَ الرأيِ المحيطِ به، من علماءَ ومتعلمين، فمن آنسَ في نفسِهِ الكفايةَ على أنْ يجلِسَ مجلسَ العِلمِ، جلسَ وتعرَّضَ لجدلِ العلماءِ ومناقشتِهِم، فإنْ نجحَ حصلَ على إجازةٍ تُجيزُ له الروايةَ والتدريسَ أو الإفتاءَ من شيخِهِ الذي تلقَّى عليه العلمَ.

---

(١) أئمة اليمن، ٢/٤، نيل الوطر، ١/٣٤٠-٣٤٢، وفيهما جاءت الإجازة في تسعة أبيات.

أما الشيوخُ الذين درسَ عليهم، ولم تتضمَّن المصادرُ والمراجعُ ما يفيدُ الإجازةَ بل أشارت في بعضِ الأحيان لتقييمهم عِلْمَهُ واجتهادَهُ، فنذكرُ منهم:

ـ أحمدَ بنَ عبدِالرحمن المجاهد ، والذي يُعَدُّ من أكابرِ علماءِ صنعاءَ ، بلغَ درجةَ المُذاكرين والمخرجين للمذْهَبِ، وقارَبَ الزمخشريَّ في التفسيرِ، وانتهتْ إليه رئاسةُ التدريسِ في فنون العلمِ والإفتاء بصنعاءَ، وصنَّفَ، نيل المنى في شرحِ أسماءِ الله الحسنى، وله مؤلَّفٌ في أصولِ الدينِ، وله البدرُ الساري، ومقدمةٌ في علمِ التفسيرِ سمّاها[1] «بفتح اللهِ الواحدِ على عبدِه أحمدَ المجاهِد، وكذا الروضُ المُجْتبى في مسائلِ تحقيق الرِّبا[2]، ومؤلَّفٌ في مناسبةِ الآي، بلغ فيه إلى آيةِ الكرسي، ومباحثُ جمَّةٌ على غاية السؤالِ في علمِ الأصولِ. وقَدْ درسَ عليه الإمامُ المنصورُ باللهِ، كتابَ الاعتصام بحبلِ الله المتين، وحرمةِ التفرّقِ في الدين، بما شرَعَهُ سبحانَه وتعالى في كتابِهِ الذكرِ المبين، وعلى لسانِ رسولِهِ محمدٍ، خاتم النبيين ﷺ للإمام القاسم بنِ محمدِ بنِ علي، في علم الكلام.

ـ العلاّمةُ أحمدُ بنُ محمدٍ الكِبْسي، رئيسُ العلماءِ وشيخُ الإسلام، الذي طارَ صيتُهُ في جميعِ البلادِ اليمنيّةِ. أخذَ عنه أكابرُ الشيوخِ، طبقةً بعدَ طبقةٍ، وكانَ المذكورُ عالي الرتبةِ في علمِ الحديث تفرَّدَ فيه تفرُّداً، لا يُدانى فيه، حتى إنّ تلميذَه أحمد بنَ عبدِالله الجنداريَّ يصفُ قراءَتَهُ عليه، كتابَ شفاءِ الأوام في الحديثِ، في مسجدِ الفليجي بصنعاءَ، بأنها قراءةٌ يتحيَّرُ مَنْ سمعها

(١) منه نسخة في مكتبة جامع صنعاء، رقم ٥٠ مجاميع.

(٢) منه نسخة في المكتبة الغربية ـ جامع صنعاء، مجموع رقم ٥٨ فقه (٥ـ١٢).

من حِفْظِ الرجلِ ومعرفتِهِ بطرقِ الأحاديثِ واختلافها، وقد أخذ عنه المنصورُ بالله علمَ الحديث.

ـ العلاّمةُ محمدُ بنُ إسماعيلَ الكِبْسي ، المؤرِّخُ والقاضي زمنَ المتوكِّل على اللهِ المُحْسنِ بنِ أحمـدَ، يُعَدُّ آيةً في التاريخ والـوَفَياتِ والأنسابِ والأخبارِ، وقد صنَّفَ، النفحاتِ المسكيَّةَ والإجازاتِ السنِّيةَ والسيرةَ المتوكلِّية المحسنية والتراجمَ البهيَّة في مجلَّدَيْن ضخمين، وتاريخَ الزَّمان، وسببَ تفرُّق الناسِ في البلدان من بعدِ الطوفانِ إلى سيرةِ ولدِ عدنان، واللطائفَ السنيَّةَ في أخبارِ الممالكِ اليمنية، انتهى فيه إلى حوادثِ سنةِ ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، والعنـايةَ التـامةَ، شرْحَ أنوارِ الإمامةِ (تتمة القصيدة البسّامة) . وقد أخذَ عنه المنصورُ بالله، علومَ الفقهِ، وقد أشارَ المؤرِّخُ محمدُ بنُ إسماعيل الكِبْسي في كتابـه تتمة البسامة عندَ ترجمتِهِ لعمادِ الدينِ يحيى بنِ محمدٍ حميدِ الدين للإمام المنصورِ باللهِ، فقال: «وقد بارك الله لهذا عمادَ الدين، وجعلَ له لسانَ صدقٍ في الآخـرين، فإنَّ سليلَهُ ونجلَه الشـابُّ الـظريفَ، والرئيسَ الهمامَ المنيفَ، عينَ أعيانِ الوقتِ، ورأسَ صدورِ الدستِ، المُحقِّقَ في المعقولِ والمنقولِ، والمدِّقِقَ في الفروعِ والأصول، محمدَ بنَ يحيى بنِ محمدٍ من عيونِ الأعـوان، ووجـوهِ الأعـلامِ، المجـدِّدين في نصـرةِ الإسـلام، نافـذُ البصيرةِ، صالحُ السريرةِ، قد أحرزَ مِنَ المعارفِ العلمية واللطائفِ الأدبية ما تقرُّ به العينُ، وتُجْلى به الكُرَبُ والرَّيْن، وكَدَح في الطَّلَبِ وتمسَّكَ بأقوى سبب الخ»[1]، وهي شهادةٌ علميةٌ خصَّ بها المؤرِّخُ محمدَ بنَ اسماعيل الكِبْسيَّ

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٦.

الإمامَ. والتي تُثْبِتُ بلوغَ المنصورِ باللهِ رتبةً في العلمِ سامية، وهو ما زالَ في عنفوانِ شبابِه.

ـ العلّامةُ حسينُ بنُ عبدِالرحمن الأكوعُ، الذي برعَ في فنون العلمِ. درَّسَ في جامعِ صنعاءَ، وكانَ لا يبرحُ عن الجامعِ جُلَّ أوقاتِه، وأخذَ عنه الإمامُ المنصورُ باللهِ، مجموعَ الإمام زيدِ بنِ عليّ بنِ الحسين[1]، وكذا الناظري في الفرائض[2].

ـ العلّامةُ قاسمُ بنُ حسينِ بنِ القاسم بنِ أحمدَ بنِ المنصورِ الحسين بنِ المتوكِّل، مِمَّن كانَ له مكانةٌ في حفظ الحديثِ وعِلَلِه ورجالِه، وأصولِ الفقهِ وذلك بمسجد الخرّاز بصنعاءَ، فقد أخذَ عن شيخه، نخبةَ الفكرِ في علمِ الأثرِ، لأحمدَ بنِ حجر العسقلاني، والكشّافَ للزمخشري، وشرحَ الغايةِ[3] للقاسم بن سلام.

ـ الإمامُ المتوكِّلُ على الله، المُحْسنُ بنُ أحمدَ بنِ محمد بن الحسن بن الحسين، الذي أخذ عنه علومَ الفقهِ، وكان المحسنُ بنُ أحمدَ قد ثِقِفَ علمَ العَدْلِ والتوحيدِ (علمَ الكلام)، وعلمَ أصولِ الفقه[4].

---

(١) منه نسخ عدة في المكتبة الغربية، بجامع صنعاء، انظره فهرس المخطوطات في المكتبة الغربية، ٩٦، ٢٨٥.

(٢) نيل الوطر، ١/٣٧٩.

(٣) شرح غاية السئول وهي هداية العقول إلى غاية السئول في علم الأصول، شرح غريب الحديث للقاسم بن سلام، منه نسخة في المكتبة الغربية رقم ١٥٦ حديث، أئمة اليمن، ١/١١٢.

(٤) أئمة اليمن، ١/٥، نيل الأوطار، ٢/١٩٣.

ـ العلّامةُ محمدُ بنُ أحمدَ العراسي، مدرِّسُ ومفتي صنعاءَ، شيخُ الشيوخِ، صنَّف تخريج أحاديثِ الثّمراتِ، وله منظومةٌ في الخصائصِ للسُّيوطي، ومنظومةٌ أخرى سمّاها مفتاحَ السعادةِ في كلمةِ التوحيدِ، وقدْ درسَ عليه المنصورُ باللهِ، شفاءَ الأميرِ الحسينِ في الحديثِ، وشرحَ الأزهارِ، وشرحَ الناظريِّ المشارَ إليه سابقاً.

ويُلاحظُ أنَّ صاحبَ كتابِ أئمةِ اليمنِ قدْ أضافَ مجموعةً أخرى من العلماءِ الذين درسَ عليهم الإمامُ المنصورُ باللهِ، ولم ترِد في كتابِنا الدرِّ المنثورِ للإرياني، ومنهم:

لطفُ اللهِ بنُ محمد شاكر الصنعاني الذي وُلِدَ سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م بصنعاءَ، ودرسَ على علماءِ صنعاءَ، ومعظمِ الذين أخذَ عنهم الإمامُ المنصورُ باللهِ. وفي سيرتِهِ أنّه هاجرَ سنةَ ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م إلى جبل الأهنوم واستقرَّ بهجرةِ عُلْمَان، وعكف على التدريس هناك، وتوفي فيها سنةَ ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م. ولم يرِدْ في المصادِرِ التي اطلعتُ عليها أنَّ الإمامَ المنصورَ بالله قد درسَ عليه، والاحتمالُ الأقربُ هو أن يكونَ الإمامُ، أثناءَ إقامتِهِ هناك، قد تذاكرَ وإياه في مختلفِ أنواعِ العلومِ والفنونِ[1]. ومن ناحية أخرى، فقد أوردَ المصدرُ نفسُه أسماءَ عددٍ من العلماءِ الذين أُخذَ عنهم، ولكنّا لم نجدْ في المصادرِ التي اعتمدناها ما يؤكِّد ذلك، ومنهم: القاضي محمدُ بنُ أحمدَ بن سُهيلٍ الصنعاني[2] والسيدُ محمدُ بنِ محمدِ بنِ عامر، وقد أخذَ عنهما النحوَ،

---

(١) نزهة النظر، ١/٤٩٣-٤٩٤.
(٢) حول هؤلاءِ، انظر: نيل الوطر ١٦٩، ٢٣٠، ٣٨١.

ومحمدُ بن اسماعيل بن محمدٍ العمري، ويحيى بنُ أحمدَ القطفا في الفقه وأخذ عن عيسى بن محمد بن يحيى النعيمي التهامي[1].

وعلى الجانب الآخر، فقد توقفنا عندَ ما أوردَهُ زبارةُ من دراسةِ الإمام على محمد بنِ قاسم الحوثي، فقد أوردَ ذلك في نزهةِ النظر، وأفادَ بأنَّ الإمامَ كانَ محقِّقاً في الفقهِ والعربية والكلام، ثم استطردَ صاحبُ نزهةِ النظر في إيرادِه لسيرتِه، حيث ذكرَ بأن محمدَ بن قاسم الحوثي ناصَرَ دعوةَ محسنِ بنِ أحمدَ سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، ودخلَ نائباً عن الإمام إلى صنعاءَ، وأقامَ بها مدةً باسمِ سيفِ الخلافةِ، وتصدَّر للنيابة عن شيخِ الإسلام، وهو مِمَّنْ حُبِسَ معَ الإمام المنصور بالله وآخرين من قِبَل مصطفى عاصم، ثم إنّه سارَ إلى بَرَط ودعا لنفسِهِ هناك، واستمرَّ في دعوتِهِ حتى سنةِ ١٣١٩هـ/١٩٠١م[2]، وقد أورد القاضي حسينُ بنُ أحمد العَرَشيُّ في كتابِهِ: بهجة السرور في سيرةِ الإمام المنصور، أنَّ الإمامَ قد أخذَ عن محمدِ بنِ قاسم الحوثي، وأنَّ الإمام المنصورَ باللهِ قد رثاه بقصيدةٍ، حينَ بلَغَهُ خبرُ وفاتِهِ، جاءَ فيها:

مصابٌ يمنعُ الجَفْنَ المناما وخطْبٌ عمَّ مَنْ صلّى وصاما
حليفُ العلمِ والتقوى إذا ما طغى بحرُ الظّلامِ ضُحىً وطاما

ولم يذكرْه الإمام بكلمة (شيخي) ولو بإشارةٍ بسيطة، وإزاءَ ذلك فإننا نقفُ عَنْ تقرير، إن كان قد أخذَ عنهُ الإمامُ المنصورُ باللهِ[3] أم غير ذلك.

---

(١) حول هؤلاء، انظر، نيل الوطر، ٣٨١.

(٢) نزهة النظر، ٥٧١.

(٣) أئمة اليمن، ٢/ ٥٩.

وتخلصَ من كلِّ ذلك إلى أنَّ الإمامَ المنصورَ باللهِ قد درسَ الدعامات الرئيسة التي يقومُ عليها المذهبُ الزيدي، وأولها علمُ كلام (العدل والتوحيد)، وهو علمُ أصولِ الدين وفروعُه العدلُ والتوحيدُ والوعدُ والوعيدُ والمنزلةُ بينَ المنزلتين والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر.

وثانيها: أصولُ الفقهِ، والذي يُقْصَدُ منه العلمُ بالأحكامِ الشرعيةِ العملية الفرعية عن أدلَّتِها التفصيلية، وتعتمدُ على إتقانِ دراسةِ وفهم الأدلةِ الشرعيةِ بترتيبها منْ كتابٍ وسنةٍ وإجماعٍ وقياسٍ، إضافةً إلى النحو واللغةِ واللطائفِ الأدبية، ومثلُ هذه العلومِ النقليةِ والعقلية تغدو مؤهِّلاً ضرورياً لتولّي الإمامة.

ويتّضح من دراستِنا لعهدِ المتوكلِ على اللهِ، المحسنِ بن أحمدَ، أنَّ محمدَ بنَ يحيى حميدَ الدين، قد عقَدَ له الإمامُ المُحْسنُ بنُ أحمدَ الوزارةَ على الصافيةِ، جنوبَ صنعاءَ، والخرابةِ، القريةِ القريبةِ من مَسْيَبَ وبلادِ البُستان في سنةِ ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، وبعدَ أربعِ سنواتٍ قادَ الجيوشَ إلى بلادِ الحَيْمَةِ، لإخراج قبائل يام الباطنية منها. وكانتْ معظمُ قواتِه مِنْ قبائلِ أرحب، حيثُ حاصرَ الباطنيةَ في قريةِ الزيلةِ، وتمكّن من هزيمتِهم، ومن ثمَّ تولى للإمام المتوكلِ بلادَ آنسٍ.

وعندَ وصولِ الأتراكِ إلى صنعاءَ سنةَ ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، كلَّفه أحمد مختار باشا، الوالي العثماني على اليمنِ بتولي قضاءِ حجةَ وبلادِها، ثم استقال من وظيفتِهِ، وقَفِلَ راجعاً إلى صنعاءَ، حيثُ عمِلَ في الزراعةِ، يعتني بدورِهِ وبّساتينـهِ في صنعاءَ وبئرِ العَزَبِ وقريةِ القابلِ التي يستقرُّ فيها في الخريف، وكان اعتزالُه في بيتِهِ ناشراً للعلومِ، مدرساً للطلبةِ في مسجدِ الخراز بالقربِ من السائلة في الجهةِ الشرقية من صنعاءَ، ويفصِلُ في

الخصومات بينَ مَنْ وَرَدَ إليه لتحكيمِهِ، فقد كان القاضي بالتراضي[1] في صنعاءَ.

ثم ما كان من سعيٍ بالإمامِ المنصور بالله عندَ المشيرِ العثماني مصطفى عاصم، فقد دسَّ إليه بعضُ أعوانِ الأتراكِ، مثل محسنِ بنِ علي معيض، والقاضي عبدِ الله الطرابلسي، أنَّ خروجَ الإمامِ محسنِ بنِ أحمدَ وحركتَهُ، ومقاومتَهُ للوجودِ العثماني في اليمن، إنما كانَ بتدبير ومساعدةِ الإمام وغيره من علماءِ صنعاءَ، فكان سجنُه وعلماءَ آخرين في قصرِ صنعاءَ، ثم نُقِلَ إلى سجنِ الحُدَيْدةِ، حيث أمضى فيه وصحبُه قرابةَ سنتين وأشهر، منذُ سنةِ ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، حتى كان إطلاقُهم بأمرٍ سلطانيٍّ في عهدِ الوالي العثماني إسماعيل حافظ باشا، فعادَ الإمامُ المنصورُ إلى صنعاءَ عاكفاً على التدريس وفصلِ الخصومات، ومطارحةِ العلماءِ بفنونِ الآدابِ المختلفةِ[2]، غيرَ أنَّ الرقابةَ العثمانيةَ المفروضةَ عليه من خلالِ بثِّ العيونِ والجواسيس كانت شديدةً، حتى كانت وفاةُ الإمامِ الهادي لدينِ الله شرف الدين بنِ محمدسنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، ومَنْ ثمَّ تصدّيه للعثمانيين. وبذا دخلَ الإمامُ المنصورُ باللهِ معتركَ ميادينِ السياسةِ والحربِ، لتبدأ مرحلةٌ أخرى من مراحلِ حياتِهِ المشحونةِ بالأحداثِ الجِسامِ كما سنوضّحه لاحقاً.

---

(١) القاضي بالتراضي، وهو القاضي الشرعي الـذي يقبل أو يرتضي الأهالي الرجوعَ إليه ليفصل بينهم فيما يثار من قضايا، ولذلك يطلق عليه «حاكم التراضي» وفي هذه الحالة يلزم كلٌّ من الأهالي والحكومة بتنفيذ ما يقضي به، كما أن الغرماء الذين يتقاضون أمامه هم الذين يدفعون أجرتـه، ودائماً يكـون هذا الحاكم، مـوضع احترام مَنْ يحيطـون به، لذلـك يلجأون إليه عن طواعية، ويرتضون ما يحكم به، انظر، وثائق يمنية، ٤٠٢.

(٢) أئمة اليمن، ٢/ ٧، رياض الرياحين، ٢٨، الدر المنثور، ق٤ب، نيل الوطر، ٢/ ٤١٠.

المطلب الثاني :-

الخروجُ والدعوةُ والبيعةُ

في الفكـرِ الـزيدي، لا بُدَّ وأن يكونَ الإمامُ الحاكمُ عليهم من أهلِ مذهبهم من أهلِ البيتِ، شريطةَ أن يكونَ مُسْتجمِعاً فيه جُملةَ شروطٍ، منها: العلمُ والكـرامـةُ والدرايةُ وأن يكونَ مقداماً فارساً، عادلاً[1]، وغير ذلك من الشروط. والزيْديةُ لا توافِقُ على تعيينِ الإمامِ لِمنْ يخلِفُهُ، بل تُصِرُّ على أنَّ الإمامَ يجبُ أنْ يختارَه أهلُ الحلِّ والعقدِ، فيكونُ ترشيحُ الشخصِ العارفِ من نفسِهِ الأهليَّةَ، ثم يُعلنُ ترشيحَه لنفسِهِ بواسطةِ منشورِ الدعوةِ، يوضِّحُ فيه موجباتِ الدعوةِ وأهليتَه للقيامِ بالإمامةِ، ومنهجَ عملِهِ فيها.

وعنـدَ ذلـك يجتمعُ العلماءُ وكلُّ مَنْ تنطبقُ عليهم أهليةُ رجالِ الحلِّ والعقدِ، يصلون لمناقشتِهِ واختبارِهِ في العلومِ النقليةِ والعقليةِ، ويتشاورونَ فيما بينهَم في موضوعِ كفاءَتِهِ ومكانَتِهِ، فإنْ ارتَضَوْهُ بعدَ ذلك بايعوهُ، وإلاّ نظروا غيرَه. وتكونُ إمامتُهُ للقيامِ بالواجباتِ وتحمُّلِ المسؤولياتِ بعدَ المُبايعةِ الحُـرَّةِ[2]، ولا يجـوزُ أن يكـونَ الإمـامُ مَنْصُوباً مِنْ جهةِ الدَّولةِ أو غيرِها. والخروجُ على الظالمِ المتغلبِ شرطٌ في كونِ الإمامِ إماماً، ويتوجَّبُ عليه إزالـةُ كلِّ مُنْكـرٍ يراه، ولـو بالحربِ والقتالِ، إذا اجتمعَ عندَه من الرجالِ المحاربةِ بقدرِ عددِ أهلِ بدر. وهو ما اصْطُلحَ على تسميتِهِ «بتكوينِ الأُمةِ» التي أمرَ الله بقولِهِ «ولتكُنْ منكُمْ أمةٌ يدعون إلى الخيرِ، ويأمرون بالمعروفِ

---

(١) من الشروط الأخرى أن يكون مكلفاً، حراً، مجتهداً، علوياً فاطمياً، عدلاً، سخياً، ورعاً، سليم العقل، سليم الحواس، سليم الأطراف، صاحب رأي وتدبير، مقداماً فارساً.

(٢) الزيدية (نظرية وتطبيق)، ١١٨.

ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ» فإذا تحمَّلَ تكوينَ الأُمةِ بدأ بتنفيذ الخروجِ على الظالمِ المتغلّبِ، وكانت النهضةُ.

ومسألةُ اختبارِ المرشحين للإمامةِ مِنْ قِبَلِ العلماءِ ورجالِ الحَلِّ والعقدِ واجبةٌ للتحقُّقِ من شرطِ العدالةِ والكفاءةِ والعلمِ والدراية، ويجوزُ أنْ تكونَ إجاباتُ المرّشحين خطيّةً. فقدْ وَجَدْنا مثلَ ذلك للقاضي إبراهيمَ بنِ عبدِالله بنِ علي الغالبي الضَحْيَاني، حيثُ أرسلَ بسؤالاتِهِ لكلٍّ من الإمام الهادي شرفِ الدين بن محمد، والإمامِ المهدي محمدِ بن قاسم الحوثي[1].

وفيما يتعلّقُ بالإمام المنصورِ بالله، فقد أوْرَدَ الإرياني في الدرِّ المنثور الأسبابَ والموجباتِ التي جعلت الإمامَ يستجيبُ لتحملِّ مسؤولياتِ الإمامة، فقد أخبرَهُ يحيى بنُ قاسم بنِ عامر ـ وهو أحدُ المرافقين للإمام الهادي شرفِ الدين، وممنْ كانَ قد شرعَ بكتابةِ سيرةِ الإمامِ المنصورِ بالله، ولكنّه لم يُتمَّها ـ أخبره عن ظروفِ خروجِ الإمامِ المنصورِ باللهِ إثرَ وفاةِ الإمام الهادي شرفِ الدين فقد «كاد الشرُّ أن ينهضَ، وطمعَ كلُّ مَنْ في قلبهِ مَرَضٌ من أهلِ تلك الديارِ مِنْ أهلِ صعدةَ وسَحار» فأجمعَ الرأيُ على أنّه لا يصلحُ لهذه الرتبةِ العليا إلّا من جَمَعَ صفاتِ الكمالِ في الدينِ والدنيا، المحقّقِ في الفروعِ والأصولِ، المدقِّقِ في المعقولِ والمنقولِ. فكتبوا الى الإمام المنصورِ باللهِ «أنّهُ قد توفيّ الإمامُ الهادي، ولم يبقَ مَنْ يصلُحُ لهذا المنصبِ الشريفِ غيرُكِ، وقد تحتَّمَ عليك الخروجُ، فبادِرْ إلى ذلك قبلَ أنْ يفطِنُ العُلوجُ (المقصود الأتراك)، وتدارَكْ أمورَ المسلمين، فإنها غدَتْ تموُجُ[2]».

---

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٣٥٥، ٣٥٨.

(٢) الدر المنثور، ٤أ.

وكان صاحبُ كتابِ أئمةِ اليمنِ أكثرَ تفصيلاً في هذه الناحيةِ، فقدْ ذهبَ إلى أنّ وفاةَ الإمامِ الهادي قدْ وقعتْ في ١٩ شوال ١٣٠٧هـ/ ٩يونيه ١٨٨٩م في حصنِ السِّنارة، ونُقِلَ إلى المَدَان، مركزِ ناحيةِ شُهَارة، وكانَ عندَ الإمام الهادي وقتَ موته يحيى بنُ قاسم بنِ عامر الأهنومي، وسيفُ الإسلامِ، أحمدُ بنُ قاسم حميد الدين ت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م فكتبا إلى الإمامِ المنصورِ باللهِ، وحثّاهُ على المبادرةِ للوصولِ إلى صعدةَ قبلَ أنْ يعلمَ الأتراكُ بذلك[١]، ويبدو أنّ يحيى بن قاسم بنِ إبراهيمَ ابنِ السيد الشهيد عامرِ بنِ علي بن محمد الحسني[٢]، كان على معرفةٍ تامّةٍ بكفاءَةِ وأهليّةِ المنصورِ باللهِ، لا سيما وأن الاثنين كانا من خاصة أعوانِ الإمامِ المحسنِ بنِ أحمدَ، وقادتِهِ البارزين، ثم كانَ من أعيانِ الإمامِ الهادي وخاصّتِهِ، وكانَ معروفاً بالعدلِ والاستقامةِ، وأما أحمدُ بنُ قاسم، حميدُ الدين، فهو من أجلِّ تلاميذِ المنصورِ باللهِ محمد بن يحيى، وقد بلغَ من العلمِ مكانةً عاليةً، كما ناصرَ الإمامَ الهادي ثمَّ الإمامَ المنصورَ باللهِ، وكانَ ممَّنْ يُراجَعُ في شأنِ مَنْ يقومُ بالإمامةِ العظمى[٣]. أما لماذا دعَوْهُ للقدومِ إلى صعدةَ دونَ غيرِها، فالسببُ معروفٌ، ويكمنُ في عمقِ جذورِ الزيدية هناك منذُ دعوةِ الإمام الهادي إلى الحقِّ، يحيى بنِ الحسين بن القاسم إضافةً إلى طبيعةِ القبائلِ اليمنيةِ المتوطِّنةِ فيها، ووعورةِ وصعوبةِ طُرُقِها ومسالِكِها الجبلية. وأما العواملُ المساعدة، فإن الإمامَ الهادي

---

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٨.

(٢) أئمة اليمن، ٢/ ٣٢٣-٢٣٥، السيد عامر الشهيد سنة ١٠٠٨هـ هو عم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد.

(٣) نزهة النظر، ١٢٠-١٢٣.

ترك منطقةً واسعةً، نجحت قواتُهُ في بسط سيطرتِهِ عليها في الأهنوم والشرفين وحجور الشام، وتمتد إلى ذيبين والجوف وبَرَط ومعظمِ لواءِ حجةَ، إضافةً إلى عددٍ من الهجر لإحياءِ العلومِ الزيديةِ، وبيتِ مالٍ لا بأس به. فيه أسلحة ونقدٌ وحبوبٌ وحصونٌ، يُشرِفُ عليها ابنُ الإمامِ الهادي، سيفُ الإسلام محمد، والذي لم يبلغْ حدَّ الاجتهادِ، وينتظرُ الإمامَ المستجمعَ لشروط الإمامة.وعلى كل حال، فحين وصلت الكتبُ إلى محمدِ بنِ يحيى حميدِ الدين، شاوَرَ العلماءَ والعقلاءَ والمحبّين في صنعاءَ وغيرِها، ومنهم القاضي محمد بن أحمد العراسي، فرأوا أنه قدْ تحتَّمَ عليه الخروجُ، ولكنَّهُ، أي الإمام المنصورَ باللهِ، كما يصفُ نفسَه غداةَ ذلك الأمرِ كان «يقدّمُ رجلاً ويؤخّرُ أخرى» فالمسؤوليةُ جسيمةٌ، وعليه التصدّي للجيوشِ العثمانية بإمكاناتٍ محدودة، وهو يعلم الصعوباتِ التي كانت تنتظرهُ في علاقاتِهِ مع القبائلِ اليمنية ومع الشرائحِ الاجتماعيةِ المختلفةِ من سادةٍ وقضاةٍ وشيوخِ قبائلَ، إضافةً إلى التنافسِ على تولّي الإمامةِ، وجوازِ إمامةِ المفضولِ مع وجودِ الأفضلِ، وكان كذلك يحسبُ حسابَ القوى الفرنجيةِ الطامعةِ في المنطقة من انجليز وطليانَ وفرنسيين، وكذا الزعامات المحليةِ وصراعاتِها التي لا تنتهي.

وعلى الجانبِ الآخرِ، فإنَّ الشارعَ يحتّمُ عليه الخروجَ، وعليه جمعُ كلمةِ المسلمين، ولمُّ شعثِهم، وإزالةُ المناكرِ التي بانَ فعلُها، والأمرُ المعروفِ وقد ظهرَ تركُه.وأوكَلَ الرجلُ أمرَهُ إلى ربِّهِ، ثم لجأ إلى صلاةِ الاستخارةِ، وما انشرحَ له صدرُه قَصَدَهُ[1].

---

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٩.

ويلخّصُ مؤرِّخُنا الإرياني في كلماتٍ وجيزةٍ قصيرةٍ الأسبابَ الحقيقيةَ التي دَفعت الإمامَ المنصورَ باللهِ للخروجِ، وقبولِهِ تحملَّ تبعةِ الإمامةِ بقولِهِ:

«خفقةٌ منِ الدين، وزفرةٌ من الباطلِ والمبطلين، وضعفٌ في طائفةِ المؤمنين، وقذى في عينِ الشريعةِ» ويشيرُ المؤرخُ بصورةٍ أوضحَ إلى الممارساتِ الفاسدةِ الواقعةِ في قُطْرِ اليمنِ، فالقضاةُ المعيّنون من قِبَل الأتراك، ما رأوْا في القضاءِ إلّا وسيلةً لأخذِ الأموالِ، والمأمورون اعتدَوْا على مصالحِ الأمةِ حتى قطعوا رحمَ الأمـةِ، وارتكبوا جميعَ الأفعالِ القبيحةِ وشربوا الخمورَ جهاراً، وباعوا الـرَّعيةَ لضعفـاءِ المشـايخ، وأكثرُ من ذلك، حكمُوا بالطّاغوتِ،أي بقوانينِ الولاياتِ بدلَ الحكمِ بشريعةِ الله»، ويقرِّر المؤرخُ الإرياني بأنَّ الظلمَ راسخٌ، حتى قال:

أنَّـتِ الأرضُ واشتكتْ سطوةَ الـزمـان
ثم وَلْـوَلَـتْ وغَـدَتْ تطلُبُ الأمـان
دولةُ الأعاجمِ التي جُبِلَتْ على الطغيان
جَوْرُهـا ومـا صنَعَتْ بلغَ العنـان(١)

ويبدو لي أنَّ معاودَةَ الحديثِ عن الإدارةِ والممارساتِ العثمانيةِ إنما هو حديثٌ مكـرورٌ، فقـد دُرِسَ بإفاضةٍ مما لا يحتاجُ معه إلى إعادةِ البحث، فالإدارةُ المركزيةُ للدولةِ العثمانية، وقانونُ الولاياتِ العثمانيّ سنةَ ١٨٦٤م، وآثـارُه على اليمن، وثِقَـلُ وطـأةِ العسكـرِ العثمانيّ ودهكُهم الرعيةَ، والنظامُ الضرائبي في اليمنِ، وفسادُ الإدارةِ العثمانيةِ، والعنفُ والشدّةُ والقسوةُ التي

---

(١) الدر المنثور، ٢أ.

اتّبعها العثمانيون في إخمادِ ثوراتِ القبائلِ ، كلُّ ذلك قدْ باتَ مبذولاً في بطونِ الدراسات الحديثةِ[1]. وكنّا في نشرِنا لوثائقِ حملةِ سنان باشا إلى اليمنِ سنةَ ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م قدْ درسنا المظالمَ العثمانيةَ كما تُمْليها الوثائقُ آنذاك، وكانَ من جملةِ تلكَ المظالمِ :

- تعدّي الولاةِ على الرّعيّةِ باستيلائِهِمْ على مُنْتَجاتِ الأهالي من الزَّيْتِ والعَسَلِ ، ومصادراتُهُمْ لتركاتِ الموتى ، ومصادرةُ الخيولِ من أصحابِها وسرقتُها وبيعُها.

- إهمالُ الولاةِ لعمارةِ المُدُن والبلدانِ، وإهمالُ المرافِقِ التي فيها توسعةٌ على معيشةِ الناسِ ، فلحِقَ الخرابُ الأمصارَ والبلدانَ والنواحيَ والقلاعَ والقرى والحصونَ .

- عدمُ إعطاءِ الوظائفِ لمستحقّيها، بل للطامعين الدافعين للمأمورين.

- دهكُ الجندِ للرعيّةِ، واشتدادُ جَوْرِهِم وعسفِهِم للناسِ[2].

ولعلّه من المفيدِ أنْ نلخّصَ بعضَ ما وردَ في تقرير عبدِالرحمن بنِ أحمد الياس المدني، خادم الملّةِ والدولةِ والدين وخادمِ العلمِ والمدرّسِ بالحرمين الشريفين، المرفوعِ إلى الصدرِ الأعظمِ بتاريخ ٩ شوال سنة ١٣٢٦هـ، والممهورِ بخاتمهِ الرسمي. ومع أنَّ الوثيقةَ التقريرَ تفصّلُ في أوضاعِ الجزيرةِ

---

(١) حول ذلك انظر، إباظه، الحكم العثماني في اليمن، سيد سالم، تكوين اليمن الحديث، ووثائق يمنية، حسين العمري، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، وفترة الفوضى والاضطراب وغيرها كثير.

(٢) وثائق جديدة عن حملة سنان باشا، ص ٨٥.

العـربية، إلّا أنّ ما يتعلّقُ بأحوالِ اليمنِ هو ٩ صفحاتٍ من أصلِ ١١٫٥ صفحة، ولعلَّ من معترضٍ على الوثيقةِ كونها تتناولُ أحوالَ اليمن في عهد المتـوكـل على اللهِ يحيى، وليس عهـد الإمـام المنصور باللهِ، والد يحيى. وللحقيقـةِ فإنَّ البـاحثَ والمستقصي لأسبابِ ثورةِ اليمنيين في عهدِ الإمامِ المنصورِ باللهِ مقارنةً بما جاءَ في الوثيقةِ، يستنتجُ، وبكلِّ بساطةٍ، أنَّ أسبابَ الشكاوي والتذمرِ والثورةِ والخروجِ واحدةٌ، وأهميةُ هذه الوثيقةِ أنها مُرْسَلَةٌ للصَّـدْرِ الأعـظمِ، ومحفـوظةٌ في أرشيفِ رئاسةِ الوزراءِ باستانبول، ويحدِّدُ عبـدُالرحمن بنُ أحمد الياس المدني أسبابَ الفِتَنِ الحاصلةِ في اليمنِ في ثلاثةِ أُمورٍ:

الأول: استبـدادُ المـأمـورين وارتكـابهُم لما لا يُرضي اللهَ ورسولَهُ من المُنْكَراتِ والمعاصي، وعدمُ إقامةِ الشريعةِ الشريفةِ، وتعدّي المأمورين على أعراضهم.

الثاني: ظلمُ المأمورين لهم في تضعيفِ الحاصلاتِ وأخذِها منهم زيادةً عمّا قرَّرهُ الشرعُ والنظامُ عليهم، وتعدّي المأمورين على مَنْ لم يوافِقْهُم على ذلك.

الثالث: عدمُ سماعِ التشكّي منهم في حقِّ المأمورين المستبدين الذين يَظْلمـونَهم، فإنّهم كلّمـا تَشكّـوا إلى المـابين الهمـايوني، لا يُوصِلُ أهلُ الأغراضِ شكايَتهم إلى السلطان، وإنّ بلّغوه الشكاية فعلوا ذلك بعكسِ ما حرَّره أهلُ تلك الشكايةِ[1].

---

(١) انظر الأوراق ٣، ٤ من الوثيقة.

ثم يذهبُ كاتبُ التقريرِ إلى بيانِ مذاهبِ أهلِ اليمن، من زيديةٍ وشوافعَ وباطنيةٍ (وقريبٍ من الوهابية)، ويناقِشُ سببَ موالاةِ أو معاداةِ هؤلاءِ للدولةِ العثمانية، ثم يبيّنُ الأسبابَ والوسائلَ التي يجبُ اتخاذُها للإصلاحِ، منها: ما يتّصلُ بمعاملةِ الرعيّةِ ومنها ما يتعلّقُ بأحوالِ العسكرِ، ومنها ما يتعلّقُ بإصلاحات اليمنِ ومنافعِ الدولةِ[1]. وإذا رَجَعْنا إلى الأدبياتِ اليمانيةِ، فإننا نجدُ فيها فيضاً من الجأرِ بالشكوى من الفسادِ والإفساد الديني والإداريّ والمالي، فالواسعي يقول: «وكانَ القائمقام أو غيرُه من المأمورين إذا خرجَ لأي فضاءٍ أو ناحيةٍ لأخذِ الأعشارِ أخذَ ما قَدَر على تحصيلِهِ لنفسِه، ولم يساعدْ على كتابةِ سندٍ بما أخذ منهم، ثم يرجعُ للحكومةِ ويقول: لم يدفعوا شيئاً، ثم تأمرُ الحكومةُ بنهبهم وخرابِ بيوتِهِم وإحراقها، وإذا وصلتِ العسكرُ الأتراكُ إلى قريةٍ، تعدّت على عرضِ الحريم»[2]، فالأتراكُ العثمانيون - حسب رأي الواسعي - «رسّخوا الظلمَ، واستحلّوا المحرّمات، وتركوا ما أمرَ الله به من الواجباتِ، وارتكبوا المعاصي والفجورَ، وأظهروا البغاءَ وشُرْبَ الخمور»[3].

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ التدقيقَ في رسائلِ الإمام المنصورِ بالله التي كان يبعثُها إلى القبائلِ والأعلام من العلماءِ وشيوخِ القبائلِ والسادةِ وتلك التي كانت جواباً على رسالةٍ تلقَّاها ممن يَسْعَوْنَ إلى تسكينِ اليمنِ وتهدئتِهِ، يفيدُ بأنَّ سببَ الخروجِ والثورةِ هو ما ارتكبهُ الأتراكُ بحقِّ أهلِ اليمن، ففي رسالةِ دعوتِهِ بتاريخ ذي الحجة ١٣٠٧م جاء فيها:

---

(١) انظر الوثيقة في الملحق الخاص بها.

(٢) الواسعي، فرجة الهموم، ٢٧٢ (ط الثانية).

(٣) المصدر السابق، ٢٧١.

«فقد شاعَ وذاعَ مجاهرةُ ربِّ الأربابِ بالمعاصي من دونِ ردٍّ ولا ارتيابٍ، أُخِـذَتِ الأموالُ، وصغُرتْ فحولُ الرجالِ، وتبدَّلتِ الأحكامُ وامتزجَ الحلالُ بالحرامِ»[1]. وفي جوابهِ على الياور علي مثنى الحسيني، نبَّهَهُ إلى أنَّ الهدفَ من الخروجِ، الحفاظُ على الشرائعِ، والعملُ بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ، والأمرُ بالمعـروفِ والنهيُ عن المُنْكَـرِ، وإقـامةُ الحدودِ والقصاصِ وأخذُ الخراجِ بالعدلِ، فأهلُ اليمنِ ما عليهم غيرُ الزكاةِ والفطرةِ، لأنهم أسلمُوا طوعاً». ومن ثمَّ يُعدِّدُ ما اقترفهُ المأمورون من قِبَلِ الدولةِ فقد ارتكبوا جميعَ المُحرَّماتِ، من زنـا ولـواطٍ وشـربِ خمـرٍ، وعـطَّلوا الشرائعَ ورفضوا الحدودَ والقصاصَ واستوعبوا أموالَ الناسِ بالقوانين الموضوعةِ، بل إنهم خربوا قبورَ المسلمين وعمَّـروا بأحجـارِهـا الجدرانَ والخانات، وظلموا التاجرَ والمُزارعَ حتى كان الواحد منهم يبيتُ طاوياً مع أهلِهِ وأولادِهِ ليقومَ بسدادِ رغباتِ المأمورين، وأمّا الحكّـامُ (وهـم قضـاة بالـدعوى، المعينيون من قبل الأتراك) (والذين كبّروا العمائمَ وطوّلوا الأكمامَ) فإنّهم في جلِّهم لا يعرفون من العلمِ إلّا الرسومَ، لا يُمَيِّزون بينَ المعقول والمنقول، ولا يعرفون الفاعلَ من المفعولِ، ولم يكن همُّهم إلا إهـانـةَ الأشـرافِ وحبسَ العلمـاءِ، وصدَّ الأبوابِ السلطانيةِ دونَ الشكايةِ على المأمورين، فكمْ رجعت معروضاتٌ لمن كانت الشكايةُ عليه ليعاقِبَ من رفعَ به إلى البابِ العالي. وممّا يُضرَبُ مثلاً على ذلك ما وقعَ للقاضي يحيى المجاهدِ[2] ت ١٣٠٩هـ بالاستانة، وعبدالله الضلعي[3] ت قبل

---

(١) أئمة اليمن، ٢/١١.

(٢) انظر الرسائل والجوابات، ٢٨أ، ٣١ب، ٤٥ب من الدر المنثور.

(٣) انظر ما وقع لهما عند الواسعي، فرجة الهموم، ٢٦٣-٢٦٤. وانظر يحيى المجاهد التعزي في أئمة اليمن، ١/ ٧٥-٧٩.

١٣٣٠هـ الذي مات في المنفى في الاستانة، والآخر مات في عكا بعد طولِ إقامةٍ ومنعِ مغادرةٍ، وهما ينتظران المثولَ بينَ يدي السلطان للانتصافِ لقضيتِهما، بل إنهم سجَنوا كلَّ منْ اتصل ولو بصلةِ قرابةٍ بالامامِ المنصورِ بالله، فقد سجنوا سعدَ الدين الزبيري لأنّه زوّجَ ابنتَه من الإمام المنصور باللهِ، ثم نقلوه إلى رودس[1] فأسبابُ الخروجِ كثيرةٌ، والمظالمُ منتشرةٌ، فكانَ لا بدَّ للإمـامِ المنصـورِ باللهِ من إعـلانِ خروجِـه، والثـورةِ على البغي والعسْفِ والظّلمِ، ويرى الإرياني، أنَّ وجوبَ اتّباع داعيةِ أهلِ البيتِ أمرٌ محتمٌ مستفادٌ من الشـرعِ بالبـراهينِ القاطعةِ، ولا بدَّ من الطاعةِ والموالاةِ، فإقامةُ الحقِّ بالسيوفِ المجرَّداتِ أتمُّ منه بالكتبِ المجلّدات، ثم إنَّ مناصرةَ القائم واجبةٌ، حتى لو كانَ في ذلك إزهاقُ النفوسِ وملاقاةُ الشدائدِ والبؤسِ[2].

إزاءَ كلِّ ذلك، قرّر الإمامُ المنصورُ باللهِ الخروجَ من صنعاءَ. ففي يوم الاثنين، ٢٨ شوال ١٣٠٧هـ/ ١٨ يونيه ١٨٨٩م، خرجَ من أحدِ أبوابِ صنعاءَ، مُظهـراً أنـه يقصـدُ الدورةَ حسبَ العادةِ بدونِ سلاحٍ أو نحوِه، وتوارى في الجرافِ من شعوبٍ، ثم أرسل لابنِهِ الوحيدِ يحيى يدعوه للّحاقِ به من بابٍ آخـرَ من أبـوابِ صنعـاءَ، فخـرجَ ومعـه المصحفُ والسيفُ وجَنْبيةُ الإمـامِ بخنجرِها، وسارا إلى غولة زندان من بلادِ أرحبَ، ثم إلى الصفراءِ الواقعةِ على بعدِ ٢٥كم من صعدةَ، وآلِ عمار، فأقامَ هنالك حتى كتبَ إلى صعدةَ وما يليها ثم ارتحل إلى حصنِ السّنارة ووصلَها يوم ١٩ ذي القعدة الحرام

(١) رحلة في العربية السعيدة، ط بيروت، ١٥٨-١٥٩.

(٢) الدر المنثور، ٤ أ، ب.

١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م.

والسِّنـارة حصنٌ مشرفٌ على مدينةِ صعدةَ، مقرٌّ حكومةِ الإمامِ الهادي بالأمسِ، فاستقبله سيفُ الإسلام محمدُ بنُ الإمام الهادي المعروفُ بأبي نيب[1]، وأكرمَ وفادَتَهُ ثم نزَلَ وإياه إلى صعدةَ، مجمعِ أعيانِ الزيديةِ وعلمائِها.

ولمّا وصلَ هناكَ، اجتمعت إليه الأكابرُ والأعيانُ والعلماءُ من أهلِ صعدةَ وضَحْيان، وبيَّنَ لهم أنَّ همَّهُ جمعُ كلمةِ المسلمين ولمُّ شعثِهم وليسَ تحملُ أعباءِ الإمامةِ، فوقعت المذاكرةُ مع العلماءِ في المعقولِ والمنقولِ والفروعِ والأصول، وكانتْ آراءُ العلماءِ الذين ذاكروه واختبروه كما يلي:

ـ فئة أذعنتْ بالإمامةِ، وشهدت له بالخلافةِ والزعامةِ، منها:

عبدُالله بنُ أحمد العنثري ومحمدُ بنُ عبدالله الغالبي، رئيسُ علماءِ الفقهِ، وحسينُ بنُ محمـد الحـوثي، وأحمـدُ بن يحيى العجري وأحمدُ بن إبراهيم الهـاشمي وإبراهيمُ بنُ عبدِالله الغالبي، وهؤلاءِ العلماءُ من صعدةَ وضَحيان أذعنـوا كلَّ الإذعانِ، وشهدوا أنه أوحدُ الزمانِ، وفي ذلك ما يُفيدُ الموافقةَ المطلقةَ على إمامتِهِ، وعلى الجميعِ الطاعةُ والموالاةُ. وعبارةُ (أوحد الزمانِ) تفيد بعـدمِ القبـولِ بمنـازعتِـهِ أو الخـروجِ عليه، ما دامت شروطُ الإمامةِ مستجمعةً فيه.

ـ وفئةٌ شهدتْ باستجماعِ الشروطِ، ومنها:

---

(١) الشماحي، اليمن، الإنسان والحضارة، ١٦٣-١٦٤.

حسنُ بنُ حسين ساري، ولطفُ بن علي ساري، عالمُ وسيدُ قرية حوث، وعبدُالله بن أحمد المجاهد من علماء ذمار.

- وفئةٌ شهِدَتْ بأهليّتِهِ واستكمالِه، ومنها: يحيى بن قاسم عامر ولطف بن محمد شاكر.

- وفئةٌ أذعنتْ وشهِدَتْ باستكمالِ الشروط، ومنها:

محمدُ بن أحمد العراسي وأحمدُ بنُ محمد الجرافي وأحمدُ بنُ عبدِالله الجنداري، وهؤلاءِ من علماءِ صنعاءَ.

ومن علماءِ ذمارَ أحمدُ بنُ أحمد العنسي، ويحيى بنُ محمد العنسي وعبدُالوهاب بنُ علي الإمام ويحيى بنُ محسن العنسي، فقد أذعنوا له بالإمامة، وأنه الخليفةُ من آلِ البيتِ الأطهار.

اضافة إلى من ذكر فقد أذْعَن وشهِدَ له بأنّهُ أوحدُ الزمانِ من علماءِ ذي جبلةَ كلٌّ من: يحيى بن علي الإرياني، وعلي بن يحيى المجاهد وعلي بن يحيى الإمام وأحمد بن مطهر الغشم وعلي بن حسن الحلالي.

ومن يمعن النظرَ في بيعةِ الإمامِ المنصور بالله، يجد أن عشرين عالماً من كبارِ علماءِ اليمن قد حضروا اجتماعَ المشاورةِ والمذاكرةِ والاختبارِ، من أهلِ الحلِّ والعقدِ وأنّهم كانوا من مناطقَ مختلفةٍ من اليمن. مثل: صعدةَ وضحيانَ وحوث وذمارَ وصنعاءَ وإريان وضوران وذي جبلةً، وأن شهاداتِهِمْ لم تكنْ متطابقةً ولا إجماعيةً وإنما كانت بحريةٍ من الرأي والتقدير، تراوَحَتْ بين الإذعانِ وأوْحدِ الزمان، أو «الأهليةِ مع استجماعِ الشروط»، أو «الأهليةِ

والاستكمال»، وتلك مصطلحاتٌ لها مدلُولها في الفقه الزيدي[1].

ولما كانت كلُّ الشروطِ المُعتَبَرةِ قد اجتمعتْ فيه، فقدْ طلَبَ المجتمعون إليه القيامَ بأمرِ الإمامةِ العظمى؛ فبدأ بنشرِ دعوتِه بعدَ ثلاثةِ أيامٍ من المذاكرةِ والاختبارِ والمشاورةِ. ففي يومِ الجمعةِ الثاني والعشرين من ذي القعدةِ من سنة ١٣٠٧هـ خطبَ في الناسِ معلناً دعوتَهُ، وبيَّنَ منهجَهُ في الحكمِ وسياستَهُ في الرعيةِ، وعمادُها: العملُ بكتابِ اللهِ وسنّةِ نبيِّهِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المُنْكَرِ، والجهادُ في سبيلِ اللهِ، ودعاهم إلى الالتزام بأركان الإسلام. وأما سياستُه فستكونُ: العدلَ في القضاءِ، وَوَضْعَ الحقِّ في نصابِهِ، وتهييجَ الأمةِ على الانتصابِ لحربِ أعداءِ اللهِ والجهادِ في سبيلِهِ، إلى غيرها من الأمورِ التي لا تخرجُ عن سنّةِ السلفِ الصالح[2].

ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ الأرشيفَ العثمانيَّ، (تصنيف قصر يلدز، قسم ٢٢، رقم الأوراق ٣٤، رقم الظرف ١٥٣، رقم الكرتون ٦٥). يحتفظُ بالترجمةِ العثمانيةِ لوثيقةٍ صادرةٍ عن المنصورِ بالله، جاءَ فيها ما معناه:

بسمِ الله الرحمن الرحيم

عبدالله، وفّقه الله

المنصور بالله إن شاء الله تعالى

بعدَ السلام،

---

(١) الدر المنثور، ٥ب.

(٢) انظر رسالة دعوته البالغة في أئمة اليمن، ٢/١١.

بعدَ انتقالِ الإمام الهادي ـ رضيَ اللهُ عنه ـ إلى دارِ الكراماتِ، ولمنع الظلمِ في الديارِ الإسلاميةِ وتحقيقِ الأمنِ فيها، فقد اتّفقَ رأيُ العلماءِ العاملين، والساداتِ الأكرمين بعدَ الاجتماع، واتخذوا قراراً بتحميلِنا مسؤوليةَ الإمامةِ بالإجماع، ولأنه لا يمكنُ رفضُ مثلِ هذا القرارِ، وذلك يعني تركَ أطيبِ المساكنِ في الوطنِ، صنعاءَ، والإقامةَ هنا، فإننا ندعو كافّةَ الناسِ إلى الوحدةِ استجابةً للنداءِ المُرْسَلِ مِنَ السُّجونِ، وإني أدعوكُمْ إلى طريقِ السَّدادِ ومِنْهاجِ الرشادِ. فقد وجَبَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المُنْكرِ لإعزازِ دينِ اللهِ، وذلك باتّباعِ كتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِهِ وسيرةِ الأئمةِ السلف. وأنتم تعلمــون الإجراءاتِ والمُنْكـراتِ والـظُّلْمَ الـذي يقـعُ على الأهالي، واللهُ سبحانهُ يقولُ «وما لكم لا تقاتلوا ٤/٧٥». لقد أصبحتْ أحوالُ أعدائِنا مضطربةً وسيئةً في كلِّ مكانٍ. وعليكم واجبُ التضحية بأنفسِكُمْ وأموالِكُمْ، واللهُ سبحانَهُ يقول «انفروا ـ ٤/٧١».

لقـد تمَّ اللقـاءُ مع كلِّ شيوخِ حاشـدٍ وبكيلَ الذين يُشايعونَنا في كلِّ الجهاتِ، وحصلَ الاتفاقُ بيننا.

لقد أرسلتُ العمالَ والقضاةَ إلى أطرافِ بلادِ الشامِ، ولأجلِ المراجعةِ والمذاكرةِ يُطْلَبُ إليكم الحضورَ إلى طرفِنا.

والسلام

والرسالةُ تبيّنُ أنَّ الإمامَ بدأ يُعِدُّ العُدَّةَ لمُنابذةِ الأتراكِ، فأخذَ في تعبئةِ القبائلِ والبلدانِ لاجتذابهِمْ لمحارَبةِ الأتراكِ، بمعنى: أنه يقومُ بحشدِ القُوى المحليةِ من أجلِ توحيدِ الجبهةِ الداخليةِ وإزالةِ الخصوماتِ والمنازعاتِ. ومن

ثمّ نعش الهمم للجهادِ ومقاتلةِ الأتراكِ. والمتأملُ في سيرةِ الإمامِ المنصورِ باللهِ يُدْرِكُ مدى إصرارِ الإمامِ على نهجِ هذه السياسة، فلا يَمَلُّ مِنَ الكتابةِ إلى الزعماءِ والشيوخِ والقادةِ يدعوهُم إلى الاتحادِ والتآخي والجهادِ، وقد عَثَرْنا في ثنايا الكتبِ المنشورةِ والمخطوطةِ والوثائقِ المنشورةِ وغيرها، التي لا تزالُ محفوظةً في الأراشيف، العديدَ من الوثائقِ التي لم تقتصِرْ على سنةٍ بعينها، بل تنسحبُ على طولِ فترةِ الصراعِ اليمني - العثماني، ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م - ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م.

فقد وجّه رسالةً إلى الشيخِ صالح بن عبدالله القشام يُعْلِمُهُ بأنَّهُ نَشَر رايةَ الجهادِ، وَفْقَ تعاليمِ الدينِ الإسلامي وشرائِعِهِ، ويطلُبُ إليه تعميمَ هذه الرسالةِ على قبائلِهِ[1]. والرسالةُ مِنْ مُقْتَنياتِ مقامِ سر عسكر، دائرةِ قلم الرسائلِ. ووجّه رسالةً أخرى إلى الشيخِ عبدِاللهِ بنِ يحيى الوادعي بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٢هـ/ نوفمبر ١٨٩٤م من وادعة حاشد. وبعدَ أن استنهضَ همّتَـهُ لِمُناصرةِ الكتابِ والسنةِ وإطاعةِ العِترة الطاهرة، وذكَّرَهُ بما ارتكَبَهُ الأتراكُ من مفاسدَ ومعاصٍ مما أوجبَ الجهادَ ضدَّهم، خاطَبَهُ بقولِهِ: «وأنت أيُّها الرئيسُ مِمّن نشيمُ تحتَ برقِهِ الماءَ، ونتوقّعُ تحتَ أسْمِه أسماءَ، وتظنُّ بكَ ظنونُ الأحبابُ . . . الخ ثم يُبلِّغُهُ بأنه فتحَ على أعداءِ اللهِ الجهادَ»، ويطلبُ إليه إعانَتَهُ للأبطالِ المجاهدين وليس للأتراكِ، ويُنهي إليه: «حالَ تحرير الرسالةِ إليه والسرايا قريبةٌ من بابِ صنعاءَ»[2]. والإمامُ في هذه الرسالةِ

---

(١) هذه الرسالة، حفظت ترجمتها العثمانية، في الأرشيف العثماني، تصنيف يلدز، قسم ٢٢ رقم الأوراق، ٣٤، رقم الظرف ١٥٣، رقم الكرتون، ٦٥.

(٢) انظر، وثائق يمنية، ١٣٣- ١٣٤.

يحثُّ آل الـوادعي على الـوقوفِ إلى جانبِهِ، ويناشِدُهم بعدمِ التعاوُنِ معَ العثمانيين ويشجِّعُهُم على الانضمامِ إلى جانبِ الإمام.

وبعـدَ سنتين، عادَ الإمامُ للكتابةِ إلى الشيخِ نفسِهِ، عبدِالله بنِ يحيى الـوادعي، حيثْ جاءَ في رسـالتِـهِ، هذه المؤرخةِ في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ/ ٤ سبتمبر ١٨٩٦م أنه استجابَ لدعوةِ الإمام الصريحةِ وانصارِهِ بتعز للإنضمام إلى جانبِهِ، وأنَّ الإمامَ راضٍ عن مواقِفِهِ التي أكّدَتْ صدقَ نيّتِهِ تجـاهَ الحربِ مع العثمانيين، ومن ثَمَّ يشكُرُهُ على ما قدَّمَهُ لِدَعْمِ القواتِ الإماميةِ المنصوريةِ[1].

وفي رسالةٍ رابعةٍ بعث بها الإمامُ المنصورُ باللهِ إلى أحدِ عرائفِ (عرفاء) أرحبَ في شهرِ رمضانَ سنةَ ١٣١٥هـ/ يناير ١٨٩٨م، يحثُّ فيها المُرسَلَ إليه على اختيارِ ما يحلو لنفسِهِ إمّا التمسكُ بأهدابِ العِترةِ الزكيةِ، أو الميلُ عنهمْ إلى الفرقةِ الأعجميةِ حيث جاءَ فيها:

الشيخُ الهُمامُ الاكملُ حمود بن مسعد أبو غانم حرسَهُ الله من الشرور، ووقاه المحذورَ:

صدورُهـا بعـدَ وصولِ كتابِكُمْ المستطلعِ لما نظنُّ فيكم من التمسُّكِ بأهدابِ العترةِ الزكيةِ أو الميلِ عنهم إلى الفرقةِ الأعجميةِ الغَويّة. وقد علِمَ اللهُ أنّا لا نريدُ إلّا بناءَ المفاخِر، والدعاءَ إلى اللهِ واليومِ الآخر، وأنْ نُخْرِجَ

---

(١) انظر وثائق يمنية، ١٤٥.

العـربَ من ظلمةِ الحنادسِ ، ونغرُسَ لهمْ من العزِّ أطيبَ المغارس. ولقد استولى على بعضِ العقلاءِ الإياسُ مِنْ زوالِ العجَمِ ، وصاروا يشربون معهمْ نقيعَ العَلْقَمِ ، ويصْبِرون على المذلَّةِ ويخوِّفون الناسَ من كل علةٍ، ويظنّون أنَّ العـزَّ في سلامـةِ البيوتِ من الخـرابِ، وفي التـذلُّلِ للعَجَمِ بخفضِ الجنابِ، وليسَ كذلك، فلا يُصْرَعُ إلاّ منْ لانَتْ لهم قناتُه، ولا يَعزُّ ويُرْفَعُ إلاّ منْ صَلُحَتْ أعمالُهُ ونيّاتُه، وإنا نحبُّ لكمْ معاليَ الأمورِ، وطلبَ حسنِ الخاتمةِ قبلَ حلولِ القبورِ، وأنتَ مِنْ ذوي العقولِ الراجحةِ، فاخترْ لنفسِكَ ما يحلو.

والسلامُ ختام. شهرَ رمضان سنة ١٥.

والـرسـالة موجّهةٌ لشيخٍ من مشائخ أَرْحَب، ثمّ من عيالِ عبدالله من فروعِ قبيلةِ بَكيل.

ولم يكتفِ الإمـامُ بالرسائلِ ، وإنّما كانَ يُسيِّرُ المبعوثين لحثِّ القبائِلِ على الجهـادِ، فقـد أرسـلَ أحمـدَ بنَ محمد الشرعي إلى بلادِ أرْحبَ ومَنْ جاوَرَهُمْ، فكتبَ الشرعيُّ إلى جميعِ القبائلِ : همدان وأرحبَ وبني الحارث وعيال سريح، وأُرْسِلَتِ الإعـلانـاتُ بنشرِ رايةِ الجهادِ لبني الحارث، وبني حشيش وسنحان وخَوْلان وبني بهلول.

ومن ناحيةٍ أخـرى فقـد دَاوَمَ الإمـامُ طوالَ فتـرةِ الحربِ على ارسالِ الرسائِلِ لشيوخِ وعقّالِ القبائلِ يدعوُهُم إلى نُصْرَتِهِ، ومؤازرةِ دعوتِهِ، واستمرَّ يعمـلُ لحشدِ طاقاتِ القبائلِ وتوجيهها نحوَ محاربةِ الأعداءِ، مبيّناً موجباتِ الخروجِ والدعوةِ، مُنْبئاً بما حقَّقتْهُ القواتُ الإماميّةُ في ميادين القتالِ . وكنتُ

قدْ بذلتُ العديدَ من الرسائلِ الإماميةِ في ثنايا البحثِ، غيرَ أنَنا نُثْبِتُ هنا نصَّ وثيقتين، يحتفظُ بها الارشيفُ العثماني. تصنيف يلدز رقم الأولى:

Bl. no: 20 (BDAY, KSN, 22,EN, 34, ZN, 153, KN.65

كانتْ قد وصَلَتْ عن طريقِ جهازِ التجسسِ العثماني في اليمنِ، جاءَ فيها، ترجمةً عن الأصل العثماني:

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله، وفقه الله

المنصور باللهِ، إن شاء الله.

صاحبَ شعارِ المحبةِ الشيخَ علي مرشد الغريبي والقبائلَ التابعةَ له

بعدَ التسليم والتصلية:

إنَّ المأمولَ مِنَ الألطافِ الإلهية، وبنصرِ اللهِ وتوفيقهِ، العملُ على نشرِ دعوةِ الإماميةِ وإعلانِها.

أُرْسِلُ لكَ هذه الرسالةَ مِنْ حصنِ الناصرةِ، مركزِ مُعَسْكَرِنا المقرونِ بالنَّصرِ بعدَ القضاءِ على الفسادِ والشُّقاقِ والخلافاتِ، وتمّت الوحدةُ بينَ العلماءِ والساداتِ، وتمَّ النصرُ على الأعداءِ.

يوجدُ تحتَ سُلْطَتِنا، وفي معيَّتِنا بعضُ العلماءِ والأعيانِ والساداتِ والعُقّالِ من قبيلتي: حاشد وبكيل. ورغبةً في الظَّفَرِ برضى اللهِ وإعلاءِ كلمتِهِ، سنخرجُ قريباً إلى جهاتِ قبائلِ حاشد وبكيل «يا أيُّها المؤمنون، إنْ

تنصروا اللهَ ينصرْكُم ويثبِّتْ أقدَامَكُم» الآية، ٧/٤٧.

أيُّها الشيعةُ الكرامُ، من أنصارِ الحقّ، والأعيانِ، عليكمْ واجبُ المعونةِ والمشاركةِ إلى أقصى حدٍّ، بقَصْدِ البرِّ والتَّقْوى. يجبُ عليكم تجهيزُ ما يَلْزمُ من الأموالِ والأنفسِ قبلَ أنْ نصِلَ، وقد رغِبَ الأهالي بذلك.

قال تعالى «يا أيُّها الذين آمنوا، اتّقوا اللهَ، وكونوا معَ الصّادقين» الآية ١١٩/١١ وقال تعالى «ياأيُّها الذين آمنوا، استجيبوا للهِ وللّرسولِ إذا دعا لما يُحْييكم، واعلموا أنَّ اللهَ يحوُلُ بَيْنَ المَرْءِ وقلْبِهِ، وأنَّهُ إليه تُحْشَرُون، واتقوا فتنةً لا تُصيبَنَّ الذين ظَلَمُوا منكم خاصَّة» الآية ٢٤/٨ـ٢٥.

ندعوكُمْ إلى كتابِ اللهِ وسنّةِ ورسولِهِ: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، وإقامةُ الصلاةِ وأداءُ الزكاةِ، والوفاءُ بواجباتِهِ، وتركُ محرَّماتِهِ، وصلةُ أرحامِهِ، والشفقةُ على أيتامِهِ. أدعوكُمْ إلى المكارِمِ والأخلافِ مقرونةً برضا الخلّاقِ، ليُصْلحَ اللهُ أعمالَكُمْ، وليهدِنا اللهُ للسَّيْرِ على طريقِ آبائِنا وأجْدادِنا واتّباعِ هُداهم.

وليَنصرْنا اللهُ جميعاً

والسلام

حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ

والرسالةُ واضحةٌ في مراميها، وما تهدِفُ إليه من حشدِ الطاقاتِ، وما تطلُبُه من المعونةِ والبذلِ، وتخبرُ بما تمَّ مِنْ جمعِ كلمةِ واتحادِ العلماءِ والسادةِ. ومِنْ ظفرِ بنصرةِ قبيلتي حاشد وبكيل.

والرسالةُ الثانيةُ محفوظةٌ أيضاً في الأرشيفِ العثماني تصنيف يلدز رقمها

BDAy, KSN, 22,EN, 34, ZṄ, 153, KN,65

وجاء فيها مترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله، وفَّقَهُ الله

المنصور باللهِ، إنْ شاءَ الله

صاحبَ شعارِ الشهرةِ والكمالِ الشيخُ علي بن مرشد الغريبي، والشيخُ عالي المقامِ ناصرُ بن مرشدِ بن حسين الغريبي، والمحبي المحترم قاسمُ بن سعد البوهادي والشيخُ شير النهاد علي بن جابر السندي، وجميعَ أنصارِنا.

بعد التسليم والتصلية:

أرسلُ لكمْ هذه الرسالةَ من حِصْنِ الناصرةِ، فللهِ الحمدُ، إنَّ سرورَ أصدقائِنا بقدرِ أحزانِ أعدائِنا.

الناسُ يستجيبون لدعوتِنا أفواجاً أفواجاً، ويُظْهِرون طاعتنا فُرادى وأزواجاً.

إنَّنا نُرْسِلُ إليكُمْ كتابَ الدّعوةِ أيضاً، فلا تتركوا وتتخلَّوْا عن السيرِ على هدى أجدادِنا العظام، مِنْ آلِ محمد ﷺ، الذين اشتُهِروا وعَمِلُوا على تعظيمِ ورفعِ شأنِ الإسلامِ، فآلُ محمدٍ (ﷺ) تركوا لكمْ هذا الإِرْثَ من الشَّرَفِ والعزَّةِ.

فاثبتُوا على أمرِكُمْ، فقدْ وَصَلَتْني كتبُ الطّاعةِ والاتحاد الدائمِ مِنْ رجالِ حاشد.

وإني فَرِحٌ ومسرورٌ بفِعالِهِمْ التي تجلبُ العزَّةَ في الدنيا والآخرة.

ولأنكم من أكـابـرِ النـاسِ، نأملُ تفوُّقَكُمْ على الجميعِ. لقد وَصَلَتْنا الأخبـارُ بأنَّ بعضَ عُقّالِ حاشد وصلَتْهُم رسائلُ من صنعاءَ، فحالما يصلُ هؤلاءِ العقّالُ وأصحابُ الشهرةِ، سيدْعُون الناسَ، ومقصدُهُمْ المكرُ والغدرُ وأخذُ أموالِ الناسِ.

فعليكُمْ أنْ لا تُكْرِمُوهم ولا تمنحوهُمُ الفرصةَ، فهُمْ أصحابُ دسائسَ، فهدفُهُمْ اعتقالُ أكابرِ الناسِ، وإرسالُهم إلى استانبول، وهم يفخرونَ بذلك عَلَناً، وتكفي العِظَةُ والعِبْرَةُ ممّا حصَلَ مع عبدِالله الضِّلعي الذي تعاوَنَ مع الأتراكِ.

احذرُوا وأطيعوا أوامرَ اللهِ، واتركوا الطَّمعَ، وعمّا قريبٍ ستتذكّرون أقوالَنا لكُمْ، واللهُ يقول، «فسَتَذْكُرون ما أقولُ لكُم، وأفوِّضُ أمري إلى الله، إنَّ اللهَ بَصيرٌ بالعباد» الآية ٤٠/٤٤.

أُحيِّيكُمْ مِنَ الآن، وأباركُ لكُمْ على حركَتِكُمْ لإنهاءِ مسألةِ سَحار، لأنَّ رهـائنَهُمْ المسلحين تحتَ سُلْطتِنـا، ومحبـوسـون في الـزنـازين، وسيحضُر المشايخُ في العيد.

أحـوالُ المدينةِ المحمديةِ على خيرِ ما يُرامُ، وأوامِرُنا تُنَفَّذُ كما يجبُ، وبعدَ أنْ أبْدى المشايخُ والساداتُ المِنَّةَ والرِّضا، أرسلتُ العمالَ. إن شاءَ اللهُ يتحقَّقُ هدفُنا على خيرٍ، كونوا مستعدِّينَ للحضورِ لعندنا.

والسلام

وحسبَ الشهادةِ الموثوقةِ، سيكونُ العيدُ، يومَ الأحدِ.

ويُفْهَمُ من الرسائلِ السابقةِ وغيرِها، أنَّ الإمامَ المنصورَ بالله كان حريصاً على الاتصـال بالقبائلِ والقوى المحليةِ الأخرى، يُحرِّضُها على الانضمامِ لدعوتِهِ والاستعدادِ لقتالِ الأتراكِ، فهلْ نَجَحَ الإمامُ المنصورُ بالله في ذلك؟

ومن ناحية أُخرى؛ فقد أَوْرَدَ صاحبُ أئمةِ اليمن، ٢/١٠ـ ١١، نصَّ رسـالـةِ الـدعـوةِ التي نشـرَهـا الإمامُ المنصورُ في ذي الحجة الحرام سنة ١٣٠٧هـ/ يوليو ١٨٨٩م وقد جاءَ فيها بعدَ البسملةِ والتشهُّدِ والحمدلةِ:

وبعدُ، فإنّهُ لما تُوفِّيَ الإمامُ الأعظمُ أميرُ المؤمنين، الهادي لدينِ اللهِ ربِّ العالمين، أظلمَ نورُ اليقينِ، وعظُمَ هذا المصابُ على المسلمين، وصارَ عدوُّ اللهِ في راحةٍ، زاعماً أن الجوَّ له قد خلا، وأنَّ الفرصةَ قد لاحتْ في ظُلْمِ أولياءِ اللهِ جلَّ وعلا.

ولما شاهَدْتُ هذه الدهماءَ، وعايَنْتُ هذه المُصيبةَ العُظمى، خلعْتُ حبلَ الوَنى عنْ عاتِقي، ونهضْتُ في الحالِ غايراً على دينِ خالقي، عِلْماً منّي أنَّ اللزومَ قد توجَّه إليَّ، ووجوبَ القيامِ قد تحتَّم عليَّ.

عبـادَ اللهِ، أدعـوكُمْ دعاءَ مَنْ سَلَفَ من الآباءِ الكِرامِ، الأئمةِ النُّجَباءِ الأعـلامِ. أدعـوكُم إلى العمـلِ بمُحْكمِ الكتـابِ، وسُنَّةِ أفضلِ مَنْ نطقَ بالصَّوابِ. أدعوكُمْ إلى الأمرِ بالمعروفِ الأكبرِ، والنهي عن الفحشاءِ والمُنْكرِ، وإلى الجهادِ في سبيلِ اللهِ الذي هو سنامُ الإسلامِ، والبُغْيةُ الموصِلَةُ إلى دارِ السَّلامِ، وإلى توحيدِ اللهِ، والحبِّ في اللهِ، والبغضِ في اللهِ.

أدعوكُمْ إلى إقامةِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصومِ شهرِ الصِّيامِ، والحجِّ

إلى بيتِ اللهِ الحرامِ ، وبرِّ الوالدين وصِلَةِ الأَرحامِ ، ومواساةِ ذوي الحاجةِ، وحفظِ أموالِ الأيتامِ . فالإتيانُ بالواجباتِ طريقٌ إلى الجنّةِ، وارتكابُ المعاصي طريقٌ إلى النارِ.

أجيبُوا دُعائي، ولبُّوا نِدائي وقُوموا بحقٍّ، عليكُمْ وَجَبْ
وشُدُّوا الهِمَمْ، لِحرَبِ العَجَمْ وضربِ القِمَمْ، ونفي الرِّيَبْ

ألا وإني قد تحمّلْتُ هذا الأمرَ الثقيلَ، امتثالاً لأوامرِ الربِّ الجليلِ ، وغيرةً على دينِهِ المُبين، راجياً أنْ أُنْظَمَ في سلكِ الأئمةِ الهادين، ورفضتُ زينةَ الحياةِ الدنيا، ونَضارَتها التي هيَ لا محالةَ تفْنى، قلِقاً مما تضمَّنَهُ قولُ ربِّنا «مَنْ كانَ يُريدُ الحياةَ الدُّنيا وزينتَهَا نوفِّ إليهِمْ أعمالَهُمْ فيها، وهمْ فيها لا يُبْخَسُون. أولئك الذين ليسَ لهُمْ في الآخرةِ إلا النارُ، وحبِطَ ما صَنعوا فيها وباطلٌ ما كان يعملون»، ١١/١٥ «قل هذا سبيلي أدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ أنا ومن اتّبعني، وسبحانَ اللهِ وما أنا من المُشركين» ١٢/١٠٨ فإنْ أَطَعْتُموني وجَدْتُموني جامعاً لشملِكُم باليمن، هادياً لكم إلى أقْوَمِ سُنَنٍ، أَحْمِلُكُمْ على المَحَجَّةِ الواضحةِ، وآخذُ بأزمَّتِكُمْ إلى نَيْلِ التجارةِ الرَّابحَة، عارفاً بمواردِ الأمُورِ ومصادرِها، عالماً بغوامِضِ الأحكامِ ، مُمَيِّزاً بَيْنَ الحلالِ والحرامِ ، زاهداً في حُطامِ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ، متورِّعاً في أحوالِ الرعيةِ، عادِلاً في القضاءِ، قاسماً على السَّواءِ، صحيحَ الطَّويَّةِ، سليمَ القَلْب على البَرِيَّةِ، شفيقاً بالمؤمنين، شديدَ الجنانِ على أعداءِ الدِّين، بَذُولاً لِوَضْعِ الحقوقِ في مواضِعِها، مِقْداماً عندَ التهابِ نارِ الوَغى، بصيراً بالأمورِ، سائساً لأحوالِ الجمهورِ، باذلاً لمهجتي، وما حَوَتْهُ يدي، في سبيلِ اللهِ وابتغاءِ مَرْضاتِهِ، معروفَ النَّسَبِ من العِترةَ النّبويّةِ العَلَويَّةِ الفاطميّةِ.

عبادَ اللهِ، أجيبوا دَعْوتي، وأعْضِدوني على تقويمِ قناةِ الدّين المُعْوَجَّةِ، وفَتْحِ أبوابِ الشّريعةِ المرتجةِ، وسدِّ الثغورِ، وإخمادِ نارِ أهلِ الفجورِ، فقدْ طالَ عكوفُهُمْ على العِصْيانِ، وكَثُرَ تماديهم على سخطِ الواحدِ الدَّيّان. أينَ الأسودُ الغاضبةُ لِغَضَبِ الجَبَّارِ! أيْنَ أرْبابُ الهِمَمِ العاليةِ الفائزون مِنَ النارِ!

أينَ أربــابُ الـحَـمِيَّةِ، على الـمِـلَّةِ الـحـنيفية!
أينَ الباذلون نفوسَهُمْ ونفيسَهُم في رضاءِ ربِّ البرية؟

ألا فلِغَضبِ الجَبّارِ فاغضبُوا، ولإحياءِ دين اللهِ فارغبوا، وتأهبُّوا لحربِ أعداءِ اللهِ، فقدْ شاعَ وذاعَ مجاهرةُ ربِّ الأربابِ بالمعاصي مِنْ دونِ ردٍّ ولا ارتيابِ. أُخِذَتِ الأموالُ، وصَغُرَتْ فحولُ الرجالِ، وتبدَّلتِ الأحكامُ، وامتزجَ الحلالُ بالحرامِ. ألا فانصُروا على هذه العُصْبةِ العاتيةِ، ومَنْ شارَكَهُم مِنْ سائرِ الفِرَقِ الضّالّةِ الغاويةِ، فإنّا باللهِ واثقون، وبما قَدْ دَهَمَ مِنْ ظُلْمِ العبادِ إنْ شاءَ الله لَهُمْ غالبون، نأخذُ ما في أيديهم، ونستأصِلُ شأفَتَهُمْ بتوفيقِ اللهِ عُنْوَةً وقَسْراً.

«إنَّ وليّي اللهُ الـذي نَزَّلَ الكتـابَ وهو يتولّى الصالحين» ١٩٦/٧ «إن يَنْصُرْكُمُ الله فلا غالِبَ لكم، إنَّ في هذا لبلاغاً لقومٍ عابدين» ١٦٠/٣.

ومِنْ خلالِ دراستِنا لمنشورِ الدَّعوةِ نُسَجِّلُ الملاحظاتِ التالية:

- يرى الإمامُ أنّهُ مُلْزَمٌ للنُّهوضِ بالدَّعوةِ، ذلك أنَّ الواجبَ قَدْ فَرَضَ عليه التّصديَ لهذِهِ الفئةِ الباغيةِ، التي اعتقدَتْ أنها ظَفِرَتْ بالرَّاحةِ بعدَ موتِ الإمام الهادي بن شرفِ الدين.

- يُوَضِّحُ الإمامُ منهَجَهُ في النّهضةِ، وهو السَّيْرُ وَفْقَ منهجِ الأئمةِ النُّجباءِ،

القائمِ على العملِ بأحكامِ كتابِ اللهِ وسنّةِ نبيِّهِ، وهي: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ والفحشاءِ ولا يكونُ ذلك إلّا بالجهادِ لنشرِ رايةِ التوحيدِ.

- يُبدي - الإمامُ - في المنشورِ، وجوبَ إقامةِ شعائرِ الدينِ والبرِّ والإحسانِ للأرحامِ، ورعايةِ الأيتامِ، وتلكَ الواجباتُ هي المُوْصِلةُ إلى رضا الرَّحْمنِ، والظفرِ بالجنةِ.

- يستشهدُ الإمامُ بآياتٍ بيّناتٍ للبُرهانِ على زُهْدِهِ في متاعِ الدنيا، وعدمِ رغبتِهِ في هذا الأمرِ، ويراهُ حِمْلاً ثقيلاً، ما أقْدَمَ عليه إلّا إرضاءً لربِّ العبادِ دونَ سِواه.

- يُبَيِّنُ الإمامُ طريقَتَهُ في الحُكمِ إن أطاعُوه، وتَوحَّدوا تحتَ رايةِ الجهادِ وعروتِها، وهي: تحقيقُ العدالةِ والمساواة، متورعاً في الرعيّةِ، شفيقاً على المؤمنين، شديداً على أعداءِ الدينِ، متقدّماً في الحروبِ، باذلاً نفسَهُ ومالَهُ في سبيلِ اللهِ وابتغاءِ مرضاتِهِ.

- يستثيرُ الإمامُ حَمِيَّةَ الرعيَّةِ بدعوتِهِم إلى مناصرَتِهِ وتعضيدِهِ لفتحِ أبوابِ الشّريعةِ والقضاءِ على الفجورِ المستشري مِنَ البُغاةِ، ويُخاطِبُهم بأسلوبٍ خطابيٍّ بليغ: «أين أربابُ الحَميّةِ؟ أينَ الأُسودُ الغاضبةُ، أينَ الباذلون نفوسَهُمْ ونفيسَهُمْ في رضاءِ ربِّ البريَّةِ». ويعاودُ الإمامُ التذكيرَ بالمفاسدِ والقبائحِ التي ارتُكِبَتْ، ويستَشْهِدُ بالآياتِ القرآنية التي تتضمَّن الإبلاغَ والبُشرى بالنصرِ.

الفصل الثالث
القوات الإمامية

المطلب الأول:

البنيةُ، التنظيمُ، المصاعبُ الواقعة :

جاء في التقريرِ الـذي رفعَهُ عبدُالرحمن بنُ أحمد الياس المدني إلى الصدرِ الأعظمِ العثماني بتاريخ ٩ شوال ١٣٢٦هـ:

«إنَّ أهلَ اليمنِ بالنسبةِ إلى مذاهِبِهِم، شوافعُ وإسماعيليةٌ باطنيةٌ، وقريبٌ من الـوهـابيةِ وزيود». وحلَّلَ التقـريرُ أسبـابَ الخلافِ بين أتباعِ المذاهبِ الأربعـةِ ومناطقِ سكنِ كلِّ جماعةٍ، وحاولَ صاحبُ التقريرِ إظهارَ الشوافعِ والإسمـاعيليةِ بأنهم قريبـونَ من السُّلْطنـةِ العثمـانيةِ، إذا أحسنتِ السلطنـةُ العثمانيةُ استغلالَ التناقضِ الواقعِ بينها من جهةٍ، وبين الإمام من جهةٍ ثانية، وحتى في الطرفِ الإمامي، فإنَّ صاحبَ التقرير أفادَ بأنَّ الزيديةَ أصنافٌ ثلاثةٌ وقبائلُ متعدِّدَةٌ، وأمّا قبائلُهُم فهي: بكيلٌ وحاشد وحجور وأفلحُ وسحارُ الشام وشحارُ اليمن وخولان بني عامر[1]، وهذه في معظمها من أتباع الإمام، وهم أشدُّ النـاسِ عداوةً للدولةِ العليَّةِ. ولكنَّ بعضَ القبائل كانت إما تناصِرُ المدعي

---

(١) انظر التقرير في ملحق الوثائق.

المنافسَ للأمام أو تتخذُ موقِفَ الحيادِ.

ويبدو لي أنَّ صاحبَ التقريرِ قد جانَبَتْهُ حقيقةُ القواتِ الإماميةِ، والقوى التي كانتْ تقِفُ إلى جانبِ الإمام، فهو على غيرِ إطّلاعٍ بطبيعةِ المجتمعِ اليمني. صحيحٌ أنَّ التشكيلاتِ القبيليةَ هي القوى الفاعلةُ في حربِ الإمامِ ضدَّ الـوجودِ العثماني، وخاصّةً قبيلتي حاشد وبكيل، اللتين وُصفتا بأنهما جناحا الإمامية، ولكنَّ الشرائحَ الإجتماعية التي شاركتْ في الحروبِ وتولّى بعضُهـا قيادةَ العمليّاتِ العسكـرية، تكـوَّنَتْ من السـادةِ (وهم آل البيت: الهاشميون والأشراف)، ومنهم السادةُ الزيديون بيتُ حميد الدين وبيتُ الوزير وبيتُ المتوكِل وبيتُ شرفِ الدين، والسادةُ الشوافِعُ[١]، وهناكَ شريحةُ القُضاة ومشـائـخِ القبـائلِ وعُقّالها ومشائخِ العُزلاتِ والنواحي، ثم المُلّاكُ والتجارُ والفـلاحون والصناعُ الحرفيّونَ والقشّامون الذين يقومون بزراعةِ المحاصيل. والقراءةُ المتأنيةُ لمخطوطتِنا التي ننشُرُها تزخرُ بالإشاراتِ إلى مشاركةِ كلِّ تلكَ الشرائحِ الاجتماعية في المعارِك كلما لاحت لها فرصُ المشاركةِ، سيّما إذا أحرزت القواتُ الإماميةُ إنتصاراتٍ على العثمانيين، وخلافاً لكلِّ ما كُتِبَ عن القواتِ الإماميةِ، فقدْ نجحَ الإمامُ منذُ بدايةِ خروجِهِ بالاحتفاظِ بعسكرٍ إماميٍّ غيرِ مرتبط بالتشكيلاتِ القبيليةِ. فحينَ وصلَ الإمامُ المنصورُ باللهِ إلى حصنِ السنّـارةِ، مقـرِّ حكـومةِ الإمامِ الهادي، التقاه ابنُه سيفُ الإسلام محمدُ بنُ الهادي، ونزلَ وإيّاهُ إلى صعدةَ، مجتمعِ أعيانِ الزيديةِ وعلمائِها، للمناظرةِ ثم البيعـةِ، وسلّمـه سيفُ الإسـلام محمدٌ بيتَ المالِ وما فيه، وكذا العساكرَ الإماميةَ التي كانتْ تنتظمُ في هيكلٍ عسكريٍّ أقربَ إلى كونِهِ جيشاً منه إلى

---

(١) الشماحي، اليمن (الإنسان والحضارة)، ١٦٣ - ١٦٤.

قواتٍ متطوعةٍ. وحينَ استقرت الأمورُ للإمام المنصورِ كانتْ هناكَ ثلاثةُ أصنافٍ لأولئك الملازمين للإمام: وافدٍ ومهاجرٍ ومجاهدٍ. فالوافدون هم أولئك الذين اعتادوا القدومَ لطَرفَ الإمام: إمّا للمبايعةِ أو لطلبِ النُّصْرَةِ، وغالباً ما يكونون مُوْفَدين من قِبَلِ قبائلِهِم أو نواحيهم ومناطِقِهِم. والمهاجرون: هم من انطبقتْ عليهم شروطُ الهجـرةِ، وللهِجَـرِ شأنٌ كبيرٌ في التـاريخ اليمني[1]، وهؤلاءِ المهـاجـرون يَحـظَوْنَ بالـرعايةِ والإكرامِ والتعظيمِ وتكون هجرتُهُم إما طلباً للعلمِ أو الفوزِ بالملجأ الآمنِ. ومِنْ ثمَّ يُشاركون في القتالِ ضدَّ العثمانيين.

وأما المجاهدون فقد اختصَّ هذا المصطلحُ بالقواتِ الإمامية التي احترفت الجهادَ وتأْتَمِرُ بأمرِ الإمامِ مباشرةً. ونقرأُ في مخطوطِنا عبارة «وأُرسِلَتْ عساكرُ الإمامِ صحبةَ المقدّمي ... الخ، هذه العبارةُ نجدُها مذكورةً في كثيرٍ من الوقائعِ والمعارِكِ التي خاضتْها القواتُ الإماميةُ. وعليه، فإن القواتِ الإماميةَ تشكلتْ في مجموعها من التالية، وهم:

ـ السـادةُ بمختلفِ فئـاتهم، وكـانـوا يتوَلَّوْن غالباً قيادةَ المعاركِ وَوَضْعَ خططِها، والمشاركةَ في تنفيذها، وتكونُ رتبُهُمْ «رتبة المقدَّم». ومنهم على سبيل المثالِ لا الحصرِ، ابنُ الإمام نفسه: يحيى،وإبراهيمُ بنُ قاسم الشرفي الحسني، ومحمدُ بنُ يحيى بن الهادي (صاحب المدائر)، وأحمدُ بنُ محمد الشرعي الحسيني، ويحيى بن حسن الكُحلاني، وعبدُالله بن أَحمد المتوكل ومحمدُ بن الامام المتوكل وغيرُهم.

---

(١) حول التهجير الأول الذي كان في عهد الإمام المنصور عبدالله بن حمزة، حيث لا يطبق على المهاجر ولا يخضع إلاّ لأحكام الشريعةِ، أمام أحد العلماء المشهود لهم بالعلم والخلق، انظر، وثائق يمنية، ٢١٥.

ـ القبائلُ اليمانيةُ، حاشد وبكيل بقبائِلِها وبطونِها، وقبائلِ الجبرِ وأفلحَ وكعبٍ ونوسانَ وبني جل وقبائلِ خَوْلان، ومن أسماءِ القبالِ التي تردُ، وكانَ لها مشاركةٌ في مناصرةِ الإمام عسكرياً ومادياً: قبائلُ أرحبَ، وهمدان، وبنو الحارث، وعيالُ سُريح، وبنو حشيش، وقبائلُ الحيمتين الداخليةِ والخارجيةِ، وقبائلُ خَوْلان (جبري وشدادي وعرشي وسحامي)، وذو محمد، وذو غيلان وذو حسين والأهنوم، وحجور وبنو طلق وقبائلُ عفار، وغيرُهم، ممَّنْ بذَله المؤلفُ في متنِ المخطوطِ، غيرَ أنَّ الإمامَ كان يشترِطُ على القبيلةِ التي تنضمُّ لطَرفِهِ «لا بُدَّ وأنْ تجاهد»[1]، وكان يجعلُ لكلِّ قومٍ رايةً يجاهدون تحتَ لوائها.

ـ أهلُ المُدنِ والقرى والحصونِ والعُزلاتِ والنواحي. وبقراءةٍ عاجلةٍ نجدُ أنَّ غالبيةَ أهلِ تلك المناطقِ قد شاركوا في القتالِ إلى جانبِ القواتِ الإماميةِ، أما التنظيمُ العسكري لتلكَ القوات، فنلاحظ أنَّ القواتِ الامامية لم تعتمد التنظيماتِ والتشكيلاتِ العسكريةَ المعروفةَ عندَ الجيوشِ الأخرى، فالكلُّ محاربون، ولكنْ هناك، المقدَّمُ والنقيبُ والمقاتلون، مبندقةٌ وعواده، وتكتيكُ الدفاع يقومُ على تشكيلِ الرتبة والعنوات.

أما المقدَّمي، فهو الذي يتقدَّمُ المقاتلين، من عساكرَ ومهاجرين ووافدين. والمصطَلَحُ في الأساس يعني الرئيسَ أو القائدَ، ويبدو أن لهؤلاءِ خبرةً قتاليةً، وكانوا إما من السادةِ أو من أبناءِ القبائلِ أو شيوخها الذين أثبتوا قدرةً على القتالِ، ولا ندري إنْ كانَتْ تتمُّ ترقياتٌ إلى تلك المرتبةِ، حيثُ

---

(١) الدر المنثور، ١١ـ١٢ق.

لم يرِدْ ما يشيرُ إلى ذلك، أو أنّهُ قد تّترتبُ امتيازاتٌ ماليةٌ لمن حصّلها، والكتابُ يزخَر بأسماءِ المقدّمين الذين قادوا المعارك. ونفهمُ أهميةَ النقيبِ من خلالِ المثلِ الذي يقول «سمِّني نقيب واقطع معاشي[1]» حيث يختصُّ المصطلحُ برجالِ القبائلِ. وتشيرُ الوثائقُ اليمنيةُ إلى أن النقباءَ كانوا من أبناءِ القبائلِ. ومِنْ هؤلاءِ الذين وردَ ذكرُهم، وكانوا نقباءَ في قبائِلِهم، محمدُ بنُ حسين العذري، ومحمدُ بنُ عبدِالله جزبلان وعائضُ سراج وعليُّ بنُ محمد أبو راس ومحسنُ بنُ منصر المِراني، وأحمدُ بنُ يحيى حنش ومحسن بنْ قايد أبو راس.

وعلى الجانبِ الآخر، فقد نجح العثمانيون في تجنيدِ بعضِ أهلِ اليمنِ للعملِ معهم في القواتِ المسّماةِ الضبطيةَ، واستمالوا بعضَ شيوخِ القبائلِ وبعضَ شيوخِ العُزلاتِ ليكونوا أعواناً للأتراكِ، يترصدون القواتِ الإماميةَ. ويُلحِقون الأذى بأتباعِ ورعيّةِ الإمام.

ومن اللافت للنظرِ الكثيرُ من التعليقاتِ التي ذكرها المؤلفُ تنعى على بعضِ القبائلِ سوءَ مَسْلكِها الحربي، وتلومُها على ميوعةِ موقفِها، وقلبِها ظهرَ المِجَنِّ للقواتِ الإمامية. ففي واقعةِ حصنِ الظفيرِ التي وقعت في ٢٥ شوال ١٣٠٧هـ ـ وخرج المجاهدون على إثرها من الحصن ـ عَلّق المؤلفُ على تلك الموقعةِ بقوله: «ويالَه من خذلانٍ كبيرٍ وشرٍّ مُسْتَطيرٍ، فإنَّ بعضَ رجالِ حاشد كانوا يسيرون بالخديعةِ والمكرِ، فتوسَّطوا بينَ العجمِ والشيخِ ناصربن مبخوت الأحمر، بأنْ يسلِّمَ العَجَمُ له ١١ ألفَ ريالٍ، ويخرجَ المجاهدين من

---

(١) ملوك شبه الجزيرة العربية، ١١٤.

الحصنِ». وبالفعلِ فقد أخرج قواتِ الإمام من الحصنِ، وحين ادّعى ناصرُ بن مبخوت الأحمر، بأنه خشي إخرابَ بيوتِ حاشد في بلاد الخمري، كان ردُّ فعلِ المؤلف عنيفاً، إذ قال: فذلك عُذرٌ كاذبٌ فاسد، وإنما السببُ في ذلك حبُّ الفلوسِ، ورغبةٌ في حطامِ الدنيا المنحوس»[1].

وحين كتَبَ الإمـامُ إلى عُقّالِ حاشد في ٢٢ شوال ١٣٠٩هـ، وحثّهم على الجهادِ، أجابوا بالسَّمْعِ والطاعةِ، وكذلك حينَ أبرمَ الإمامُ بينَ حاشد وبكيل عقـداً بأن يكـونـوا يداً واحدةً على العدوِّ الأكبرِ (أي الأتراك)، وأن الصـوتَ يجمعُهم، علّقَ المؤلّفُ على ذلك: «إلا أنهم ما وَفَوْا بل خادَعوا واختلفـوا». وفي حالةٍ أخرى ذكرَ: «وأما حاشد، فقد نافقوا وأطاعوا العَجَم ونقضوا العهود، وقبضوا منهم رشوةً»[2].

وذمَّ المؤلفُ «ذو محمـد» لمـا تمالئوا على الغدرِ، حينَ أغراهم أحمد فيضي بتسليمِ أسرى معركةِ الجِرافِ التي وقعت في شهرِ الحجة ١٣٠٩هـ.

وأما خَولان، فقدْ وصفَهم المؤرخُ بأنهم «الذين أجمعَ الإنسُ والجانُّ أنهم أقلُّ هِمَماً من النسوانِ، وهم يُجيبون بما لا طائلَ تحتَهُ بما يدلُّ على الخذلانِ»، وذلـك حين تثاقلوا عن الجهادِ إلى راعد. واستهْجَنَ المؤلّفُ بعضَ عاداتِ العربِ المُستقبَحَةِ ـ ويقصدُ بالعرب، رجالَ القبائلِ المتطوعةِ للقتالِ، فإذا انتصـرتْ قواتُ المجاهدين نسبوا ذلك إلى أنفسِهم، وصاروا يتبجّحون بما صنعـوا حتى يُحـرِجـوا الإمـامَ بكثرةِ المطالبِ والاقتراحاتِ التي تضيقُ لها

---

(١) الدر المنثور، ق ٣٨ب.

(٢) المصدر السابق، ق٣٨أ.

الصدورُ، ويتّسعُ لها نطاقُ الشرور[1].

وعن أهلِ حَجُور، الذين كانوا قد تمالئوا مع بني سعدٍ وبني رزق على الغدرِ بأحمدَ بن مثنى عنتر، أحدِ أشهرِ قُوّادِ الإمام، ومن ثمَّ أطاعوا بعدَ هزيمتهم، يقولُ المؤلف عنهم: «كانوا لا يعرفون من الإسلامِ الّا اسْمَهُ، ولا مِنَ القرآنِ الا رسْمَهُ» وسردَ الكثيرَ من المنكراتِ التي اشْتُهِرَتْ في ديارِهم[2].

وللحقيقةِ، فإنَّ الباحثَ المدقِّقَ، إذا ما أمعنَ النظرَ في وسائلِ الأتراكِ اتجاهَ القبائلِ والبلدانِ ليَجدُ العُذرَ في بعضِ الأحيانِ لإحجامِ بعضِ القبائلِ عنْ مناصرةِ الإمام، فإنّ سياسةَ الولاةِ العثمانيين في تعامُلِهم مع اليمنيين قد تراوَحَتْ بينَ الاستمالةِ بالترغيبِ أو بالترهيب، أو بممارسةِ العقوباتِ الجماعيّةِ بكلِّ طرائقِها من قتلٍ وهدمِ منازلَ، وحرقِ قرى، وعُزلاتٍ كاملةٍ، وإهلاكِ الحرثِ والنسلِ، وأحياناً بالخديعةِ والمكرِ والحيلة. وحتى تكونَ الصورةُ أوضحَ، فإني أقدّمُ نماذجَ من وسائلِ الولاةِ الأتراكِ للسيطرةِ على القبائلِ وإخضاعِها، ومِنْ هذه الوسائل نذكرُ:

- الخَلْعَ على بعضِ مشائخِ القبائلِ بالرُّتَبِ والمعاشاتِ والكُسْوةِ، ومثالُه: الإرادةُ الداخليةُ رقم ٨٨٨٩٢ المتعلقةُ بمنحِ مقبلِ بن يحيى فارع من المشائخِ المتنفذين في قبائلِ حاشد، والذي كانَ له دورٌ مهمٌّ في معاركِ عَمْرَان، بقطعةِ نيشان مجيدي من الدرجةِ الخامسةِ بما لها من امتيازاتٍ ماليةٍ[3].

---

(١) الدر المنثور، ق٨١ب.

(٢) انظر حوادث شهر الحجة ١٣١٧هـ.

(٣) انظر الوثيقة في الملحق.

ـ صرفَ رواتب ومعـاشاتٍ لبعضِ أهلِ اليمنِ وساداتِها، فقد خُصِّص لكلٍّ مِنْ:

ـ السيد جيلان بن المساوي بن محمد الأهدل ٢٠٠٠ قرش.

ـ السيد أحمدَ بنِ محمد المساوي، والسيدِ أحمدَ المساوي، وعلي بن المساوي، ٥٠٠ قرش لكلٍّ واحدٍ منهما.

ـ الشيخِ عبـدِالله بنِ الشيخِ السيد حسين، المدرس الثاني في مدرسةِ الشيخ، ٢٠٠ قرش.

ـ الشيخِ محمد صالح عجاجة من أعيان مكةَ، ٢٠٠ قرش.

ومن الجدير بالذكرِ، أنَّ هذه الأموالَ يجبُ أن تُصْرَفَ من خزينةِ مكةَ المكرمةَ وليسَ استانبول[1] يُضافُ إلى ذلك الخِلَعُ من سيوفٍ وشالاتٍ وقماشٍ وساعاتٍ، تُرسلُ لكسوةِ بعضِ المشائخِ ورؤساءِ العساكر[2].

وفي بعض الأحيان كانَ أعـوانُ الأتـراك يتحيّلونَ على القبـائِل بأنهم يضمنـون لهم دراهمَ من العجم (الأتـراكِ) إنْ استجـابوا لما يُطْلَبُ منهم، وأحيانـاً يكونُ الضمانُ على «جُعْلٍ» مقابلَ التخلي عن الإمام أو الغدرِ به لصالحِ الأتراكِ، ومِنْ ذلكَ ما قامَ به عبدُالواحد بنُ قاسم، بعدَ حصارِ حصنِ حَب، فقد سعىٰ في خداع مَنْ في الحصنِ وضمِنَ لهم جُعلاً من الأتراك وكانت هذه خديعةً، حيثُ تمكّن الأتراكُ من دخولِ الحصنِ وهدمِ تحصيناتِهِ

---

(١) إرادة داخلية، رقم ٨١٩١٢ تاريخها ٣ذي القعدة ١٣٠٤هـ.

(٢) إرادة داخلية، رقم ٤٥٣٩٧.

وهدم بركتِهِ، وكذا النقيبُ عبدُالله بنُ حسين الصوفي، الموظفُ عند الأتراك، وحسينُ بنُ يحيى الشامي، اللّذانِ تحيلا على بني جبر ووعدوهُما بأن يقطعا لَهُمْ دراهمَ على الأتراك، والنقيبُ محسنُ بنُ قايد أبو راس الذي سلَّم أسرى موقعةِ الجِرافِ إلى أحمد فيضي، مقابلَ مالٍ ظَفِرَ به، ومحمد هادي الخميسي الذي سهَّلَ الغَدرَ لأهلِ مُسْتَبَا بقائدِ الإمام أحمد بن مثنى، بأنَّ مَنَّاه بِجُعْلٍ له من العجم[1].

وأحياناً كان الولاةُ العثمانيون يتقرّبون لمن ساعدهم بتقديمِ المُؤنِ والأطعمةِ، فحين أعلنَ بنو صُريم طاعَتُهم للسلطنةِ في معاركِ ١٣٠٩هـ، فرَّق عليهم أحمد فيضي، مئتي بقرةٍ، ومئتي رأسِ غنمٍ، ومئتي قدحٍ من الطعام[2]، والوالي حسين حلمي، أمرَ بصرفِ مساعداتٍ نقديةٍ للفقراءِ في صنعاءَ، وأعلنَ أنه سيُقْرِضُ الناسَ حبوباً[3]، بل إنَّ حسين حلمي نفسَه أمرَ المأمورين أن يلبسوا العمائمَ، وعزَلَ المأمورين الذين كثيراً ما اشتكى الناسُ ظلمَهُم مثلَ علي بن محمد المُطاع الصنعاني، ناظرِ الأوقافِ الداخلية بصنعاءَ، وعَزَلَ محمد هاشم السوري عن إمارةِ العسكرِ الضبطيةِ وسجَنَهُ وأمرَ بمحاكمتِهِ، وكذا أميرالاي الضبطية ميرزا بك، وسجَن قائمقام حراز، محمود رؤوف، المشهورَ بالجَوْرِ والإرتشاء[4]. والهدفُ من هذه السياسةِ إقناعُ اليمنيين بأنَّ الدولةَ قد غيَّرتْ من ممارستها مع اليمنيين، وأنها بصدد إصلاحِ الأحوال.

---

(١) انظر الدر المنثور، ق ٤٥ب، ق ٤٩أ ـ ب.

(٢) الدر المنثور، ق ٣٨أ.

(٣) المصدر السابق ق ٦٤أ.

(٤) أئمة اليمن، ٢/٢٦٤.

وقد اتّضح فيما بعد أنَّ عزْلَ هؤلاءِ كانَ مقدِّمةً لإجراءاتٍ انتقاميةٍ أشدّ، حيثُ تبدّى للأتراكِ أنّه لا بدَّ منْ توفُرِ قواتٍ تركيةٍ ضاربةٍ وتجنيدِ المزيدِ من اليمنيين لمحاربةِ الإمامِ، بإدخالِ العربِ في سلكِ القواتِ النظاميةِ التركية، ولذا صدرتِ الأوامرَ لكلِّ المأمورين من العربِ سنة ١٣١٣ هـ بأنْ يلبَسُوا مثلَ زيِّ العساكرِ التركية، وهو السروالُ والقلنسوةُ والزنةُ، (وطربوشٌ أحمر وسراويلُ جوخ) وقد لقي هذا الإجراءُ عدمَ قبولٍ من قبلِ المأمورين العرب، واستغلَّه الإمامُ في حرْبِهِ الإعلامية ضدَّ الأتراك، واتَّبعَ حسين حلمي في مرةٍ أخرى، سنة ١٣١٨هـ سياسةً تبدو متقدِّمةً إصلاحياً من حيثُ نشرُ المدارسِ الرشدية والمكاتبِ للكبارِ والأطفالِ، ففتَح مكتبَ المعارف، ومكتَبَ الإعدادية ومكتَب الصنائعِ، ومكتبَ العربية، وكان الهدفُ السيطرةَ على التعليم، وتنميةَ الولاءِ للسلطنةِ العثمانية، ليجعلَ التعليمَ رسمياً بدلَ تركِهِ للإمام والقضاةِ والمدرسين من أتباعِ الإمام[1].

وحيث أنَّ هذه الوسائلَ لم تنجحْ في إخمادِ ثورةِ اليمنيين، فقد لجأتِ السلطةُ العثمانيةُ إلى طرقٍ أخرى من حبسٍ ونفيٍ وتشريد، فقدْ قبضَ أحمد فيضي على أكثرَ مَنْ مئةٍ وخمسين مِنْ أهلِ صنعاءَ بدعوى مشايعتِهِم للإمامِ وأرسلَ بهم إلى الحُدَيْدةِ، ثمَّ منها إلى استانبول، وكان منهم؛ سعدُ الدين بنُ إسماعيل الزبيري، صهرُ الإمام، ومحمدُ بنُ حسن دلال، وكانا قدْ قارَبا الأتراكَ[2]، كما حَبَس مشائخَ بلادِ السودةِ في نفسِ العام من سنة ١٣١٠هـ،

(١) الدر المنثور، ص ٢٤١ (الزيادة).
(٢) الدر المنثور، ق ٤٣أ (حوادث ١٣١٠هـ).

ومثلُ ذلك فعلَ بِعُقّال همدان، حتى أنّ أشدَّ الأعوانِ خدمةً للأتراكِ قد سُجنوا ونُفوا عنْ أوطانِهم ومنهم: يحيى المجاهد وعبدُالله الضلعي والياور علي بن مثنى الحسيني. ولعلَّ مِنْ أكثرِ حمَلاتِ الاعتقالِ والحبسِ شدةً ما وقع في شعبانَ مِنْ سنةِ ١٣١٧هـ، حيثُ أمرَ السلطانُ حسين حلمي والمشيرَ عبدالله باشا بجمع ٨٠ ألفاً من أهل اليمن وإلحاقهم بالقواتِ العثمانيةِ، فأعملوا الجَمْعَ والاعتقالَ العشوائيَّ، حتى ظفروا بألفين وسبعِ مئةٍ، نقلوهم إلى الحُدَيْدة، ومنها غادروا بسفنٍ عثمانية للالتحاقِ بالقواتِ العثمانية[1] وكانَ المشيرُ عبدُالله باشا قد سجَنَ خمسَ مئةٍ من اليمنيين وصلوا بصحبتِهِ إلى استانبول.

ومن ناحيةٍ أخرى فقد عثَرْنا في الأرشيف العثماني، تصنيف الإدارة الداخلية رقم ١٨، ربيع الأول ١٣١٦هـ، على وثيقةٍ من وثائقِ البابِ العالي، مجلس مخصوص اتصلت بالمعتقلين من اليمن، وجاء فيها:

الباب العالي

مجلس مخصوص

عندَ قراءةِ التذكرةِ المُقدَّمةِ من نظارةِ الداخلية، تمَّ اعتقالُ خمسةَ عشرَ شخصاً من الأشقياءِ الذين تعرّضوا للمشير عبدِالله باشا أثناءَ قدومِه إلى صنعاءَ، وقد بلغَ عددُ المعتقلين حتى الآن، تسعةً وسبعين شخصاً، ولأنّه لا يوجدُ سجنٌ صالحٌ لاستيعابهم والمحافظةِ عليهم، ستتمُّ محاكمتُهم. وحيثُ لا يوجدُ محاكمُ نظاميةٌ أيضاً، فإنَّ الأشخاصَ المذكورين حُملوا في إحدى

---

(١) الدر المنثور، ق ٨٧ ب.

السفنِ المسافرةِ لاستخدامِهم من قبل الجيشين الثاني والثالث.

وبناءً على إشعارِ ولايةِ اليمن، الذي ينصُّ على عدمِ جوازِ بقاءِ هؤلاءِ المعتقلين في أماكنِهم، فقدْ رأتْ الصدارةُ العظمى ضرورةَ الموافقةِ على ما جاءَ في التحريراتِ المحوَّلةِ من النظارةِ المذكورةِ في إرسالِ الأشخاصِ المذكورين في السفينةِ إلى حيثُ الجيشان الثاني والثالث[1]، وصوَّبَتْ رأيَهم كذلك في اتخاذِ نفسِ الإجراءِ مع الأشخاصِ الذين سيُعْتَقلون لاحقاً حسبَ المعلوماتِ التي قدّمها السر عسكر، وقُدِّمَت التذكرةُ بهذا الخصوصِ. وقُدِّم للعرضِ على مولانا السلطان، والأمرُ لصاحبِ الأمر سيدي،

في ٢٨ صفر ١٣١٦هـ/ ٥ تموز ١٣١٤

ثم أختام: الصدرِ الأعظم، شيخِ الاسلام، ناظرِ العدلية، سر عسكر، ناظر الخارجية، وناظرِ الداخلية، وناظرِ المعارف، ناظرِ الأوقافِ السلطانية، وناظرِ المالية، ومستشارِ الصدارة[2].

- وإزاءَ ذلك، فقد باشرَتِ السلطنةُ العثمانيةُ إلى دفعِ المزيدِ من الإمداداتِ العسكريةِ إلى اليمنِ، حينَ أدركَتْ عجزَ القواتِ المتواجدةِ في اليمن عن احتواءِ الثورةِ اليمنية أو حتى محاصرتِها والقضاءِ عليها، ووقوعَ المزيدِ من الخسائر البشرية والمادية في الطرف التركي، ففي ٧ محرم سنة ١٣٠٨هـ صدرَ الأمرُ والفرَمانُ السلطانيُّ بإرسالِ المزيدِ من العساكر التركيةِ،

---

(١) كان هذان الجيشان في رودس.

(٢) انظر الصورة في الملحق.

علاوةً على الخيل والمؤنِ والمدافعِ ، والوثيقةُ رقم ٥٣٠٦ الصادرةُ من البابِ العالي، مجلس مخصوص، توضّحُ ذلك، فقد جاء فيها:

الباب العالي

مجلس مخصوص

من أجـلِ الحفـاظِ على الأمنِ في جهـاتِ اليمن، وتـأديبِ الأشقياءِ والتنكيلِ بهم، فقـد جرى مطالعـةُ وقراءةُ التذكرةِ الخاصةِ التي بَلغتْ إلى السلطانِ لإصـدارِ الأمـــرِ الهمـايوني بنـاءً على التذكرةِ التي قدَّمَتْها رئاسةُ الأركان، القيادةُ العامةُ إلى الأعتابِ العليّةِ، من أجلِ إتخاذِ التدابيرِ اللاّزمةِ بنـاءً على الإشـارةِ الـواردةِ من قيادةِ الجيشِ السـابعِ لإرسالِ الأرزاقِ من البقسمـاطِ والـدقيق إلى جانبِ ٢٠٠ حصـانٍ من قِبَـلِ العسـاكرِ الشاهانيةِ المتـواجـدةِ هنـاك، والمؤلفـةِ من ثمانيةِ طوابير منها ٨٠٠ جاهزةً ومسَلّحةً، وبطاريتي مدفعِ جبال، وتمّ اتخاذُ التدابير اللازمة لتحقيقِ الاستقرارِ في اليمنِ واستتباب الأمنِ والأمانِ في جهاتِ الخُطّةِ اليمانية، بفضلِ توجيهات حضرةِ السلطان.

وبموجب الفرمان الصادرِ بناءً على قرارِ الدائرةِ العسكرية، فقد تمَّ تسليحُ الآلاياتِ الرديف الأول في قرمان وانطالية على وجهِ السرعةِ، وتشكَّلَتْ بطاريتا جبالٍ، وتمَّ طلبُ أرزاقٍ لمدةِ أربعةِ شهورٍ مع بطارياتِ طوابيرِ الرديف.

وشملت هذه الأرزاقُ الـدقيقَ والبقسمـاطَ، وتمَّ شراءُ المـائتي حصـان المـطلوبـةِ، وتمَّ تسجيلُ الأرزاقِ والأحصنـةِ المشتراةِ ومصاريفِ نقلها، وتمَّ تجهيزُ هذه القوةِ تجهيزاً مميزاً، وبناءً على رأي قيادةِ الجيشِ ، فقدْ تمَّ شراءُ

مائتي حصانٍ أخرى ليصبحَ عددُها عندَ الضرورةِ أربعَ مئةِ حصانٍ.

ويموجب الأخبارِ الواردةِ من اليمنِ بواسطةِ التلغرافِ التي قُرِئَتْ ونوقشت، تبيَّن أنَّ الأحوالَ في اليمنِ تستدعي إرسالَ اللوازمِ والمهماتِ على وجهِ السرعةِ، وقد وُجِدَ هذا الأمرُ ضرورياً ومناسباً، وبعدَ عرضِ الأمرِ على سكرتارية السلطانِ،

فالأمرُ والفرمَانُ لحضرةِ مَنْ له الأمرُ سيدي،

في ٧ محرم ٣١/٣٠٨ تموز ٣٠٧ اختام الوكلاء

وبالفعل فقدْ وصلتْ إمدادتٌ في أوائلِ شهرِ الحجةِ ١٣٠٨هـ، حيث وصلَ حسن أديب باشا والياً على اليمن، يرافقُه أحمد رشدي بك ومعهما قدرُ ألفين من العساكرِ بمعدّاتِهِمْ ومؤنتِهِمْ[1]، وكذا وصل المشير أحمد فيضي باشا في ربيع الأول ١٣٠٩هـ، وكانَ في مكةَ وبرفقتِهِ ٧٨٠ بغلةً مُحمَّلةً بالمعداتِ والمؤنِ، حيثُ تجمَّعَتِ القواتُ الواصلةُ إلى حجةَ من الحديدةِ والتي يقودُها حسن أديب، وأحمد رشدي وكذا قواتُ أحمد فيضي التي كانت في منطقةِ مَناخةَ، مقرِّ الاسماعيلية، المناهضةِ للإمامية لتبدأ مرحلةٌ جديدةٌ في حربِها اليمنية، وتوالى وصولُ الإمداداتِ العسكرية العثمانية إلى اليمن حتى وصلَ في صفر ١٣١٦ رديفاً يتجاوز عدَدُهُ العشرةَ آلافِ عسكريٍّ[2]. وغدت سياسةُ العقابِ الجماعي هي الأسلوبَ المتَّبَعَ من قِبَلِ القواتِ العثمانية ضدَّ

---

(١) الدر المنثور، ق ٦٢أ.

(٢) المصدر السابق، ق ٦٤أ.

اليمنيين، حيث كانوا يدفعون بقواتٍ كبيرةٍ لمهاجمةِ قريةٍ أو حصنٍ أو قبيلةٍ، لا يتجـاوزُ عددُ المـدافعين عنها العشراتِ، فقد أَرسَلَ السلطان ٦ طوابيرَ من العساكرِ التركيةِ لمهاجمةِ قريةِ ساك من بلادِ خَارِف[1]، وأَرسلَ طابوراً لغزو عومرة، وغزوا ناعط بقواتٍ كبيرةٍ، واستولَوْا على الذخائرِ المودَعة فيه[2]، ولوقعةِ قرية الفصيحِ من بلادِ الشاهلِ، جمعوا العساكرَ من كافَّةِ البلدانِ وهاجموها بقـوةٍ وقسوةٍ، حتى إنَّ مؤرخَنا، وصفَ ذلك بقوله: «وتجهَّزوا بالقوةِ التي لا يقاومُها مُقاوِمٌ»[3]، كما بعث أحمد فيضبي أربعةَ طوابيرَ لمقاتلةِ عَمْرانَ؛ لفكِّ الحصارِ عن قوّاتِهِ البالغِ عددُها ٨٠٠ عسكريٍّ كانوا محصورين في عَمْران بعدَ نجاحِ القواتِ الإماميةِ في دخولِ كُحلان[4]، ففي وقعةِ سامك من بلادِ الروس التي جرت في صفر ١٣١٦هـ، والتي وصلَ إليها الشيخُ عبدالله بن عبده راجح، وصحبتَه ثمانون مجاهداً، خرج الأتراكُ عليهم بطابورين ومعهم المدفعُ الكبيرُ[5]، وتَظْهَرُ ضخامةُ القواتِ العثمانيةِ في الحملةِ التي أُرسِلَتْ في ٧ رجب ١٣١٩هـ بقيادةِ فريق باشا على بلادِ السُّودةِ، حيث بلغَ عددُ القواتِ أكثرَ من ٧٤٠٠ عسكري وألفِ بغلةٍ تحملُ المؤنَ والذخيرةَ والأثقالَ والمدافعَ التي بلغَ عددُها ثمانيةً.

ولما كان اليمنيون لمّا يألفوا المدافعَ وهولَها، فقد كانَ لظهورِها في المعارك تأثيرُها على القواتِ الإمامية، وعلى القبائلِ والبلداتِ، حيثُ كانت

---

(١) الدر المنثور، ق٥٢أ.

(٢) المصدر السابق، ق ٥٢أ.

(٣) الدر المنثور، ق ٦٤أ.

(٥) المصدر السابق، ق٦٤أ.

تُدَكُّ المنطقةُ بالمدفعيةِ ولفتراتٍ طويلة، ومثلُ ذلك وقعَ في العديدِ من المناطقِ مثلِ : السامك والقَفلةِ وبني جل وشُهَارةَ وكُحلان وغيرها.

وحالَ نجاحِ القواتِ العثمانية في دخولِ قريةٍ أو منطقةٍ، فإنّهم كانوا يدهَمُون الناسَ والبيوتَ، ويبادرونَ إلى الانتقامِ والنّهْب، ويفرضون عليهم الغراماتِ «يطلبون السياقَ وكفايةَ العسكرِ، ويسومُونهم العذابَ»[1].

كما لجأوا إلى إحراقِ البيوتِ في المناطقِ التي كانوا يستولون عليها، وقد وقَع مثلُ ذلك، في حصنِ الظفيرِ وقلعةِ العمري وبيتَ معدن، وبيوتِ بني عَبْدِ من بكيل، وتمَّ إحراقُ الشَّطِّ والقَفلةِ، وغيرُها كثير[2].

هذا، وقد عَرَفتِ اليمنُ نظامَ الرَّهْنِ، وهو يعني أنَّ القبيلةَ التي تدخُلُ في طاعةِ الإمام تقدِّمُ الرهائنَ من أبنائِها، وتُسمى هذه الرهينةُ «رهنيةَ الطاعةِ» حتى إذا ما نقضت القبيلةُ عَهْدَها وميثاقَها كان للإمام حقُّ الحكمِ على أبنائِهم.

ومن خلالِ دراستِنا لمخطوطِنا نجدُ أنَّ بعضَ القبائلِ كانت تقدّمُ الرهائنَ للإمام، وفي نفسِ الوقتِ تقدم الرهائنَ للأتراكِ أيضاً، ويُفْهَمُ من نظامِ الرّهن أنه خاصٌّ بتلكِ القبائلِ المتّهمةِ في ولائِها أو طاعَتِها، والحقيقةُ أنه كان عاماً وشرطاً أساسياً لمنْ دخَلَ في حَوْزةِ الإمام، وبادرَ إلى قتال العثمانيين. وخلالَ معاركِ الإمام مع العثمانيين وَرَدتْ إشاراتٌ حولَ تقديمِ عقّالِ الحدأ رهائنَ للمقدّمي عليّ بن أحمد صلاح سنة ١٣١٢هـ، وعُقّال خَوْلان جميعُهم أرسلوا

---

(١) الدر المنثور، ق ٧٢ب.

(٢) حول حرق المدن والقرى والحصون، انظر، ق ٣٣ب، ٣٤أ، ٣٧ب، ٣٩أ، ٤٢ب.

رهائنَهم إلى الإمامِ صحبةَ أحمد بن حسن الكِبسي، وطلبوا مقدّمياً، فبعثَ إليهم محمدَ بنَ الإمام المتوكل وفوَّض إليه أمرَ القيامِ بالجهادِ في تلك البلادِ، وأمرَهُم بُمحاصرةِ صنعاءَ مِنْ جميعِ الجهاتِ. وحاشد هي الأخرى قدَّمت الرهائنَ في أكثر مِنْ مَوْقعةٍ، والشيخُ عبدالعزيز الشحرة، صاحبُ حصنِ حب، حين وصل راغباً في نصرةِ الإمام وطلبَ من الإمام الإمداداتِ والمساعدات، اشترط عليه الإمامُ رهينةَ الطاعةِ، فسلَّمها للإمامِ على جهةِ الكتمانِ، وكذلك أهلُ بلادِ رازح، حين أطاعوا سلَّموا الرهائنَ.

ويبدو أنَّ الإمامَ كان يعتبرُ الرهائنَ وسيلةً من وسائلِ الضَغطِ على القبائلِ ليحملَها على المشاركةِ الجادَّةِ في القتالِ ليس إلا، إذْ لَمْ يَرِدْ لا في مخطوطِنا ولا في المصادرِ العثمانيةِ أنَّ الإمامَ أنفذ على الرهائنِ حُكماً، وعكسُ ذلك قد ورد، فحينَ تناهىٰ إلى الإمام ما فعلَهُ ناصرُبن مبخوت الأحمر، شيخُ حاشد، مِنْ تثاقلٍ في الجهادِ وحتى مصالحةِ العجم، فما كان منه إلاّ أنْ أطلقَ رهائنَ حاشد، بل إن من أسبابِ هزيمةِ القواتِ الإمامية في وقعة الحُقَيْبَة من بلاد عُتمةَ أنَّ مقدِّمي الإمامِ في تلك الموقعةِ لم يكنْ حازماً، بأخذِ الرّهائنِ من المشائخِ، الذين وصلوا إليه معلنين الطاعةَ، حتى إنَّ أهلَ العقبةِ من الغولِ اعترضوا الإمداداتِ الواصلةَ إلى القواتِ الإمامية، وما نفعَ تعهُّدُ الشيخ صالح بن يحيى الأسدي بمناصرةِ الإمام وقواتِهِ، وكذا قبائلُ ذي غيلان، وأهلُ مُسْتَبا وحجور وأهلُ لاعةَ وغيرُهم قدَّموا الرهائنَ وحتى أهلُ البلادِ الآنسية، والذين يصفهم مؤرخُنا «بأنهم مفطورون على التشيُّع لآلِ البيتِ، ومحبّونَ للقائمِ من العترةِ الزكيةِ، يناصرون الأئمةَ مِنْ قديم الزمان لا يردعُهُمْ عن ذلك البؤسُ ولا هلاكُ الأموالِ والنفوس» فإنهم حين وصلوا إلى

طَرَفِ الإمام وأعلنوا الطاعةَ والحربَ ضدَّ العثمانيين، أرسلوا بالرهينة إلى الإمامِ.

وعلى هذا، فقد كان نظامُ الرهنِ تقليداً متّبعاً بينَ القبائلِ اليمنية منذُ القديم[1].

ولجأ الأتراكُ إلى الأسلوبِ المُتَّبَعِ نفسِهِ في أخذِ الرهائنِ من القبائلِ لقاءَ الطاعةِ، أو حتى ضمانِ سلامتِهم عندَ المرورِ من أرضِ قبيلةٍ إلى أخرى، فبنو صُريم ـ على سبيل المثال ـ قدّموا رهائنَ مِنْ أبنائِهم لأحمد فيضي، وأهلُ بيت غُشْيْمَة واليمانيةِ العليا وأهالي مَسْوَر قدّموا همُ الآخرون الرهائنَ للأتراك.

وكانوا حريصين على الوفاءِ بالتزاماتِهم اتجاهَ الأتراكِ، أكثرَ من حرْصِهِم على مناصـرةِ الإمام، والالتزام بما طلبه منهم، ذلك أن الانتقامَ العثمانيَّ سيكونُ شديداً فيما لو خالَفوا ما اتفقوا عليه مع العثمانيين، إلا أنهم كانوا يبادرون إلى نُصرةِ الإمام عندما تكونُ كفةُ قواتِه الراجحةَ في الحروبِ والوقعات.

إن المُتأمِّلَ في مُجْمَلِ الأوضاعِ، التي كانتْ تُعاني منها القبائلُ اليمنيةُ، يُدركُ الأسبابَ التي كانت تدفعُ بعضَ القبائلِ لأنْ يكونَ ولاؤها متأرجحاً بينَ الإمامِ والولاةِ الأتراكِ، فلا ولاءَ دائماً لطرفٍ ولا معاداةَ قاطعةً لجهةٍ. ومع ذلك فإنَّ الإمام كان يعاني من مشائخِ بعضِ القبائلِ، ولاقى صعوباتٍ ثقيلةً من بعضِ القبائلِ أيضاً.

---

(١) ذكر المؤرخ أن الإمام أودع رهائن بني طلق الذين نقضوا ما اتفقوا عليه مع الإمام الحبسَ، انظر، الدر المنثور، ق ٨٨أ.

كانَ على الإمـام أنْ يواجـهَ جُمْلةً من الصعـوباتِ القبليةِ المتمثلةِ في الصـراعـاتِ القبليةِ، والتنافسِ والتشاحنِ بينَ تلك القبائلِ ، أو بينَ عشائرِ وبطونِ القبيلةِ الواحدةِ، وكان هذا التناحُرُ بينَ القبائلِ يؤثّرُ سلْباً على الجبهةِ الإمـاميةِ، ويتـرتّبُ عليه في بعضِ الأحيانِ ارتـدادُ بعضِ القبـائلِ لموالاةِ العثمانيين، وحتى مناصرتِهم؛ فالضغائنُ الموروثةُ بين بني الحارثِ وأرحبَ، جعلتْ بني الحارثِ تُساعدُ العثمانيين، مما اضطرَّ الإمامَ للسماحِ لأرحبَ بغـزوِها، شريطةَ ألّا تقعَ النكايةُ إلّا بمن عاوَن العثمانيين، وتعدّى وظلَمَ، فكانتْ بلادُ السودِ ميدانَ معركةٍ بينَ تلك القبائلِ[1]، وشهِدَ رمضانُ من عامِ ـ ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م فِتَناً وحروباً بينَ قبائلِ حاشد نفسِها[2]، وبين قبائلِ عِذر والعُصَيْمَـاتِ. وبنو صُريم وخيار، وبنـو قيس كانت لهم مواقفُ عدائيةٌ من بعضِهم البعض، وضدَّ القـوّاتِ الإمـاميةِ في بعضِ الأحيانِ[3]، وحتى آلُ القاسمِ ، أهلُ شُهَارةَ وقعَ صراعٌ بينَ فرعَيْهم: المؤيدي والمتوكلي[4].

ويبـدو أنَّ مشائخَ تلكَ القبائلِ اليمنية كانوا يعملون على تأجيجِ تلك الصراعاتِ، لما كانوا يتمتعون بهِ من امتيازاتٍ، فكأنَّ أفعالَهُمْ إنما قُصِدَ بها الدفاعُ عن مصالحِهم، فقدْ جرت العادةُ أن يُوْكَلَ لكلِّ شيخٍ تحصيلُ ما ترتّبَ على قبيلتِهِ من أموالٍ، وكان كلُّ شيخ يتقاضى مبالغَ طائلةً يحتسبُها لنفسِهِ، فقد ذكرَ مؤرِّخُنا، أنهم كانوا «يأخذون الريالَ للدولةِ والعشرةَ ريالاتٍ لهم»،

---

(١) الدر المنثور، ق ٧٧أ.

(٢) الدر المنثور، ق ٨٧ب.

(٣) المصدر السابق، ق ٧٦أ.

(٤) أئمة اليمن، ٢/ ٢٢١.

مما ترتَّبَ عليه كثرةُ شكوى القبائلِ من ظُلْمِ مشايخهم[1]، وأن هؤلاءِ المشائخَ كانوا يُبْطِنون خلافَ ما يُظْهِرون. ويزخرُ كتابُنا-الذي ننشرُه-بأخبارِ تقلُّباتِ، وحيلِ وألاعيبِ أولئك المشائخِ، ويصوِّرُ مدى المعاناةِ التي كابدَها الإمامُ ورجالُه من أجلِ الحدِّ من التقلُّباتِ وحصرِها في أضيقِ نطاقٍ، وذلك بالعملِ على استرضاءِ أولئكَ الشيوخِ، أوْ أَخذِهِم بالحزْمِ والشدَّةِ هم وقبائلِهم، ومن مظاهرِ تلكَ التقلباتِ والمعاناةِ:

- دعوةُ المشائخِ أهلَ البلادِ لمناصرةِ الأتراكِ وعدمِ إعانةِ الإمام وقوّاتِه، فالشيخ حُزام الصعر وجَّهَ دعوتَهُ لأهلِ المصانعِ والزافنِ والأشمورِ للوقوفِ عن إنجادِ يحيى بن حسن الكُحلاني في موقعةِ بيت عُلمان، ومشائخُ حاشد ووادعةَ أَبَوْا السماحَ لقواتِ الإمام التي يقودُها المقدّمي سيفُ الإسلام محمدُ بنُ المتوكل بالدّخولِ إلى مناطِقِهِمْ وحُصونِهِم، بحجةِ أنّهم غيرُ قادرين على مقاومةِ الأتراكِ[2]، وفي وقعةِ الغيل، ٢٠ شهر القعدة ١٣١٦هـ، أحْجَمَ الشيخُ صالحُ بن يحيى الأخزم عن استقبالِ قواتِ الإمام في منطقتِهِ، بل إنّهُ أرْسَلَ إلى سيفِ الإسلام، محمّد بنِ الإمام أنْ يرتفِعَ من منطقَتِهِ خوفَ وصولِ الأتراكِ إليهم، وهو ما لا طاقةَ لهُمْ بهِ[3]، ولما ارتَحلُوا إلى وادعةَ، صدَّتْ قبائلُها الأبوابَ في وجوهِهِمْ. ومثلُهم أهالي صعدةَ وخوْلانِ الشام، تردَّدوا في مرحلةٍ عنْ مناصرةِ الإمام، وحينَ انتصرَتْ قواتُ الإمامِ أمروا الناسَ بإشعالِ

---

(١) الدر المنثور، ق ٨٥أ.

(٢) المصدر السابق، ق ٧٢أ-ب.

(٣) المصدر السابق، ق ٧٦ب.

النيرانِ كدلالةٍ على غِبْطَتِهم وانضمامِهِمْ للقوّاتِ الإماميةِ[1]، ومثلُهم رؤساءُ بني جُماعةَ، وبنو طلق، وبنو العوام، ومثلُ ذلك كثيرٌ.

كـانَ الإمامُ كثيراً ما يستنكرُ ما تقومُ به القبائِلُ من نهبٍ، خِلافاً لما يأمرُ به مِنْ عدمِ التعرُّضِ إلّا لِمَنْ ساندَ الأتراكَ، وتعدَّى وظَلَم، وفي مرّاتٍ عديدةٍ كان الإمامُ يبَرأُ ويتبرَّمُ مِمَّا وقعَ مِنَ القبائلِ والعربِ مِنْ أفعالٍ، وخاصةً ما ارتكبوه مِنْ نهبٍ وعدوانٍ في أحوازِ صنعاءَ، ومنطقةِ الشاحذيةِ وبلادِ السودةِ. وكانت حادثةُ سَلْبِ ونهبِ رَوْضةِ صنعاءَ سنة ١٣١٦هـ أكثرَ القضايا تأثيراً على الإمـام، فقدْ رَجَحَ لديه تركُ إرسالِ قوّاتِه إلى أمهاتِ المدنِ اليمنيةِ لمقاتلةِ الأتراكِ، بعد ما كان من القبائلِ بحقِّ الروضةِ[2].

ولعلَّ ما وقعَ بينَ مشايخِ اليمنِ الأسفلِ سنةَ ١٣١٥هـ، كانَ مِنْ أعقدِ المسـائلِ التي واجَهْتها القوّاتُ الإماميةُ، فقدْ لَفَّتِ المنطقةَ حروبٌ داميةٌ، سُفِكَتْ فيها الدّماءُ ونُهِبَتِ الأموالُ، حيثُ اشتعلتِ الحروبُ بينَ قبائلِ الشيخ عليِّ بنِ عبـدِالله بنِ سعيد، من شيوخِ اليمنِ الكبـارِ، وبينَ قبائلِ الشيخِ عبـدِالـوارث بنِ ياسين، شيخِ الضُريباتِ وشرعب، ووقعتْ فِتَنٌ أخرى بينَ الشيخِ علي بن عبدالله المذكورِ والشيخِ عبدِالواحد بنِ قاسم، ومثلُها حروبٌ بين مشايخِ حبيش وبني الشبيبي والحرّاسِ، وسُفِكَتْ دماءٌ من قبائلِ الشيخِ منصور بن نصرِ شيخِ العنسيين وآلِ أبي راس.

واللّافتُ للنظرِ أنهم لجأوا في نهايةِ الأمرِ للوالي العثماني أحمد فيضي

---

(١) الدر المنثور، ق ٨٢أ.

(٢) أئمة اليمن، ٢/٤٠٥.

للصُّلح بينهم، وكان للوالي ما أراد.

وبالرغم من كلِّ ذلك، فإنَّ الإمامَ كان يعملُ على التخفيفِ من ثِقَلِ وطأةِ التَّقلُّباتِ القَبَليّةِ على قُوّاتِهِ، فيناشِدُ عُقَّالَ تلكَ القبائلِ العودةَ إلى الحقِّ ومناصرةِ قوّاتِهِ، كما كان دأبُه المتكرِّرُ معَ قبائِلِ حاشد، ومناشدَتُهُ لعقّالِ حجور سنةَ ١٣١٧هـ إصلاحَ الشيخِ الهندي، الذي انحازَ كُلّياً لجانبِ الأتراكِ، وقادَ القوّاتِ لمحاربةِ الإمام وجندِه. فلمّا لَمْ تجدْ تلك المناشدةُ نفعاً، كانَ لا بدَّ مِنْ محاربةِ القبائلِ التي صالَحتْ وعاوَنَتْ الأتراكِ إبّانَ المعاركِ، فقاتَلَ القبائلَ التي انحازتْ للأتراكِ في حوثَ ووادعةَ وبلادِ[1] حجور، فانْحَسَمَتْ مادةُ الشُّرور، وخمَدَتْ نيرانُ الظُّلْمِ والقطيعة.

ويبدو واضحاً أنَّ الإمامَ ما كانَ يلجأُ إلى الحربِ إلّا بعدَ أنْ يستنفِذَ كلَّ وسيلةٍ، واستقرَّ عندَهُ أنْ لا علاجَ إلّا بالحروبِ، فإذا، لاحتْ بارِقةُ أملٍ فلا يأمرُ بالحربِ، ومثلُ هذه السياسةِ المتأنيةِ اتّخذها الإمامُ عندَما وصلَتْهُ الأخبارُ بأن الشيخَ عليَّ بنَ المقدادِ قدْ تصالحَ معَ الأتراكِ سنة ١٣١٧هـ، بعد أنْ قدَّمَ له (الأتراك) ألفَ ريالٍ إكراميةً، وقرّروا لهُ راتباً شهرياً، ولمّا كانَ الإمامُ يدركُ مدى نفوذِ آلِ البيتِ في البلادِ الآنسية، بلادِ الشيخ علي بن المقداد، فإنّهُ لم يحرِّكْ ساكناً ضدَّه، بل أبقى الشيخَ عزيزبنَ عبدِالله، الذي وَصلَ لطَرَفِ الإمامِ متبرِّماً وطالباً للعونِ ضدَّ الشيخِ علي بنِ المقداد، فقد أبقاهُ الإمامُ عندَه في القَفلةِ، لأنه كان يُدرِكُ أنَّ الشيخَ عليَّ بنَ المقداد عائدٌ لمحاربةِ الأتراكِ، وما الصلحُ إلّا استراحةُ محاربٍ، وهذا الذي وقعَ، فما هي إلّا شهورٌ

---

(١) الدر المنثور، ق ٨٧أ.

قليلةٌ حتى عادَ الشيخُ عليُّ بنِ المقـدادِ لحـربِ الأتراكِ بقوّاتٍ كبيرةٍ وأكثرَ ضراوةً مما كان[1].

ومن ناحيةٍ أخرى، فقد ارتكب الأتراكُ خطأً اتجاهَ المشايخ، ساهَمَ بدورِهِ في رفْدِ القوّاتِ الإماميةِ بنجداتٍ إضافيةٍ. فقدْ أقدَمَ الوالي حسين حلمي أوائلَ صفر ١٣١٦هـ على عزلِ المشائخِ، وعيَّن عُقَّالاً في كلِّ قريةٍ، مُظهراً أن هدَفَهُ هو تحقيقُ العدالةِ والاستجابةُ لشكاوى الناسِ ضدَّ المشايخِ، فكانت نتيجةُ ذلك عكسَ ما يريدُ، فاضَّطربتِ اليمنُ بعزلِ المشايخِ؛ لأنَّ الأتراكَ كانوا قد فوَّضوا إليهم أمورَ الرعيةِ، وملَّكُوهُم الرقابَ. فغدا كلُّ شيخٍ صاحبَ سطوةٍ ونفوذٍ في منطقتِهِ، وتعذَّرَ بالتالي الاستجابةُ لأمرٍ يَصْدُرُ مِنَ الوالي حسين حلمي أو غيرِه، وقدْ أحسنَ الإمامُ الاستفادةَ من هذه الظروفِ، وعمِلَ على تطويعها لصالح الحربِ ضدَّ العثمانيين، وذلكَ باستمالةِ الشيوخِ والعقّالِ، حيثُ لاقَتْ هذه الخطوةُ القبولَ، فزادتِ الحروبُ اشتعالاً، وحقَّقَت القوّاتُ الإماميةُ انتصاراتٍ مهمّةً على العساكرِ العثمانيةِ.

وقد أعطى مؤرِّخُنا صورةً إجماليةً لما كانت عليه حالُ الإمامِ مع القبائلِ بقولِهِ «الرعيةُ منهم صادقون فيما يدّعون، وأمّا المشايخُ وأعوانُ العجمِ، فإنهم يبطنون خلافَ ما يُظهرون، وقد نزلَ بهم من البلاءِ والخوفِ ما لا يَصِفُه الواصفون»[2].

ويبدو أنَّ سوءَ الأحوالِ الاقتصاديةِ، وما واجَهَتْهُ اليمنُ مِنْ كوارثَ طبيعيةٍ

---

(١) الدر المنثور، ق ٨٧ب.

(٢) المصدر السابق، ق ١٥ب.

وانتشارِ الأوْبئةِ والأمراضِ من طواعينَ وغيرِها، كانتْ تعوقُ مِنْ حركةِ القوّاتِ الإماميّةِ، وتحولُ في بعضِ الأحيانِ مِنْ مواصلةِ عملياتها العسكرية، ومع أنَّ هذه الكوارثَ كانتْ عامّةً لا تقتصرُ على طَرَفٍ دونَ آخرَ من المتحاربين، إلّا أنَّ التغلُّبَ عليها كانَ يتطلّبُ وقتاً في الطَّرَفِ الإماميّ، فإنَّ الإمامَ ـ وحسبَ ما ذَكَرَ مؤرِّخُنا ـ كان يستصعِبُ إرسالَ البعوثِ والسّرايا والعساكرِ على الأتراكِ، بسببِ ما كانَ الناسُ فيه من شِدّةٍ وارتفاعِ الأسعارِ، إذْ بلغتْ أسعارُ القمحِ «دونَ رُبْـعِ قَدَحٍ بريالٍ»، وفي سنةِ ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م ارتفعت الأسعارُ، وعـظُمَ الاضْـطرارُ حتى وصـلَ في الجهـاتِ القبليةِ ستة أنفارٍ بريالٍ، وفي الجهاتِ اليمانيةِ اثنا عشرَ نفراً بريال، وقد أدى ذلك إلى إرتحالِ الناسِ مِنْ بلادٍ إلى بلادٍ، لطلبِ المؤنةِ والزادِ، مما ترتّبَ عليه تدني الكثافةِ السكانيةِ، وخلوِّ البلادِ من أهلِها، وهذا بلا شك كان يؤثِّرُ على القُدْرةِ القتاليةِ للقوّاتِ الإماميةِ، فإذا ما أُضيف إلى ذلك انحباسُ الأمطارِ، وحالاتُ الجفافِ والقحطِ التي كانت تعمُّ البـلاد، أدركْنا عندَها مدى المعاناةِ التي تجشمتها القواتُ الامامية في سعيِها للحصولِ على الأقواتِ ومواصلةِ المعارك.

لقد اقتَصرَ جهدُ مؤرخِنا هنا على سَرْدِ أخبارِ ما أوْقَعَتْهُ الكوارثُ الطبيعيةُ في القواتِ التركيةِ، دونَ أنْ يَذْكرَ ما أصابَ القواتِ الإماميةَ منها، مُغْفِلاً ـ في ذلك ـ أنَّ الكوارثَ لا تفرِّقُ بين القواتِ التركيةِ والقواتِ الإماميةِ، وهذا الأمرُ يدفعُنا إلى القولِ بأنَّ هناك صعوباتٍ أخرى قد واجَهَت الإمام، فرضت عليه أن لا يتجاوزَها ويجدَ الحلولَ المناسبةَ لها: ففي سنةِ ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، كانتْ أسعارُ الحبوبِ مُرتفعةً، والناسُ في شدَّةٍ، والأمطارُ قليلةٌ، والمزروعاتُ أصيبتْ بالأمراضِ وبدَتْ كتبنةٍ سوداءَ ، ورافَقَ ذلك وقوعُ بَرَدٍ مُحْرقٍ خارقٍ

للعادة، فأحرقَ ثمَرَة الذرة[1].

ودخلتْ سنةُ ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وقد اشتدَّ على الناسِ البلاءُ، وعظُمَ القحطُ والغلاءُ، فارتفعتِ الأسعارُ حتى بلغَ في بعضِ البلادِ ستةَ أنفارٍ، وظهَرَ الفسادُ في البَرِّ والبحر[2]. بلْ إنَّ القحطَ والغلاءَ استمرَّا ثلاثَ سنين، حتى هَلَكتِ المواشي، وعُدِمَتِ الحبوبُ وعلفُ الدّوابِ، ومعَ أنَّ الأضرارَ كانت أفدَحَ عندَ الأتراكِ، إلاّ أنَّ آثارَ القحطِ والغلاءِ أصابَتْ أيضاً القوّاتِ الإماميةَ التي كانت تستعيضُ عن ذلكَ باعتراضِ المؤنِ التركيةِ وتقومُ بنهبِها وتفريقِها بينَ الرعيّةِ الإمامية[3]. وكذلك وقوعُ البَرَدِ وتواترُ الأمطارِ التي تتشكَّلُ معها السيولُ المُهلكةُ للحرثِ والنَّسْلِ، فقد وقعَ مطرٌ عظيمٌ في مناطِق صنعاءَ في الاسبوعِ الأولِ من شهرِ رجب، سنة ١٣١٧هـ، رافقَهُ سقوطُ برَدٍ كبارٍ حتى جاءتِ السيولُ وداهمتْ صنعاءَ وداعي الخير وسعوانَ، وألحقَ خراباً كثيراً[4]، وفي رمضانَ سنة ١٣١٧هـ، وقعَ بَرَدٌ كبار قريب من حوث، وتراكمتِ الثلوجُ على جبلِ حضور، حتى شَقَّتِ الأحوالُ وعَسُرَ معها الانتقالُ[5].

وفي ربيع أول سنة ١٣١٨هـ، تواترت الأمطارُ التي لم يُعْهَدْ مثلُها ـ كما يروي مؤرخنا ـ على بلادِ القَفلةِ، مركز القوّاتِ الإمامية، بل لقد جاءت السيولُ ودهَمَتْ بلادَ عَمْرَانَ حتى كادت أن تدخلَ عَمْرَان، وأيقن أهلُها بالهلاكِ[6].

---

(١) أئمة اليمن، ١٦٣/٢.

(٢) الدر المنثور، ق ٥٩ب.

(٣) المصدر السابق، ق ٨٥ب.

(٤) المصدر السابق، ق ٨٧ب.

(٥) المصدر السابق، ق ٨٧ب.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٤٢ (الزيادة).

وعلى صعيدِ الكـوارثِ الأخـرى، يوردُ مؤرِّخُنا خبرَ الرياحِ العاصفةِ، والزوابعِ الفاتولة التي أصابَتْ منطقةَ شُهَارة في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣١٨هـ والتي امتدّتْ حتى منطقةِ البطنة، وصارت تقتلعُ كلَّ ما وَقَعَتْ عليه من الزروع والسّدرِ، حتى استفَّتِ الترابَ، وواصلَتْ سيرَها إلى جهةِ الشرق[1].

وعلى صعيدِ الطّواعينِ والأمراضِ، فقد أشارَ مؤرِّخُنا إلى تفشّي الطاعون في البلادِ حتى هلَكَ الكثيرُ من أهلِ المدنِ والبلادِ خلالَ سنةِ ١٣٠٩هـ.

وفي سنـةِ ١٣١٠هـ أهلك الطاعونُ أكثرَ من سبـعِ مئـةٍ من عساكرِ التّركِ[2]، ويرى مؤرِّخُنا أنَّ اللهَ أرسلَ الطّاعونَ على الأعداءِ انتصاراً لقوى الحقِّ على البُغاةِ الظالمين.

وفي حوادِثِ شوال ١٣١٦هـ، كثُرَتِ الأمراضُ وعمَّ الفناءُ في الرجالِ والدّوابِّ التركيةِ حتى عَسُر عليهم نقلُ الأثقالِ، وحاولوا الارتحالَ من الجهاتِ القَبَليةِ نحـوَ حَبُـور، فمُنعوا من ذلك، وفي الصرَّارةِ عمَّ الفَناءُ في الرجالِ والجمالِ والبغالِ.

ونعـودُ مرَّةً أخرى لنؤكّدَ على أنَّ مثلَ هذه الكوارِث إنما كانتْ صعوبةً تُضافُ أيضاً للصعوبات التي واجهها الإمامُ، غير أنَّ أثرَهَا كانَ محدوداً في الطَّرَفِ الإماميّ لسرعةِ الإجراءاتِ التي كانَتْ تُتَّخذُ حِيالَ ذلك.

---

(١) الدر المنثور، ٢٤٢ (الزيادة).

(٢) الدر المنثور، ق ٤٣أ.

المطلب الثاني:

مصادرُ التمويلِ والتّموينِ والتسليحِ:

إنّ مثلَ هذه الحربِ التي يقودُها الإمامُ المنصورُ باللهِ محمدُ بنُ يحيى، تقتضي تَوَفُّرَ مبالغَ مِنَ المالِ؛ للإنفاقِ على احتياجاتِها الضرورية، مِنْ مؤنٍ وسلاحٍ، وسَدِّ نفقاتِ أُسَرِ المجاهدين: والشهداءِ والجرحى والمصابين، ورعايةِ طَلَبةِ العِلْمِ والعلماء، والعنايةِ بالمهاجرين والوافدين وغيرها من الأمور.

ويتضحُ لي، من خلالِ التَّدْقيقِ في الوثائقِ والكتاباتِ العثمانيةِ واليمنيةِ، ومنَ البحثِ في علاقاتِ الإمامِ مع القوى الفرنجية: البريطانيةِ، أو الفرنسيةِ أو الإيطاليةِ، وهي القُوى التي كانت مَعْنيَّةً بالمنطقةِ، وبوادر الصِّراعِ بينَها في تلك الفترةِ كانت بارزةً ـ أنَّ البحثَ والتدقيقَ يُفيدان، بأنَّهُ لم يكنْ للإمامِ أيةُ مواردَ غيرَ تلك التي يُقدّمُها الأتباعُ، والتي أَوْجَبَتِ الأَحكامُ الشّرْعيَّةُ تقديمَها لأي إمامٍ في منزلتِه، ويُمْكِنُ تحديدُ تلك الموارد بما يلي:

ـ الزكـــاة:

وهي الصدقةُ المفروضةُ على المكلَّفين بها، وتحصُلُ وفقَ ما نَصَّتْ عليه النصـوصُ الشـرعيةُ من قرآنٍ وسنّـةٍ، وتجِبُ في الـذَّهَبِ والفضّـةِ والجواهِرِ واللآلىء والدرِّ والياقوتِ والنقد والسوائمِ الثلاث، من الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ، وما أنْبتَتِ الأرْضُ من مزروعاتٍ، والعَسَلِ من الملكِ ولو وقفاً أوْ وَصيةً، أو بيتِ مالٍ وعروضِ التجارة[1]، ونصابُها معروفٌ ومحدَّدٌ، وولايَتُها إلى الإمامِ

---

(1) المرتضى، أحمد بن يحيى، عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، ١٢٣.

ـ ظاهرةً وباطنةً ـ حيث تُنفَّذُ أوامرُه. ويُلاحظُ أنَّ أتباعَ الإمامِ كانوا حريصين على أدائِها في وقتِها أو حتى التعجيلِ بدفعِها، وتُنْذِرُ من يمتنعُ عَنْ أدائِها بالإثْمِ والعُدوانِ.

وقد اعتاد الإمامُ على إرسالِ إيصالٍ أو وثيقةٍ تدُلُّ على استلامِ شيءٍ معينٍ أو مبلغٍ من المالِ، سواءَ كانتْ هدايا أو نذوراً أو زكاةً من الأهالي، ويلاحظُ في مثل تِلكَ الرسائلِ كتابةُ عبارةِ: «صدْر النظير» بعدَ انتهاءِ الخطاب وتأريخِهِ، بغرضِ التذكير ولفْتِ النظرِ، كإشارةٍ إلى إثباتِ ما تَسلَّمَهُ الإمامُ[1]: ففي رسالةٍ تاريخُها ٢٥ ربيع الأول ١٣١٤هـ/ ٤ سبتمبر ١٨٩٦م، بعثَ بها الإمـامُ إلى الشيخِ عبدالله بنِ يحيى الوادعي، وردتْ عبارةُ «وصدر النظير» ليؤكِّـدَ أنَّـهُ تسلَّمَ منـه شيئـاً مادياً[2]. وفي رسالةٍ أخرى تاريخُها ١٩ رجب ١٣١٨هـ/ ٣ نوفمبر ١٩٠٠م، أرسلها الإمامُ إلى عبدِ الرقيبِ المعروفِ لدى الإمام، حيثُ اكتفتِ الرسالةُ بإيرادِ الاسم الأوَّلِ دونَ الإفصاحِ عن بقيَّتِهِ، حفاظاً على السريَّةِ، وحَذَراً من إيقاعِ الأذى به مِن قِبَلِ العثمانيين، فيما لوْ وقعتِ الـرسالةُ في أيديهم، أوْ أيدي أعوانِهم وعُيونِهم، وقدْ جاءَ فيها بعدَ البَسْمَلةِ وختمِ الإمامِ، أميرُ المؤمنين المنصور باللهِ ربِّ العالمين.

إلى الهُمـام الأوحـدِ المـاجـدِ الأرشدِ عبدِالرقيب[3]، حرَسَهُ اللهُ وعافاه

---

(١) وثائق يمنية، تح سيد سالم، ١٤٦.

(٢) وثائق يمنية، ١٤٥.

(٣) هو عبـدالـرقيب الوادعي من آل الوادعي المعروفين بمناصرتهم للأئمة منذ سالف العصور والأزمان.

وأصلحَ دينَهُ ودنياه، والسلامُ عليه ورحمةُ الله.

وصولُها بعدَ وصولِ مكتوبِ الفخري عافاه الله، والمصدَّرُ منكم، الثمانون الريال، تقبَّل الله منكم صالحَ الأعمالِ، وصرَفَ عنكمُ الشرورَ والأوجالَ، وجعلَ مآلكم خيرَ مآلٍ . . . الخ[1] وتفيدُ الرسالةُ باستلامِهِ زكاةَ عبدِالرقيبِ، وقدرُها ثمانون ريالاً، وهو مبلغٌ يساوي الكثيرَ حينذاك.

ومِنْ ناحيةٍ أخرى، توضِّحُ الرسالةُ طبيعةَ العلاقةِ بين الإمامِ والأهالي القائمةِ على الثقةِ والتعاونِ، لا سيّما وأنَّ الإمامَ هو الزعيمُ الروحيُّ والدنيوي.

وعلى الجانبِ الآخر، فكثيراً ما كانت تُذاع النوازلُ والكوارثُ والمصائبُ والحوادثُ، التي تنزلُ بساحةِ أولئك المُتخلِّفين عَنْ أداء الزكاة، أو الممتنعين عنها، فالله ـ سبحانَه وتعالى ـ أرسلَ البَرَدَ على أراضي قريةِ هِزَم، القريةِ الكبيرةِ في عُزلةِ شِعْبِ من أرحب، فاجتاحَ البَرَدُ الثمرَ، وذهَبَ بأوراقِ الشجرِ؛ لأنّهم مَنَعُوا واجبَ العِنَبِ، ووقفوا عن أدائِه لجُباةِ الإمام. ومثلُ ذلكِ وقعَ لِعَنَبِ دَرْبِ عُبَيْد، مِنْ قبائلِ العقاربِ، في بلادِ صعدةَ، وذهبَتِ الرّوايةُ إلى أن وقوعَ البَرَدِ، اقتصَرَ على حدودِ أراضِ مانعي الزكاة، لمْ يتعدَّهم إلى غيرِهم[2].

ومثالُ ذلك أيضاً الصاعقةُ التي وَقَعَتْ بالرَّجُلين الذين سَلبا رجُلين مِنْ أتباعِ الإمامِ، جاءا بالزّكاة إليه، وكما وقَعَ لثلاثةٍ مِنْ حاشد، وذي غانم، الذين تعرّضوا لأحدِ قُبَّاض الزّكاةِ، وهو ناصر اليماني في مغرب عنس، ومنها ما حكاه عباسُ بنُ عبدِالله بن المؤيد عن الكوارثِ التي نزلتْ بالسيّد

---

(١) وثائق يمنية، ١٦٩.

(٢) الدر المنثور، ق ٦أ.

ناصـر حيَّاج من ساداتِ غُرْبَـان، لأنّه أرادَ التقليلَ من مِقدارِ نصابِ الزّكاةِ المقدَّرةِ على غراسه، وما وقعَ لمانعِ زكاةِ الغنم، حيث عدا الذئبُ على غنمِهِ وأخذَ بقدرِ الواجبِ من بين ألفِ رأسٍ غنم ملكِ الرجلِ، وغيرُ ذلك.

وفي رأينـا، أنَّ تلكَ النوازلَ ربما وقَعَتْ مصادفةً، غيرَ أنَّ في إذاعِتها ونشرِها بينَ الناسِ ترهيباً وترغيباً لهم، للمبادرةِ لأداءِ ما يترتّبُ عليهم. «فما ذهبَ مالٌ في برٍّ أو بحرٍ إلاّ سبَبُهُ الزكاةُ، فلا يَلوُمَنَّ أحدٌ إلاّ نفسَهُ وهواه»[1].

ـ الواجـــــب

والمقصودُ به: الواجباتُ الشرعيةُ للإمام عندَ الرعيّةِ، وهي محصورةٌ هنا بالخُمْسِ، ويلاحَظُ أنَّ مفهومَ مصطلـــح (الواجب) جاء مرتبكاً عند الإرياني في كتابه (الدرّ المنثور)، فيوردُه مقروناً بواجبِ الزكاةِ، أو واجبِ العنبِ، أو واجبِ المواشي أو غيرِ ذلك، وقد جاءَ في كتابِ (عيون الأزهار في فقهِ الأئمةِ الأطهار)، فصلٌ: «في مَنْ يجبُ عليه الخمسُ، فصلٌ في مصرفهِ».

فالخُمْسُ يجبُ على كلِّ غانمٍ في ثلاثـة: الأول، صيدُ البـرِّ والبحـرِ ومـا استُخْرِجَ منهما، أو أُخِذَ منْ ظاهِرِهما، كمعدنٍ وكنزٍ ليس لقطةً، ودرةٍ وعنبرٍ ومسْكٍ ونحلٍ وحَطبٍ وحشيش لم يغرسا، والثاني: ما يُغْنَمُ في الحربِ، ولو غيرَ منقولٍ، والثالثُ، الخراجُ والمعامِلةُ، وما يُؤخَذُ من أهلِ الذّمةِ[2]، وأما

---

(١) انظر حول العديد من الحوادث والكوارث والنوازل، فصل كرامات الإمام، ق٦أ، ب.

(٢) عيون الأزهار، ١٤٥، ١٤٨.

مصرفُه، فسهمُ اللهِ للمصالح، وسهمُ الرسولِ للإمام إن كان، وإلا فمعَ سهم الله، وأولي القربى الهاشميين المُحِقِّين، وهمْ فيه بالسويةِ ذكراً وأنثى، غنياً وفقيراً، ويُخصّصُ إن انحصروا، ثمّ من المهاجرين، ثمَّ مِنَ الأنصارِ، ثمَّ مِنْ سائرِ المسلمين.

ـ الغنائـــمِ

الغنائمُ والأنفالُ: وهي في الأساسِ الشرعيِّ ما استولى عليه المسلمون مِنْ أموالِ الكُفَّار بالقتالِ في ساحةِ المعركةِ من نقودٍ وذهبٍ وفضَّةٍ وجواهرَ وسلاحٍ ومتاعٍ ومؤنٍ وغيرِها، وأمرُها موكولٌ إلى الإمامِ، يتصرَّفُ فيها بالذي يرى أنَّهُ خيرٌ للإسلام والمسلمين، لهُ أنْ يوزِّعهَا، أو يوزِّعَ شيئاً منها على المحاربين الذين اشتركوا في المعركةِ، وإنْ رأى أنْ يضَعَها في بيتِ المالِ؛ لتنضَمَّ إلى بقيةِ الأموالِ من الفَيْءِ والخراجِ والجِزيةِ، لينفقَ منها على مصالحِ المسلمين، فعلَ[1].

وفي مثلِ حالةِ الحربِ الواقعةِ بينَ الإمامِ والأتراكِ، فالأساسُ الفقهيُّ فيها البغيُ، والباغي عندَ الزيديةِ: مَنَ يُظْهِرُ أنَّهُ مُحِقٌّ، والإمامُ مُبْطِلٌ، وحاربَ الإمامَ أو عزَمَ على حربِهِ أو منعَ منه واجباً أو قامَ بما أمْرُهُ إليه، وله منعَةٌ، وحكمُهم جميعُ ما مَرَّ في فصلِ كتاب السير من عيون الأزهار[2]، إلا أنَّ البغاةَ لا يُسْبَون ولا يُقْتَلُ جريحُهم ولا مدبرُهم إلا ذا فئةٍ أو لخشيةِ العود كلكُلِّ مبغيٍّ عليه. ولا يغْنَمُ من أموالِهم إلا الإمامُ وما أتَوْا به من مالٍ أو آلةِ حربٍ هي من غنائمِ الإمام[3].

---

(1) زلوم، الأموال في الاسلام، ٤٠.

(2) انظره في عيون الأزهار ٥١٧ ـ ٥٢٥.

(3) عيون الأزهار، ٥٢٥.

ويزخرُ كتابُ الدرِّ المنثورِ بأخبارِ الغنائم، التي حازها أتباعُ الإمامِ من العثمانيين وأعوانِهم، إبّانَ المعاركِ التي خاضَتْها قوّاتُ الإمام.

ومِنَ اللّافِتِ للنّظرِ، أنَّ ذلك النوعَ من الغنائم يستلزِمُ صدورَ أمرٍ من الإمامِ مباشرةً أوْ مِنْ قادةِ المجاهدين، للقيامِ بالغزوِ، أو بالتعرضِ لإمداداتِ القواتِ الباغيةِ، وكأنها فتوى شرعيةٌ بجوازِ ذلك، بعد تقليبِ الأمرِ من مختلفِ مناحيهِ الفقهية. وكانَ الإمامُ المنصورُ باللهِ يُعَيِّنُ منْ يتولّى قبضَ تلك الغنائِم. ومن ثَمَّ التصرف فيها، وَفْقَ وجوبِ صرفِها الشرعيِّ ففي معارِك سنةِ ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١ م غنِمَ أتباعُ الإمامِ أسلحةً وبنادقَ ومؤنةً من المنصورة[١].

وقد حرصَ مؤلفُ سيرةِ الإمامِ، الفقيهُ الإريانيُّ على التمييزِ بينَ تلك الغنائمِ التي حيزتْ بموجبِ أمرٍ إمامي، أو تلك التي طمعَ البعضُ في الحصولِ عليها والتي يدخُلُ بعضها في بابِ الغصْبِ والنّهْبِ، فنقرأُ في أحداثِ سنةِ ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩١م، المشارِ إليها أنَّ الإمامَ وجَّهَ السيَّدَ محمدَ بنَ محمدٍ المطاع إلى مدينةِ ذمار، ومدينةِ بريم لقبضِ ما في خزائنِ التركِ من البنادقِ الشيخشخانِ، والمؤنةِ لا غيرَ، فحازَ السيدُ المذكورُ ٧٣ قصبةً أي بندقية و ١٢ بغلة وفرساً[٢].

وفي روايةٍ أخرى، اتصلتْ بمدينةِ قَعْطُبَةَ، أُرسِلَ حسين بن يحيى الشامي إليها بموجب أمرِ الإمام، لأخذِ ما فيها من البنادقِ والأموال[٣].

---

(١) الدر المنثور، ق ١٨ب.

(٢) الدر المنثور، ق ١٤ب.

(٣) المصدر السابق، ق ١٩أ.

وفي حوادثِ سنة ١٣١١ هـ/ ١٨٩٣م، أمرَ الإمامُ المنصور بالله قبائلَ بني جبر، وقبائل بني نِهم بأخذِ كلِّ المجلوبِ للأتراكِ من الغنمِ والسَّمْنِ، وأنَّ كلَّ ما وجدوه من النوعين مع الجالبين له غنيمةٌ للآخذين[٣].

وفي غزوةٍ أخرى، أرسلَ محمدُ بنُ المتوكل ستين رجلاً للقبضِ على الحمُولةِ الواصلةِ من صنعاءَ للعجمِ، وقد غنموا ستةَ جمالٍ بحمولتها.

ولمَّا كانَ بعضُ أفرادِ القبائلِ يتشوَّقون إلى الغنيمةِ، ولم تمكِّنْهم الظروفُ الواقعةُ من سُرْعةِ الاتصالِ بالإمام أو بأحدِ عُمَّالِهِ أو بأمراءِ قوَّاتِه، فقد كان هؤلاءِ يتعرضون لإمداداتِ العدوِّ من سلاحٍ ومؤنٍ وغيرها، فيقع نهبُها، ومن ثمَّ يُبلِّغُ الإمامُ بذلك، ليطبِّقَ عليها الحكمَ الشرعي. أو أنهُمْ يتنازعون فيما بينهم. فقد تلقَّى الشيخُ ناصر مبخوت الأحمر، شيخُ مشايخِ حاشد في ١٦ ربيع الآخر ١٣٠٩هـ/ ١٩نوفمبر ١٨٩١م عيراً وبغالاً طلعتْ من تهامةَ، تحملُ القَمْحَ والأثقالَ، فنُهِبَ منها ثمانيةُ جمالٍ بما عليها من الأحمال[٤].

وغِنمَ بنو الصليحي مدفعاً في معركةٍ وقعتْ في ١٩ذي الحجة ١٣١٥هـ/ ٣٠ابريل ١٨٩٧م، في قفل شمر، وكذا ١٢٠٠ بندقيةٍ،ومؤنةً وذهَباً وأشياءَ نفيسةً أخرى. ولكنهم أوصلوا المدفعَ دونَ غيرِه من الغنائمِ لطرَفِ الإمامِ، وقد فرِحَ الإمامُ بهذِه الغنيمةِ؛ لأنه كان أوّلَ مدفعٍ يغنمُهُ المجاهدون من الأتراكِ، بالرغمِ من دفْعِهِ لثمنِهِ لهُمْ من بيتِ المال.

---

(٣) زبارة، محمد بن محمد، أئمة اليمن، ٢/ ١٣٢.

(٤) الدر المنثور، ق ٣٢أ، وثائق يمنية، ٢٤٤.

كما نُهِبَتْ حمولةُ العَجَمِ من قِبَلِ الشيخِ مسعود البارق، ومحمد مبخوت عندَ غولة عجيب، وجرى صراعٌ على الغنيمةِ بينَ أهلِ بيت زود والمجاهدين، فقد وقَعَتْ ولمّا يصدرْ أمرٌ بها من قِبَلِ الإمامِ[1]. وفي حادثةٍ أخرى، تلقّى المجاهدون بصحبةِ سيفِ الإسلامِ أهلَ الجلب الذي يجلبون المحتاجَ للأتراك من طعامٍ وغيرِهِ فأخذوه[2].

لقد شكّلتِ الغنائمُ مصدراً مُهِماً من وارداتِ الإمام، وبقدرِ ما كانت تدفَعُ البعضَ لقتالِ الأتراكِ، فقد كانتْ ـ من ناحيةٍ أخرى ـ مصدرَ شقاقٍ ونزاعٍ بينَ أفرادِ القبائلِ، تثيرُ كوامنَ عَدمِ الرِّضا، والتي تصِلُ في بعضِها لمرحلةِ الاستعدادِ لمقاتلةِ بعضِها البعض، لولا تدخلُ الإمامِ أو أحدِ رجالِهِ، مِنْ ذوي الحكمةِ والخبرةِ، لفضِّ أسبابِ التنازعِ والخصامِ.

ـ النــــذور:

والنذرُ في اللّغةِ، الإيجابُ، ويعني إلزامَ النفسِ أمراً، ومنهُ قولُه سبحانه: «إني نذرتُ لك ما في بطني» وفي الشرعِ، هو: أنْ يُوْجِبَ العبدُ على نفسِهِ أمراً من الأمورِ بالقولِ فعلاً أو تركاً، من عبادةٍ أو صدقةٍ أو غيرِ ذلك. وكانت النذورُ المتصلةُ بالإمام تُرْسَلُ إليه، ومثالُه: نذرُ حيدربنِ حسنِ بن مقبل فارع، الذي نذَرَ للإمام بلبنةِ في غولةِ الغشم في وادي المحجافي من بلادِ آنس، وهي الأرضُ التي احتاجت للريّ، بعدَ غرسِها، وانعدمَ الماءُ عنها بكلِّ الوسائلِ، ثمّ لما توسَّلَ بالإمام، كانَ أنْ جرى نهرٌ صغيرٌ في رأسِ أرضِهِ،

---

(١) الدر المنثور، ق ٧٦أ.

(٢) الدر المنثور، ص ٢٤٩ من (الزيادة).

فكانَ الوفاءُ بالنذر[1]، ومع أنَّ ذِكْرَ النذورِ محدودٌ في كتابنا هذا، فإنَّ ما وردَ في الكتابِ من كراماتٍ منسوبةٍ ومرويةٍ عن كراماتِ الإمام، تجعلُنا نميلُ إلى أنَّها كانت موجودةً، ويُمكن أنْ تُعَدَّ من مصادرِ التمويلِ والتموين.

ـ المعونـــة:

وهي الأموالُ التي تُجْمَعُ مِن الأهالي مِنْ حينٍ لأخرَ باسمِ معونةٍ أو معونةِ جهادٍ، للصَّرْفِ منها على الفِرَقِ العسكريةِ (حقّ الرتب)، وقد تكونُ صَدَقةً يقدّمُها الأهالي بمحضِ اختيارِهِم ورضاهُمْ، يتقرّبون بها إلى اللهِ، وينالونَ بِسبَبِها رضا الإمام، تدعمُها الآياتُ والأحاديثُ النبويةُ للبَذْلِ وتجهيزِ الغُزاةِ في سبيلِ الله. وقدْ وردَ في (حولياتٍ يمانيةٍ) أنّ الوالي أحمد فيضي جمعَ في مجلسِ الإدارة بصنعاءَ جماعةً كثيرةً من أهلِ صنعاءَ وأبلَغَهُمْ: «أنّا عَفَوْنا عمّا مضى، ولكنّا نعلمُ أنّ المدعوَّ حميدَ الدين منكم ومذهبَه مذهبُكم جميعاً، والمؤنةُ تخرجُ إليه منكم، والبنادقُ تبتاعونها له، والكسوةُ من لديكم، والزكاةُ من عندِكُمْ، تُساقُ إليه» وحذَّرهُمْ من مغبّةِ العقابِ الذي سينزِلُ بكلِّ متعاونٍ مع الامام[2].

ـ الغرامات:

وهي المبالغُ التي تُفْرَضُ على القبيلةِ أو الجماعةِ، فَتُقَسَّمُ على جميعِ أفرادِها البالغين الراشدين، ومُسبّبُها وقوعُ أحدِ الأفرادِ في خطإٍ ما، مثلِ القتلِ الخطإِ أو القتيلِ المجهولِ قاتلُهُ، في مكانٍ أوْجَبَ القسامةَ ولزومَ الدّيّةِ. ولا تكونُ الديَّةُ إلاّ مقسّطةً في ثلاثِ سنين، ومثالُ ذلك ما فرَضَهُ الإمامُ على أهلِ

---

(١) الدر المنثور، ق ٤٧أ.

(٢) حوليات يمانية، ٥٣٦.

جبل رازح في سنةِ ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م بسببِ وقوعِ نزاعٍ وشقاقٍ، فأغرَمهُمُ الإمامُ ديّاتِ القتلى، وكانت عشرينَ ألفَ ريالٍ تُدفَعُ على ثلاثِ سنين[١].

ومنها الغراماتُ التي تفرِضُها الدولةُ على مَنْ يرتكبون بعضَ الذنوب، أو مَنْ يقـومونَ بمخالفاتٍ للقوانين أو الأنظمةِ الإداريةِ والتنظيميةِ، فَتُؤخَذُ من مانعِ زكاةٍ زيادةً عن الزكاةِ الواجبةِ؛ تعزيماً له لِرَدِّ الأموالِ[٢].

ومعَ إدراكِنا بأنَ النوعَ الأولَ من الغراماتِ والقسامةِ إنما يكونُ مردودُها للوَرَثةِ، فإنَّ للإمام شيئاً من المالِ مقابلَ قضائهِ بينَ المتنازعين، وهي معَ النـوعِ الشـاني الذي تفرِضُه الدولةُ على المخالفين، يشكِّلُ وارداً مهماً من وارداتِ بيتِ المالِ للدولةِ.

وأخيراً، فإنّ ما ورِثهُ الإمامُ المنصورُ باللهِ من الأموالِ التي كانت في بيتِ المالِ، عندما توفيّ الإمامُ شرفُ الدين بنُ محمد الحسيني سنةَ ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، كانت المصدَر الماليَّ المُبكِّرَ، الذي استعانَ به الإمامُ المنصورُ عندَ خروجهِ ونهضتِهِ.

أما الإدارةُ الماليةُ للإمام، فقد كانت تقومُ على تحرّي الدّقةِ في الإنفاق، وتفقّدِ بيتِ المالِ، وتفقُّدِ المؤنةِ ومحاسبةِ الوكلاءِ، والنظرِ في جميعِ وارداتِ بيتِ المالِ.

وكانَ يقومُ على جبايةِ الإيراداتِ الماليةِ، جهازٌ إداريٌّ يقفُ على رأسِهِ الإمامُ، ويتْبَعُهُ مجموعةٌ من الوكلاءِ والقُبّاضِ (الجباة)، والمخمِّنين والعُدول.

---

(١) الدر المنثور، ص ٢٤٩ من (الزيادة).

(٢) زلوم، الأموال، ١٢٣.

والوكيلُ: هو الذي ينوبُ عن الإمامِ في القيامِ بالأعمالِ الماليّةِ، فقد كانَ الإمامُ يُنَصِّبُ وكيلاً له في كُلِّ هجرةٍ[1]، يقومُ بالصَّرْفِ على الأتباعِ، فكـانَ لهُ وكـلاءُ في حوث والأهنـوم وشُهَارة وودعة وغيرها. ويُناط بهؤلاءِ الوكلاءِ تسَلُّمُ الصَّدَقَاتِ، ومن ثمَّ الصرفُ. فقد أرسلَ الإمامُ الوكلاءَ لتقسيمِ المصرفِ لحاشد وبكيل، فناصر اليماني كان وكيلَه في مغرب عنس لتقسيمِ المَصْرفِ والمُحتاجِ[2] وعبدُالله بنُ يحيى، أبو منصر كان وكيلَ الصرفِ في حاشد. أما القابضُ أو القُبَّاضُ، فهو الموظفُ الذي يمرُّ على المزارعين في موسمِ الحصادِ، لقبضِ ما عليهِم مِنْ أموالٍ مطلوبةٍ ترتَّبَتْ وَفْقَ النصوص الشرعية، ويُسمى أحياناً بالجابي، وهذه الأموالُ تكونُ قد تعيَّنَتْ قَبْلَ ذلك من قِبَـل المُخمِّنين بشهادةِ العُدول. ولمّا كان المخَمِّنُ هو مَنْ يقولُ بالحدسِ - والتخمينُ يدخلُ في معنى الوهمِ والظـن، وقد يقع فيه الإجحاف، ويداخله شيءٌ من الإرجاف - فقد اشترطَ الإمامُ لوجوبِهِ شهادةَ العدولِ على مصداقيّةِ التخمين، وبُعْـدَهُ عن الـظلمِ والإجحافِ بحقِّ المترتِّبِ عليه، والعَدْلُ هو الشاهدُ الذي تتوفرُ فيه الشروطُ المؤهِّلةُ للشهادةِ فيما بينَ الناس، وهي أنْ يكونَ مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسبابِ الفسقِ وخوارِمِ المروءةِ، متيقّظاً،

---

(١) الهجرة: المكان الذي يهاجر إليه الفرد ليكون آمناً على دينه ونفسه، وقد تكون لتلقي العلم، وتكـون مركزاً لجذب العلماء والطلاب، وتكون للهجرة الكثير من الحقوق والـواجبـات، حول المصطلح انظر: يوسف عبدالله، مدونة النقوش اليمنية، مجلة الدراسات التاريخية، ٤٧ - ٧٥، وثائق يمنية، ٢١٦ - ٢٢٢ محمود الغول، مجلة الحكمة، ٤٣.

(٢) الدر المنثور، ق ٢٧أ، ب، ق ٣٩أ، ق ١٧٦أ.

غيرَ مغفَّلٍ، ضابطاً إنْ حَدَّثَ أوْ كتبَ[1].

ويبدو أنّ ظروفَ الحربِ التي كانَ يقودُها الإمامُ، كانت تمنعُ من تحقيقِ العدالـةِ المُـطْلَقـةِ في تقـديرِ الأموالِ المترتِّبةِ على الغُروسِ والثّمارِ وقتَ حصـادِهَـا، وفي مواسِمِها، ولذا حرصَ الإمامُ على تحقيقِ أكبرِ قَدْرٍ منها، فاشترطَ وجودَ الشّهودِ العُدولِ عندَ القيامِ بالتخمينِ، ومعَ ذلك، فقد وقعتْ بعضُ المخاصماتِ بسببِ ذلك، منها أنَّ المخمِّنَ قدَّرَ قَدَحَيْنِ ونصفاً زكاةً على غِراسِ السيدِ ناصر جيَّاج من ساداتِ غُرْبَان، فأبى إلّا أنْ يُسَلِّمَ قَدَحاً، ولذا تخاصمَ هو والعدولُ بِسَبَبِ ذلك، ثمَّ ما عتِمَ أنْ سلَّمَ القدحين بعدَ حادثةٍ وقعتْ له في منامِهِ، ولعلَّهُ تيقَّنَ من عدالةِ ذلكَ التخمين[2].

ومن ناحيةٍ أُخـرى، فإنَّ الإمـامَ كانَ حريصاً على تنميةِ مواردِه الماليةِ الذاتيةِ: فكانَ يأمرُ بشراءِ الأغنامِ والجِمالِ، لتوفيرِ اللُّحومِ لأتباعِهِ، ويُوْكِلُ أمرَ العنـايةِ بهـا لفئـةٍ من الأتبـاعِ. ففي شعبانَ من سنةِ ١٣١١هـ/ يناير ١٨٩٥م، وصلتْ إلى مقامِ الإمام بالقفلةِ أغنامُ التاجرَيْنِ: البورعي وجياش، وعددُها ٣٩٧ رأساً، وكانَ الإمامُ قد مَنَعَهُما من سَوْقِها من بلادِ صعدةَ إلى الأتراكِ بصنعاءَ، وسلَّم لهما ٩٥٠ ريالاً ثمناً لها، وهو بهذا يحاصِرُ الأتراك اقتصادياً ويمنعُ وصولَ مؤنةِ اللحومِ لهم[3].

كمـا ذهبَ الإمـامُ، في مجـالِ تنشيطهِ للتجـارةِ إلى أنْ جدَّد مَنْـحَ

---

(١) حسن الباشا، الفنون ٧٧٤.

(٢) انظر حوادث سنة ١٣١٦هـ.

(٣) أئمة اليمن، ٢/١٣٤.

الامتيازاتِ والتسهيلاتِ لأولئك التجارِ، الذين سبقَ تعامُلهم مع الأئمةِ، مقابلَ التزامِهم بالصِّدقِ والأمانةِ وحُسْنِ المعاملةِ مع الجُلابِ، الذين كانوا يحضرون تجارَتَهُمْ إلى صنعاءَ، مِنْ قبيلي ورعوي وبدوي، ويسلِّمونَها للدّلّالين، ففي رسـالةٍ تاريخُها شهرُ صفر ١٣١٨/ مايو ١٩٠٠م بعث بها الإمامُ إلى بيتِ الزُّبيدي، وهم أحدُ البيوتاتِ المعروفةِ في صنعاءَ، وقد عُرِفَ عنهم اشتغالُهُم بالتجارةِ، وكانَ بأيديهم إقراراتٌ من قِبَلَ الأئمةِ السابقين، باعتمادِهم كوكلاءَ في صنعاءَ لمصدِّري بضائعِ المشرقِ، حيث يتسلَّمون البضائعَ من الجلّابِ من أهلِ الريفِ، ثمَّ توزِّعُ على تجّارِ التجزئةِ أو المستهلكين، يطلب إليهم الإمامُ في هذه الرسالـة أن يشتهـروا بحسنِ المعـاملةِ والسيرةِ الحسنـةِ، وأن يُعـطوا الحقَّ لأصحابِهِ، فيدفعوا للمورِّدين أثمانَ بضائِعِهم، وبالمقابل فسيظلون محتفظين باستقبـالِ تجـارةِ المشـرقِ مِنْ ملحٍ وغيرِهِ باعتبارِهم دلّالين لتلكَ التجارة الرابحةِ، فقد جاءَ في الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختمُ: أميرِ المؤمنين المنصور بالله رب العالمين

بيتَ الـزُّبيدي[1]، السـاكنين بصنعاءَ: قدْ نَبَهَ وتقرَّرَ بأنَّهُم ممَّن سبَقَتْ لهم العنايةُ التّامةُ، والابتلاءُ الحَسَنُ في مواطنِ الجهادِ، وبذْلِ الأموالِ والأنفسِ في سبيلِ ربِّ العبادِ، مع الأئمةِ الأطهارِ ـ رضي الله عنهم ـ لأجلِ ذلك

---

(١) ورد في حوليات يمـانية، ٤٧٠ أن الحاج سعد الزُّبيدي، كانت تصل إليه حُمولة الملح، ينقصها في بيته، وكان كل ما وُضِعَ طعامٌ جيد أخذه له، وهو الذي يجمع ويخزن الحنطة والسمن للأتراك «المتقنطر لهم الحنطة والسمن».

جعلوا بأيديهم موضوعاتٍ تشهدُ لهم بذلك، معَ ما أكدّوا من حُسْنِ الرعايةِ والتبجيلِ والاحترامِ لهم ولخَلَفِهم، وجَعلوا لهمْ عوايدَ على الحمايلِ المشرقيةِ، الواردِ بها البدوُ إلى صنعاءَ، من ملحٍ ونحوِه، وذلك إلى مقابلِ دلالةٍ، وحفظِ مالِ الجُلّابِ، وقبضِ الثمنِ من المشتري بمشروطٍ عليهم: حسنُ المعاملةِ والسيرةُ الحسنةِ، وإيفاءُ الجُلّابِ بثَمنِ مجلوبِهِ، ومهما داموا على هذه الشروطِ، دام الجَلَبُ إليهم، وعلى العاملِ ضبطُ الجلابِ على التوقفِ على هذا، ومنعُ كلِّ معارضٍ لبيتِ الزُبيدي في معاشِهِم هذا، وهذا بعدَ الإطّلاعِ.

بتاريخه شهر صفر سنة ١٣١٨.

كانَ الإمامُ يعتمدُ في تمويلِ وتموينِ وتسليحِ قوّاتِه على المصادرِ التي ذكرناها سابقاً، وفيما عدا ذلك فكان يشتري ما يلزَمُ قوّاتِهِ من بيتِ المالِ من أي جهةٍ تصنعُ أو تبيعُ له السِّلاحَ والمؤنَ. ويلاحظ أنَّ الأسلحةَ الخفيفةَ البيضاءَ من سيفٍ وسكّينٍ (جنبية) وما إليها كانَ أمرُ الحصولِ عليها سهلاً ومتوفِّراً. فقد عَرَفتِ اليمنُ وما زالتِ كيف تحافِظُ على تلكَ الصناعةِ المحلِّيةِ: فالسيوفُ اليمانيةُ والجنبياتُ اليمانية أمرها مشهور، وفضلُ إتقانِ صَنْعَتِها معروف. أما المَرْتُ[١] (البنادقُ بأنواعِها، الشيخشان)[٢]، والمرْتُ السلطانيُّ، أي العثمانيُّ، والبنادقُ الفرنساوية[٣] المعروفةُ في اليمنِ «بأبوسك» فقدْ حصلتْ عليها القواتُ اليمانيةُ، إمّا من الغَنائمِ، أو بالشِّراءِ، ففي بدايةِ

(١) الدر المنثور، ق ٦أ.

(٢) الدر المنثور ق ٧٠أ، ب.

(٣) المصدر السابق ونفس الورقة.

التحضير لبدءِ النهضةِ والخروجِ ، أرسلَ الإمامُ بدراهمَ إلى مكةَ صحبةَ الحاج عليِّ بنِ محمدٍ ليشتريَ بها رصاصاتٍ وجمالاً، فاشتراها من الحرجة، ودخلَ الحجازَ ثم عَبَرَ طريقَ عقبة مخايل، حتَّى وصلتْ إلى قَفْلَة عُذَر[1]، ومعروفٌ أنَّ الرصاصَ للبنادقِ، والجمالَ للحملِ والانتقالِ ، في تلك المناطقِ الوعرةِ الصعبةِ المرتقى.

ويتّضحُ لنا من خلال الوثائق حرصُ الإمامِ على التزامِهِ بعدمِ الاستعانةِ بالإفـرنجِ الكَفَرةِ ضدَّ البغاةِ والظالمين من المسلمين، كما يدعُوهم الإمامُ وأتباعُه، وذلك حينَ استقبلَ الإمامُ الفقيهَ عبدَالله بنَ علي الحَضُوري، وهو صديقُ الإمـام وجـارُهُ، مُرْسَلاً مِنْ قِبَلِ الكاشفِ نامق في ربيع الآخر سنةِ ١٣١٠هـ/ اكتوبر ١٨٩٢م بدعوى الزيارةِ والاشتياق.

في الحقيقة كانت الزيارة لتفقُّدِ حالِ الإمامِ ، ولمعرفة: هل معه أو عنده إمداداتٌ من الأجانبِ، ذلك أنَّ الأتراكَ وأعوانَهم كانوا يتحدثون عن إمداداتٍ في السلاحِ والأموالِ ، وصلت إلى الإمام من الإفرنج، وذلك لتبريرِ ما حلَّ بهم بعـدَ الانتصـاراتِ التي حقَّقَتْها قواتُ الإمامِ على الأتراكِ، وعادَ الفقيهُ الحَضُوري وقد تيقَّنَ بطلانَ تلك الأقاويل. ولكن عادتْ تلك الإدعاءاتُ مرةً أخرى بل أكثرَ انتشاراً، إثرَ معاركِ رمضانَ من سنةِ ١٣١٦هـ/ يناير ١٨٩٩م، والتي ظهـرتْ فيهـا البنادقُ الفرنساويةُ عندَ القواتِ الإماميةِ، وكان أنْ كلَّفَ عبدُالله باشا، الياورَ عليَّ بنَ مثنى الحسيني، لمعاودةِ الكتابةِ إلى الإمامِ طلباً للصُّلحِ، وهدفُهُ، كشفُ حقيقةِ الإمداداتِ الفرنجيةِ وعلى الخصوص، البنادقُ الفرنساوية، ولذا بدأ الياورُ رسالتَهُ إلى الإمام بعباراتٍ، جاءَ فيها: «أنه وقعَ

(١) الدر المنثور، ق ٦أ.

سفكُ الدِّماءِ حتى بلغت القتلى إلى المليوناتِ، وإن التشويقاتِ والمعاوناتِ من بعضِ القراناتِ،ويقصدُ بذلك ممالكَ الفرنجةِ: فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، والمقصود هنا فرنسا ـ من بابِ تفريق شملِ االمسلمين[1]. ».

وهذه الإشارةُ ـ بلا شك ـ قُصِدَ بها البنادقُ الفرنساويةُ، التي استعملتْ في أوائلِ سنةِ ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م والمسماةِ «بأبوسك» وأن الإمامَ قد حصل عليها من الفرنسيين» وممّا أثارَ حميَّةَ الإمامِ واستفزَّه أنهم، ـ أي العثمانيين ـ قد روّجوا تلكَ الأخبارَ وأشاعوها في البلادِ، الأمرُ الذي دفعَ كاتبَهُ الإرياني لتوضيحِ كيفيةِ الحصولِ عليها، وذلك أنَّ الحربَ التي وقَعَتْ بينَ الدولة العثمانية واليونان سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، سبقها الإعدادُ من قِبَل اليونان، ومؤازرةُ الدولِ الفرنجيةِ التي أمدَّتْهُمْ بالبنادِقِ والسّلاحِ انتظاراً للحظةِ الثورةِ على الدولةِ العثمانيةِ. ولما هُزِمَ اليونانُ، وصلَ جماعةٌ منهم إلى ساحلِ عدن، ومعهم البنادقُ الفرنساوي، ومن ثمَّ أُجلوا إلى ساحلِ بحرِ فرنسا، وهناك صاروا يضبطونَ البنادقَ ويخرجونها معونةً للبدوِ، الذين كانوا يحاربون الدولةَ العثمانيةَ، ومن هؤلاءِ اشترتْ بعضُ القواتِ الإماميةِ ـ وخاصةً الأتباعَ ـ البندقيةَ الفرنساويةَ بعشرةِ ريالاتٍ، ومعها ثلاثون معبراً، أي رصاصة، وأما في فُرضةِ عدن، فقد ابتاع رجالُ الإمامِ البندقيةَ بخمسةِ ريالاتِ، ومع كلِّ بندقيةٍ صندوقُ رصاصٍ فيه ٢٠٠ حبةٍ، ذلك أنَّ اليونانيين المُرَحَّلين إلى سَاحلِ بحر فرنسا كانوا بحاجةٍ إلى الأموالِ، لمواجهةِ مُتَطَلَّباتِ المعيشةِ في تلك المنطقةِ الجديدةِ، وكانتْ تلكَ البنادقُ تفوقُ في فِعْلِها وتأثيرِها البنادقَ السلطانيةَ، لِهذا، صارَ الأتراكُ يتبرَّمون منها، وينشرون الأقوالَ عن وصولِ

(١) انظر وثائق يمنية، ١٤٥.

الإمداداتِ للإمام وقبولِه الاستعانةَ بالكُفّار ضدَّ المسلمين، وليسَ الأمرُ كذلك ـ كمـا اتضـح ـ وذلـك أن سلطانَ لحـج، كان مُشْتَبهـاً فيه في مرحلةٍ من المراحلِ ، من قِبَلِ الأتراكِ ، أنّه كان يستوردُ الأسلحةَ التي كانتْ تُرْسَلُ إلى الإمام، وكان السلاحُ الفرنسيُّ ـ الذي أشير إليه ـ من نوعِ القرابينةِ، وهو يُشْبهُ بندقية (الشيخشـان) الصغيرة، والعربُ قادرون على إعادةِ تعبئةِ الخراطيش، ومعـابرِ الذخيرةِ في البيوت. ويُلاحظُ أنَّ سوقَ شراءِ السلاحِ كان يقعُ في منطقةِ رأس العرى، التي تقعُ إلى الغربِ من عدن. أما (المَرْتُ) فهوَ مِنْ نوع مارتين هنري Martine – Henry rifle .

وعلى كلِّ حالٍ، فإنَّ كافةَ المصادرِ الماليةِ والتموينيةِ والتسليحيةِ لم تكنْ كافيةً لمواجهةِ الأعباءِ والمتطلّباتِ، التي تستوْجبُ مواصلةَ الحربِ، فقدْ كانَ عدمُ كفايتها من جهةٍ، والنقصُ الحاصلُ فيها من جهةٍ أخرى، وراءَ عَدَمِ تحقيقِ نصرٍ حاسمٍ لقواتِ الإمام، بل إنّهُ وَجَدَ نفسه في بعضِ الأحيانِ يجوبُ الجبالَ والوديانَ، ويعاشِرُ الوحوشَ ويأنسُ بالحيوانِ وهذا كلُّه، نتيجةً لعـدةِ عوامـلَ، سنُنـاقِشُها في مكانِها من الدراسةِ، إلاّ أنَّ مصادرَ التمويلِ والتموينِ والتسليحِ كانتِ مِنْ أهمِّها.

المطلب الثالث:

الاستراتيجيةُ العسكريةُ للقواتِ الإماميةِ:

اعتمدتِ القواتُ الإماميّةُ في حروبِها كافةَ الوسائلَ المعروفةَ في حروبِ التحـرير، بحيث كانت تجعـلُ القواتِ المعاديةَ في حركةٍ دائمةٍ، لا تعرفُ الـراحـةَ أو الاستقـرارَ، فقـد جمعتْ استـراتيجيةُ الامـامِ بين وسائلِ حربِ العصاباتِ، وبينَ حربِ الجيوشِ النظاميةِ، فكانَ الإمامُ وقادتُه مِن مقدّمين

ونقبـاءَ يتشـاورون قُبيلَ كلِّ موقعـةٍ، ويضعون الخُططَ المتوافقةَ مع ظروفِ وطبيعـةِ المـوقعةِ، وما وَردَ في مخطوطنا يدعمُ ما ذهبْنا إليه. فحينَ أُرسِلَ المقـدَّمي أحمدُ بنُ محمد الوزير إلى جبلِ اللوزِ في رجب سنة ١٣١٤هـ كانتْ تعليماتُ الإمامِ إليه أن يقتصرَ على مضايقةِ العدوِّ من بلادِ خَوْلان[1]، ولما رافق أَحمدُ بنُ محمدٍ الحديري الإمامَ إلى جبل عانز، اقتصرَ دورُ القواتِ على شنِّ الغاراتِ الخاطفةِ وقطعِ الطرقاتِ[2]، وحتى عندما انتقلَ الإمامُ إلى القُـطبين قريبَ القَفْلةِ، ودخـلَ العجمُ القَفْلةَ، وارتحلَ الإمامُ إلى الفيش، وخرجَ منها، لأنها ليستْ آمنةً، قامتِ القواتُ الإماميّةُ بمناوشهِ الأتراكِ من جبل عَيْشانَ بصورةٍ مستمرةٍ[3]، وكانتْ وسيلةُ قطعِ الطرقِ والمسالكِ، استراتيجيةً ثابتةً لدى القواتِ الإمامية، سواءً في البرِّ أو البحرِ، فإذا ما وصلتِ الإمداداتُ من البحرِ اعترضَتْها القوّاتُ الإماميةُ، لتحولَ دونَ وُصولِها.

والتلغرافُ، الذي كانت الأخبارُ تصلُ بواسطتِهِ في لحظةٍ، بعدَ أنْ كانَ الأمرُ يقتضي ستةَ أشهر لتصل الأخبار إلى استانبول، هذا التلغرافُ كان كثيراً ما يُسبب الضيقَ للقواتِ الإماميةِ، لذا جعلوه هدفاً لهم. فقبائلُ خَوْلان أُمِرَتْ في حصـارِ صنعـاءَ سنـةَ ١٣٠٩هـ بقـطعِ التلغـرافِ، وفي حروبِ الحيمةِ الداخليةِ قُطِعَ التلغرافِ أيضاً، ولتعطيلِ وسيلةِ الاتصال حتى أنَّ الإمامَ كان يقدِّمُ المكافآتِ الماليةَ لِمَنْ يقومُ بقطعِ خطوطِ التلغرافِ، واحضارِ ما يمكنُهُ مِنْ خيوطِهِ وآلتِهِ، فقدْ كافأ رجالَ أرحبَ حين نجحوا في قطعِ خيوطِ التلغرافِ

---

(١) الدر المنثور، ق ٥٢ب.

(٢) الدر المنثور، حوادث سنة ١٣٠٩هـ، وقعة وادي علي في الحَيْمَة.

(٣) الدر المنثور، ق ٣٩أ.

من حولِ صنعاءَ سنةَ ١٣١١هـ وقد استمرَّ قطعُ خطوطِ التلغرافِ مِنْ قاعِ سُهمانَ ببلادِ البستانِ غرباً من صنعاءَ إلى المصبانةِ، التي بالقرب من سورِ صنعاءَ تحتَ جبل عصر، ويبدو أنَّ الأتراكَ قد أدركوا ضَعْفَ خطوطِ التلغرافِ القـائمةِ على أعمدةٍ خشبيةٍ، فقاموا باستبدالِ هذه الأعمدةِ الخشبيةِ بأخرى حديديةٍ، ومـع ذلك، فقد داوَمَ رجالُ القبائلِ على تحطيمِ أعمدةِ الحديدِ وخاصةً رجالَ أرحب، حتى ليظنُّ الباحثُ وكأنَّ هذه المهمةَ قدْ أوكلت لهؤلاءِ الرجالِ فحسب[1].

ويلاحظُ في التقرير الذي رفعه عبدُالرحمنِ بنُ الياس المدني أنّهُ أوْصى بتغييرِ خطِّ مسارِ التلغرافِ، فقد أوْصىٰ بأن يُمَدَّ التلغرافُ مِنَ اليمنِ، من مدينةِ صنعاءَ إلى عسيرٍ، ومنها إلى الطّائف، ثمَّ إلى المدينةِ المنوَّرةِ، أي مِنَ اليمنِ وإلى الحجازِ فالآستانة، وكأنه كان يُحَذِّرُ من مغبَّةِ الاستماعِ أو التنصُّتِ، أو التقاطِ البرقياتِ المُرْسَلةِ من اليمنِ إلى استانبول، مع ما في ذلكَ من محذورِ درايةِ الإمامِ بما يصدرُ عن القواتِ العثمانيةِ في اليمن.

ـ ولجأت القواتُ الإماميَّةُ إلى دسِّ القنابلِ المتفجِّرةِ، وفتائلِ البارودِ، لإحـراقِ المـراكـزِ العثمـانيةِ. ففي وقعـةِ بيت ماطـر، أحـرقوا بالبارودِ بيتَ الحسيني، مركزَ العثمانيين، وفي وقائعِ سنةِ ١٣١١هـ، أحرقَ بعضُ رجالِ أرحبَ القلعةَ، التي عمَّرها الأتراكُ فوقَ القَطْعِ المعروفِ خارجَ حصنِ كوكبان شبام، كما أُحْرِقَتْ بالبارودِ دارُ الحكومةِ، التي فيها عاملُ الأتراكِ على بلاد

(١) حول قطع التلغـراف، انـظر، حوادث سنة ١٣٠٩، أئمة اليمن، ١٣٢/٢/، وق ٤٩أ ـ ب، من الدر المنثور.

الحيمـةِ، ومثلُ ذلكَ وقعَ في دارِ أحدِ قادةِ الأتراكِ في بئرِ العَزَب، الكائنةِ بالقربِ من مسجدِ توفيق وكذا دارِ الحكومةِ، التي كانت مقرّاً للقاضي الحنفي في ميدانِ قصـرِ صنعـاءَ غربي جامـعِ البكيرية، وتم كذلـك إحـراقُ مركزِ الاتصالات التلغرافيةِ الكائنةِ جنوبيَّ حمامِ الميدانِ، وغربيَّ قصرِ صنعاءَ، وتمَّ إحـراقُ دارِ الحكـومةِ في زِراجةَ، مركزِ ناحيةِ الحدا، ودارِ الأجزخانةِ، دارِ الـدواء، الكـائنـةِ شرقيَّ مسجـدِ حجـر، وجنوبيَّ حمّامِ المتوكل المعروفِ بصنعاءَ، وكانَ فيها جملةٌ من الأدويةِ والعلاجاتِ الطبيّةِ.

وكـانت القـواتُ الإمـاميّةُ تترصَّدُ الأماكنَ التي يُقيمُ فيها قادةُ الأتراكِ، فيحتالون للوصولِ إليها ونسْفِها على مَنْ فيها، فقد نَجَحَ أحدُ رجالِ الإمامِ في التسلُّلِ إلى سمسرةٍ تعودُ إلى صاحبِ وُعْلان، علي يحيى ـ الذي بات فيها محمدُ بنُ حسنِ بنِ صلاح فايع، مديرُ سنحان من قِبَلِ الأتراك، وصحبتَه جماعةٌ من عُقالِ وُعْلانِ وضبطيةِ وأتراكٌ ـ حيثُ أظهَرَ الرجلُ أنَّ ما يحملُه حمارُه انما هو وقرُ حبٍّ، وفي حقيقةِ الأمرِ كان وقرَ بارودٍ، ومنْ ثمَّ نسَفَ السمسرةَ على ما فيها، حيثُ هلكَ أكثرُ من ٣٥ رجلاً، وما في السمسرة من دوابَّ: بغالٍ وغيرِها تعودُ إلى الأتراكِ وأعوانِهم[١].

ـ ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ الإمامَ أجازَ لأتباعِهِ الفَتْكَ بأعوانِ الأتراكِ والذين يغدرون بقوّاتِهِ، حيثُ استندَ على فتوى تُبيحُ قتلَ المُضرِّ من أعوانِ الظَّلَمةِ، فقد أصدَرَ الإمامُ أوامِرَهُ بقتلِ ابنِ قُنبعٍ، باعتبارهِ فاسقاً مرتداً، وكان قد وصلَ

---

(١) حول النسف والتفجير والاحراق، انظر، ق ٣٥ب، أئمة اليمن، ٢/١٣٢ ـ ١٣٣، ١٧٩ـ١٨١، و٥٥ب ـ ٥٦أ، من الدر المنثور

إلى طَرَفِ الإمام مظهراً التوبةَ، وأقامَ عندَه مدّةً، حتى إذا كانت وقعةُ جبلِ اللوز، أخذَ بندقاً وهربَ إلى طَرَفِ الأتراكِ، وقدْ جَدَّ الإمامُ في طَلَبِهِ حتى ظفرَ به محمدُ بنُ عبدِاللهِ بنِ الإمام، وقتَلَه، وطلبَ إلى رجالِهِ قتلَ بعضِ السادةِ، أمثالِ محمدِ بنِ محمد جغمانَ، الذي كانَ يُناصِبُ الإمامَ العداءَ ويتناولُهُ بالسوءِ في أحاديثِه، ويحرِّضُ ضدَّ القواتِ الإماميةِ، وقَتَلَ ابنَ ناشر الذي خادَعَ القواتِ الإماميةَ في معارِكِ سَنةِ ١٣١٧هـ[١]، وفجَّرت قواتُ الامام دارَ صالح متاش، ودارَ محمدِ بن محمد الحيمي الصنعاني، الكائنةَ شرقيَّ مسجدِ معاذ، وكان يبيتُ فيها الشيخُ أحمد دهاق من قريةِ تنعم ببلادِ خولانَ، وكانَ يُنسَبُ إليه الإضرارُ بأهلِ محلِّهِ[٢].

ويتّضِحُ أنَّ قادةَ الأتراكِ قد هَزَّتْهُمْ تلك التفجيراتُ، مما دعا أحمد فيضي لأنْ يقولَ: إنّا مسلمون وأنتُمْ مسلمون، كيف تصنعون بنا يا معاشرَ العرب!، وقيل له رداً على ذلك «إنَّ مدافعَكُمْ هذه لا يجوزُ أن يُقاتَلَ بها المسلمون، وإن العربَ لما رأَوْا مدافِعَكُمْ، قابلوها بهذه المكيدةِ جزاءً وفاقاً[٣].

وحتى المياهُ، فقد لجأ أتباعُ الإمامِ إلى تسميمِها بأمرِ الإمام، فأهلُ السِّنتين فعلوا ذلك ضدَّ القواتِ العثمانيةِ في ولايةِ أحمدِ فيضي[٤]، عندما اتَّخذَ من الفتكِ والتنكيلِ بأهلِ اليمنِ سياسةً رادعةً.

---

(١) حول ملاحقة أعوان الأتراك، انظر، حوادث سنة ١٣١٦هـ.

(٢) أئمة اليمن، ١٨١/٢، ١٤٢/٢، ق ٥٥ب - ٥٦أ، من الدر المنثور.

(٣) الدر المنثور، ق ٣٥ب.

(٤) الدر المنثور، ق ٣٧.

وبـالإجمـال ِ، فإنَّ القـواتِ الامامية اتخذت مبدأَ إيجادِ القاعدةِ الآمنةِ لتنـطلقَ منهـا في مهاجمةِ القواتِ المعاديةِ ومحاصرتِها. وإنْ لمْ يكنْ ذلك ممكناً لجأتْ إلى حروبِ العصاباتِ، وإيقاعِ الخسائرِ الفادحةِ بصورةٍ مستمرةٍ متواصلةٍ بالقواتِ المعاديةِ، لتُجْبِرَ القواتِ العثمانيةَ على الحركةِ الدائمةِ، تثيرُ الغبارَ من تحتِ أقدامِها دوماً، لا تتركُ لها مجالاً للاستراحةِ أو تعطيها الفرصةَ لاعادةِ تنظيم وجمع ِ صفوفِها.

وبالرغم ِ من اتخاذِ القواتِ العثمانية الإجراءاتِ الوقائيةَ للحدِّ من هجماتِ القواتِ الإماميةِ، مثلَ: مضاعفةِ الدورياتِ في صنعاءَ، من العساكرِ النظاميةِ العثمانيةِ، وسدِّ منافذِ الدخول ِ والخروج ِ إلى المدنِ، وخاصةً في صنعاءَ، واعتقـال ِ وحَبْسِ أهـالي المنـاطقِ المجـاورةِ للمـراكـزِ العثمانيةِ، فإنَّ هذهِ الاجراءاتِ لم تُفْلحْ في إنهاءِ أو الحدِّ أوالتقليل من الهجماتِ الإماميةِ الخاطفةِ.

هذا، وقد وقفْنا عندَ مصطلح ٍ، كثيراً ما جاءَ في ثنايا المَتْنِ، وفي الوثائقِ الإماميّةِ بصفةٍ خاصّةٍ، والكتاباتِ اليمانيةِ بصفةٍ عامةٍ،وهو مصطلحُ «الرُّتْبة». ففي وثيقةٍ يمنيةٍ يعودُ تاريخُها إلى شهرِ محرم الحرام سنةَ ١٢١١هـ، تردُ عبارةُ «وكذلك المعوناتُ، وحقُّ الرتب». وقد ذهبَ ناشِرُ الوثيقةِ إلى تفسيرِها بالفِرَقِ العسكريةِ[١]، ويبدو أنَّ التفسيرَ كان عامّاً، فمِنْ خلال ِ دراستِنا للكتابِ الذي ننشرُه، وردَ المصطلحُ كما يلي:

في حوادث سنـةِ ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، المتصلةِ بواقعةِ الحُقَيْبَةِ من بلادِ

---

(١) وثائق يمنية، ١٢٨.

عُتُمةَ، استدعى الشيخُ صالحُ بنُ يحيى الأسدي من الإمام «ترتيبَ القلعة»، وإرسالَ المقدّمي، لإقامةِ الحقِّ في بلادِ عُتُمةَ، وأضافَ مؤرِّخُنا عبارةً توضيحيةً هي: «والشيخُ صالحٌ وقرابَتُهُ وأسلافُهُ رتبةُ القلعةِ في الدولةِ القاسمية». فإذا عرفنا أنَّ الدولةَ القاسمية كانت في اليمن من سنةِ ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م - ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م، أدركْنا عندَها أنَّ أسلافَ الشيخِ - صالحِ بنِ يحيى الأسدي قد توارثوا هذه الوظيفةَ وامتيازاتِها لأكثرَ مِنَ ثلاثةِ قرونٍ هجريةٍ[1].

وفي حوادثِ شوال ١٣١٢هـ/١٨٩٤م وحين وصلَ الشيخُ عبدُالعزيز الشحرةُ، صاحبُ حصنِ حب، راغباً في نصرةِ الإمامِ، اشترطَ الإمام عليه رضى بقيةِ رتبةِ الحصنِ من بني الشحرة[2].

وفي أحداثِ رجب ١٣١٦هـ/١٨٩٨م وردت عبارةُ رتَّبَ الإمامُ شُهَارةَ، ومثلُها في رمضانَ ١٣١٧هـ١٨٩٩م أرسلَ الإمامُ إلى حصنِ الطيلي «عسكراً ورُتْبةً»[3]. وكثيراً ما تردُ عبارةُ «رتبوا»[4] أو «رتَّب المجاهدين[5]»، أو «رتَّبَ المقدمةَ المعروفةَ في حصنِ شُهَارة[6] أو «رتبوا البلادَ»[7] وفي غيرِها «أُطلِقَ بعضُ الحصونِ لرتبةِ الإمام»[8].

---

(١) الدر المنثور، ق ٤٧أ ـ ب.

(٢) الدر المنثور، ق ٤٥ب.

(٣) الدر المنثور، ق ٨٨أ.

(٤) نفس المصدر، ق ٦٠.

(٥) انظر حوادث رجب ١٣١٩هـ.

(٦) الدر المنثور، ق ٥٠أ.

(٧) المصدر السابق، وقائع البلاد الانسية. (٨) الدر المنثور، ق ٨٦أ.

ويُفهمُ من تحليلِ الإشـاراتِ السـابقة أنَّ الرتبةَ كان يُقْصَدُ بها الفرقُ العسكريةُ التي أنيط بها أمرُ الدفاعِ عنِ القلعةِ أو البلدةِ أو الحصنِ، وقد جُعِلتْ لهذا الغرضِ مقابلَ امتيازاتٍ تُجْعَلُ لها، ففي ترتيبِ الإمامِ لشُهَارةَ في رجب ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م جعلَ فيها الإمامُ ما يحتاجُ إليه الرتبةُ لمدةِ ثلاثِ سنين، فقد شحَنها بالحبوبِ والملحِ والحطبِ والقشرِ والسليطِ والمؤنةِ وغيرِ ذلك من المحتاجاتِ من زبيبٍ وتمر. ورتَّبَ فيها بنحو أربعِ مئةِ نفرٍ، وفي شُهَـارة الفيش بنحوِ مئةِ نفرٍ[1]، فإذا أضَفْنا إلى ذلك وجودَ الماءِ بكثرةٍ في شُهَارةَ ثمَّ وعورةَ المنطقةِ وصعوبةَ المُرتقى إلى الحصنِ، أدركْنا عندَها أنَّ هذه الرتبةَ إنما كانتْ مُعَدَّةً للدفاعِ عن الحصنِ أو غيرِه، بمعنى أنها كانتْ قواتٍ دفاعيةً ثابتةً، مهمَّتُها الأساسيةُ الحفاظُ على الموقعِ، وعدمُ تمكينِ العدوِّ منهُ، بِحُكمِ أهميّتِهِ العسكريةِ الاستراتيجيةِ.

وفي حالـةِ الشيخِ عبدِالعزيز الشجرةِ، كانت الرتبةُ في بني الشحرةِ، فطلبَ الشيخُ عبدُالعزيز من الإمامِ جُعْلًا، يكون لرتبةِ الحصنِ، فاستجابَ الإمامُ، وشحَنَ الحصنَ بالزادِ والمؤنةِ، وحتى الدراهم، وقد بعثَ بها مع حمادِ الروضي، والقاضي عليِّ بنِ محمد الخباني، اللذين أمرهما بأنْ يجمعا محتاجَ الحصنِ من الحبِّ والمؤنة[2].

وأما في الحالاتِ الأُخرى، فحينَ محاصرةِ معقل ضَوْرَان وأسرِ القائمقام محمد رؤوف، وأحمد آغا وجماعةٍ، فإنَّ أهلَ البلادِ الآنسيةِ، أظهروا الطّاعةَ

(١) الدر المنثور، ق ٦٨ب.

(٢) المصدر السابق، ق ٤٥ب.

ورتّبوا البلادَ.

وحين نجحت القواتُ الإماميةُ بقيادةِ سيفِ الإسلام، محمدِ بنِ المتوكل، في قتلِ ابنِ ناشر في جمادى الأولى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م في بلادِ السودةِ، أعلنوا التَّوبةَ، واستقرّتِ البلادُ هناكَ، وأُطلقَتْ بعضُ الحصونِ لرُتبةِ الإمامِ وأظهروا الانقيادَ، وتخلّى عن البلادِ، ورُقِمَتْ على ذلك المواثيقُ(١).

وفي مرّاتٍ أخرى، فإنَّ المُقدَّمي، عبدَالله بنَ يحيى، أبـا منصر، رتَّبَ المجـاهـدين، وقسَّمَهم على العنـواتِ. وفي حصـارِ صنعـاءَ جرى ترتيبُ القبائلِ، كلٌّ في مكانٍ مخصّصٍ له.

وهنـاك إشـارةٌ لافتـةٌ للنّظرِ، اتّصلتْ بإصلاحِ الأحوالِ في شُهَارةَ سنةَ ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، فبسببِ ما وقـعَ مِنَ الظّلمِ من سادةِ شُهَارةَ، وما وقعَ بينهم من سفْكِ دماءٍ، فقد أمرَ الإمامُ بترتيبِ المقدّمةِ المعروفةِ في حصنِ شُهَارةَ، وهي قصبةٌ فوقَ بابِ النصرِ، تتحكّمُ بالدُّخولِ والخروجِ إلى شُهَارةَ، فلمّا رتّب الإمامُ هذه المقدّمة، ذهبتْ تلك المناكرُ العظيمةُ(٢).

وإزاءَ كلِّ ذلك، فإنَّ مصطلحَ الرُّتبةِ قد تضمَّن ثلاثةَ مفاهيمَ:، هي:

ـ رتبةٌ تكونُ من أهلِ البلادِ أو القبائلِ، تتولّى مهمةَ الدّفاعِ عنِ المكانِ ضدَّ العدوِّ، وتكونُ لها المعوناتُ المقدَّرةُ لتوفيرِ ما يحتاجون إليه من سلاحٍ وزادٍ ومؤنـةٍ وإنعـاماتٍ ماليةٍ، تصِلُ حدَّ الامتيازاتِ المُتوارَثةِ، كما في حالةِ

---

(١) المصدر السابق، ق ٨٦أ.

(٢) المصدر السابق، ق ٥٠أ.

حصن حب وحصن الحُقَيبةِ من بلادِ عُتُمةَ، الذين توارثوها منذُ عهدِ دولةِ الإمامِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ علي.

- رتبةٌ تكونُ مِنْ عساكرِ الإمامِ مباشرةً، يُناطُ بها تدعيمُ القوةِ الدّفاعيةِ لأهلِ البلادِ، حيثُ تُرْسَلُ مباشرةً مِنْ قِبَلِ الإمامِ أو قوّادِهِ، وهذا النوعُ من الرتبةِ إنما يُفْرَزُ مِنَ الجُنْدِ الإماميّ، حيثُ يُكلَّفون بمهمّةٍ مُحدَّدةٍ، كحفظِ الأمنِ والسّلامِ بينَ المتخاصمين من رعيةِ الإمامِ، كما في حصنِ شُهَارةَ وإصلاحِ الأحوالِ بها، أو التصدّي لقواتِ العدُوّ عندَ توجُّسِ الخطرِ، مثلَ ما وقعَ في حصنِ حب وحصنِ الطليلي.

- ورتبةٌ اقتضَتْها ضروراتُ المعاركِ الواقعةِ، واستجابةً لخطةٍ عسكريةٍ، كما في ترتيبِ شعوبِ، وبلادِ السودةِ، وموقعةِ قريةِ دَعَّان حين رتّب المقدّمي عبدُالله بن يحيى أبو منصر، المجاهدين، وقسّمهُم على العنواتِ - أي أماكنِ الاعتراضِ - لتشديدِ الحصارِ ومنعِ العدوِّ من الهروبِ أو النّفاذ منها خارجَ نطاقِ دائرةِ الحصار.

ويُلاحظُ أنَّ هذه الاستراتيجيةَ الحربيةَ كانت واضحةً في الطرفِ الإمامي، تدلُّ على مدى الحيطةِ والحذرِ واليقظةِ التي تميّزت بها العقليةُ المحاربةُ عندَ الإمامِ وقوّادِه.

المطلب الرابع:

المعاركُ الكبرى:

- حصارُ صنعاءَ الأول:

ما كان قصدُنا أن نؤرِّخَ في هذه الدراسةِ للمعاركِ التي خاضَتْها القواتُ الإماميةُ ضدَّ الأتراكِ في اليمنِ، فما مِنْ منطقةٍ في اليمنِ إلّا ووقعَ فيها غزوةٌ أو سريةٌ أو إغارةٌ أو معركةٌ كبيرةٌ، ومِنْ هنا، فإنّنا نميلُ إلى الرأيِ الذي أشارَ إليه الواسعي بصددِ تلك المعاركِ، حينَ قال: «إنَّ المعاركَ والملاحِمَ التي وقعتْ بينَ قواتِ الإمامِ وقواتِ الأتراكِ، تملأُ الدفاترَ وتُنْضِبُ المحابرَ، ومامِنْ قبيلةٍ ولا بلادٍ من الزيديةِ في اليمنِ إلّا ولهُ فيها معركةٌ[1]»، وحينَ أرَّخَ الإريانيُّ لهذا الجانبِ من سيرةِ الإمامِ المنصورِ جعلَ عنوانَ الفصل: «في ذكرِ الوقائعِ التي طالَ ذكرُها وانتشرَ أمرُها، وصكَّتِ المسامعَ»، فكأنَّ الإرياني قد اقتصَرَ على ذكرِ المشهورِ فيها، وما ذاعَ أمرُه. وبعمليةٍ إحصائيةٍ لتلك المواقعِ والمعاركِ التي أُفرِدَتْ لها عناوينُ، نرى أنّ عددَ تلك المواقعِ والمعاركِ قد تجاوزَ مئةً وخمسين معركةً، أُفرِدَتْ لها عناوينُ في ثنايا السيرةِ، غيرَ أنّنا سنحاولُ أنْ نتناولَ بعضَ المعاركِ الكبرى التي كانَ لها تأثيرُها في سَيْرِ الحربِ، وبالتالي الميلَ إلى المصالحةِ، وتحقيقَ السلامِ بينَ الطرفينِ، وكانَ حصارُ صنعاءَ الأوّلُ مِنْ أهمّ تلك المعاركِ.

كانَ الإمامُ يطمحُ إلى الاستيلاءِ على صنعاءَ، باعتبارِها المركزَ والعاصمةَ، سيّما وأنها محاطةٌ بالقبائلِ الزيديةِ التي تسكنُ حولَها، ومُسَوَّرةٌ

---

(1) الواسعي، فرجة، ٢٦٨.

بالجبالِ التي تزيدُ مِنْ مناعتِها ويكون الدِّفاعُ عنها سهلاً.

وكان لانتصارِ القواتِ الإماميةِ في موقعةِ الشاهلِ في ٢٢ شوال ١٣٠٨هـ، أثرُهُ في سرعةِ مناصرةِ القبائلِ للإمامِ في مسعاهُ لدخولِ صنعاءَ، «لما في ذلكَ مِنْ حَسْمِ مادةِ الفِتَن، وإخمادِ نارِ المِحَنِ» ـ كما يرى مؤرِّخُنا ـ، فقدْ كانتْ خسائرُ الأتراكِ في موقعةِ الشاهل فادحةً، إذْ قُتِلَ منهمْ أكثرُ مِنْ مئةٍ، وممّا زادَ في وهنِ الأتراكِ في هذه المعركةِ قَتْلُ محمّد عارف، قائدِ القواتِ التركيةِ المهاجمةِ، واحتزازُ رأسِهِ، والطوافُ بهِ في البلدانِ، ومن نتائجِ هذه المعركةِ كما عبَّرَ عنها الإرياني أنْ «صارَتْ للعجمِ خافضةً وللمجاهدينَ رافعةً»، بل إنَّ الوالي إسماعيل حافظ كتبَ بأخبارِها إلى كلِّ الإداراتِ التركيةِ في اليمنِ. وأما على الطَّرفِ الإمامي، فقدْ قيلتْ فيها الأشعارُ وتغنّى فيها النُّظّامُ، فزادتِ الحميةُ اشتعالاً، وترتَّبَ عليها نجاحُ قواتِ الإمامِ في السيطرةِ على حصنِ الظَّفيرِ من بلاد حجّةَ والظهرين، وأعلنتْ بلادُ أرحبَ مؤازرَتها للإمام، واستعدادَهُمْ لمحاصرةِ صنعاءَ، وقَدْ أعلنت القبائلُ الأخرى مؤزارتها للإمام كذلك، مثلُ؛ همدان، وبني الحارث، وعيال سُريح، وبني حشيش وسنحان وخوْلان، وبني بهلول، حيث اجتمعوا ـ لهدفِ المؤازرة تلك ـ في جَرْبَان، شمالَ صنعاءَ، وقد بلغَ عددُهم ٨٥٠٠ نفرٍ: خمسةُ آلافٍ من أرحبَ، وثلاثةُ آلافٍ من همدان، وخمسُ مئةٍ من عيال سريح.

وعقد المقدّمي أحمدُ بنُ محمد الشرعي لكلِّ قومٍ رايةً، واتّجهوا نحوَ بلادِ البستانِ، فانضمَّ إليهم أهلُ البلادِ والأهجرِ، وساروا حتّى وصلُوا قريةَ مَسْيَب غربَ صنعاءَ، ومِنْ ثمَّ كانت مواجهةٌ عندَ رأس نقيل بيت نعم، وهُزِمَ

المجاهدون إلى ذَرْحانَ، ولما أحاطَ بهم الأتراكُ من كلِّ جهةٍ، فَكَّ الحصارَ عن القواتِ الإماميّةِ هجومُ الشيخِ يحيى بن يحيى دوده من الشرقِ، وهجومُ أحمدَ بنِ محمد الشرعي من جهةِ القبلةِ، فانهزمَ الأتراكُ إلى جنوبِ ذَرْحانَ، حيثُ طاردتْهُم قواتُ الإمامِ في المِنَقبِ، وحَجَر سعيد وشِبَام وكَوْكَبَانَ، وقرى الأبْذَر وبني الفِليحي. ثم إلى بيت عُلْمَان، وكانت وقائعُ أخرى في مدينةِ حَجَّةَ وقُفل شمر. حتى إذا كانت سنةَ ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م. وقعَ الحصارُ على صنعـاءَ بعد أنْ تراجع الأتراكُ مهزومين حتى دخلوا إلى قاع اليهودِ، غربَ صنعـاءَ، وأُغلِقَتْ جميعُ أبوابِ المدينةِ، وسيطر الخوفُ على أهلِها، وعلى الأتراكِ المحصورين. وكانتْ قبائلُ أرحبَ، وهَمْدَان، وبنو حِشَيْش، قد دخلوا الـروضةَ وشدّدوا الحصارَ على صنعاءَ، وانضافَ إليهم قبائلُ سَنْحَانَ، وبنو بهلول، وبـلاد الروس، الذين تعاقدوا على قطعِ الطريقِ على الأتراكِ من جميعِ الجهاتِ، وسيطرتْ قواتُ الإمام على جَبَلِ نُقُم، وأحاطت قواتُ الإمام بصنعـاءَ من كلِّ جانبٍ، حيثُ كانتْ هَمْـدَانُ، وبنو الحارثِ في الروضةِ، ورجالُ بني حِشَيْش وبني جبر في بيتِ اللّهيدةِ في سَعْوَانَ، والحاجُ شريانُ بنُ حزام مرح، ومَنْ معه من رجالِ أرحبَ وبلادِ البستان في حدَّة، وأحمدُ بنُ محمـد الشـرعي، وقواتُه في بيتِ عِذْرَان، ومحمدُ بنُ الإمامِ بمنْ معه من قبائلِ خولانَ، وسَنْحَان في دارِ الحيد، وبالرَّغمِ من محاولاتِ الترك اختراقَ الحصارِ والوصولَ إلى قريةِ الجرداء للتزوّدِ بالحبوب، إلاّ أنَّ هذه المحاولاتِ فشلتْ، وأُرغمـوا على العـودةِ إلى صنعـاءَ، وفشِلَتْ محـاولتُهم الثـالثةُ في الـوصـولِ إلى مَذْبـح طلباً للحبوبِ أيضاً، واشتدَّ عليهم الحصارُ، وكانتْ معركة، تلاقى فيها الجمعانُ في الجِراف، وعادَ الأتراكُ إلى صنعاءَ، وقد صوّر

الإرياني حالهم في تلك المعركة قائلاً: «لقد ضاقت الأرضُ بهم ذرعاً، وخالطهم الرعبُ الظاهر، وظهرَ عليهم الذلُّ والصَّغارُ» كما لحِقَ الضيقُ أهلَ صنعاءَ، حيثُ أخذوا يفرُّونَ من المدينةِ. وخلال حصارِ صنعاءَ، أعلنتْ ذمارُ ويريمُ الطاعةَ للإمام وحوصِرَتْ مراكزُ الأتراكِ في عَمْرانَ وحَجَّةَ والطَويلةِ وتعز وإب، وكانَ أنِ اجتاحتْ ثورةُ القبائلِ أرجاءَ اليمن.

ويَروي مؤرِّخُنا الإريانيُّ أنَّ الشيخَ عليَّ البليلي، أحدَ أعوانِ العجم، قالَ: «لو دخل المجاهدون في تلك الحملةِ لأخذوا المدينةَ (أي صنعاءَ) على الجملةِ»[1]. ولكنَّ ذلك لم يتمَّ، للأسباب التالية ـ كما يبدو:

ـ عدمُ امتلاكِ القواتِ الإمامية ـ وخاصةً المتمركزةَ في جبلِ نُقُم ـ مدفعيةً ضاربةً، وإنما كانوا يُطلقون نيرانَ بنادقِهم على شوارعِ المدينةِ، في حين اعتمد العثمانيون على القصفِ المدفعي لتشتيت القبائلِ وتفريقها.

ـ لم تنجح القواتُ الإماميةُ ـ بالرغمِ من وصولِهم إلى أسوارِ صنعاءَ ـ من السيطرةِ على منفذٍ يؤدّي إلى اقتحامِ المدينةِ.

ـ إحجامُ أهالي صنعاءَ المحاصرين عن التعاونِ مع رجالِ القبائلِ المحَاصِرةِ لصنعاءَ، فإنَّ ما وقعَ في الروضةِ من نهبٍ من قِبَلِ رجالِ القبائلِ، جعلَ أهلَ صنعاءَ يوجسون خيفةً ممّا قدْ يُصيبُهم فيما لو نجحتْ قواتُ القبائلِ في النّفاذِ إليها، علاوةً على ما كانَ يتعرَّضُ له الفارُّون من نهبٍ وظلمٍ، وحتى سفكِ دماءٍ من قِبَل رجالِ القبائلِ حين كانوا يظفرون بهم، وقد صوَّرَ

---

(١) انظر الدر المنثور، ٨أ ـ ١٦ب.

الإرياني ما وصلَ إليه أهلُ صنعاءَ الفارُّون بقوله:

«ولمّـا اشتـدَّ الحصارُ على أهلِ صنعاءَ خرجوا منها أرسالاً، إلاّ أنّهم وجدُوا من سفهاءِ العسكرِ شدَّةً ونكالاً، فصاروا ينهبُون الدَّاخلَ والخارجَ من صنعاء». ويُضيف الإرياني: «فما أحسنوا في ذلك صُنعاً، وإنما أمَرَهُم الإمامُ بمحاصرةِ العجم، وأعوانِهم اللئامِ، فتعدَّوْا إلى ما ليسَ مِنْ شأنِهم»[1].

ـ لقـد دفعتْ هذه التـطوراتُ السُّلْطَنَـةَ العثمـانيةَ إلى إرسالِ النَّجداتِ والإمداداتِ الكبيرةِ إلى اليمنِ، وعهِدَتِ السلطنةُ بذلك لأحمدِ فيضي، الذي كان قد تولّى اليمنَ مرّتين، وكانَ صاحبَ خبرةٍ وتجربةٍ في اليمن، وقد عُرِفَ بقسـوَتِـه وفظاظتِهِ في تعامُلِهِ ومعالجتِهِ للشئون اليمنية، ومنذ جاءت الأخبارُ بوصـولِ طلائعِ قواتِ أحمد فيضي إلى خُمَيْس مذيور، صارَ الناسُ ـ كما يروي مؤرِّخُنا ـ في حيصَ بيص[2].

ـ كما خسرت الجبهةُ الإماميةُ أحَدَ أبرزِ قوّاتِها، وهو المقدّمي أحمد بن محمد الشرعي، الذي أُصيبَ في ربيع الأول سنةَ ١٣٠٩هـ، وماتَ شهيداً، ويكفي لتقديرِ كفاءتِه الحربيةِ، أنْ قالَ فيه مؤرِّخُنا:

قد كانَ يومَ الوغى كالألفِ نحسَبُهُ ... فَبَعْدَهُ المجدُ أضحى غيرَ مُجْتَمِعِ

وكانَ أنْ بدأ أحمد فيضي بإرسالِ الحملاتِ والطوابيرِ، ولجأ إلى أساليبَ قمعيةٍ وحشيةٍ وتغيَّرت مجرى المعاركِ. ولكنَّ هيبةَ الأتراكِ كانت قد أُصيبتْ بضربةٍ كبيرةٍ.

---

(١) الدر المنثور، ١٧أ.

(٢) الدر المنثور، ١٦أ.

ـ حملةُ أحمد فيضي على بلادِ حاشد:

لاحظَ الوالي العثمانيُّ المشيرُ أحمد فيضي باشا أنَّ معظمَ حركاتِ المقاومةِ ضدَّ الأتراكِ كانت تُوَجَّهُ من بلادِ حاشد في شمالِ صنعاءَ، فوصل إلى مشارفِ حاشد، وكانَ الإمامُ قد راسلَ عُقَّالها يعرِّفُهم بما أضمَرهُ أحمد فيضي، وكتب قاعدةً بينَ حاشد وبكيل على المناصرةِ والمعاضدةِ، وقد ابتدأتْ حملةُ أحمد فيضي بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٠٩هـ، حيثُ وصلَ إلى جدر، ودخل رَيَدْةَ واستولى على السِّنَتَين وخَمِرْ وبني عبد ويشيع وبيت هراش والمطرد والعُقيلي.

وفي هذه الأثناء، تمكَّنَ سيفُ الإسلام، محمدُ بنُ الإمام المتوكل من السيطرةِ على بلادِ غُثَيْمةَ فدخلَها كُرْهاً عن أهلِها. وناوشَ العجمَ، كما وصلتْ جماعةٌ من ذي غيلانِ من بَكيل إلى الحَرف.

وقد نجحَ أحمد فيضي في استمالةِ بعضِ مشايخِ حاشد، مثل: مقبل بن يحيى فارع، كما استمالَ بني صُريم من حاشد وفرَّقَ عليهم مئتي بقرةٍ، ومئتي راسِ غنمٍ، ومئتي قدحٍ من الطعامِ، وواصلتْ قواتُ أحمد فيضي سَيْرَها إلى العُفَّيرة ثم وادعةَ، بعدَ أن استجابوا لأحمد فيضي. كما وقعتْ مناوشاتٌ وحروبٌ بينَ الأتراكِ والقواتِ الإمامية، في النجيدِ وحوث والباعرةِ ووادعة.

وكانت قوّاتُ الإمام قد تركَّزَتْ في ثلاثِ مناطقَ:

ـ منطقةِ حوث، ومقدَّمُها سيفُ الإسلام محمد بن المتوكل.

ـ ومنطقةِ جبل عَجْمَر، ومقدّمُها أحمدُ بنُ عبدِالله المطاع.

ـ ومنطقة بركة القحار في جبلِ بني عبد، ومقدَّمُها القاضي عبدُالرحمن الجُماعي، وقد لحقتْ هزائمُ عدةٌ بقواتِ الإمامِ في هذه المناطق، وكذا في حصنِ الظفير.

وإمعاناً في إضعاف الجبهةِ الإمامية، فقد نجحَ أحمد فيضي في استمالةِ الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، بأحدَ عشرَ ألفَ ريالٍ سلَّمها إليه، وازاءَ ذلك تراءى لأحمد فيضي أنّه لابُدَّ من دخولِ معقل الإمامِ في قَفْلَة، وتمهيداً لذلك طلَبَ من بني صُريم وخارِف وخيار ضرورةَ تسليم الرهائنِ إليه، فهرَبوا من ديارِهم، فيمَّمَ شطرَ القَفْلَةِ، وبـاتتْ قوّاتُـه في الباعرةِ، ولم يبق فيها إلا القاضي عبدُالرحمنِ الجُماعي، بنفرٍ يسيرٍ من المجاهدين فقاتلهُم في النَجيدِ والشَّطِّ، وجبل عَيْشَان،وتمكّن أُحمد فيضي وقوّاتُه من دخولِ القَفلةِ. ثم انتقلَ إلى الجِرافِ، ومن ثمَّ إلى بَرَط، حيثُ سلَّم إليه ذو محمد الأسرى الأتراكَ، الذين كانوا عند سيفِ الإسلامِ محمدِ بنِ الإمامِ المتوكل[1]، ولم يعطهم أحمد فيضي شيئاً مما منّاهُمْ به.

وأما الإمامُ المنصورُ فقد صارَ يتنقَّلُ في الجبالِ والشِّعاب، واستمرَّ على ذلك مدةَ ثلاثةِ أشهرٍ[2]، إلى أن انتقلَ إلى جبلِ القحَّارِ، ثمَّ منهُ إلى مدينةِ حوث بعدَ أنْ وصلَ إليهِ عُقَّالُ حاشد بعقير.

أمّا أُحمد فيضي فقد انتقلَ من بَرَط إلى الجِرافِ، ومنها إلى بلادِ السُّودةِ، ثم إلى بلادِ الشرفِ، حيثُ حارَبَهُ أهلُ الشاهلِ، ولحقتِ الخسائِرُ بالطّرفين، حيثُ تناثرتِ الجُثثُ وتفشّى الطاعونُ في العساكرِ التركيةِ، فأسرعَ أحمد

---

(١) الدر المنثور ٣٧أ - ٤٠أ (٢) الدر المنثور، ق ٤٠ أ.

فيضي إلى الحُدَيْدةِ، ومنها عادَ إلى صنعاءَ.

ويبـدو أنَّ أحمـد فيضي قد يئِسَ مِنْ قُدرتِهِ على القضاءِ على الإمامِ وقوّاتِهِ، فالقبائلُ، وخاصّةً حاشد، عاودتِ الانضواءَ تحتَ رايةِ الإمام، بعدَما تيقَّنتْ من غدرِ أحمد فيضي ووعودِه الكاذبةِ، وإجراءاتِهِ التعسفيةِ، من حبسِ مشايخِ البلادِ، وتهديمِ المنازلِ وإحراقِ البلدان.

وكانتْ محصِّلَةُ ذلك أنْ عمدَ أحمد فيضي إلى تحصينِ صنعاءَ بالقلاعِ، فبنى واحدةً في منطقةِ ضهرِ الحمار، وأخرى في منطقةِ عُصَر، وغيرِها حولَ صنعاءَ. وعَمّرَ بابَ اليمنِ وحصَّنَهُ، ومهَّدَ الطرقَ في البلادِ الأخرى لسهولةِ تنقُّـلِ جيوشِـهِ، وأمّـا الإمـامُ، فقد أخذَ يُعيدُ تنظيمَ قوّاتِهِ، فابتنى المنازلَ للمهـاجـرين، جانبَ جامـع جبـل المَدَانِ، وأخذَ يُشرِفُ بنفسهِ على طلبةِ العلمِ، وأمّـا سيفُ الإسـلامِ، محمـدُ بنُ المتـوكل، فإنّهُ انتقلَ إلى جبلِ الأهنومِ، للقراءةِ وتحصيلِ العلومِ.

ثمّ إنَّ أحمـد فيضي قرَّر الكتـابـةَ إلى الإمامِ، ليَعْرِضَ عليه الموادعةَ والاتّحادَ، ويحدِّدَ ما يريد!

وتكمُنُ أهميةُ هذه الحملةِ في أنهـا ـ وعلى الصعيد العثماني ـ أقنعتِ الـولاةَ العثمانيين باستحالةِ إخضاعِ القواتِ الإماميّةِ بالقوةِ العسكريةِ، حتى وإنْ نجحتْ في الوصولِ إلى قاعدةِ الإمامةِ، كما أنَّ الأخطارَ الخارجيّةَ، من إنجليزَ وطليانَ، بدأتْ تُلقي بثقلِها على الأحداثِ وسَيْرِها في اليمنِ.

وأما على الصّعيدِ الإماميّ، فقد كَشَفَتِ الحملةُ عن المصاعبِ والعقباتِ التي كانتْ تواجهُ القواتِ الإماميةَ: من ميوعةِ موقفِ القبائلِ، وخاصّةً حاشد،

إضافةً إلى تفوقِ القواتِ العثمانيةِ في العُدَدِ والسّلاحِ والإعدادِ، وإزاءَ ذلك، صَرَّحَ الإمامُ بما يختارَهُ فقال: «إنَّ الذي أختارُهُ جانبٌ يسيرٌ من مملكةِ آبائنا وأجدادِنا، نقيمُ فيه أوامرَ اللهِ ونواهيَه، ونُعينُ على حربِ الأجانبِ والسّفيهِ، ويبقى جلُّ اليمنِ بأيدي المأمورين، إنْ أقاموا الفرائضَ والسُّننَ، وعمِلوا بشريعةِ اللهِ فيما ظهَرَ وبطَنَ، حتى لا يُنسَبَ إلى الذاتِ الشاهانية والعترةِ الخاقانيةِ إلّا ما يرضيه من السيرة»، ويضيفُ الإمامُ،

«ثمَّ نختارُ منكم الإعانةَ بيسيرٍ من الآلاتِ الحربيّةِ، يقومُ بها حِفْظُ ذلك الجانبِ اليسيرِ، وبعدَ ذلك يحصُل الاتحادُ، والجامعُ بينَنا نصرةُ دينِ ربِّ العبادِ» إلّا أنَّ الأمورَ سارَتْ على غيرِ ما في الرسالةِ، وتواصلت المعاركُ، في جهةٍ أخرى.

وقعةُ بني جل

وبنو جل قريةٌ جبليةٌ في بلادِ الشرفِ، كانَ أحدُ شيوخِها وهو يحيى بن ناصر الريحي، قدْ وفَدَ على الإمام، فحرَّضَهُ الإمامُ على الجهادِ ضدَّ الأتراكِ. وحدَثَ أنْ وقعَ الاحتكاكُ بينَ أهالي القريةِ، والعساكرِ العثمانيةِ حينَ وصلَ بهاءُ الدين التركي، وبرفقتِهِ خمسُ مئةِ عسكريٍّ للجبايةِ منها، وحين تظلَّمَ أحدُ ابناءِ القريةِ من العَسْفِ الذي لحقَه، بعد أن أخذَ الجنودُ ما يملكهُ من الحبوبِ، ثارت العامَّةُ، وأحاطوا بالأتراكِ، في قريةِ بيت عباس، وبيتِ القرو والوسط، وقتلوا منهم أربعةً بمساعدةٍ من رجالِ أفلح، ومن ثم تخطفت السيوفُ الأتراكَ، حتى قُتِلَ منهم أكثرُ من ثلاثِ مئةٍ، واستولتِ العربُ من أهلِ البلادِ على البنادقِ التي زادَ عددُها عن خمسِ مئةٍ، وجملةٍ من البغالِ

والأحمالِ. وكانت من جملةِ الغنائمِ مجرى وعجلاتِ مدفع.

إزاءَ ذلك، قرَّرَ الوالي أحمد فيضي الانتقامَ، فأظهرَ لبني جل، العفوَ عن القَتَلةِ، إنْ همْ أعادوا السّلاحَ، والا فسيُصيبُهم النُكالُ والانتقامُ. وكانَ أحمد فيضي حريصاً على ألّا تقعَ الأسلحةُ والمدافعُ في أيدي القوّاتِ الإماميّةِ. ولمّا لمْ يستجيبوا لذلكَ، سيَّر أحمدِ فيضي راشد بيك وقواتِهِ إلى تهامةَ، ليجمعَ منها قواتٍ أخرى مدداً، وبالفعلِ جمعَ عساكرَ من عسير، وسارت الجموعُ نحوَ قفل شَمْر ومقصدُها بنو جل وأهلُ الشرفين.

وأرسلَ الإمامُ سيفَ الإسلام، محمدَ بنِ الإمام الهادي، في جماعةٍ، ليكونَ مقدَّماً في بني جل، وبدأ راشد بيك عملياتِهِ العسكريةَ في ١٣ ذي الحجة ١٣١٥هـ فشملت بني خُولي، وكانَ الحربُ كَرّاً وفرّاً، فرمى راشد المنطقةَ بعساكرَ كثيفةٍ، فاحتلوا مناطِقَ: بني خُولي وقلفاح والقفرةَ والمساغاةَ وشمسانَ وبيتِ الرمادي، ودامت الحربُ في بيت القرو. وفي أثناءِ ذلك كانَ رجالُ أفلحَ وخيرانَ وحجر وأسلم وغيرهِم يترصَّدون في بطونِ الأوديةِ نتيجةَ المعركةِ، وحانتْ ساعةُ الهزيمةِ بنزولِ الأتراكِ إلى بطونِ الأوديةِ، ففاجَأهم الكامنون مِنَ الأعرابِ، فأخذوا يرمونَ أسلحتَهُمْ ويهرُبون، وهنا أحْكَمَتِ الأعرابُ عليهم الطَّوْقَ والحصارَ، وسدُّوا المنافذَ، وأعْمَلوا القتلَ فيهم، وكانَ من جملةِ الغنائمِ مدفعانِ، أحدُهما أخذَهُ بنو اللجوج، حيثُ أعادوه للأتراكِ مقابلَ دراهم، وأما الآخرُ فأوصلُوه إلى الإمامِ بآلاتهِ فكان أولَ غنيمةٍ من نوعِها تحوزُها القواتُ الإماميةُ. وواصلت قواتُ الإمامِ مطاردَتَها للأتراكِ في بيتِ الرمادي.

وقدْ لَحِقَ بالأتراكِ خسائرُ فادحةٌ في الرجالِ والسِّلاحِ، حيثُ قُتِلَ أكثرُ من ألفٍ، ووقعَ في الأسرِ أكثرُ من مئتين، وغَنِمَ المجاهدون ألفاً ومئتي بندقيةٍ، عدا المؤنِ والذهبِ والأشياءِ النفيسةِ الأخرى. وفرَّ بقيةُ الأتراكِ إلى جبلِ بني مذيخةَ وإلى قفل شَمْر والشاهل، وحُمِلَ الأسرى، وبعضُ الغنائمِ والرؤوسِ إلى الإمامِ، وكان نصراً للإمام، وضعفاً وانحطاطَ معنوياتٍ للقوّاتِ التركيةِ، وأنشدَ الشعراءُ القصائدَ متغنيينَ بهذا الفتحِ.

وانتهزت القواتُ الإماميةُ، الحالةَ السيئةَ والاضطرابَ الواقعَ في القواتِ العثمانيةِ فهاجموا الشاهلَ لاقتلاعِ الأتراكِ منه، ودهمَوا إحدى القلاعِ التي كانَ قد بناها أحمد فيضي في طريقِ عودتِهِ إلى صنعاءَ، وهي القشلةُ الشرقيةُ، حتى استسلمت لمقدّمِ الإمامِ سيفِ الإسلام، محمدِ بنِ الإمام الهادي، فأرسلوا الأسرى إلى حضرةِ الإمام، وأخذوا ما في القَشلة، وكان من نتائج هذه المعركةِأنْ ارتفعتْ معنوياتُ القبائلِ فشحَذَتِ الهِمَمَ لمقاتله الأتراكِ، وسَعَوْا عندَ الإمامِ لمعاودةِ الزَّحْفِ على صنعاءَ ومحاصَرَتِها. وكانتْ حاشدُ ويكيلُ المبادرتين إلى ذلك، حيثُ طلبتا منَ الإمام تجهيزَهُما لمعاودةِ حصارِ صنعاءَ، وأظهرتا تَشوُّقَهُما للجهادِ، فأرسل الإمامُ الوكلاءَ من طرفِهِ لتوزيعِ الأموالِ على أفرادِهما الذين يتطوعون للقتالِ، وعيَّن صفيَّ الإسلام، أحمدَ بن قاسم حميد الدين مقدَّماً على حاشد، وسيفَ الإسلام، محمَّدَ بنَ المتوكل على الله، مقدَّماً على بَكيل.

وجمعتْ حاشد ألفاً ومئةَ رجلٍ، تواجدوا في خَمِر، ثم انتقلوا إلى هجرةِ الصَّيدِ، انتظاراً لرجالِ خارفٍ وسُفيانَ، حيثُ كانَ عددُهُم حوالي ألفين،

ومنها إلى هِزَم، ثم رَقَّةِ هَمْدَان، وهناك تلاقَوْا معَ رجال ِ هَمْدَان، حيثُ بلغ عددُهُم أكثرَ من أربعةِ آلافٍ.

وكانت طريقُهم إلى ضَوْضَان ثم الدُّمم ومَسْيَب. ولكنَّ هذه الجموعَ وقعتْ في خطإٍ أدى إلى فشل ِ حملَتِهم: فقدْ تناهىٰ إليهم أنَّ قافلةً تحملُ متاعَ ومستلزماتِ الوالي الجديد حسين حلمي قدْ وصلتْ مَتْنَةَ، فتركوا محطَّتَهم وتسارَعُوا لنهبِ القافلةِ، وفي مَتْنَةَ أخذوا يُطلقونَ النيران، الأمرَ الذي نبَّهَ الأتراكَ الذين كانوا خارجَ القلعة، فأسرعوا إلى الدخول ِ، ونظّموا صفوفَهُمْ، ودامتِ المعركةُ أربعةَ أيامٍ حتى أُبعدتِ الجموعُ إلى قَذَف، فتفرَّقتِ في بلادِ هَمْدَانَ، ولم يبقَ منهم إلاّ اليسيرُ مع المقدّمي أحمد بن قاسم حميد[1].

وأما بَكيل، ومقدَّمُهُم، سيفُ الإسلام، محمد بن المتوكل على اللهِ، فقد ساروا بجموعِهِم التي بلغتْ أكثرَ مِنْ أربعةِ آلافٍ من رِجَام الغراس قاصدين الروضةَ، حيثُ أُغلِقَتْ الأبوابُ في وجوهِهِم مِنْ قِبَل أهل ِ الروضةِ بسبب ما كانَ منْ القبائل ِ في المحاصرةِ الأولى من نهبٍ وحرقٍ وقتل ٍ، فكسروا الأبوابَ وهاجموا بيتَ الشيخ مقبل بن صالح دُغَيْش، أحدِ الشيوخِ المعاونين للعجم، ونهبُوا خيلَهُ وأثاثه وحبوبَهُ، وأسروا الشيخَ مقبلَ حيث أوصلُوه إلى الإمام، وكانَ المذكورُ كثيرَ الأذى والضررِ لرعيةِ الإمام، وتمكّنتِ القواتُ الإماميةُ مِنْ إجلاءِ العساكرِ التركيةِ من الروضةِ ودفعها إلى داخل صنعاءَ.

غيرَ أنَّ سرعةَ حركةِ أحمد فيضي ومهاجمتَه المطلاعَ أدّتا إلى هزيمة

(١) حول هذه المعركة، انظر، الدر المنثور، ٥٤أ-٥٥ب، أئمة اليمن، ٢/٢١٧ - ٢٢١ حوليات يمانية، ٦٤٠- ٦٤٣.

القوات الامامية وهزيمتهم، فتفرقت الجموعُ، ثم اجتمع المقدَّميان في بلادِ هَمْدَان، في محاولةٍ لإعادةِ تنظيم الصفوفِ، وجمع ِ القواتِ المتفرقةِ والتوجهِ بها إلى الحَيْمَة. حيثُ هاجمت بيتَ الشّقاقي ومنها سارت إلى بيتَ معدن.

إلّا أنّ أحمدَ بنَ قاسم حميد الدين لم يواصلْ سيرَه إلى الحَيْمَةِ وإنما سارَ ناحيةَ بني مطر، حيثُ وقفَ ضدَّه الشيخُ أحمد الرماح، وأعملَ الحيلةَ لتفريقِ أمرِه، فأرسلَ جماعةً من قواته والأُخرى بقيت في بلادِ البُسْتَانِ، وانتقلَ منها إلى بيتِ الجندبي، في محاولةٍ لجمع ِ القواتِ ومحاربةِ الأتراكِ الذين في مَتْنَةَ، ولمّا حاول الوصولَ إلى بيت ردم تصدَّى لهُ أهلُ بيت ردم، وقتلوا من قوّاتِهِ أربعةً، وخلاصةُ الأمرِ أنَّ القبائلَ فشلتْ في محاولتِها حصارَ صنعاءَ.

ومن تحليلِنـا للرواياتِ المتّصلة بوقعـةِ بني جل، والـرواياتِ المتعلقـةِ بالحصارِ الثاني لصنعاءَ، نجدُ أنَّ هناكَ جملةً من العوامِلِ قدْ ساهمت في إفشال هذه الحملةِ. ومن هذه العواملُ نذكر:

ـ أنه قدْ كانت الرغبةُ في تحصيلِ الغنائمِ، هي المحرِّكَ للقبيلتين حين وفَدوا على الإمامِ بدعوى شوقِهِم إلى الجهادِ، وإرضاءِ ربِّ العبادِ، وحقيقةُ الأمرِ أنَّ وفرةَ الغنائمِ التي فاز بها المشاركون في وقعةِ بني جل، دفعتْ هؤلاءِ لإغراءِ الإمام بالوثوقِ بهم، ومن ثمّ تجهيزهم ، سيما وقد استقرَّ عندَ شيوخِهِم وعُقّالِهِم، أنَّ المعركةَ ستكونُ سهلةً ويسِرةً بعدَ الفوضى والاضطرابِ الذي دبَّ في صفوف الأتراكِ بعدَ المعركةِ.

ـ ثم إنَّ مشـاركتَهُمْ في المعـركـةِ القادمةِ يقتضي من الإمامِ تجهيزهم

بالأموالِ والمؤنِ والسِّلاحِ، الأمرُ الذي جعلَ الإمامَ يُرسِلَ وكلاءَهُ المتولّين للصرفِ، وفرّقوا الأموالَ على رجالِ القبيلتين المشاركتين، الذين بلغ عددُهم أكثرَ من ثمانيةِ آلافٍ من حَاشد وبَكيل، وما انضافَ إليهما من القبائلِ الأخرى، مثل همدان وغيرها.

- إن اشتغالَ رجالِ - حاشد بمحاولةِ نهبِ متاعِ قافلةِ الوالي الجديد حسين حلمي، قد أعطى الفرصةَ للأتراكِ لتجميعِ صفوفِهم وشحنِ مدافعِهم.

- لقد كان للمُشاحنةِ والخصومةِ الخفيّةِ التي وقعتْ بينَ أحمد بنِ قاسم حميدِ الدين وشيوخِ قوّاتِه، مثلِ الشيخِ يحيى بنِ يحيى دوده، والشيخِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ فارع، والشيخ ناشر بنِ مرشد الغريبي بشأنِ القبضِ على أحمدَ الرّماح الذي اتُّهِمَ بممالأةِ الأتراكِ، والاتفاقِ معهم على إخراجِ أحمدَ بنِ قاسم حميدالدين من بلادِ البُسْتَان[1]، كان لتلك المشاحنةِ أثرُها في إرسال القوّاتِ المواليةِ للشيوخِ الثلاثةِ إلى سامك، وإعانةِ المجاهدين في الحَيْمَةِ.

---

(١) لما رفض أحمد الرماح مناصرة أحمد بن قاسم حميد الدين، وقع اتهامُه بالاتفاق مع الأتراك على إخراج أحمد بن قاسم من بلاد البستان، وكان الرماح يكتب للإمام يغريه بأحمد بن قاسم حميد الدين، وينهى الناس عن دفع الزكاة إلا لأحمد الرماح، فأوعز إلى الشيوخ الثلاثة بالقبض عليه، وبدلاً من تنفيذ ذلك فقد حذروا الرماح الذي نجح في التفاوض مع وكيل الإمام القاضي عبدالرحمن الجُماعي، وذلك بأن الرماح سيحضر ألف مقاتل وألف قدح طعام وألف ريال مدداً للإمام مقابل ارتفاع همدان من بلاد البستان وقد نجحت الخطة، انظر، الدر المنثور، ٦١أ.

ـ كما أنَّ تفوُّقَ القواتِ التركيةِ من حيثُ السلاحُ والعُددُ والإمداداتُ، وشدةُ انضباطِها، وسهولةُ السيطرةِ على العساكرِ المقاتلةِ كان من أسبابِ فشل حصارِ صنعاءَ الثاني.

ومهما كانت الأسبابُ وراءَ نجاحِ الأتراكِ في صدِّ حصارِ صَنعاءَ، سواءً في المرةِ الأولى أو الثانيةِ، فإنَّ الخوفَ منْ سقوطِ صنعاءَ بأيدي القوّاتِ الإماميّةِ ظلَّ هاجساً مُريعاً، وخوْفاً دائماً عندَ الأتراكِ.

والوثيقةُ المحفوظةُ في الأرشيفِ العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٦٨٧٥، تُظهِرُ مدى القلقِ والاضطرابِ النازلِ بالأتراكِ في صنعاءَ، فقد جاءَ فيها مترجمةً من العثمانيةِ إلى العربية:

قصرِ السلطان، يلدرز

دائرةُ المكاتباتِ الرئيسية.

قطعةُ اليمنِ عبارةٌ عن جبالٍ وأوديةٍ صالحةٍ للزراعةِ، القسمُ الأعظمُ من سكّانِها معتادون على استعمالِ السلاحِ، يتجوَّلون، وهم يحملونَ السِّلاحَ بصورةٍ دائمةٍ، وهم عبارةٌ عن جماعاتِ القبائلِ وغيرِهم، قسمٌ منهم يؤيِّدُ الخلافةَ العثمانيةَ، وهم: السُّنَّةُ، وأهلُ التقوى. والقسمُ الآخر: لا يقبلُ التبعيَّةَ إلّا لأئمتهم، وهم يتحيَّنون الفُرَصَ للإفساد، وإحراج الدولةِ العليَّةِ، وتمّثلُ الزيديّةُ هذه الفئةَ.

والزيديةُ يعملون باستمرار ـ وكلَّ ما سنَحَتْ لهم الفرصةُ ـ على انتزاعِ صنعاءَ من جسمِ الدولةِ العليّةِ. وغالبيةُ هؤلاءِ العظمى تسكُنُ في أطرافِ صنعاءَ، ولا يُطيعون الحكومةَ السنَّيةَ، أو ينقادون لها.

لقد حاصرَ هؤلاءِ صنعاءَ مرّتين، في محاولةٍ منهم لإقامةِ دولةٍ خاصّةٍ بهم، وكانت لهم فيما مضى محاولاتٌ متعددةٌ، ولكنهم لم يُوَفَّقوا، وهذا الأمرُ معلومٌ لدى الدولةِ العليّةِ. فقد اتّخذَ هؤلاءِ من صنعاءَ هدفاً لهم، حيثُ يقومون ببناءِ الاستحكاماتِ في مناطقِهم، ويُعَلِّمون الناسَ على فنونِ الفسادِ والخرابِ.

فإذا وَقعتْ صنعاءُ في أيديهم، فإنّهُ من المستحيلِ إخراجُهُم منها مرةً أخرى، لأنَّ السكوتَ عنهم، في مثلِ هذه الحالةِ من قِبَلِ الدولة، إنّما يكونُ كمثلِ مَنْ يُخفي الأفعى في ثيابِهِ. وبناءً على هذه الأسبابِ المعروضة.

فإنّه يجبُ هدمُ استحكاماتهم، وتفريغُ قراهم من أهلِها، وتعيينُ متصرفٍ أو قائمقام لإدارةِ هذه المنطقةِ، ونقلُهم إلى مكانٍ مناسبٍ على الساحلِ إلى المنطقةِ التي تُوجَدُ بها أكثريةٌ من أهلِ السُّنَّةِ، حيثُ أنَّ الاتصالَ بين هذا المركزِ الجديدِ وصنعاءَ سيكونُ متيناً وقوياً. وخاصّةً من الناحيةِ المذهبيةِ، ثم العمـلُ على توطين المـوالين للحكومةِ السُّنّيةِ من الأتراكِ والأكرادِ والعرب، وتشكيلُ ولايةٍ جديدةٍ في تعز، تتمكّنُ من كسرِ شوكةِ وقوة الزيدية، حتى يوقِنوا أنَّ بابَ الإفساد والخرابِ قد أُقْفِلَ. فيتخَلَّوْنَ عن فكرِهِم بأنفسهِم، ويتركوا الفسادَ والخرابَ»

العبد الداعي

فاضل علوي.

والوثيقةُ تبيِّنُ الضيقَ الذي لحقَ بالعثمانيين، حتى وإنْ لم تُفْلحْ القبائلُ في دخولِ صنعاءَ.

المطلب الخامس:

المواجهة الإعلامية:

كانتِ المكـاتبـاتُ هي الـوسيلةَ الـوحيدةَ للإعلامِ والتعبئةِ عندَ القواتِ الإمـاميَّةِ، فالـطبـاعـةُ وإصدارُ الصحفِ، لم يكن الحصولُ عليها مَيْسوراً، خلافَ القواتِ العثمانيةِ التي كان بحوزتِها إمكانياتٌ اعلاميةٌ أكثرُ وأقدرُ.

والواقعُ، أنَّ الإمامَ المنصورَ حرصَ خلالَ رسائِلِه، والتي كان يبعثُ بها إلى المناطقِ،على إذاعةِ المفاسدِ التي كان يرتكبُها العثمانيون، مثلِ حكمِهِم بالقوانين، دون الأحكامِ الشرعيةِ، وهذا ما وُصِفَ بالحكمِ بالطاغوتِ، وكذا إرتكابِ الفواحشِ، ودعوةِ أهلِ البلادِ لمناصرتِهِ، ومِنْ ثَمَّ إشهارِ الانتصاراتِ التي حققتْها القواتُ الإماميَّةُ.

وتُصوِّرُ الوثائقُ المحفوظةُ في أرشيفِ رئاسةِ الوزراء العثماني، تصنيف يلدز، ضراوةَ المواجهةِ بينَ الإمامِ والعثمانيين، فقد كان كلُّ طرفٍ يحاولُ كسْبَ الأنصارِ، وتعضيدَ قواتِه، وإبطالَ حجةِ الخصمِ ومقولاتِهِ.

ومن رسـائـلِ الإمـامِ التي تمثّـلُ جانباً مِنْ وسائلِ الإمامِ الإعلاميةِ، الرسالةُ التي وصلتْ إلى الأرشيفِ بواسطةِ الجاسوسيةِ العثمانيةِ في اليمن[1]، وجاءَ فيها

---

(١) انظر الوثيقة، تصنيف يلدز رقم ٦٥/١٥٣/٣٤/٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

أمير المؤمنين

المنصور بالله، إن شاء الله

إلى مشايخ الطويلةِ وبني الخياط وضلع الكرامِ

ليعلِ الله شأنكم ويُصلحْ أحوالَكم، ويجلبْ لكمُ الخيرَ،

بعد السلام؛

فكتبتُ لكم هذه الرسالةَ بعدَ الشكرِ للهِ تعالى الذي كسرَ شوكةَ طائفةِ العجمِ، الذين بدَّلوا دينَ اللهِ بالبِدَعِ، وأحلّوا المُحَرَّماتِ، وشرْبَ الخمرِ في رمضـانَ، أتَـوْا الأفعالَ المُشينةَ، وارتكبوا الكبائرَ، واقترفوا الأفعالَ الفاضحةَ والمعـاصي . من تركٍ للصلواتِ الخمسِ، والإفـطارِ جهـاراً في رمضانَ، وظلمـوا المساكينَ الضعفاءَ، وحقَّروا الشُّرفاءَ، فلقدْ تعرّضوا لمدينةِ شاهل، مجمعِ الفضلِ والشرفِ، واستَوْلَوْا عليها، ولكنْ قد خابتْ آمالُهُمْ رغمَ ما فَعلوهُ، وعـادوا مقهـورين مغلوبين، فمـا استطاعوا استعادةَ ما غَنِمْناه، وهو ثمـانـون بنـدقيةً. وقُتِـلَ عددٌ كبيرٌ منهم عنـدَ آخـرِ اقتحامٍ في ليلةِ الثالثِ والعشـرين من شوالٍ، حيثُ ثبتَ أنصـارُنـا، أنصـارُ الحقِّ، فقُتِلَ قائدُهم الفرعونُ، محمد عارف ورجالُه.

إننا سنبادرُ إلى انتهازِ هذه الفُرصةِ، فقدْ أذلَّ الله أعداءَنا، وقامتْ عليهم القيامةُ من كلِّ طرفٍ، فاعْتَقِلوا كلَّ مَنْ تَروْهُ منهم في الليلِ والنَّهارِ. وهذا ما نرجوه منكم، تقديمُ المساعدةِ الماديّة ومعاونتُنا على أعدائِنا، وأنْ تبذلوا

الهِمَّةَ في ذلك، وأنْ تُظهِروا العداءَ لأعدائِنا.

والسلام.

وفي الإرادة الداخليةِ رقم ٦٢١٥٢، صورةُ خطابٍ، أُرسِلَ إلى أهالي شُهارَة، وجبل الأهنوم وعُذَر. وكانَ الخطابُ قد أُرسِلَ بالعربيةَ، ولكنّا لم نعثرْ إلا على أصلِه العثماني، وهو يمثِّلُ نموذجاً للخطابِ الإعلامي التركي، حيثُ وردَ فيه:

ـ الـدعـوةُ إلى وحدةِ أمةِ محمدٍ، ونبذِ الفرقة، وذلك يكون بطاعةِ اللهِ ورسولِهِ، وأولي الأمرِ، ويستشهدُ بالعديدِ من الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ.

ـ التركيزُ على أنَّ هدفَ ورغبةَ السلطانِ عبدالحميد، هو إجراءُ أحكامِ كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِهِ، وحمايةُ المسلمين ورعايةُ وخِدْمةُ الحرمين الشريفين من أعداءِ الإسلام.

ـ وينبِّـهُ الخـطابُ أهلَ شُهارةَ وجبلِ الأهنومِ وعُذَر إلى ضرورةِ تفهُّمِ الحالةِ التي كانت تلفُّ اليمنَ من الإضطرابِ وعدمِ الاستقرار والفتنِ، حتى عادَ العثمـانيون إليهـا فاتحين، فتَحقَّقت الـراحـةُ للأهالي، وأصبحوا آمنينَ متحدِّين، وترقَّتْ أسبابُ عيشِهِم.

ـ وتنحو الرسالةُ باللَّوْمِ على بعضِ الذين يُنكِرون جهودَ الدولةِ العليَّةِ، وما قدَّمَتْهُ للقضيةِ اليمنيةِ، وقد استند هؤلاءِ في جميعِ ما قاموا به على شَريفٍ مُخلصٍ، فقتلوا وظَلَموا.

ثم يُعدِّدُ الخطابُ ما قامَ به بعضُ الذين نَصَروا الإمامَ، ومن ذلك

أ ـ تنميقُ وزخرفةُ الكتبِ وتدبيجها، وبعثُها إلى البلدانِ والنواحي، وهي تُشَهِّرُ بالعثمانيين، وتضفي عليهم أوصافَ الكفرِ، وتستحلُّ دماءَهم، خِلافاً لما أمَرَتْ به آياتُ الكتابِ، ومُجافيةً لسنَّةِ رسولِ اللهِ.

ب ـ استغلالُ أموالِ المسلمين وتوزيعُها على مجاهديهم، وهذا هو الكُفرُ بعينِهِ وبخاصةٍ، قَتْلُ الأنفسِ واستباحةُ الأموالِ وأكلُها بغير حقٍّ.

ـ ثُمَّ تخاطبُ الرسالةُ، أهلَ شُهارَة وجبلِ الأهنومِ وعُذَر بصيغةِ الاستفهامِ الاستنكاري، ويطرحُ سؤالاً: ما هي الأسبابُ التي دعتْكم للجهادِ والثورة؟

وتجيبُ الرسالةُ عليه: لقد عمِلوا على تخلُّفِكُم، وجَلْبِ المصائبِ لكم، وعملوا على فُرقةِ المسلمين، في وقتٍ كانوا فيه أحوجَ ما يكونون إلى الوحدةِ والاتحادِ.

وما مِنْ أمَّةٍ رضيتْ بالفتنةِ إلّا زادتْ مصائبُها، ومثلُ هؤلاءِ يقومون بالعصيانِ، وفي نفسِ الوقتِ يدْعُونَ إلى الإسلامِ، فكيفَ يتّفقُ ذلك؟!

ـ وتشيرُ الرسالةُ إلى أنَّ هؤلاءِ المفسدين، لا يستطيعون إصلاحَ قريةٍ أو قريتين أو قبيلةٍ أو قبيلتين، وهم لا يصمدون في المواجهةِ، وإنما يفِرُّون في مواقعِ النِّزالِ. ومن أجلِ قمْعِ الفسادِ، فإننا نقاتلُ ونأسُر وننفي هؤلاءِ ونُبْعِدُ الناسَ عن تحملِّ وزِرِهم. وكلُّ ذلك من أجلِ راحةِ الناسِ، ورفعِ الضررِ عنهم.

ـ وتُبْلغُ الرسالةُ أهلَ شُهارة وجبلِ الأهنومِ، أنَّ السلطانَ قد عفا عنهم، وهو يسعى لتأمينِ احتياجاتِهم وإزالةِ الضررِ عنهم، ولتحقيقِ ذلك. فقد أمرَ السلطانُ بما يلي:

ـ تعيينِ العـلاَّمـةِ الشريفِ عباسِ بنِ عبدِالله بنِ المؤيدِ على المنطقةِ، وأصـدرَ الأوامـرَ إليه بالعملِ بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسوله، والعطفِ على الرعيةِ واحترامِ الصغيرِ والكبيرِ، على أنْ يساعِدَه الشريفُ محمدُ بنُ عبدِالله، يشدُّ أزْرَه، ويقومُ بجميعِ الواجباتِ اتجاهَهُمْ.

ـ أصـدرَ السلطانُ أوامـرَه للشـريفين المذكورين بتشغيلِ الضبطيةِ عندَ الضرورةِ، وأمَرَ بمنحهم خمسَ مئةِ ريالٍ، ولأهلِ الجبلِ، خمسَ مئةِ ريالٍ من خزينةِ الدولةِ، وتوزع تلك الأموالُ على الناسِ، حسبَ حاجاتِهم وأحوالِهم.

ثم تُقدِّمُ الرسالةُ نصائحَ لأهالي المنطقةِ منها:

أ ـ تحقيقُ الأمنِ والأمـانِ في جميعِ منـاطق اليمنِ وجهـاتِـه، وإزالـةُ العداواتِ والخلافاتِ الواقعةِ بينهم. ومنْ ثَمَّ توحيدُ البلادِ والعبادِ.

ب ـ تشيرُ الرسالةُ من طرفٍ خفي، تلميحاً إلى الأذى الذي سيُحيقُ بهم إن عَصَوْا وخالفوا، وهذا نوعٌ من التهديدِ غيرَ المُعْلَنِ صراحةً.

ـ وأخيراً، فإنَّ الرسالةَ توكِّدُ على تعيينِ عبدالله ـ المقصود عبدالله باشا ـ نائباً على اليمنِ، ومن ثَمَّ فلا بُدَّ من دوامِ الدعاءِ للسلطانِ عبدِالحميدِ بنِ عبدالمجيد، وقد طلبتِ الرسالةُ إلى خطباءِ المساجد أن يقوموا بذلك[1].

وبـالمقـابـل، فإنَّ الإمـامَ كان يعملُ وباستمرارٍ على الإتصالِ بشيوخِ وعُقَّالِ القبائلِ، يذيعُ بينهم أخبارَ المظالمِ العثمانية، وما يدبِّرونه من مكائدَ،

(١) انظر الرسالة إلى أهل شُهارة والأهنوم وعُذرَ في مكانها من الملحق.

للإيقاعِ بأهلِ البلادِ وساداتِها وشيوخِها وعُقَّالِها وعُلمائها من حبسٍ واعتقالٍ وتشريدٍ ونفي. وقد أحسنتِ المخاطباتُ الإماميَّةُ بإذاعةِ ما حصلَ ليحيى المجاهدِ، وعبدِالله الضلعي، اللَّذَيْن تعاوَنا مع الأتراكِ.

ومن ناحيةٍ أخرى، فقد ارتفعت حدةُ المواجهةِ الإعلاميةِ حين أمَرَ الأتْراكُ جَميعَ المأمُورينَ من أهلِ البلاد، أنْ يلبَسوا مثلَ لِبَاسِ الأتْراكِ، السِرْوالَ والزنَّةَ والقَلَنْسُوةَ، وقد قبِلَ به البعضُ، ورفَضَهُ البعضُ الآخرُ، فعزلَ الأتراكُ المستنكفينَ من أعمالِهم، فما كانَ من الإمامِ إلّا المبادرةُ بالكتابةِ إلى حاشد وبكيل محذراً إياهم من ذلك، ونهضَ الشعراءُ والقَوَّالونَ للتنديدِ بهذا الإجراء. واستغلَّها الإمامُ لتحريضِ القبائلِ على الجهادِ، مذكّراً بمثالبِ الأتراكِ وسوءِ فعالهم، وأشارَ في رسائِله إلى ما أظهره الأتراكُ من استهانةٍ وتفريطٍ بديار الإسلام، مُعَرِّضاً بما أصابَ مِصرَ غداةَ احتلالِها من قِبَلِ الانكليز واستكانةِ الدولةِ إزاءَ ذلك، وعدمِ إقدامِها على إعلانِ الجهادِ لطردِ الفرنجةِ من مصرَ. وأكثرُ من ذلك، فقد أثارَ الإمامُ الحميَّةَ، وذلك لأنَّ الفرنجةَ اقتربوا من مقدساتِ المسلمين في مكة، وكأنّه أرادَ للناسِ أن يبتذلوا ويستهينوا بذلك اللَّقبِ، الذي أسبَغَه سلاطينُ بني عثمانَ على أنفسهِمْ: «سلطانُ المسلمين، خادمُ الحرمين الشريفين، حامي ديار الإسلام في البرَّين والبحرين»[1]، فماذا بقي من مصداقيةِ اللَّقبِ بعد ذلك.

وكانَ الإمامُ بارعاً في مواجهتِه الإعلامية للأتراكِ، يرقبُ كلَّ فعلةٍ للأتراكِ يبغون التقربَ من خلالِها إلى اليمنيين، فيتناولُ تلكَ الفعلةَ، ويُبَيِّنُ النوايا

---

(١) الدر المنثور، ٤٩ب.

التـركيةَ الكـامِنـةَ وراءَهـا. فعنـدما دخلَ الوالي حسين حلمي، أوائلَ صفر ١٣١٦هـ، إلى اليمنِ، أظهرَ العدالةَ، كما يقولُ مؤلفُنا، وكتبَ حسين حلمي إلى البلدانِ، طالباً من المأمورين لبسَ العمائمِ، وحتى هو نفسه فقد لبِسَ العمـامـةَ، وأقـدم (حسين حلمي) أيضاً على عزلِ المشايخ باعتبارهم من أسبابِ الفساد وظُلمُ الرعيةِ، عندَ ذلك استنفرَ الإمامُ الدعاةَ والوُعَّاظ، وشنّوا حملةَ توعيةٍ ضِدَّ ذلك، وكان محورَ تلك الحملةِ، هو، أنَّ الأتراكَ «قد ظنوا، ما الاسلامُ الا لُبْسُ العمائمِ» فإذا لبسوها وتَخَلَّوْا عن زيِّ النَصارى، عادت الثقةُ بهم، وما دَرَوْا أنَّ الإسلامَ يُوجِبُ تطبيقَ شرعِ اللهِ، والحكمَ بمحكَمِ القرآنِ وسنَّةِ رسولهِ[1].

ولإضعافِ القواتِ العثمانيةِ وتفكُّكِها، فقدْ لجأَ الإمامُ إلى أسلوبٍ ذكي، فقد انتهز فرصةَ أسرِ بعضِ العساكرِ من أهلِ الشامِ، وعاملهم معاملةً حسنةً وأطلقَ سرَاحهم، وسهَّل نقلَهُم إلى بلادِهم، بعدَ أنْ أودَعَهُم رسائِلَهُ إلى أهالي بلادِ الشـامِ والتي تخبرُ بما وقعَ ويقعُ في اليمنِ. كما أنَّ كثيراً من الجندِ الشـامي والجنـدِ العـراقي كانـوا يفـرّون من الخدمةِ العسكريةِ في صفوفِ الأتَراكِ، ويلتجئون إلى جانبِ الإمام، فيكرم وفادَتَهُم، نفقةً وكسوةً، ويُلْحِقُهم ببـلادِهِم، ويُحمِّلُهم رسـائلَه التي تنـاشدُ أهلَ الشامِ والعراقِ مؤازرَةَ أهلِ اليمن، ومناصرةَ قضيتِهم. وقد جاءَ في إحدى رسائِلِه التي أوردَها مؤلّفُنا في كتابِهِ ما ملخّصُه:

«أنه يُنهي إلى جماعةِ أهلِ الإسلام، وإلى من جمعَتْهُ وإياهم دعوةُ الحقِّ

---

(١) المصدر السابق، ٦٤أ.

في قُطْرَيْ العراقِ والشامِ ومَنْ رفعَ رأسَه إلى الحقِّ من الأتراكِ، ضرورة موالاةِ آلِ البيتِ عملاً بآياتِ القرآن الكريمِ ، وأحاديثِ الرسولِ الشريفة، ثم يصفُ في رسائلِهِ اليهم، ما اقتَرَفَهُ المأمورون الأتراكُ من المُنْكَرَاتِ، وما ارتكَبُوه من المظالمِ . وهذا يحتِّمُ القيامَ ضدَّ بغيِهم، بعدَ فَشَلِهِ مِنَ السلطانِ، رغمَ كثرةِ مناشداتِهِ ومكاتباتِهِ للسَّلْطَنَةِ، يطلبُ إلى السلطانِ رفعَ الظُّلمِ والعسفِ، ويدعوه لتطبيق أحكامِ الشريعةِ، وحمايةِ ديارِ الإسلام، ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي» .

ويشيرُ الإمامُ في رسائلِه إلى أهلِ الشامِ والعراقِ بأنه لم ينهضْ ضدَّ الدولةِ إلا بعدَ أنْ بَغَت الدولةُ، ووقعَ الاعتداءُ على شرعِ اللهِ وعبادِ اللهِ من المأمورين، مما أوْجبَ عليه، ومعه أهلُ اليمن القيامَ للمدافعةِ وردِّ البغاةِ. وقد سُفِكَتْ دماءٌ غزيرةٌ في تلك الحروبِ، ووقَع القتالُ في الجندِ الشامي والعراقي نتيجةَ ذلك، غيرَ أنّ الإمامَ يوضِحُ لأهلِ الشامِ والعراقِ أن كثرةَ القتلى من أبنائهم إنما يعودُ بالدرجةِ الأولى إلى السياسةِ العثمانيةِ الحربية: ففي أثناءِ المعارِك إذا ما تراجعت العساكرُ النظاميةُ أو حاولت الفرارَ من ميدانِ المعركةِ للنّجاةِ، فإن الضباطِ والقادة الأتراكَ يبدأون بضربِ العساكرِ بالمدافعِ ويجبرونَهم على المهاجمةِ الحتميةِ، فيكونُ الموتُ لهم بالمرصادِ، سواءً من القادةِ والضباطِ أم من المجاهدين، رعيةِ الإمام.

وفي نهايةِ رسائلِ الإمام إلى أهلِ الشام والعراقِ يحذِّرُهم من مغبَّةِ إرسالِ أبنائِهم إلى اليمن، بقولِهِ «إياكُمْ! إياكُمْ! أن تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلكةِ» ويدعو في تلك الرسائلِ، العساكرَ إلى تركِ الخدمةِ العسكريةِ بالهربِ والفرارِ إذا كانوا لا يستطيعون الذَّبَّ عن أنفُسِهم ضدَّ ظلمِ القادةِ

والضباطِ والمأمورين.

ويبدو أنَّ رسائلَ الإمامِ قد وجَدَتْ صداها بينَ عساكرِ الشامِ والعراق، فما عُدنـا نقـرأ عن رديف أو إمدادٍ ذي قيمة قدْ وصلَ إلى اليمنِ، ولعلَّ حالةَ الاضطرابِ التي سادت الدولةَ بسببِ حروبِها في عدةِ جبهاتٍ، كانت وراءَ تقليصِ الحملات الجديدةِ إلى اليمن.

وعلى الجـانبِ الآخـر، فإنَّ الإمامَ أحسنَ استغلالَ ميدانٍ آخَرَ للتنديد بالممارساتِ العثمانيةِ في اليمنِ، وكان هذا الميدانُ هو موسمَ الحجِّ، حيثُ يفِدُ المسلمون إلى بيتِ اللهِ الحرامِ من كافةِ أرجاءِ المعمورةِ لأداءِ مناسكِ الحجِ، فانتهزَ الإمامُ الفرصةَ. وخاطبَ جموعَ المسلمين مخبراً بما وقعَ في اليمنِ من قِبَلِ الدولةِ العثمانية.

وكان موسمُ الحج لعامِ ١٣١٦هـ/١٨٩٨م منبراً للإمام، ففي ذلك العامِ كتبَ إلى الحُجّاجِ واصفاً ما وقعَ من اعتداءٍ على شريعةِ اللهِ، وما اقْتُرِفَ من معاصٍ من قِبَلِ مأموري الدولةِ، وما ارتكبتْه العساكرُ العثمانيةُ من مفاسدَ في اليمنِ، كالزّنا واللواطِ والمجاهرةِ بشربِ الخمورِ.

لقد كانَ لهذه المواجهةِ الإعلاميةِ المنظمةِ وقعُها على الدولةِ التركيةِ، فقد كانتْ إحدى العواملِ التي أقنعت الأتراكَ بضرورةِ المصالحةِ أو الموادعةِ مع الإمامِ على الأقل.

ولسنـا نُبـالغُ أنها وغيرها من الظروفِ والأسبابِ، فتحت الأبوابَ لعقدِ صلحِ دَعّان، سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م. فيما بعد.

الفصل الرابع

المطلب الأول:

المراسلاتُ الإمامية ـ العثمانية:

أثبتَ المؤرخُ الإرياني عدةَ وثائقَ تعلَّقتْ بالإتصالاتِ الإماميةِ العثمانيةِ، بعضُها جاءَ بتكليفٍ من السلطانِ العثماني مباشرةً، وبعضُها الآخرُ أُرْسِلَ إما من الـولاةِ العثمانيين في اليمنِ أنفسِهم، أو بطلبِهم لأحدٍ من ذوي الشأن المؤيدين للدولة العثمانية.

وقد بدأت تلك المراساتُ بتكليفِ الشريفِ عون الرفيق[1] ضرورةَ التوجهِ إلى عندِ الإمامِ، ومن ثَمَّ تقديمِ النصحِ له، وللقبائلِ اليمانيةِ أيضاً، آملاً في كسبِ الـولاءِ والعـودةِ إلى طاعـةِ الدولةِ. فقد وجدنا في أرشيفِ رئاسةِ الـوزراءِ العثمـاني، تصنيف قصـر يلدز، دائرة الكتابة الرئيسية، السكرتارية وتـحت رقم ٤٢٥، إرادة داخلية رقم ٩٧٥٤٩ تاريخهـا ٢٥ صفـر سنـة ١٣٠٩هـ. واحتوت الوثيقةُ:

العـرضَ بتكليفِ الشـريفِ عون الـرفيق، القيامَ بالـوعظِ والنُّصْـحِ بينَ القبائلِ اليمانيةِ لثنيها عن مناصرةِ الإمام، وبالتالي منعَ الإمامِ من الاستمرار في خروجـهِ وثـورتـهِ. ومن ثمَّ صرفَ النظرِ عن استعمالِ القوةِ في الوقتِ

---

(١) الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبدالغني بن عون: كان مقيماً في استانبول حتى سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م حيث عُين أميراً على الحجاز، ووصلها في ٨ ذي الحجة، واستمر أميراً عليها حتى سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، انظر، أحمد زيني دحلان، أمراء البلد الحرام، ٣٧٩ ـ ٣٨٠، أحمد السباعي: تاريخ مكة، ٣٨٨ـ ٣٩٣.

الحاضرِ، ولا ندري إن كان الشريفِ عون الرفيق قد قامَ بالمهمةِ فعلاً، إذ لم يردْ في المصادرِ اليمنيةِ المعاصرةِ أو العثمانية ما يؤكد خبرَ قيامِ الشريفِ عون الرفيق بهذه المهمة.

يحتفظُ الأرشيفُ العثماني بالعديدِ من الوثائقِ والرسائِلِ المتعلقةِ باليمنِ، سواء في أرشيف رئاسةِ الوزراءِ أم محفوظاتِ قصر يلدز ، ولكنّ الوثائقَ والرسائلَ التي أثبتها مُؤرِّخُنا في كتابِهِ غيرُ موجودةٍ ضمن مقتنياتِ ومحفوظاتِ الأرشيفِ بتصنيفاتِهِ المختلفةِ، ولعلَّ هذه الوثائقَ والرسائلَ الإريانيةَ قد ضلَّتْ طريقها إلى الأرشيفِ، أو أنها لم تصِلْ أساساً إلى السلطنةِ لسببٍ أو لآخر.

من خلالِ استعراضِنا لأولئك الذين مُهرتِ الرّسائلُ بتوقيعاتِهم نجدُ أنَّ مجموعَها قد بلغَ أكثرَ من سبعَ عشرةَ رسالةً كانت على الشكل التالي:

ـ رسالتان بُعِثتا باسمِ القاضي أحمد الردمي الصنعاني، وهو ابنُ القاضي يحيى بن علي الرَدمي، من قريةِ بيت رَدَمْ في بلادِ حَضُور من ناحيةِ البُستان، غربَ صنعاءَ، والذي كان قدْ تولى القضاءَ للأتراكِ في قضوات حراز ويريم وحَجَّة والعُدَيْن، وفي نواحي البستانِ وسنحانَ وبني الحارث وبني حشيش والحَيْمَة وهَمْدَان من نواحي صنعاءَ، وظلَّ على ولائِهِ للأتراكِ حتى وفاتهِ سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢ في وادي ضهر[1]، وكانت:

ـ الرسالةُ الأولى مؤرخةً في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ.

---

(١) انظر، أئمة اليمن، ٢/٣٨٦، لامية نبلاء اليمن، ٣٨.

ـ والـرسـالـةُ الثـانية مرفقـةً معهـا، وهي رسـالةُ السيد محمد الحريري الرفاعي، بنفس التاريخ.

ـ رسـالـةٌ بعثَ بهـا السيد محمدُ بنُ عمرَ بنِ حسن الحريري الرفاعي الحسيني، رأسُ الطريقةِ الرفاعيةِ بحماة، والذي كان قد قضى شطراً من حياتِهِ في استـانبـولَ، حيثُ أُكـرِمَ في رتبـةِ الموالي المعروفةِ برتبةِ إزمير، وخَلَفَ محمداً، أبا الهدى الصيادي، نقيبَ أشراف حلب، المقيمَ في استانبول في رئـاسـةِ الطريقةِ الرفاعيةِ الصوفيةِ، ولعلَّ اتصالَه بالإمام المنصورِ باللهِ، كان بتكليفٍ من محمدٍ أبي الهدى الصيادي، مدرّسِ أولادِ السلطانِ وأُرْسِلَتْ مع حسنِ بنِ عبدِالله بن يحيى المنصور.

ـ خمسُ رسائلَ بعث بها عليُّ بنُ مثنى الحسيني الرجامي الحشيشي، والذي خَدم الدولةَ في استانبول، وترقّى حتى وصلَ إلى رتبةِ الياور، وتعني المساعدَ في القصر السلطاني، وغالباً ما يكونُ متولي مثلِ هذه الوظيفةِ ذا شأنٍ، وكانَ عليُّ بنُ مثنى يحملُ رتبةَ قائم مقام[٢] حينَ أُرسِلَ إلى اليمنِ، لكشفِ أحوالِها، موفداً من البابِ العالي، لإبلاغِ السلطنةِ بحقيقةِ الأوضاعِ في اليمن:

ـ الرسالةُ الأولى، تاريخها ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ.

ـ الرسالةُ الثانيةُ، تاريخُها ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٦هـ.

---

(١) انظر، حوليات يمانية، ٥٢٩، أئمة اليمن، ٢/٦٣.

- الرسالةُ الثالثةُ، تاريخها، رجب سنة ١٣١٦هـ.

- الرسالةُ الرابعةُ، تاريخها، رمضان ١٣١٦هـ.

- الرسالة الخامسة، تاريخها، شوال ١٣١٦هـ.

- رسالةٌ من الوالي، أحمد فيضي، تاريخُها ٥ محرم سنةَ ١٣١٢هـ، حملها إلى الإمامِ الفقيهُ عبدُالله بنُ علي الحَضُوري ت في صنعاء سنةَ ١٣٢٤هـ[1]

- رسالتان من الوالي حسين حلمي باشا بواسطةِ العلامةِ أحمد بن محمد الكِبسي، الأولى، تاريخُها، ربيع الأول، ١٣١٦هـ

- والثانيةُ في ٢٧ رجب ١٣١٦هـ، وقد نَسبها زبارةُ إلى سيفِ الإسلامِ، أحمدَ بنِ قاسمِ حميد الدين، حيث وصلت إلى أحمدَ بنِ قاسم[2].

- ثلاثُ رسائلَ من عبدِالرشيد بك - ومن محمد علي رضا أفندي، تواريخها:

- الرسالةُ الأولى، تاريخها ١٣جمادي الأولى سنة ١٣١٧هـ

---

(١) يبدو أن الفقيه عبدالله بن علي الحَضُوري، قد كُلِف أيضاً من قبل الكاشف نامق باشا، بالتقصي والبحث عن المساعدات الأجنبية للإمام، وكانت المهمة محددة بكتاب نامق للحَضُوري، يتحرّى حال الشريف القائم في اليمن، هل معه مادة (مواد ومساعدات) من الأجانب أم لا، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ١٠٣.

(٢) انظر، أئمة اليمن، ٢٥٨.

- الثانيةُ، غيرُ مؤرخةٍ، ويبدو أنها في سنة ١٣١٧هـ

- والرسالةُ الثالثةُ، تاريخها، شهر القعدة من سنة ١٣١٧هـ.

- رسائلُ مكتوبةٌ وأخرى مشافهةٌ، تبودلتْ بينَ الإمامِ، والسيد حسن خالد، أبي الهدى الصيادي، تواريخُها بين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٠هـ، وشعبان من نفسِ السنةِ بواسطةِ علي النحوي الصنعاني.

والـلافتُ للنـظرِ، أنَّ هذه الشخصياتِ التي كانتْ تَتَّصـلُ بالإمامِ في محاولةٍ منها لاحتواءِ ثورتِهِ، كانت تنطلقُ بصورةٍ عامةٍ من مصلحةٍ نفعيةٍ ذاتيةٍ تسعى لبلوغِها، فتنالُ الحظوةَ عندَ السلطانِ أو عندَ الصدرِ الأعظمِ أو حتى عندَ المتسلِّمين لإدارة «الما بين السلطاني». وينطبقُ هذا على محاولاتِ كلٍّ من: محمد السيد الحريري أو علي مثنى الحسيني ونامق باشا وغيرِهِم ممن يُمَنّوْنَ أنفسَهم بالرِّضا من قِبَلِ السلطانِ أو من قِبَلِ الصَّدْرِ الأعظمِ.

وأما الواليان العثمانيان، أحمد فيضي وحسين حلمي، فقد كانا يسعيان لتسكينِ البـلادِ، وليسجِّلَ لهما النجاحُ في ولايتِهِما ومن ثمَّ يفوزان بالترقيةِ المترقَّبةِ لمنصبِ الوزارةِ.

وللحقيقةِ، فإنَّ رسائلَ حسين حلمي باشا التي أذاعها بينَ الناسِ حقَّقَتْ جانباً مما كانَ يرمي إليه، ولو مؤقّتاً، إنْ ذهبَ لإقامةِ العدلِ والمحافظةِ على الأمنِ، فقد أقدمَ على عزلِ مَنْ أساءَ من المأمورين، وقامَ بإصلاحاتٍ، وقدّم المعوناتِ الماليةَ لفقراءِ صنعاءَ وغيرِها، وأسَّسَ إدارةً للمعارفِ، وأنشأ بعضَ مكـاتبِ الـدراسـةِ وداراً للمعلمين ومكتباً للصنائعِ وآخر للإعداديةِ، وتظاهرَ

بتقديرِه للعلمِ والعلماءِ، واختارَ هيئةً من أهلِ العلم والسياسةِ يشاورُهم فيما يمكنُ عملُه لإصلاحِ شئونِ اليمنِ. وجهِدَ في منعِ الرشوةِ، وأكثرُ من ذلك، فقدْ لبِسَ العمامةَ وخلعَ الطربوشَ.

ولعـلَّ هذه السيرةَ الحسنـةَ لحسين حلمي هي التي جعلت العـلّامـةَ أحمدَ بنَ محمد الكِبسي يقبلُ الوساطةَ بينَ الإمامِ والوالي حسين حلمي.

وأما عبدالرشيد بيك وعلي رضا أفندي وقبلَهما المشير عبدالله، فلم تكن اتصالاتُهم ورسائِلُهم إلّا من بابِ التنافسِ والصراعِ الخفيِّ الدائرِ بينَ مراكزِ القوى المحيطةِ بالسلطانِ في استانبولَ، والتي كان ميدانُها كافةَ أنحاءِ الدولةِ وأطرافِها، واليمنُ واحدةٌ من ميادينِ وساحاتِ التنافسِ.

ومن الجديرِ بالذكرِ، أنَّ مراسلاتِ عبدالرشيد بيك وعلي رضا أفندي، ومهمةَ حسن خالد، أبي الهدى الصيادي(١) لم يَرِدْ لها ذكرٌ، فيما عدا كتابِنا هذا.

ولعلَّهُ من المفيدِ أنْ نعرِضَ لتلك الرسائلِ درساً وتحليلاً، ففيها نمطٌ من

---

(١) تولى حسن خالد، أبو الهدى الصيادي، رئيس مجلس النُظّار في إمارة شرق الأردن بتاريخ ٢٤ محرم سنة ١٣٤٢هـ/٥ سبتمبر ١٩٢٣ لأول مرة، ثم في ١٦ ذي الحجة ١٣٤٤هـ/ ٢٦ حزيران ١٩٢٦ تولاها للمرة الثانية، انظر، مذكراتي للملك عبدالله، ٢٠٤، ٢١٥.

الـدبلوماسيةِ التفاوضيةِ التي اتَّبعها الإمامُ، وكذلك إبرازُ الأهدافِ التي كان يرمي إليها كلُّ طرف.

كانت رسـالةُ القاضي أَحمدَ بنِ يحيى الرَدمي، المؤرخةُ في ٢٩ ربيع الأول سنـةَ ١٣٠٩هـ/ ١٨٨٩م مشحونةً بالتحذيراتِ والتهديداتِ، فبعدَ أن أغفلَ أَحمد الردمي لقبَ الإمامةِ في خطابهِ للمنصور باللهِ، محمد بن يحيى، وخاطبَهُ في رسالتِه المشارِ إليها بعباراتٍ: «ذات سيِّدي وسندي، واسطةُ عقدِ الآل»، أبلغَ الإمامَ التحياتِ، مشفوعةً بالدعاءِ لسلطانِ المسلمين العثماني، أن يوِّفقَه اللهُ لإقامةِ الدين وحراسةِ الشريعةِ. ويُنهي القاضي أَحمدُ في رسالتِهِ للإمامِ بأنَّ الهدفَ الذي خرج من أجلِهِ قد تحقَّق، فالسلطانُ قدْ بلَغَهُ أنَّ المـأمـورين في اليمنِ غيرُ مستقيمين. ويضيفُ القـاضي أَحمد الردمي في رسالتِهِ، «ولقد تأكّدَ لدى السلطانِ أنَّ الشريفَ القائم في اليمنِ، ما قامَ خروجاً عن الـطاعـةِ، ولا تفـريقاً للجماعةِ، وإنما بسببِ ظُلمِ المأمورين». ولكنَّ البعضَ أوغرَ صدرَ السلطانِ على الإمامِ، وادّعى بأنَّ الخروجَ طبيعةٌ مُسْتَحْكمةٌ عنـدَ الإمـامِ، ومـا التذرُّعُ بتحقيقِ العدالةِ إلاّ من قبيلِ التزوُّدِ، «فلو كانَ عمـرُ بنُ عبـدِالعزيز بعدالتِهِ المعروفةِ والياً على اليمنِ، لما مَنَعَ الإمامَ من الخروجِ والثورةِ وخلعِ الطاعةِ»، ولولا تدخّلُ محمدٍ، أَبي الهدى الصيادي الرفاعي لدى السلطانِ، في تهدئَةِ غضبهِ وانتدابِهِ بعضَ أقاربِهِ للاطلاع على حقيقةِ الأحوالِ في اليمنِ، لكانَ لحِقَ الإمامَ غضبُ السلطانِ الماحقُ، وأمرَ بإرسالِ القواتِ لسحقِ الثورةِ والقضاءِ على قياداتِها.

ويطلبُ الـردميُّ من الإمامِ أنْ يبادرَ إلى سرعةِ الانقيادِ والطاعةِ ويُبْرِقَ

بذلك تلغرافياً وإلاّ ناله ما لا يتوقَّعُهُ.

ثم يُعـرِّضُ الـردمي بعـدم أحقيةِ المنصـورِ باللهِ لمنصبِ الإمامة، وينصُحُه بالاقتداءِ بالحسنِ بنِ علي الذي نزلَ عن الإمامةِ لمعاويةَ بن أبي سفيان. ويلجـأ الردمي إلى أسلوبِ التهويل والتخويفِ، ويخاطبُ الإمامَ: اللهَ، اللهَ، سيدي . . . الخ وهي عباراتٌ تنبىء بسرعةِ التنفيذِ والاستجابةِ.

ثم يختمُ رسالتَه بأملِهِ أنْ يعودَ الرسولُ بما يَسُرُّ.

والـرسالةُ في ملخّصِها اتّسمتْ بالترغيبِ والترهيبِ، وتركِّزُ على انتزاعِ الطاعةِ والإنقيادِ مقابلَ تأمينِ الإمامِ، وعدمِ معاقبتِه، بل إنّها من ناحيةٍ أخرى تمهِّدُ لمهمةِ السيد محمد الرفاعي الحموي.

وقد نَقَدَ مؤرخُنا الإرياني الرسالةَ نقداً مريراً، ووصفَ القاضي أحمدَ بنَ يحيى الردمي «بأنّهُ رجلٌ مشئومٌ، لا يعرفُ من العلمِ إلاّ رسومَهُ» وما هو إلا قاضٍ بالدعوى، بمعنى: أنّ الدولةَ هي التي تعيّنُه، فاللقبُ لم يحصِّلْه في معـاهدِ العلمِ والبحثِ والدرسِ، وإنما بموالاتِهِ للأتراكِ. وساقَ مؤلِّفُنا من الألفاظِ في وصفِ أحمد الردمي ما يبيِّن المرارةَ والغضبَ التي تركَتْها تلك الرسالةُ في نفسِهِ، فيقول عن الردمي: «إنه أضلُّ من راعي ضأنٍ ابنِ ثمانين، وأجهلُ من ابنِ تسعين، وما هو إلا دابّةٌ تقضي بينَ عبادِ الله».

أمـا جوابُ الإمامِ المنصورِ باللهِ على رسالةِ أحمدَ الردمي، فقد اتّسمَ بالأدبِ الجمِّ، والعفّةِ عن وحشي الكلامِ وتافهِهِ، وأسبغَ عليه الألقابَ المعتبرةَ والصفاتِ الحسنةَ، ودعا الله أنْ يُجنّبَه الخطَلَ والزَّلَلَ ثم بيِّن له الأمورَ التاليةَ:

ـ أنَّ الواجبَ عليه توجيهُ النُصْحِ والإرشادِ لِمَنْ ناوَءُوا آلَ البيتِ، وارتكبوا المعاصي وعطّلوا أحكامَ الشريعةِ.

ـ أنّ الإرعادَ والإبراقَ والتهديدَ والوعيدَ والتخويفَ لا تصدُّه ـ مجتمعةً ـ عن مواصلةِ الجهادِ ضدَّ البغاةِ، فهو لا يبغي سوى الفوزِ بالشهادةِ في سبيلِ اللهِ.

ـ وأما ما أشارَ إليه الردمي من ظنِّ التأثيرِ وحشْدِ الأتباع وتعبئةِ الطاقاتِ، فقد فاتَ آوانُها، فالنصرُ في جانبِ القواتِ الامامية، والزيادةُ والمؤونةُ متكاثرةٌ في طرفِهِ.

ـ وعن الحديثِ الذي استَشْهَدَ به أَحمدُ الردمي ونصُّه: «اتركوا التركَ ما تركوكم» فهو حجّةٌ عليه، ويتساءَل الإمامُ: فمتى تركَ الأتراكُ أهلَ اليمنِ؟! بل الأتراكُ أنفسُهم إلى اليمنِ وأهلِهِ قاصدون[1].

وأمّا رسالةُ السيدِ محمدِ بنِ علي الحريري الرفاعي، مفتي حماة، ورئيس الطريقةِ الرفاعيةِ المؤرخةُ في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م فنسجِّلُ عليها الملاحظاتِ التالية:

ـ يخاطبُ السيدُ الرفاعيُّ الإمامَ المنصورَ باللهِ بعباراتِ «السيد الشريف، والعالمِ الغطريفِ، بقية السلف». وهو بذا يغفَلُ لقَبَ الإمامةَ كما فعلَ الردميُّ من قبلُ.

ـ يدعو المنصورَ باللهِ إلى الحكمةِ التي هي ضالّةُ المؤمنِ، ويَعْجَبُ كيفَ فاتَ المنصورَ باللهِ شرفُها، فالدنيا لا تبقى لمحمدٍ وآلهِ، ومذاهبُ الأئمةِ قائلةٌ

---

(١) انظر الرسالة والإجابة عليها في الدر المنثور، ٢٩ أ ـ ب.

بوجوبِ جمعِ الكلمةِ وعدمِ التفرقةِ.

ـ يؤكّدُ الرفاعي للإمامِ المنصورِ باللهِ اجتماعَ كلمةِ جماعةِ المسلمين وطوائفِ الموحّدين من العربِ والعجمِ تحتَ لواءِ الخليفةِ الأعظمِ الغازي عبدالحميد، ومن ثمَّ فإن الإمامةَ التي يتطلّبُها محمدُ بنُ يحيى حميدُ الدين قد نزلَ عنها الحسنُ بنُ علي رضي الله عنه، وما طلبها أحدٌ من آلِ البيتِ، إلّا وقد أصبحَ دونَها قتيلاً منذُ العباسيين حتى نهايةِ عصرِ المماليك، وانتقلتِ الخلافةُ بالعقدِ الصحيحِ والإجماعِ الصريحِ إلى عبدِالحميد، فطاعتُه أصبحت مفروضةً، وخِدْمتُهُ مشروعةً، والخروجُ عليه بَغْيٌ وعدوانٌ.

ـ يُعَرّفُ السيدُ الرفاعي الإمامَ بوصولِ رسائلِهِ التي تحضُّ على الجهادِ وتُكَفّرُ المسلمين الأتراكَ بدلائلَ يبذُلُها الإمامُ في رسائِلِه قد وصلَتْ لمسامعِ السلطانِ، فبادرَ إلى تجهيزِ العساكرِ للقتالِ وحَسْمِ مادةِ الشرِّ والفتنِ، وأقسمَ السلطانُ، إذا لم يقف الإمامُ عندَ حدِّهِ، فإنّهُ قاتِلُهُ ومن اتَّبعَهُ بسيفِ جَدِّهِ، لأنَّ ما فعلَهُ الإمامُ هو هدم للدين وإيقاظٌ للفتنةِ والفسادِ.

ـ ويُنهي السيدُ الرفاعي للإمامِ، أنَّ السلطانَ ما انتدبه إلّا لأنَه هاشميٌّ مثلُه، وما رسالةُ الرفاعي إلى الإمامِ إلا انذارٌ وتفهيمٌ، وليست إرشاداً وتعليماً، ويباسطُ الرفاعي الإمامَ بحديثٍ مفادُه، أنه يجعلُ للإمام أوفرَ نصيبٍ من عطفِ السلطانِ ورعايتِهِ إن استجابَ لما يدعوه إليه: فله الحُرمةُ المصونةُ والشأنُ والمنزلةُ والمقامُ الجليل، وأما في غيرِ ذلك، فلا يلومَنَّ إلّا نفسَهُ.

ـ ثم يُفصِحُ السيدُ الرفاعي عن رغبتِهِ بالاجتماع بالإمامِ، لأن هناك أموراً لا تحتملُها بطونُ الكتب، وما عداها فقدْ أودَعَها للرسولِ لينقلَها إلى الإمامِ

مشـافهـةً، ويُبدي السيدُ الرفاعي استعدادهُ للسفرِ إلى جنابِهِ، وإلا فليكتب الإمامُ رسالةَ الطاعةِ للسلطانِ، ويتعهدُ - الرفاعي - بإيصالِها بنفسِه إليه.

- ويختمُ الرفاعي رسالتَه إلى الإمامِ بالتهديدِ ويقول: فالعربُ لا تقدِرُ على قتالِ الدولةِ، وقد جَرّوا أنفسَهم إلى الدمارِ، والباغي عليه الوبالُ»(1).

وجاءَ جوابُ الإمامِ المنصورِ باللهِ مقارباً في لفظهِ ومعناه لرسالةِ السيدِ الرفاعي الحموي، وكان الردُّ قوياً وصارماً. فبعدَ إسباغِ الألقابِ على السيد الرفـاعي الحمـوي، لامَه وقرَّعَه لأنّه لا يقولُ الحقَّ، ولا يتمسّكُ بالحبلِ الأقوى، حبلِ العترةِ النبويةِ. ثمَّ بَيّنَ الإمامُ للسيدِ الرفاعي الأمورَ التالية:

- شكرَ الامامِ للسيدِ الحموي إقرارَهُ بحقِّ العترةِ النبويةِ في السيادةِ والزّعامةِ، في حين أنَّ الإمامَ لا تعلُّقَ له بالرئاسةِ الدنيويةِ ولا الراحةِ الأبديةِ، فهو لا يحرصُ على جمعِ المالِ ولا يسعى لغنى.

- كشفَـهُ لأنواعِ المعاصي والفجورِ والفواحشِ التي ارتكبتْها العساكرُ التركيةُ وكذا المأمورون، بسلوكهِم نهجَ الظُّلْمِ والبغي والاعتداءِ على أهلِ اليمنِ، ممـا أوجبَ معـه المشروعيةَ في الدفاعِ والذَّبِّ عن الدينِ والشريعةِ ورعايةِ حُرماتِ المسلمين.

- عدمَ خشيته التهديدَ بالقتلِ والنِّكالِ، فالإمامُ لا يفاخرُ بالقوةِ، وإنما يلجأ إلى اللهِ الذي تكفَّلَ برعايةِ أولئك الذين يؤدّون حقوقَه سبحانه، إذ أن اعتمادَه في مقاومةِ الظلمِ والبغي دائماً على اللهِ، وعلى المجاهدين القائمين بحقوقِ

(1) انظر، الدر المنثور، ٣٠ أ.

ربِّ العبادِ، وقد عمَّروا مساجدَ اللهِ بالعلمِ والعمل.

ـ ويُبْلِغُ الإمامُ السيدَ الرفاعي بإشارةٍ ذكية أنْ: «لو علِمَ السلطانُ الأعظمُ بحالِنا، لسارَعَ إلى معاونتِنا، ولأمرَ برفعِ المأمورين عن الخطَّةِ اليمانيةِ، ومنعهم من حربِنا، ولوجَّهَ العساكرَ لمحاربةِ الأمةِ الكافرةِ عوضاً عن دهكِنا.

ـ وعن التخويفِ والإرعادِ والإبراقِ، خاطبَ الإمامُ السيدَ الرفاعي بقولِهِ: «دعْ عنك التخويفَ بالمخلوقين» بمعنى أنَّ الإمامَ لا يخافُ إلا ربَّ العالمين، واستشهدَ ببيتٍ من الشعرِ لمزيدٍ من الإيضاحِ والتبيان:

جاءَ شقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ إنَّ بني عمِّكَ فيهمْ رماح

ـ وأما اجتماعُ الكلمةِ، فيعلِّقُ الإمامُ المنصورُ عليها في جوابِه قائلاً: «ومن أينَ لنا ذلك! وإلاّ فهو عندَنا من أجَلِّ المسالكِ».

والإشارةُ واضحةٌ في مقصدِها، فلا حَلَّ الا بتخليصِ اليمنِ من الإدارة العثمانيةِ، وانسحابِ التركِ من البلادِ، والتوقفِ عن محاربةِ اليمنِ وأهلِهِ والتوجهِ نحوَ الأممِ الكافرةِ التي تنهشُ جسدَ الدولةِ، وتسيطرُ على أجزاء منه.

وكانت رسالةُ الياور علي بن مثنى الحسيني الثانيةُ إلى الإمامِ أقلَّ حدةً في مضمونها، فقد جاءَ فيها عدةُ أمورٍ منها:

ـ خاطبَ عليُّ بنُ مثنى الإمامَ «بالجناب العالي المنيف» وهو لقبٌ من أرفعِ الألقابِ الخاصةِ بالقضاةِ والعلماءِ، ويبلِغُه بصدورِ الرسالةِ بعدَ وصولِ علي بن مثنى مبعوثاً من قِبَلِ السلطانِ لكشفِ أحوالِ اليمن، وما وقعَ فيها من قتلٍ وقتالٍ وسببُ ذلك، ثم البحثُ عن حقيقةِ المأمورين والرعايا، وأمورٌ أخرى

لا تسعُها إلا المشافهةُ، بقصدِ صلاحِ الإسلامِ والمسلمين وإخمادِ الفتن.

ـ ويطلبُ من الإمام ضمانَ أمنِهِ في الطريقِ إلى الإمامِ، حتى يصلَ إليه للحوارِ في أمورٍ أخرى، وسيبلِغُه الرسولُ بتلك الأمورِ تحقيقاً.

ويُستفادُ من الرسالةِ: الإقرارُ بسيطرةِ الإمامِ على مناطقَ في اليمنِ، لا يمكنُ اجتيازُها دونَ موافقةِ الإمامِ وبذلِ الأمانِ.

ومن ناحيةٍ أُخرى، فإنَّ الياورَ علي بن مثنى الحسيني كان يخشى وقوعَ الرسالةِ في أيدي أحدِ العساكرِ أو أعوانِ الولاةِ والمشيرين المتنافسين آنذاك مما يعطِّلُ خطته في الصلحِ، فأوحى للإمامِ بوجودِ أشياءٍ أخرى تقتضي المشافهةَ[1].

وجاءَ في ردِّ الإمامِ على رسالةِ الياور عليِّ بنِ مثنى الحسيني، عدةُ قضايا نجملها فيما يلي:

بعدَ مخاطبةِ الإمامِ لعلي بن مثنى بالألقابِ الفخمةِ والعباراتِ المتضمنةِ الثناءَ عليه، والدعاءَ له بالرشادِ والتقوى، شرَحَ له واقعَ اليمنِ، حيثُ:

ـ أعادَ التأكيدَ على هدفِهِ وهو الحفاظُ على الشريعةِ وفقَ المذهبِ الزيدي، أعدلِ المذاهبِ في التوحيدِ والعدلِ والوعدِ والوعيدِ.

ـ ثم إنَّ اليمنَ كانتْ بأيدي أسلافِهِ من العترة الزكية، يعملون بكتابِ اللهِ وسنةِ نبيهِ، يأمرون بالمعروفِ وينهَوْنَ عن المنكرِ، ويقيمون الحدودَ والقصاصَ،

---

(١) انظر الدر المنثور، ٢٧أ.

ويأخذون الخراجَ بالعدلِ لا بالالتزام، لأن أهلَ اليمنِ ما عليهم غيرُ الزكاةِ والفطرِ، لأنهم أسلموا تطوُّعاً.

- ثم يعـرِضُ له ما ارتكبَـهُ المـأمـورون من المُحـرَّماتِ وتعطيلِ الشرائعِ، وإستيعابِ أموالِ الناسِ بالقوانين الموضوعةِ، ودهكِ الرعيةِ، وظلمِ التاجرِ والمزارعِ، والمبالغةِ في طلبِ الرسومِ وقيمةِ الأوراقِ - أي الأوراق الرسمية - وتفشي الرشوةِ والفسادِ.

- ويشيرُ بذكاءٍ إلى أنَّ السلطانَ، قَبِلَ حُكْمَ الكفّارِ على بلادِ الإسلامِ في مسـألـةِ اليونانِ والصربِ والجبلِ الأسودِ، وحتى مصرَ وبريطانيا، ولم يقبل الإقــرارَ بحكمِ العتـرةِ النبـويةِ لبـلادِ اليمنِ، ويطلبُ إليه حقنَ الـدمـاءِ، ووجــوبَ العملِ بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِهِ، ومقاتلةَ ومعاقبةَ الفئةِ الباغيةِ.

- وأخيراً يلفتُ نظرَهُ إلى تَسلُّمِهِ كتاباً من السيدِ محمد الرفاعي الحموي وقد أجـاب عليه، ويرغبُ إليه إبلاغَ السلطنةِ بذلك، لأنَّهُ يخشى عدمَ إيصالِ جوابِهِ للسلطانِ. ويُفْهَمُ من الكتابِ أنّ الحلَّ لا يكون إلّا بالإقرارِ بحقّ آلِ البيتِ في حكمِ اليمنِ وإقامةِ الشريعةِ حتى تنتفي أسبابُ الفسادِ من قِبَلِ المأمورين، ويكونَ رفعُهم من اليمنِ محتّماً.

ومن ناحية ثانية فقد جاء في كتابِ أئمةِ اليمن[1] صورةُ «الحاوي» من الإمامِ المنصورِ إلى الياور الحسيني، حيثُ تضمَّنَ اقتراحاتٍ تُحقِّقُ المصالحةَ إنْ كانَ المرادُ الصُّلْحَ حقيقةً، ولم يتعدَّ الأمرُ المخادعةَ والمماكرةَ، وهي،

---

(١) انظره في أئمة اليمن ٢/٦٦.

- رفعُ العساكرِ العثمانيةِ من مناطقِ الإمامِ.
- تأمينُ الناسِ في الجهتين.
- إجـراءُ ما يُوافِقُ الكتـابَ والسُّنَّةَ، وعدمُ قبولِ تعريضاتِ أهلِ الخيانةِ والظنِّ، فإنْ تمَّ ذلك، فسيُرْفَعُ الحصارُ عن المحصورين.

ولا ندري هل وصَلَتْ هذه الاقتراحاتُ والرسائلُ السابقةُ إلى السلطانِ أمْ لا، غيرَ أنَّنا وَجدْنا في الأرشيفِ العثماني، وتحتَ تصنيفِ يلدز الهمايواني إرادة داخلية رقمُها ١٠٠٢٤٨ تاريخُها ٢٧ شوال ١٣٠٩هـ، تتضمَّنُ تشكيلَ لجنـةٍ برئاسةِ ناظرِ العدليةِ، وأعضاؤها: أحمد أيوب باشا، وإبراهيم أفندي رئيس مجلس الماليةَ، والسيدأحمد بك، من أعضاءِ مجلسِ شورى الدولةِ، عُهِـدَ إليها مهمةُ تدقيقِ المعروضاتِ التي قُدِّمَتْ حولَ تنظيمِ أحوالِ ولايةِ اليمنِ بتاريخ ٢٤ شوالِ ١٣٠٩هـ، ومن ثمَّ صدورُ الفرمان بذلك[1]، وما زلنا نحاولُ إثباتَ أو نفي ما إذا كان تشكيلُ تلك اللجنةِ بناءً على تقاريرِ الكُشّافِ والمحقّقين، الذين أُرْسِلُوا لتقصي أحوالِ اليمن من قبلِ السلطنةِ، أو أنه كانَ استجابةً لضروراتٍ مُلِحّةٍ فرضَتْها ظروفُ الوجودِ العثماني في اليمن، من قبلِ السلطنةِ والصعوباتِ المحيطةِ بهِ.

وتمضي أكثـرُ من سبـعِ سنوات لا نجدُ أثراً لإتصالاتِ علي بن مثنى الحسيني، ولكنّها في سنةِ ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م عادَتْ نشِطةً وقويةً، وأتتْ في خِضَمِّ اشتدادِ المعاركِ بينَ القوّاتِ الإماميةِ والأجنادِ العثمانيةِ، فقد وصلَتْ إلى الإمامِ رسالةٌ مؤرَّخةٌ في ٢٠ جمادى الأولى سنةَ ١٣١٦هـ، مضمونُها:

---

(١) انظر الوثيقة في الملحق.

البحثُ عن سببِ الاختلافِ والافتراقِ ومنابذةِ وحدةِ كلمةِ المسلمين.

وفي الرسالةِ اتّهامٌ للإمامِ، بأنّهُ ما نهضَ إلاّ لطلبِ الرئاسةِ وتحقيقِ مغانمَ دنيويةٍ، ويعرضُ علي بن مثنى في رسالتِهِ هذه على الإمامِ الإقامةَ في صنعاءَ آمناً مرتاحاً، فإنْ فعلَ ورأى منكراً أو ظُلماً رفَعَهُ إلى المأمورين، وإلاّ أوصَلَه إلى البابِ العالي، والأوْلى حقنُ دماءِ المسلمين وتسكينُ الدَّهْماء.

وعادَ الإمامُ ليَسْرُدَ له كيفيةَ وصولِ العساكرِ العثمانيةِ إلى مملكةِ اليمنِ، والتي كانت تحتَ حُكْمِ أسلافِهِ، أئمةِ الدولةِ القاسميةِ، الذين التزموا بأحكامِ الكتابِ والسُّنةِ، وأمَروا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المُنْكَرِ، حتى إذا خرجتْ عساكرُ السَّلْطنةِ إلى عسير، دعاهُم الأشرارُ لمواصلةِ حملَتِهِم إلى اليمنِ.

ثم يُعـدِّدُ الإمـامُ في رسـالتِهِ هذه المفاسدَ والمعاصيَ والفواحشَ التي ظهـرتْ في اليمنِ من قِبـل المـأمـورين والعساكرِ، ويتناولُ الإمامُ المظالمَ الاقتصـاديةَ التي تحمَّلَ اليمنيون ويلاتِها بسببِ سوءِ الإدارة، حتى ارتفعت الأسعارُ وعمَّ الغلاءُ. ويجيبُ الإمام على اتّهامِ علي بن مثنى له بأنَّ خروجَه ما كان لتحقيقِ منافعَ دنيويةٍ، ويطلبُ منه أن يتحرى ما كان عليه من غنى وما يملكُهُ من دورٍ وبساتينَ وغيولٍ ومزارعَ، وما آلَ إليه حالُه، من شظفٍ في العيشِ وتوطُّنِ الباديةِ ومجاورةِ الوحوشِ والذئابِ العاويةِ.

وحولَ اقتراحِ علي بن مثنى القاضي إقامةَ الإمامِ في صنعاءَ، مرتاحاً، حيث يمكنُهُ رفعُ دعاوي الفسادِ، والتعدّي على الشريعةِ إلى المأمورين أولاً، فإن استجابوا قُضيَ الأمرُ، وإلا تُنفذُ دعاوي الشكاوي إلى السلطانِ ـ يُجيبُ الإمامُ على هذا الإقتراح، بأنّ الياورَ علي نفسَه يعلمُ أيَّ مصيرٍ ينتظرُ مَنْ

يتكلّمُ بالحـلالِ والحـرام! فأقلُّهُ الحبسُ والنّكـالُ، ويَسْتَشْهِدُ بقضيّةِ حبسِ العلماءِ وتغريبِهم عن وطنِهم، وهي مسألةٌ معروفةٌ عِند اليمنيين.

ثُم يُنهي الإمـامُ إلى الياور علي بن مثنى، أنَّ المأمورين السابقين قد عرضوا عليه المعاشاتِ الشهريةَ، لقاءَ سكونِهِ، وقبولِهِ بواقعِ الأمرِ، بل أكثرُ من ذلك، فقد عَرَضوا الرواتبَ والمعاشاتِ على كلِّ مَنْ تودَّد إليهم أو اقتربَ من مجالسِهِم، فكأنَّ مجالسَهم كانت للرواتبِ والمعاشاتِ وليست مدارسَ ومجالسَ للعلمِ.

وعن رفعِ الشكاوي إلى البابِ العالي كان جوابُ الإمام:

تلك مسألةٌ دونَها خرطُ القتادِ، فعليُّ بنُ المثنى يعلمُ أنَّ لكلِّ مأمورٍ وكيلاً من أتباعِهِ، عاملاً في خدمةِ البابِ العالي، كانَ يوقِفُ كلَّ شكايةٍ ويُعيدُها لمن هي ضدَّه فيعاقِبُ المشتكىٰ عليه الشاكيَ، وما حادثةُ القاضي يحيى المجاهدِ التعزي ببعيدةٍ عن مثلِ هذا.

وأما الصلحُ، فإنَّ الإمامَ يقول: إنّه طالما قد طلبهُ وفقَ الكتابِ والسنةِ، ولكنَّ المشيرَ السابقَ عبدالله باشا، كانَ يرفُضُهُ، وكذلك حسين حلمي، بل زعم كلاهما أنْ لاحظَّ لبني عبد مناف فيه.

ـ ويُفاخِرُ الإمامُ بقوّاتِهِ من حاشد وبكيل، رغمَ ما يظهرُ منهم بينَ الحين والآخرِ من موادعةٍ ومهادنةٍ للأتراكِ، «فإنَّ الله سبحانَه وتعالى، سخَّرهم لآلِ البيتِ، كما سخَّرَ الشياطين لخدمةِ سليمان.

ونلحظُ في الـرسالةِ إصراراً على المطلبِ القديمِ وهو: «مملكةُ اليمنِ لآلِ البيتِ، ورثةِ الدولةِ القاسميةِ، وما دونَه ليسَ مقبولاً». ويلوِّحُ الإمامُ بتعبئةِ

القبائلِ وخاصّة حاشد وبكيل ودعوتها للجهادِ[1].

ويتّضحُ من رسائلِ عليٍّ بنِ مثنى الحسيني فيما بعد عدمُ أهميةِ الدورِ الموكلِ إليه في اليمنِ، إذْ لم تَعُدْ رسائِلُهُ تتعدّى العملَ على جمْعِ المعلوماتِ المخابراتيةِ، والتحقُّقِ من مصادرِ تمويلِ وتسليحِ قوّاتِ الإمامِ. فقدْ وصلتْ مِنْ علي بنِ مثنى رسالةٌ في رجب ١٣١٦هـ وبناءً على طلبِ المشيرِ عبدالله، يعرض الصلحَ المحدودَ والذي تحدده نتائج المعركةِ التي وقعتْ في بلادِ آنس، وكان المجاهدون قد غنموا فيها بنادق ومؤن، ويطلب علي بن مثنى في رسالتِهِ إلى الإمام، إرجاعَ السلاحِ الذي غنمتْهُ القواتُ الإماميةُ. وكانَ ردُّ الإمامِ، أنَّ معرفةَ الآخذين للسلاحِ متعذِّرٌ.

ويُستَشَفُّ من الرسالةِ ضآلةُ دورِ علي بن المثنى، إذ لمْ يكنْ أكثرَ من كاتبٍ يعملُ تحتَ إمرةِ المشير عبدِالله، وينفِّذُ تعليماتِهِ، بمنأى عن الوالي المعيَّنِ لليمنِ. وكانتْ رسالةُ علي بن مثنى الحسيني للإمام، المؤرخة في أواخرِ شهرِ رمضانَ سنةَ ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، أكثرَ الرسائلِ إثارةً لحفيظةِ الإمامِ، فقد كتب عليُّ بنُ مثنى وبناءً على طلب المشير عبدالله، يستنكر على الإمامِ استعانتَهُ بالفرنجةِ الكفارِ ضدَّ المسلمين العثمانيين، وتفصيلُ ذلك، وفقَ ما جاءَ في الرسالة:

«أنه وقد سُفِكتِ الدِّماءُ حتى بلغت القتلى إلى المليونات، وأنَّ التشويقاتِ والمعاونات من بعضِ القراناتِ من بابِ تفريقِ شملِ المسلمين»[2].

---

(١) انظر الوثيقة، حوادث سنة ١٣١٦هـ في الدر المنثور.

(٢) انظر، الدر المنثور، ٧٠أ ـ ٧٠ب.

ولمّـا كانَ الإمـامُ يدركُ ما يقصـدُه بتلميحِهِ هذا، من حصولِ القواتِ الإمـاميةِ على بعضِ البنادقِ الفرنساويةِ الأكثرِ فعاليةً من البنادقِ العثمانيةِ، ثارت حفيظتُه عندَ ذلك، وردَّ برسالةٍ بيَّنَ فيها كيفيةَ حصولِ قُواتِهِ على تلك البنادقِ، وكُنّا قدْ تناولنا هذه المسألةَ عندَ دراستِنَا لمصادرِ التموينِ والتمويلِ والتسليحِ في مكانهِ من الدراسةِ.

ومضى الإمامُ في ردِّه معترفاً بدورِ بني عثمانَ في نصرةِ الإسلام قُبيلَ سنةِ ألفٍ للهجـرةِ، ولكنْ بعدَ ذلك، بدّلوا شرعَ اللهِ بقوانينَ سلطانيةٍ، بلْ لقد تآمرت السلطنةُ مع الفرنجةِ النصارى على منعِ الحجاجِ من الوصولِ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ، بدعوى الكرنتينةِ والحجزِ الإجباري. ثمَّ وصفَ في رسالتِهِ ما جرى للناسِ في الحجزِ، وكيفَ قامَ النّصارى بنصبِ المدافعِ في السفنِ البحريةِ لضربِ المسلمين. وعَرَّضَ بجريمةِ رهنِ مصرَ وخيراتِها للإنجليز، وما وقعَ للعلماءِ والأعيانِ من أهلِ الشامِ، الذين هاجروا طلباً للعلم في مجاورةِ بيتِ اللهِ الحرام.

ويختم الإمامُ رسالتَه بعباراتٍ قادحةٍ ذامّةٍ للسلطانِ، حيث يقولُ: «هذا السلطانُ الخبيثُ قد كَدَّر على المسلمين مشاربَ الدين والدنيا، فاخلعوه قبلَ أنْ يبيعَكُمْ من الكافرين، وتقيموا من طاعتِهِ نادمين»[1].

كانتْ عباراتُ الرسالةِ حادّةً ولا ميلَ فيها للمصالحةِ، فقد نَفَضَ الإمامُ يدَهُ من إمكانيةِ عقدِ الصُّلْحِ، مدركاً أنَّ هذا الصلحَ خدعةٌ، يُراد إيقاعُه في شباكِها.

---

(١) انظر الرسالة في الدر المنثور، ٧٠أ - ٧٠ ب.

ويبدو أنَّ الرسالةَ كانت نموذجاً لحربٍ إعلاميةٍ، هدفتْ إلى تأليبِ وتحريضِ المسلمين في كلِّ بقاعِ الأرضِ، فإنَّ المنعَ مِنَ الوصولِ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ وأداءِ فريضةِ الحجِّ إنما هي من الكبائرِ، ففيها صدٌّ عن ذكرِ اللهِ والحجِّ إلى بيتِهِ. وقد وَصَفَتْ الرسالةُ، بتفصيلٍ وشرحٍ مطولين، ما جرى للحُجَّاجِ في مكةَ أثناءَ أدائِهم لفريضةِ الحج، وكأني بالإمامِ وقد رغبَ في توسيعِ ميادينِ المواجهةِ مع العثمانيين، أنه كان يهدفُ إلى عرضِ قضيةِ اليمنِ على مسامِعِ المسلمين في أكبرِ مؤتمرٍ يجمعُهم، إبَّانَ أداءِ فريضةِ الحجِّ، والأكثرُ من ذلكَ الاتفاقُ مع النّصارى الفرنجةِ وتمكينُهم من رقابِ المسلمين، ومِن أرضِ المسلمين التي رهنها أو باعها ـ كما ورد في الرسالة ـ إلى ممالك الكفر، وحتى طلبةُ العلم في الأراضي المقدسةِ حاولوا طردَهم وابعادَهم منها، ثم فيها تحريضٌ على خلعِ السلطانِ العثماني لما ارتكبه بحقِّ اللهِ والعبادِ والأرضِ والعلمِ.

ولا نعلمُ ما مصيرُ هذه الرسالةِ القاطعةِ في تحديدِ العلاقاتِ والاتصالاتِ بينَ الإمامِ والسلطنةِ والمأمورين.

ففي شوال ١٣١٦هـ، وصلَ مكتوبٌ آخرُ من الياورِ علي بن مثنى الحسيني، علَّقَ عليه الإرياني بأنه «طلسٌ وكذبٌ». حيثُ جاءَ في رسالةِ الياورِ الحسيني، أنَّ الباشا ـ والمقصودُ المشير عبدالله باشا ـ سألَهُ عن جوابِ كتابِهِ السابقِ. وكانت إجابةُ الإمامِ مختصرةً، فهو ينفي سعيه في سفكِ الدماءِ. ولكنَّ المشيرَ عبدالله يصدِّقُ قولَ المتحذلقين، الذين يصوِّرون الأمورَ بأنها قد

وصلتْ إلى نهايَتِها، وأنَّ الخلاصَ بات قريباً، وعبَّر عن هذه الحذلقةِ، بأنهم يقولون للمشير، «قد قرَّبْنا الناسَ إلى تحتِ الدكَّةِ، فلم يبقَ إلاّ أنْ تركب!». وعندَ الإمامِ ما كلُّ هذا الا مراوغةٌ، وينهي، «بأنَّ السؤالَ معادٌ في الجواب[1].

وفي ٥ محرم ١٣١٢ كان الوالي العثماني قد أرسلَ رسالةً إلى الإمامِ بواسطةِ الفقيهِ عبدِالله بنِ علي الحَضوُري الصنعاني، لما كانَ الإمامُ بحُوث، في الوقت الذي تمكنت فيه القواتُ العثمانيةُ من الوصولِ إلى بلاد حاشد وبَرَط والشرفين، ولكنَّها لم تستقرَّ فيها، وإنما قفلت عائدةً إلى صنعاءَ، وحين استقرَّ أحمد فيضي في صنعاءَ انتدبَ الفقيهَ عبدَالله بنَ علي الحَضُوري لنقل رسالتِه إلى الإمام؛ لما كانَ بينَه وبين الإمام من صداقةٍ، فقد كانَ جارَ الإمامِ في صنعاءَ وبينهما صلاتُ ودٌّ قديمةٌ[2].

وفي الخطابِ دعوةٌ للإمام للحضورِ إلى استانبول بناءً على أوامرَ صدرتْ من الخليفةِ نفسِهِ، ويعرضُ على الإمام:

إن كان يريدُ الرئاسةَ والقيادةَ فليقترحْ ما يريدُ، وعلى السلطنةِ الوفاءُ بذلك، وإن كانَ يريدُ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ، فإنَّهم يُرَحِّبونَ بذلك. ويقولونَ للإمامِ، هلْ من مزيد!، وإنْ كانَ يريدُ المالَ، فإنَّهُ سوفَ ينالُ فوقَ ما يؤمِّلُ، والقصدُ كلُّ القصدِ، جمعُ الكلمةِ والتَّناصرُ والتعاضدُ، ليكونوا أُمةً واحدةً، ولكنْ لا بُدَّ مِنَ اتّصالِهِ مباشرةً بالسلطانِ والاستقرارِ هناك،

---

(١) انظر الدر المنثور، ق ٧٣أ.

(٢) انظر، نزهة النظر، ٣٨١، أئمة اليمن، ٢/١٥٨.

مقـدَّمَ الـرأي، له الـوجـاهةُ والتعظيمُ والتكريم، ليكونَ رئيسَ الأشرافِ في استانبول، وإنْ أرادَ البقاءَ في صنعاءَ وطنِه ومحلِّ آبائِهِ وأجدادِه، فلهُ ذلك، وله الأمرُ بالمعروفِ، القوّالُ الفعّالُ، منفِّذُ الأحكامِ الشرعيةِ، لا يُغْلَقُ عنه بابٌ، ولا يُرْخى دونَهُ حجابٌ أو ستارٌ، وله ما يريدُ من المواثيقِ والعهودِ السلطانيةِ.

وينهي أحمد فيضي في رسالتِهِ إلى الإمامِ، بأنّه تمكّنَ من الوصولِ إلى جهاتِهِ في بلادِ حاشد وبَرَطَ والشرفين وما إليها، ولكنّه تركَها، وهدفُه الموادعةُ والإعـراضُ عن إلحـاقِ التَّلفِ بالإمام وقوّاتِهِ، في حين أنَّ الإمامَ لم يرضَ بالموادعةِ ولا الصفحِ، وإنما استمرَّ في تحريكِ قواتِهِ ضدَّ العثمانيين. ويناقشُ أحمد فيضي الإمامَ في مسألةِ إمامتهِ، ويضربُ له مثلاً بعليٍّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهَهُ ـ الذي قام بين أيدي الخلفاءِ الثلاثةِ، وخرجَ مجاهداً المرةَ تلوَ المرّةِ، وأقامَ بينَ ظهرانينهم، فالواجبُ على الإمامِ أن يُنزِلَ السلطانَ العثمانيَّ منزلةَ أحدِ الخلفاءِ الثلاثةِ، ويَنْزِلَ هو منزلةَ عليّ كرّمَ الله وجهَهُ.

ثم يسوقُ الأمثلةَ على عدمِ قدرةِ الإمامِ وقواتِهِ على مواجهةِ الأحداثِ والوقائعِ النازلةِ باليمنِ، ويستفهِمُ بصيغةٍ استنكارية: هل يقدرُ الإمامُ وقواتُه على التصدّي لقبائلِ ذي محمد من اليمن الأسفل؟ وهلْ يقدِرُ على كفّ أذى آلِ جزيلانِ من الشغادرةِ إلى اللحيةِ؟ وهل يمكنُ أنْ يُخرِجَ بني علي من رَدْمـان، أو ابن ناشـر أو البـاطنية؟ وهل له أن يتصدّى للأطماعِ الفرنجيةِ والانجليزيةِ والايطاليةِ؟!

وفي النهـايةِ يطلبُ إلى الإمامِ التبصُّرَ في الأمرِ، ويرُدَّ عليه الجوابَ،

ويفصِّلَ فيما يريدُ، حتى يحصلَ الاتفاقُ والاتحاد[1].

والرسالةُ جاءتْ في الوقتِ الذي تمكّن فيه أَحمد فيضي من الوصولِ بقـواتِـهِ إلى القفلةِ، مستقـرِّ الإمـام ِ، ومن ثمَّ إلى بَرَط، لفكِّ الأسرى من العساكرِ العثمانيةِ، الذين أسرتْهُم قبيلةُ ذي محمد، وقد نجحَ في مسعاه ببذلِهِ الأموالَ، ودهكِ بلادِ السُّودة والشرفِ،ودخلتْ قواتُهُ الشاهلَ، وانقادَتْ لهم ذو غيلان. أما الإمامُ، فإنّه صارَ يتنقّلُ في الجبالِ والشّعابِ واستمرَّ ثلاثةَ أشهرٍ على هذه الحـالِ، حتى استقرَّ في حُوث، وأمّا ابنهُ عمادُالدين يحيى فقد استأذَنَ والدَه بالطُّلوعِ إلى جبلِ الأهنومِ، للقراءةِ والاشتغالِ بالعلومِ.

والواقعُ أنّ الحالةَ التي وصلتْ إليها القواتُ الإماميّةُ كانت مؤقتةً، إذ أنَّ القبائلَ،وخاصة عُقّال حاشد، وفدوا على الإمامِ، مجدِّدين العَهْدَ بالجهادِ وقد حذا حذْوَهُم عددٌ كبيرٌ من القبائل وصادف ذلك تفشي الطاعون في المنطقةِ، فهلكت المئاتُ من عساكرِ أَحمد فيضي، الأمرُ الذي دفَعَهُ إلى التعجيل بالعودة إلى صنعاءَ، فبادَرَها مسرعاً، في حين أعادت القبائلُ والعساكرُ الإماميةُ تنظيمَ صفـوفِها، كما نسَّقَتْ هجماتِها في اعتراضِها وملاحقتِها للقواتِ العثمانية. وهنـاكَ رأى الإمـامُ العـودةَ إلى مقـرِّه في قَفْلة عِذَرْ مشتغـلاً ببناءِ المنازلِ للمهاجرين إليه وأخذَ يدعمُ طلبةَ العلمِ، ويكاتِبُ القبائلَ والشيوخَ والعُقَّالَ. وحينها أيقن أَحمد فيضي أنَّهُ لا بُدَّ من حَمْلِ الإمامِ على مغادرةِ اليمنِ، فبُـذِلَتْ له الـوعـودُ للإقـامةِ في استانبولَ أو صنعاءَ، وعُرِضَتْ عليه الأموالُ والزعامةُ الدينيةُ، ولكنْ دونَ التطلُّعِ للسيادةِ، والمهمُّ أنْ يكونَ تحت رقابةِ

---

(١) الدر المنثور، ٤٤ ب.

العثمانيين المباشرةِ سواءً في صنعاءَ أو استانبول.

وحينما أشارَ أحمد فيضي وبأسئلةٍ استنكاريةٍ للصعوباتِ والاضطراباتِ والأزماتِ التي عصفت باليمنِ داخلياً، والأطماعِ الفرنجيةِ المحيقةِ باليمنِ، فإنه من ناحية أخرى أرادَ معرفةَ قدرةِ الإمامِ على مواجهةِ كلِّ ذلك، بأنْ طَلَبَ إليه أن يُفْصِحَ - أي الإمام - عما يريدُ.

ويبدو لي أنَّ الإمامَ قد أدركَ ما يرمي إليه الوالي أحمد فيضي ، وتمكَّنَ من قراءةِ ما بين سطورِ الرسالةِ، وقدَّرَ الأمورَ بحنكةٍ سياسيةٍ مدركةٍ للأزمةِ الداخليةِ، ومقدرةٍ لهولِ الأطماعِ الخارجية المحدقةِ باليمنِ، لذا، تضمَّنَتْ إجابتُه العديدَ من الأمورِ، جاء فيها:

بعدَ الحمدِ على السرّاءِ والضرّاءِ والتنديدِ بالفتنِ والبدعِ ، أنْهى إليه وصولَ كتابهِ، ومن ثمَّ أجابَه عليه بعدَ تفكيرٍ وتفكُّرٍ. وبَيَّن الإمامُ أسبابَ قيامِهِ، وما انتشرَ من فسادٍ، وما طغى من مُنْكرٍ، واستباحةٍ للمحرَّماتِ، وعرَّضَ برجالِ الإدارة والقضاةِ، والصَدِّ عن زيارةِ بيتِ اللهِ الحرامِ ، وانتهابِ أموالِ الناسِ دونَ وجهِ حقٍّ. ولفتَ الإمامُ نظرَ الوالي إلى أنَّ المالَ والأوطانَ والراحةَ والسكون ومتعةَ العيش ما كانت مطلبَهُ ولا هَدَفهُ «فإنما يجعلُها بُراقَهُ ومِعْراجَهُ مَنْ أثارَ الجَهْلُ عليه عُجَاجَه»، ويندِّدُ بالقَرْنِ بينَ السلطانِ وأحدِ الخلفاءِ الثلاثةِ، بقولِهِ «فليس السيفُ كالعصا، ولا الدُّرُّ كالحصى» ويخفِّفُ من نقدِهِ للسلطانِ، على اعتبارِ أنَّهُ محمولٌ على عدمِ علْمِهِ بالحوادثِ وما يجري في اليمن. ثم يبين الإمامُ ما يريد، حيث كان يميل إلى الإسعافِ لظاهرِ الرسالةِ عملاً بقولِهِ تعالى «وإنْ جنحوا للسّلْمِ فاجْنحْ لها».

وهنا حدَّد الإمامُ ما يريدُ:

ـ القبولُ بجزءٍ من مملكةِ آبائهِ وأجدادهِ، يقيمُ فيه أوامرَ اللهِ ونواهيهِ. وأما بقيةُ اليمنِ فتبقى بأيدي المأمورين، تحت سلطةِ الدولةِ العثمانيةِ، شريطةَ أنْ يُقيموا فيها شرعَ اللهِ، «إنْ أقاموا فيه الفرائضَ والسننَ، وعملوا بشريعةِ اللهِ فيما ظهر وبطن».

ثم يُبدي رغبتَهُ بتزويدِه ببعضِ الآلاتِ الحربيةِ، ليحفظَ فيه هذا الجزءَ، وينفِّذَ شرعَ اللهِ، ثم يتفقُ بعد ذلك مع الدولةِ على حربِ الأجانبِ والسفيه، عندَها يحصلُ الاتّحادُ، ويجمعُ بينَ الجميعِ دينُ ربِّ العبادِ، ويقعُ التعاضدُ على مَنْ رامَ أسبابَ البغي والفسادِ.

ومن خلال تحليلِنا لشروطِ الإمامِ لإنهاءِ حالةِ الحربِ، وميلِه للجنوحِ إلى السلمِ، فإننا نرى أنَّ الإمامَ، كان بحاجةٍ لفترةٍ من المهادنةِ لإعادةِ تنظيمِ جبهتِهِ الداخليةِ، وخاصةً العسكريةَ، وكذا إعادةِ تعبئةِ وحشدِ طاقاتِ القبائلِ. وللحقيقةِ فإنَّ بيتَ المالِ الإمامي قد أُثْقِلَ بما أنفَقَهُ على المهاجرين والوافدين وطلبةِ العلمِ، ثم إنَّ القبائلَ، ومِنْ خلالِ تدقيقِنا لطلباتِها التي لا تنتهي، دأبتْ على وجوبِ تقديمِ ما سُمي «بالجُعلِ» لشيوخِها وأبنائِها من المحاربين، لا سيما إذا كانت نتائجُ المعاركِ في غيرِ صالِحها، ولم تفُزْ منَ الغنيمةِ إلّا بالإيابِ، يُضافُ إلى ذلك، أنَّ الإمامَ كان يسعى لإيجادِ جبهةٍ عريضةٍ مناوئةٍ للعثمانيين حتى في خارجِ اليمنِ، فكانتْ له مراسلاتٌ مع محمد بن رشيد، وأميرِ عسير، وحتى مع قبائلِ وسلاطين اليمنِ الأسفلِ، ثم إن القبولَ ببقاءِ قسمٍ من اليمنِ تحتَ سيطرةِ الدولةِ العثمانيةِ جاءَ مشروطاً

بالتراجُع عن القوانين السُّلطانيةِ، قانونِ الولاياتِ العثماني، وإمضاءِ شرعِ اللهِ وسنةِ نبيه، وهو الأمرُ الذي ما عتِمَتِ السلطنةُ ترفضُه، ولم يكنْ طلبُه لبعضِ الآلاتِ الحربيةِ إلّا للنهوضِ بمواجهةِ ومجابهةِ ما عَرَضَ له أحمد فيضي من تعدِيات آل جزيلان، وذي محمد، الباطنيةِ وغيرِهم، أما فيما يتعلّقُ بأطماعِ القوى الخارجيةِ مِن انكليز وطليان، فقد أبدى استعدادَه لمناصرةِ الدولةِ ومعاضدتِها في التصدّي لتلك الأخطارِ.

ومجملُه، أنَّ أحمد فيضي يعرض على الإمامِ إخلاءَ المنطقةِ الإماميةِ وسكونَها، والإمامُ يطلبُ إليه الاستقلالَ بحكمٍ إمامي أكثرَ من ذاتي، وعليه أن يدْعَمَه بالآلاتِ الحربيةِ، والبنادقِ والمدافعِ والعجلاتِ. فكان هناك افتراقٌ بين المريد والمراد.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنّ العلّامةَ أحمد بن محمد الكبسي حاولَ التوسُّطَ بينَ الإمامِ والوالي حسين حلمي، وكنّا قدْ أشرنا إلى الأسبابِ التي دفعتْ العـلّامة الكبسيَّ للتعاونِ مع حسن حلمي، بعدَ توليه اليمنَ، خَلَفاً لأحمد فيضي الذي تركَ اليمنَ، والنّاسُ في ضنكٍ من العيشِ مع الشدةِ والظلمِ والفقـر[1]، ولكنَّ المعلومـاتِ عن الرسائلِ المتبادلةِ بينَ الإمامِ من طَرَفٍ، وحسين حلمي والعلّامةِ أحمد بن محمد الكبسي من طرفٍ ثانٍ غيرُ واضحةٍ، فالكبسي في رسالتِهِ إلى الإمامِ المؤرخةِ في ربيعِ الأول سنة ١٣١٦هـ يشيرُ إلى وصـولِ مكتـوبٍ من قِبَلِ الإمام، عرضَهُ الكبسي على الوالي حسين حلمي، فطلبَ إليه الردَّ عليه بما جاءَ في الرسالةِ هذه، بمعنى أنّهُ كانت قَدْ

(١) فرجة الهموم، ١٧٤.

وصلتْ رسالةٌ من قِبَلِ الإمامِ ، وهذا ما لمْ نعثرْ عليه لا في الدرِّ المنثورِ، ولا في أئمةِ اليمنِ، ولا في حولياتٍ يمانيةٍ، وحتى في الأرشيفِ العثماني، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ الرسالةَ تضمنتْ عدةَ أمورٍ منها:

- الواجبُ رعايةُ المنفعةِ الاسلاميةِ العامة، وذلك باتحاد الكلمةِ وسلوكِ الهدايةِ، ولم يرَ سوى الاتحادِ على رضا الباري، مع قيامِ أركانِ الشريعة.

- الوالي لا يجدُ مجالاً أو استعداداً للخوضِ في أمورِ الدنيا وشروطِها وزيادتِها ونقصانِها،فالوالي لا يريدُ للإمامِ سوى الخيرِ الدنيوي والأخروي، وذلكَ بالرجوعِ إلى الوطنِ والأحبابِ والسكنِ معزَّزاً مكرَّماً، أميناً مؤتمناً، ولا بدَّ من الدخولِ تحتَ طاعةِ أمر السلطانِ، وأنْ يستظِلَّ بظلِّ لوائه.

- التنازلُ عن مطلبهِ في الإمامةِ، والخطبةِ له على المنابِرِ، وكذا الاستقلال ، وليس له إلاّ الرفعةُ، كما لأولادِ الأشرافِ في الحرمين وله الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المُنْكرِ وإعزازُ حكمِ الشريعةِ والدين، والأكثرُ من ذلك، فإنَّ بابَ الاستقلالِ والخطبةِ والإمامةِ مغلقٌ.

ويبدو أنَّ العلامةَ الكبسيَّ كان يدُركُ مدى تمسُّكِ الإمامِ بهذِه المطالب، وأن الحلَّ والصلحَ لا يكونُ إلاّ بها، لذا فإنه قدَّمَ اعتذارَه للإمامِ بقولِه «لا غائلةَ لهُ ولا حيلةَ، ولا باطنٌ غيرُ الظاهر».

ثم يعطفُ إلى الوعظِ وتقديمِ النصيحةِ،مشيراً إلى أنَّ المسلمين في ذمةِ الجميعِ ، فلينظر الجميعُ لما فيه النجاةُ بينَ يدي اللهِ، وذلك بكفِّ الأذى عن المسلمين ودفعِ المحنِ والفتنِ وهتكِ الأعراضِ،وسلبِ الأموالِ وخرابِ الديارِ، وهي تبعةٌ يتحملُها الجميعُ، ولكنَّ الإمامَ كما يقول الكبسي «أولى

واحقٌّ بذلك».

والرسـالةُ واضحـةٌ فيما ترمي إليـه، فليس للإمـام خيارٌ سـوى التخلّي من مطالِبِـهِ، بعدهـا ينعمُ بالراحـةِ والسكون والأمان. والكبسي، في الوقـت الذي يعتذَر فيه ويتنَّصل ممّا ورَدَ في الرسالةِ، يعودُ ويُقنعُ الامام بذلك، قائلا: «أنت أوْلى وأحقُّ بذلك».

لقـد أدركَ الإمامُ معانيَ ما ترمي إليه الرسالةُ، ولذا جاءتْ إجابتُهُ بَيّنةً واضحةً. فبعدَ افتتاحِ كتابِ الرَّدِّ بالبسملةِ والحَمْدَلة، وإسباغِ الألقابِ الشريفةِ والمعظمةِ على العلامةِ الكبسي، لخّص ما فهِمَه من الكتابِ، وهو:

ـ الاتحادُ على رضا ربِّ العالمين، وتفسيرُه للاتحادِ أنه الرجوعُ إلى الوطن (صنعاء) في ظلِّ عدالةِ السلطانِ، والاستقلالُ غيرُ مقبولٍ والإمامةُ والخطبةُ مرفوضةٌ. وبعدَ ذلك يبينُ الإمامُ للعلامةِ الكبسي ردَّه، ومجملُه:

أنَّ واسطة الكبسي كانتْ مقبولَة، لاعتقادِ الإمامِ بقدرتِهِ على قول الحق، وإنْ شقَّ، وعلى المجادلةِ بالحجةِ والبرهان، أما وقد تعذر عليه قول الحق، فلا فائدةَ من وساطته، ويناشدُه بقوله:ألم يقبلِ السلطانُ باستقلالِ الأجانبِ في أقـطارٍ واسعةٍ من بلادِ الإسلام؟ وهو هنا يعرِّضُ بما وقع في منطقةِ البحرِ الأسـودِ، والبُغـدان والأفـلاق (البـوسنـة والهرسك) وحتى اليونانِ فليكن آلَ الرسولِ كذلك».

ـ ويُنهي جوابه بتصميمه على القتالِ والحربِ، مستشهداً بالحديثِ النبوي: «أنا حربٌ لِمنْ حاربتُمْ، سلْمٌ لمن سالمتم»

والـرسـالـةُ في إطـارِهـا العامِ تقعُ في بابِ التحذير والترغيبِ بالراحةِ والـرفاهيةِ، وجاءَ ردُّ الإمامِ حاسماً في الرفضِ وعدمِ القبول[1]، حتى إذا نجحت القواتُ العثمانيةُ باحتلالِ الشاهلِ في ١٨ رجب ١٣١٦هـ، كتبَ حسين حلمي إلى جميعِ أتبـاعِ وأعـوانِ العجم بخبرِ الشاهل، وما حقَّقَتْهُ القواتُ العثمانيةُ من كسرٍ لشوكةِ الإمام وقواتِهِ ورعاياه، وفي نفسِ الوقتِ، كتبَ الى الإمام يرِّغِّبُه بالمصالحـة ويكرِّرُ عَرْضَه السابقَ بالقدومِ إلى صنعاءَ حقناً للدماءِ، وللدخولِ في طاعةِ السلطان، وجاءَ في جوابِ الإمام:

ـ أنَّ النصـائـحَ إنمـا توجَّهُ لمرتكبي القبائحِ، وإلى مَنْ حادَ عن جادّةِ الصواب، وخالَفَ السنةَ والكتابَ.

ـ وحسب رأي الإمام، ففي الوقت الذي يدعو الإمامُ الواليَ إلى إجراء الأحكام الربانيةِ وإقامةِ الشريعةِ كان الوالي يدعو الإمامَ إلى الراحةِ والرفاهية وطلبِ الدينا، وبينما يدعو الإمامُ الواليَ إلى الآخرةِ، كان الوالي يدعوهُ إلى الدنيا.

ـ يرى الإمامُ أن احتلالَ الشاهلِ ما كان إلا لما قرّ في نفسه (الإمام) بأنَّ الأتراكَ سيسارعون لقتالِ الكفار الذين اعتدوا على ديارِ الإسلامِ بدلَ جمعِ الأتراكِ العساكـرَ الكثيـرةَ لمحاربـــةِ العترةِ النبويـــةِ في اليمن والتغاضي عن احتـلالِ عواصمَ ومـدنِ الإسـلام من قبـل الكفـرةِ الفـرنجةِ. وحتى أولئك المـأمـورون الـذين نسبـوا الإمامَ إلى المخالفةِ، ما كان هدفهُم إلاّ اتلافَ

(١) الدر المنثور، حوادث ١٣١٦هـ.

الأموالِ السلطانية.

- وذهبَ الإمامُ إلى أنه لا يحاربُ وإنما يدافعُ، وما سفكُ الدماءِ إلا منْ قِبَلِ مأموري السلطنةِ العثمانيةِ، وخاصّة المدفعيين الذين يقتلون العساكرَ السلطانيةَ الهاربةَ.

- يُقرُّ الإمامُ أنَّ قوةَ الدولةِ العليةِ لا ينكرُها عاقلٌ، ويقولُ: نحن معترفون بفقرِنا وضعفِنا والتجائِنا إلى ربنا».

ويقرُّ كذلك بأنّه لا يندمُ على شيءٍ، فليسَ لهُ مملكةٌ يخافُ عليها، ولا يرتجفُ من مجاورةِ الوحوشِ إذا لاحقتْهُ الدولةُ العليّةُ.

- وأمّا المصالحةُ، فلطالما طلبَها، والملأُ يشهدُ على ذلك، وهي ليست إلا حيلةً عند الأتراكِ يتصيَّدون بها الإمامَ بينَ الحينِ والآخر، فسبيلُها معروفٌ، وذكرُها وكيف ستكونُ موصوفٌ.

- ثم ينهي الإمامُ إلى حسين حلمي أنَّ الإذعانَ والتسليمَ والطاعةَ مستحيلةٌ، حتى الاسكندرُ لم ينجحْ في فرضِها على اليمنِ، ولم تذعِنْ حاشدُ ولا بكيل لأعتى قوةٍ شهدَتْها العصورُ. فلا يغُرَّنَّ نفسَه ببوارقِ الموادعةِ الآنيةِ.

ويُلاحظُ أنَّ الرسائلَ المُرْسَلَةَ إلى الإمامِ قد نَشَطَتْ في هذه الفترةِ، سواء من الياورِ الحسيني، الذي يعملُ بالتنسيقِ مع المشيرِ عبدالله باشا، حينَ أرسل ثلاثَ رسائلِ، أم مِنَ الوالي حسين حلمي، وهذا يُبَيِّنُ مدى الافتراقِ والتنافسِ الواقعِ بينَ الولاةِ العثمانيين من مدنيين وعسكريين.

وعلى الجانبِ الآخر، فقد تفرَّدَ مخطوطُنا، الدرُّ المنثورُ، بروايةِ خبرِ

سفـارةِ عبدالرشيد بك أحدِ قادةِ الأتراكِ في اليمن. فقد أوْفَدَ محمد علي رضا[1]، أحدَ أعوانِه، إلى مقرِّ الإمامِ مباشرةً، وقد أُحيطتْ هذه السفارةُ بسريّةٍ تامّةٍ، فقد تزيّا بزيِّ الأعرابِ، وأظهرَ التَنَسُّكَ وحَمَّلَهُ رسالةً، ومعها هديةٌ من طيبٍ وكســوةٍ إلى الإمـام، والهـدفُ هو الإصـلاحُ، بالمسـاهلةِ والمبادلةِ، ويعدَها المجادلةُ، أي بتبسيطِ الأمورِ ومناقشتها بينَ الأطرافِ مباشرةً. ولما كانَ الإمامُ لا يثقُ بالمأمورين العثمانيين، فقد أوفدَ ـ لاستطلاعِ ما عندَه ـ أحـدَ أعـوانِـهِ الخُلَّصِ، فقـابلَهُ الشيخُ يحيى بنُ يحيى دوده، واستمعَ إلى اقتراحاتِه القائمةِ على إجراءِ المصالحةِ عن طريقِ كاتبِ الولاية وعبدالرشيد بك، وكانَ أنْ رفضَ الشيخُ قبولَ الهديةَ بأمرِ الإمامِ وحَمَّلَهُ رسالةً إلى الكاتب وعبدالرشيدِ، تضمَّنَتْ وَصْفاً لما يفعَلُه المأمورون في اليمن، وإعادةً لذكر ما يرتكبونهُ من قبائح، تتفطَّر لها السمواتُ وتنشقُّ لها الأرضُ وتخرُّ لها الجبالُ. وأمّـا المصـالحةُ التي اعتادَ الولاةُ عرضَها علينا، «فما كانت إلّا لاستطلاعِ حقيقةِ أمرِنا من قوةٍ وضعفٍ وحركةٍ وسكون، بل ومضاعفةِ العيونِ والجواسيسِ علينا، لابتهالِ فرصةِ غفلتِنا» ومن ثَمَّ يقودون الجيوشَ لمحاربتنا.

ويصرِّحُ الإمامُ في رسالتِه، إنْ كان الكاتبُ وعبدُ الرشيد بك على قَدَمٍ راسخةٍ من طلبهما للصُّلحِ فليُقـدِّمـا اقتـراحـاتِهما تفصيلاً، وما عنوانُ المصداقيةِ عندَهُما، وما المانعُ لها.

---

(١) علي باشـا رضـا المعـروف بالقـرشي، تردد على اليمن عدة مرات، آخرها محرم ١٣٢٣هـ/ مارس ١٩٠٥، قتِلَ في احدى المعارك قرب خَمِر، انظر، أئمة اليمن ١٧/٣.

واستمرّت الاتصالاتُ بينَ الطرفين، فكشفَ الإمامُ عمّا سيقعُ عليه الصلحُ، وهو:

ـ الاعترافُ باستقلالِ جزءٍ من اليمنِ، ليكونَ مملكةً للإمام، تبدأ حدودُها من قفل شمر وما إليها من المحلاتِ، حجر أبو منصور، عزلةُ بني خولان، الشاهل، وبلادُ الشرفين وما حاذاها، وما يقابُلها بخطٍّ الاستواءِ إلى عَفَّارَ وكحُلان

ـ تقديمُ بعضِ الآلاتِ الحربيةِ للقواتِ الإماميّةِ، لحفظِ وضبطِ تلك الديارِ[1]
ويُلاحَظُ بأنَّ علي رضا وعبدالرشيد بك عاودا المكاتبةَ إلى الإمامِ، حيث أبديا قبولَهما بما طَلَبَهُ الإمامُ، ولكنَّ ذلك لا يكونُ إلا بكتابٍ من الإمامِ إلى السلطانِ مباشرةً، وأرسلا إلى الإمامِ مسودةَ الرسالة المنشودةِ، ومحورُها:

أنَّ المحاربةَ لم تقعْ إلّا بسببِ الظلمِ، ومِنْ ثمَّ تُشيدُ بفضائلِ الوالي وعدلِهِ. ويبدو أنَّ السفارةَ بمجملها لم تكنْ إلا دميةً من الوالي حسين حلمي، وهدفهُ الوحيد الظفرُ بشهادةِ الإمام للوالي حسين حلمي عندَ السلطان العثماني.

وقد أدركَ الإمامُ ما ترمي إليه تلك المراسلاتُ، ورأى أنَّ هذا لونٌ جديدٌ ووسيلةٌ أخرى من خداعِ الأتراكِ، فأغلقَ البابَ هذه المرةَ وأرسلَ: «إنْ كنتم تريدون المصالحةَ، فتكونُ الكتبُ منكم، وإلّا أوصدوا البابَ»[2].

---

(١) الدر المنثور، ٨٩ أ ـ ب.
(٢) الدر المنثور، ٨٩ ب.

وقد أُوْصِدَ البابُ فعلاً حتى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٢٠هـ حينَ وصلَ إلى صنعاءَ حسن خالد، أبو الهدى الصيادي موفداً من قِبَلِ السلطانِ بدعوى الإصلاح بينَ السلطانِ والإمامِ، وذلك إثرَ وصولِ الأخبارِ إلى البابِ العالي بفرارِ العساكر العثمانيةِ إلى طَرَفِ الإمامِ ونجرانَ وبلادِ نجد، بسببِ ضراوةِ المقـاومـة اليمنيةِ، وظلمِ قادتِهم الذين يزجُّون بها في معاركَ خاسرةٍ، وفي مناطقَ وعرةٍ لا يعرفون عن طبيعتها شيئاً، وذلك بعدَ أنْ كشفوا زيفَ ما دعوا إليه من مقاتلةِ الكَفَرةِ، فاكتشفوا أنَّهم إنما يقاتلون مسلمين، سيما وأنَّ الإمـامَ أذاعَ رسائلَه إلى بلادِ الشام والحجازِ يدعوهم لثني أبنائِهم عن الـذهـابِ إلى اليمنِ لمقـاتلةِ المسلمين هناك، علاوةً على المأزقِ الدائمِ للعثمانيين في اليمنِ، وقد حاوَل حسن خالد، أبو الهدى، الاتصال بالإمام، فأوْفدَ إليه علي بن يحيى النحوي، يدعوه لمرافقتِه إلى استانبول، إلى طرَفِ السلطانِ لأمورٍ لا تسعُها المشافهةُ، وكان جوابُ الإمامِ الرفضَ، والاطنابَ فيما يُلاقيه اليمنيون من العنت والظلم من المأمورين، والتعدّي على حقوقِ آل البيتِ، وكيف وصلَ الأمرُ بهم إلى ضربِ العساكرِ العثمانيةِ بالمدافعِ لإجبارِهم على محـاربـةِ رعايا الإمامِ، والتخلي عن محاربةِ الكفّارِ، ويقصدُ القواتِ الإنجليزيةَ في عدن، والإيطاليةَ الطامعةَ في موانيء ومدنِ الإسلام[1]، ويعاودُ حسن خالد، أبو الهدى الاتصالاتِ التي أسفرتْ عن اللّقاءِ في جَوب، حيث أرسلَ الإمامُ السيّدَ أحمدَ بنَ قاسم بنِ الإمامِ، والسيدَ المقدّمي، محمدَ بنَ أحمد الشامي، وبرفقتِهما أكثرُ من ٤٠٠ نفرٍ من حاشد، وانضمَّ إليهم الكثيرُ

---

(١) الدر المنثور، ١٠٧ب.

من النـاس حتى بلغَ الجمعُ عشرةَ آلافٍ، وخرجَ حسن خالد، أبو الهدى الصيادي، بنحو ٤آلافِ رجلٍ، ومئةِ فارس، والتقى رؤساءَ الوفدين، ووقعتِ المفاوضاتُ، وألقى كلٌّ طرفٍ ما عندَه، وعادَ حسن خالد إلى عَمْرانَ ومنها إلى صنعـاءَ، والسيدان إلى خَمْر ومنها إلى عندِ الإمام، وقد اشترطَ الإمامُ شروطـاً، وعدَ حسن خالـد بنقلِها إلى السلطانِ. وبالفعلِ فقدْ غادَرَ حس خالد الحديدةَ في شهرِ شعبانَ ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م ومنها إلى عدن، على أنْ يعودَ لانجازِها. وما عادَ!

ويبدو أنَّ الإمامَ قد أدركَ أنَّ هذه المفاوضاتِ المباشرةَ ما كانت الا بهدفِ التسكينِ والمراوغةِ، وبالرغمِ من كلِّ ذلك. فقد نجحَ الإمامُ في طرحِ قضيةِ اليمنِ بقوةٍ لدى البابِ العالي باعتبارِها أزمةً ملحّةً تقتضي حلّاً، ونجحَ كذلك في طرحِهـا أمـامَ الشعـوبِ العـربيةِ والإسلاميةِ، على أنها توجبُ المؤازرةَ والتعاضدَ، بل أكثرُ من ذلك، فقد أجبرَ الدولةَ العثمانيةَ على الاعترافِ به رسمياً كقوةٍ مشاركةٍ في حكمِ اليمن، وبالتالي، فإنَّ الإقرارَ بوضعٍ خاصٍّ للائمةِ في اليمن، وإقامةِ الشريعةِ في المناطقِ التي تدينُ له بالولاءِ غدت مسألةَ وقتٍ ليس إلا. يروي صاحبُ أئمةِ اليمنِ أنَّ حسين حلمي والي اليمن العثمـاني قد خاطَبَ جمـاعةً من ذواتِ صنعاءَ الذين حضروا لتوديعه غداة انفصالِه عن اليمنِ بقولِه «قد عرفتُ داءَ اليمنِ، والدواءُ مصالحةُ الإمامِ، ولم يبقَ الا الطبيبُ الذي على يدِه استعمالُ الدواء، ولا أتركُ فعلَ كلِّ ما يمكن فعلُه لايجادِ الطبيب»[1].

---

(١) أئمة اليمن، ٢/٣٧٥.

هذا وقد أتتْ تلك الرؤيا بنتائِجها في عهدِ خلفهِ الإمام يحيى ووُقِّعَ صلحُ دَعَّان[1] بينَ الإمام يحيى والدولةِ العثمانيةِ، التي فوَّضت القائدَ العثمانيَّ عزت باشا في ٢٦ شوال ١٣٣٠هـ/ ٩ اكتوبر ١٩١١م لتوقيعهِ.

المطلب الثاني:

الإمامُ والقوى الخارجيةُ:

لا تحـظى العـلاقـاتُ الخارجيةُ للإمام محمدٍ المنصورِ باللهِ، باهتمامِ مؤرِّخِنا الإرياني، وعذرُه في ذلك أنه يكتبُ سيرةَ الإمامِ وصِراعَهُ مع الأتراكِ، ولـذا فإنَّ الاعتمـادَ على كتابِنا الدرِّ المنثورِ لوحدِه في تقديمِ تصوُّرٍ كاملٍ لعلاقاتِ الإمامِ مع الولاياتِ العربيةِ وحكّامِها، أوْ معَ بلدانِ العالمِ الإسلامي أو معَ القوى الأوروبيةِ يظلُّ مطلباً متعذِّراً. فما ورَدَ بصددِ تلك العلاقاتِ لا يتعدّى شذراتٍ متناثرةً في ثنايا الكتاب.

ولكنّنـــا نستشِفُّ ـ من خلالِ المـــواقفِ التي كانَ الإمامُ يُلزِمُ نفسَــهُ بها ـ تشدُّدَهُ في عدمِ التّعاونِ معَ الدولِ الفرنجيةِ (قراناتِ النصارى الكفرة)، وكـذلـك عدمَ قبـولِهِ المساعدةَ أو التعاونَ، ولا الاتصالَ مع قوى الكُفرِ مِنَ الفرنجةِ (كما يَرِدُ في مخطوطنا)، ضدَّ قوى البغيِ والظُّلْمِ مِن المسلمين، ويقصدُ الإمامُ بهم الأتراكَ في اليمنِ، ويبدو أنَّ هذا الموقفَ كانَ لهُ تقديرُه فيما بعد عندَ السُّلْطنةِ. ونسجِّلُ للإمامِ موقفين بهذا الصَّدَدِ:

---

(١) دَعَّان: بلدة في ظاهر جبل عيال يزيد من همدان، في الشمال الغربي من مدينة عَمْران بمسافة ١٨كم، انظر، الاكليل، ١٦٢/٨، اليمن عبر التاريخ، ٢٦٩، معجم المقحفي، ٢٣٥.

الأول: حين اتّهمه الياورُ علي بنُ مثنى الحسيني في إحدى رسائِلِه، بأنّهُ يتلَقّى المعونَةَ من الفرنسيين. وأنه حصل على البنادقِ الفرنساويةِ لقتلِ المسلمين، كان ردُّ الإمامِ واضحاً على هذه المسألةِ، وشرحَ للياورِ عليِّ بنِ مثنى ـ وهو عدوُّه آنذاكِ ـ كيفَ قامَ أتباعُ الإمامِ بشراءِ تلك البنادقِ من أموالِهم الخاصّةِ، وكنّا قَدْ عرضنا لهذهِ المسألةِ عندَ دراستنا لوسائلِ الإمامِ في التموينِ والتمويلِ والتسليحِ.

الثاني: حينَ أرسلَ عبدُالرحمنِ الكواكبي، أحدُ زعماءِ الإصلاحِ ـ المعروفُ ـ كتابية: أمَّ القرى، وطبائعَ الاستبداد إلى الإمام، مُرْفَقَيْن برسالةٍ إليه، يحرِّضُهُ فيها ضدَّ الأتراكِ قائلاً: «وإنْ كانَ يحرصُ ـ أي الإمام ـ على زيادةِ العصبةِ المؤمنةِ المقاتلةِ، فما عليه إلاّ أنْ يطبعَ كُتُبَ المذهبِ الزَّيْدي لينفي عَنْ نفسِهِ، وعن المذهبِ ما يُرْمَيان به وبذا يفوزُ بتعاطفِ العالَمين: الإسلامي والعربي». ويُبدي الكواكبي استعدادَهُ لمعاونةِ الإمام في طبعِ تلكَ الكُتب وتوزيعها، بل إنَّهُ ـ الكواكبي ـ زوَّدَ كتابَه «أمَّ القرى» المُرْسَلَ إلى الإمام بشيفرةٍ (رموزٌ أو معمَّى) ليعتمدَها في الاتصالِ والتعبئةِ والتنظيم، وبعدَ أنْ قرأ الإمامُ الرسالةَ والكتابين، كان تعليقُه:

«في الكتابين ـ يعني أمَّ القرى وطبائعَ الاستبداد ـ ما يوجبُ الشكَّ ويُثْمِرُ الظنَّ، إنَّ في ذلك استطلاعَ ما عندَ المسلمين من الهِمّةِ والغيرةِ، على الدينِ، ولعلَّ ذلك مدسوسٌ من جهةِ قرال الانجليز».

ويعلِّق مؤرِّخُنا على رأي الإمامِ بقولِهِ «وجوابُ الإمام ـ حفظهُ الله ـ قدْ ألَمَّ بما يومي إلى قطعِ أطماعِ الفرقةِ الكافرةِ[1].

---

(١) انظر، الدر المنثور، ١٠٦أ.

إنَّ إلقـاءَ نظرةٍ فاحصـةٍ على الأوضاعِ العامّةِ في الجزيرةِ العربيةِ، والولاياتِ العربيةِ الأخرى، تبيِّنُ أيةَ هواجسَ كان يتحسَّبُها الإمامُ إذا ما أقدمَ على إقـامـةِ علاقـاتٍ مع القوى الأوروبيةِ أو القوى المحليّةِ العربيةِ في الجزيرةِ والمشرق والمغرب.

كانت بريطانيا قد احتلَّتْ مصرَ سنةَ ١٨٨٢م في عهدِ الخديوي توفيق، وسيطرت على إدارةِ الاقتصاد فيها، وقَبْلَ ذلك احتلَّتِ الشَطْرَ الجنوبيَّ من الوطن، اليمن سنة ١٨٣٠م، وانشأتْ سلْطَناتٍ ومشيخياتٍ وحامياتٍ فيه، وتدخَّلَتْ في العراقِ، وكانت تحاول السيطرةَ على البحرِ الأحمرِ والخليجِ والمحيطِ الهندي، لتكون بحاراً بريطانيةً. وإيطاليا هي الأخرى سيطرتْ على الحبشـةِ، وأخذت تعملُ ضدَّ المصالحِ البريطانيةِ، وتحاولُ أنْ تجدَ لها مكاناً في الجزيرةِ العربيةِ، لذا بدأت تعملُ لمدِّ نفوذِها إلى اليمنِ، وكانَ الإمامُ يُدْرِكُ أخطارَ التَّنافسِ الأوروبي على المنطقةِ، فجهدَ لينأى بما تبقّى من اليمن ـ بعدَ احتلالِ الجنوبِ ـ عنِ الدُّخولِ في أتونِ تلك الصراعاتِ.

أمـا في داخـلِ الجـزيرةِ العـربيةِ، فالصـراعُ كان قائماً بينَ القوى المحلِّية، وهو صراعُ آلِ سعود مع آل رشيدِ وبني خالد وأمراءِ عسير من آل عائض، وكانت القبائلُ العربيةُ يلفُّها النزاعُ والتخاصمُ، وليسَ الحالُ في بلادِ الشـامِ أو العراقِ أو ليبيا وتونسَ والمغربِ والجزائرِ بأفضلَ منهُ في الجزيرةِ، فعشائرُ المنتفقِ وتميمٍ والبوحمد وبنولام وغيرِها متقاتلةٌ متحاربةٌ، والقـوى المحلِّيّةُ في بلادِ الشـامِ متصـارعـةٌ، فآل العـظم، والمعنيون والشهابيون والدروز والموارنة والشيعة والسنة كلّها كانت تتصارعُ مع بعضِها البعضِ.

إن تلكَ الأوضاعَ التي كانت تُخيِّمُ على الوطنِ العربي، هي التي حدَّدَتْ سياسةَ الإمامِ في علاقاتِهِ الخارجيةِ. وظهرتْ ميادينُ علاقاتِه فيما يلي:

أولاً: مع بريطانيا

كان الاحتلالُ البريطانيُّ للجزءِ الجنوبي من اليمن منذُ سنةِ ١٨٣٠م، يُمثِّلُ عبئاً ثقيلاً على الإمام. فقد كان ـ وبالرغم من إنشغالِهِ في حروبٍ مع العثمانيين ـ يعملُ لتخليصهِ من الانجليز الكفرة ـ كما اعتادَ الإمامُ أن يصِفَهُمْ ـ ولـذا سعى للاتصالِ سنةَ ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م مع سلطانِ لَحجَ، وكانَ الإمامُ يسعى من وراءِ اتصالاتِه بسلطانِ لحج إلى الحصولِ على المساعدةِ والمعاونةِ، في حروبهِ مع الأتراكِ، من المؤن والمالِ والسلاحِ، ومِنْ ثمَّ دَفْعِهُ للخروجِ ضدَّ الاحتلالِ البريطاني للجنوبِ، وكان سلطانُ لحج يقاسي مِنْ دسائسِ الإنجليز، بتشجيعٍ مِنْ أعمامِهِ، ولكنّهُ ما لبثَ هو نفسُه أنْ وقَّعَ معاهداتٍ مع الانجليز، تنازلَ في إحداها عن قريةِ الشيخِ عثمان لهم.

كانتْ سياسـةُ سلطانِ لحج، وهو فضلُ بنُ عليِّ بنِ محسنِ بن علي العبدلي لا تروقُ للإمامِ فكتَبَ ـ الإمامُ ـ إليه، «لإقامةِ الحجةِ عليه، وعلى مَنْ وُلِّي أمرَ اليمنِ الأسفلِ»[1] ولكنَّ مؤرِّخَنا لم يذكُرْ نصَّ رسالةِ الإمامِ، وجـوابَ سلطانِ لحج، وإنما اكتفى بأنْ قالَ: فكانَ جوابُه ـ أي سلطان لحج ـ بالاعتذارِ والمُغالطةِ، وعلّقَ الإرياني على ذلك بقولِهِ: «لأنَّهُمْ ممَّنْ يعلمون ظاهراً مِن الحياةِ الدنيا، وهمْ عن الآخرةِ غافِلون». ويُعَلِّلُ مؤرِّخُنا

(١) الدر المنثور، ٤٣.

سببَ عدمِ إثباتِهِ لرسالةِ الإمامِ وجوابِ السلطانِ فضلٍ عليها بقولِهِ: «ولولا مخافةُ التطويلِ ـ فيما لا طائلَ تحتَهُ ـ لذكرتُ الأصلَ والجوابَ». ونحنُ نرى أنَّ الإمامَ كان يحاوِلُ إقامةَ صِلاتِ الثَّوْرةِ والخروجِ في الجنوبِ، أو على الأقلِّ الاقترابَ من مناطقِ نفوذِ بريطانيا، ولذا فإنه دَعَمَ حملةَ القاضي أحمدَ بنِ محمد العكام البَرَطي، والنقيبِ عليّ بنِ ناصر جزيلان، المعروفِ، بأبي حرب سنة ١٣١٠هـ، واللَّذين وصَلا طرَفَ الإمامِ وبرفقتِهما جماعةٌ مِنْ أبناءِ القبائلِ، يبغيان أمراً في إنشاءِ الجهادِ في اليمنِ الأسفلِ، فوافقهما، ووقعتِ المعاركُ حتى حوصِرَتْ إب من قِبَلِ العجمِ (الأتراك)، واضطَّربَتِ الأحوالُ، فأرجفَ الإفرنجُ (الانجليز) في عدن[1].

إنَّ توجُّهَ قواتِ الإمامِ نحوَ إبْ أثارَ مخاوفَ الانجليز في عدن والأتراكِ في صنعاءَ معاً، فالانجليزُ، يَخْشَوْنَ منَ امتدادِ الثورةِ إلى المناطقِ التي يسيطرون عليها، في حالةِ إلتقاءِ أهلِ الشّمالِ وأهلِ الجنوبِ، وتحقيقِ الوحدةِ والتعاونِ بينهما، ومن ثَمَّ توحيدِ الجهودِ لطردِ القوى المحتلةِ في الشمالِ والجنوب. والأتراكُ، يخْشَوْنَ من اتصالِ الإمامِ بأهلِ الجنوبِ، فتقوى جبهتُه بِمَنْ ينحازُ إليه من أهل الجنوب للجهادِ معه، وبما يصِلُهُ من إمداداتٍ في السلاحِ والمالِ والمؤنِ منهم.

ومع أنّنا لم نعثرْ على وثيقةٍ تدعمُنا فيما ذهبْنا إليه، فإنَّ سيرَ الأحداثِ التي جرت فيما بعد، أكّدَتْ نوعاً من التعاونِ بين المأمورين الأتراكِ والجنرالاتِ الإنجليز في عدن.

---

(١) الدر المنثور، الزيادات، ص ٢٩٢.

ومنذُ سنةِ ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م دخلتْ علاقاتُ الإمامِ بالانجليز مرحلةً أُخرى، أكثرَ قساوةً. ففي تلك السنةِ قامَ محمد ناصر مقبل الصرّاري، قائمقام القماعرةِ، باليمنِ الأسفلِ ومركزُها ماويةُ، بإنشاءِ بيتٍ في الكفوفِ في أرضِ الحَواشبِ، الواقعةِ على بعدِ ميلين شمالَ غربِ الدُرَيْجةِ[1]، ولما طلب القائدُ الانجليزي الرائد راو من محمد ناصر هدمَ العمارةِ، لأنّها أُقيمتْ فوقَ أرضٍ تقعُ تحتَ الحمايةِ البريطانيةِ، كان جوابُ محمد بنِ ناصرِ بنِ مقبلٍ، شيخ الحجرية: البلادُ بلادُ الإسلامِ ولا بدَّ أن نأخذَها إلى عدن! وهنا تحركَت القواتُ الإنجليزيةُ والجنودُ الهنديةُ ومعها جماعاتٌ من العبدلي والحوشَبي والعَوْلقي، وقابَلَتْها قواتُ محمدِ بن ناصربنِ مقبل تُناصِرُها قواتٌ عثمانيةٌ، ووقَعَتْ معركةٌ هُزِمَتْ فيها القواتُ العثمانيةُ قتلاً وأسراً. ورأيُ الامام أنَّ تلك التحركاتِ والمعاركَ، لم تكن إلّا من قبيلِ المُخادعةِ، وكان يعتقد أن المأمورينَ الأتراكَ كانوا بصددِ بيعِ اليمنِ كلِّه للانجليز، ولا يقصدونَ الّا تخفيفَ ثمنِ اليمنِ على الافرنجِ، ولكنَّ الثابتَ في سياستِهِ أنه: «لا بدَّ من الجهادِ ضدَّ الفرنجةِ والانجليز معاً».

وكانتْ شكوكُ الإمامِ في بعضِ الولاةِ من الأتراكِ صائبةً، فقد فرَّ عثمان باشا سنةَ ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م إلى عدن في ظروفٍ غامضةٍ، ثمَّ عاد إلى اليمنِ مرةً أُخرى. وابتهلَ الإمامُ هذه الواقعةَ، وأذاعَ في جهاتِ اليمنِ، خبرَ خروجِ النصارى مِنْ عدن إلى البيضاءِ في حدود بلادِ رَدَاع[2].

(١) الدُرَيْجَة: قرية ما بين ماوية ولحج في منطقة الصَبيِّحة، انظر، الأمير علي الوزير، ٦٦١.

(٢) انظر، أئمة اليمن، ٢/٣٦٩.

ويرى زُبـارةُ، صاحبُ كتـابِ أئمةِ اليمنِ، أنه بسببِ حادثةِ محمدِ بنِ ناصرِ بنِ مقبـل، وشكايةِ أميرِ الضالعِ إلى والي عدن البريطاني، «فُتِحَتْ مخـابرةٌ طويلةٌ بينَ العثمانيةِ والبريطانيةِ بخصوصِ الحدودِ، فتشكَّلَتْ لجنةٌ لترسيم الحدودِ مِنْ يافعَ إلى بابِ المندب»[1]، وفي رأينا، أنَّ بريطانيا كانتْ على درايةٍ بضَعْفِ موقفِ الأتراكِ في اليمنِ، وتخشىٰ من انتصاراتِ القواتِ الإماميةِ، وبالتالي تتطلَّعُ هذه القواتُ نحوَ اليمنِ الأسفلِ، فسعتْ بريطانيا لترسيمِ الحدودِ قبلَ فوات الأوان[2].

ثانياً:ـ مع إيطاليا

كانت علاقاتُ الإمامِ مع الطليانِ متأزمةً، فمنذُ سنةِ ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م دأبَ التجّـارُ من الإيطاليين على مصـادرةِ كلِّ التتنِ (التنباك) الموجودِ في دكاكين بائعيهِ في صنعاءَ، بدعوى حصر الدولةِ العثمانيةِ امتيازَه وحقَّ الاتّجارِ بـــه على الشركاتِ الإيطاليةِ، ولذا مُنِعَ التّجارُ اليمنيون من بَيْعِهِ أو الاتّجارِ به، وكانَ ذلك في ولايةِ أحمد فيضي، الذي اشتكى إليه تجارُ صنعاءَ تسلُّطَ النصـرانيِّ الطلياني عليهم، فما كان منه إلا أنْ رفعَ شكايتَهم إلى الأبوابِ السلطانيةِ، حيثُ جاءَ الرّدُّ بتقريرِ حقِّ الطليانِ في ذلك، ومنعِ الناسِ من الاتّجـارِ بالتنبـاكِ، وأكثـرُ من ذلـك، فإنَّ صاحبَ الامتيازِ الإيطالي يوسف فايروتي وضعَ أعوانَهُ في أبوابِ صنعاءَ لتفتيشِ كلِّ مَنْ يدخُلُ أو يخرجُ من المدينةِ، ومصادرةِ كلِّ ما يعثرون عليه[3].

---

(١) انظر، أئمة اليمن، ٣٦٩/٢ ـ ٣٧١.

(٢) حول حملة الكولونيل الانجليزي ديوس (مساعد والي عدن)، وترسيم الحدود، انظر، هدية الزمن، ص ١٩٧ـ١٩٨.

(٣) انظر، أئمة اليمن، ١٣١/٢.

وكـان لهذا التدبيرِ أثرُه السيِّءُ في نفوسِ اليمنيين، فشعروا بالمهانةِ، وترصَّدوا أحدَ أعوانِ صاحبِ الامتيازِ، حيث ظفروا بهِ في حجرةِ ابنِ مهدي، قربَ منـاخَـةَ، وتفصيلُ ذلك: أنه قد بلغَ بعضَ أهلِ الحيمةِ أنَّ دراهمَ في طريقها مِنْ مناخةَ إلى صنعاءَ، تحرسُها قواتٌ تركيةٌ، قِوامُها ستونَ عسكرياً، فكمنُوا لها في حجرةِ ابن مهدي، حيثُ أفلتتِ القواتُ العثمانيةُ من الكمين، ولكن واصـلَ أهـلُ الحيمةِ تربُّصَهُم بالإيطالي، جامعِ التنباكِ، ولما اقترب منهم، ومعه حرسُه من أهلِ يام الباطنيةِ، وثبوا عليه وقتلوه، وصادروا حمولتَهُ وحِمارَه وبغلَتَهُ، وأَتَوْا بغنيمتِهم إلى الإمامِ.

كانت هذه المصـادمـاتُ التي وقعتْ بين بعضِ اليمنيين وأفـرادٍ من الطليان، سَتُعدُّ حوادثَ فرديةً، لو أن ايطاليا أحجمَتْ عنِ التدخّلِ في الشئونِ اليمنية.

لكنَّ إيطاليا، التي احتلت الحبشةَ، كانت تُمنّي النفسَ بالسيطرةِ على أجزاء من الجزيرةِ العربيةِ، ومنها اليمنُ، حيثُ نجحتْ في اسْتمالةِ الإدريسي إلى جانبِها ودَعَمَتْهُ في حروبِهِ ضدَّ أمراءِ عسير، المنافسين لهُ، والذين كانتْ تربطُهُمْ علاقاتٌ قويةٌ مع الإمام.

ووقعتْ أحداثٌ أخرى في ميناءِ مِيْدِي وكان من بني مروان يخدم عند تاجـر طلياني، فقتل الرجل المرواني، التابع لمحافظة حجة، والواقع على ساحل البحر الأحمر، غربي حَرَض بمسافة ٣٠كم، وتفصيل ذلك، أنه قُتل رجلٌ من بني مروان، القاطنين في مِيْدِي، كان يعمل عند تاجر إيطالي، فما كان من أبناء قبيلتِهِ إلا أن تسلّلوا في سنبوك (قارب صغير)، بحري إلى جزيرة

دَهْلِك[1]، وأخـذوا بثـأرهِم من القـاتـلِ، فقتلوه وجماعةً من أولادِه وذويه، واستـولوا على ثلاثين ألفَ ريالٍ، وعادوا إلى مِيْدي، فقامَ القائدُ الايطالي بحشدِ قواتِه على مِيْدِي، وحاصرها بحراً، ورماها بالمدافعِ الكبارِ، التي كان بعضُها من الأتراك الذين ساعدوه، وتكفلوا بتأديبِ بني مروان، فدكت قذائفُ المـدافـعِ البيوتَ، وشبت النيرانُ في منـازلِ وزروع بني مروان، وإمعـاناً بالانتقـام، فقـد استخـدمَ الـطليانُ السُّفُنَ التي تحمـل المـرايا المحـرقـةَ (الحراقات)، والتي كانت تحرقُ، ومن خلالِ أشعةِ الشمس المنعكسةِ منها، كلَّ ما تقعُ عليه من عرائشَ وأكواخٍ وزروعٍ، وقد قاوم بنو مروان هذه الغزوةَ بشجاعةٍ، مما اضطر الايطاليين لطلبِ الصلحِ، وقد تمَّ على أساس:

- أنّ المـالَ المـأخـوذَ من الايطاليين، وكذا ديّات القتلى، تكون بدلَ البيوتِ التي خربت وحرقت ميدي، وكذا بدلَ الدّمارِ الذي لحق بالمزروعات.

- وما زاد على ذلك، فيدفعُه بنو مروان تعويضاً.

لقد كان لهذه الفعلةِ آثارُها على ارتفاعِ وتيرةِ العداءِ ضدَّ الطليانِ عند اليمنيين، وتعدَّت نتائجُها النطاقَ المحليَّ في اليمنِ إلى عسير، حيث أعاد أهلُ عسير - وخاصة آل عائض - النظرَ في مساعدةِ الإيطاليين في منطقتِهم، بل على العكس من ذلك، فقد وقفوا ضدهم وحاربوهم.

ونحن، لا نرى في هذه الفعلةِ سبباً كافياً لحملِ آل عائض على محاربةِ

(١) دَهْلِك: جزيرة في البحر الأحمر، قُبالة زَبيد، انظر، المفيد، ٦٤، قرة العيون، ٢٥٩.

الايطاليين؛ لأن هناك أسباباً أخرى، كانت أشدَّ تأثيراً، ومنها مساعدةُ وتحريضُ إيطاليا الأدارسةَ ضدَّ إمارة بني عائض، وغيرُها من الأسباب، إلا أنها زادت من كراهيةِ آلِ عائضٍ والقبائلِ المتحالفةِ معها ضدَّ الوجود الايطالي في المنطقة.

وبالإجمالِ، فقد كانت علاقاتُ الإمامِ المنصورِ بالله، علاقاتٍ متأزمةً، تقومُ على عدمِ الثقة، واستحالة التعاونِ معها.

ثالثاً: مع عسير

وأما علاقاتُه بعسير، فكانَ لها طابعٌ آخرُ.

كانتِ الدولةُ العثمانيةُ، قد قسَّمتِ اليمنَ إلى أربعِ متصرفياتٍ إداريةٍ، بما يلحقُ بها من مُدُن وعُزَلٍ ونواحٍ وقبائلَ، وهي:

- متصرفيةُ تعز، وتشملُ المناطقَ التالية:
  إبْ العُدَيْن، الحَجرية، المُخا، قعْطُبة
- متصرفيةُ صنعاءَ، وتشمل مناطقَ:
  هَرَاز، حجَّة، ذَمَار، يَرِيم، رَدَاع. عَمْران.
- متصرفيةُ عسير، وتشمل مناطق:
  مَحَايل (أبْها)، رجال ألمع، القُنْفُذَة
- متصرفيةُ الحُدَيْدة وتشمل مناطقَ:

زَبيد، اللُحَيَّة، رَيْمة، حُجُور، بيت الفقيه وباجِل وأبو عريش[1].

---

(١) هارولدف، يعقوب، ملوك شبه الجزيرة العربية، ٧٥.

وفي عسير، كانت أمارةُ آلِ عائض، تسيطرُ على منطقةٍ واسعةٍ من عسير، مركـزُها ريدة. وكانت العلاقاتُ بين الطرفين قويةً. فأميرُ عسير، محمد بن عائض، والدُ علي، المعاصر للإمام المنصورِ بالله ـ كانت له وقعاتٌ مهمةٌ مع الأتـراكِ وصـلَ في إحـداها ـ وتاريخُها ١٣رمضان ١٢٨٧هـ ـ إلى أبوابِ الحُديدةِ التي كانت تحتَ سيطرةِ الأتراكِ، وكان لرجالِ ألمع في عسيرٍ أيضاً معاركُ بحريةٌ مع الأتراكِ، اضطروهم في إحداها إلى الالتجاءِ لسفنِهم في البحـرِ، وبعضُهم واصـلَ هَرَبَـهُ حتى وصل جزيرةَ فَرَسان، كما كانت لهم إنتصاراتٌ على العثمانيين في القُنفُذَة[1].

ومن ناحيةٍ أخرى، كان الإمامُ المنصورُ باللهِ يدركُ شدةَ البغضاءِ والعداوةِ المتـأصلةِ عِنـدَ عليٍّ بنِ محمـدِ بنِ عائض ضدَّ العثمانيين، فقد قامَ القائدُ العثمانيُّ بإعدامِ والدِه، محمدِ بن عائض، دونَ أن يلتفتَ إلى الفرمانِ الذي كان السلطانُ عبدُالعزيز بنُ عبدِالمجيد، العثماني قد أرسلَه إلى والده، وأبدى فيه السلطان رغبتَه في الاستجابةِ له، ومنحِهُ الأمانَ، كما لم يُعِرْ أمانَ أحمد مختـار باشـا الـذي أعـطاه لمحمدِ بن عائض أيَّ اعتبار، وأقدمَ على قتلِ محمدِ بنِ عائض وآخرين، ونفى قياداتِ إمارةِ آل عائض إلى استانبولَ عن طريقِ مينـاءِ الشقيف[2] ومن هؤلاءِ فاطمـةُ بنتُ عائض بنِ مرعي العـالمة، المتـدينة[3]، ولاحقُ بنُ أحمد أبو سراح، وفايزُ بنُ عزم العسبلي، وعليُّ بنُ

---

(١) حول حروب محمد بن عائض أمير عسير، وحروب رجال ألمع ضد الأتراك، انظر، السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ص ٩٦ ـ ١٠٤.

(٢) السراج المنير، ١٠٤.

(٣) يحتفظ الأمير عبدالله بنسخة المصحف الذي كتبته فاطمة بنت عائض بن مرعي.

إبـراهيمَ بنِ معـدي من رجـالِ ألمـع، وناصرُ بنُ معتق بنِ محيا الأحمري، وعليُّ بنُ ظافر.

ويتضحُ من كتابِنا الدرِّ المنثور، أن عليَّ بنَ محمدِ بنِ عائض أرسلَ إلى الإمامِ سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م رسولاً يُسمّى حسناً[١] العسيريَّ بطلبِ العونِ والمساعدةِ، وأبلغ الامامَ بشدةِ رغبةِ الأميرِ عليّ بنِ محمد بن عائض بقتال العثمـانيين، ويطلبُ إمـدادَه، حيثُ كتبَ الإمـامُ إلى أميرِ عسير، عليِّ بن محمد، يحرِّضُه على مواصلةِ قتالِ الأتراك، ويندِّدُ بعمِّهِ، سعيدِ بنِ عائض، الذي رضي بطاعةِ الأتراك، وعمِّه دُلَيْم الذي وصفه الإمامُ بأنه «أغشمُ من غشيم»، فقد رضيا بِمنصبِ مساعدِ متصرف، وقبلا بتحولِ نظامِ حُكْمِهما إلى عاداتٍ قبلية، وأخـذا يساعدان على تنفيذِ أوامرِ المأمورين الأتراكِ الخاصةِ بالقبـائـلِ والعربان، وأحياناً بصرفِ رواتبِ مشايخ ورؤساءِ القبائل، وطلبَ الإمامُ إلى أميرِ عسير في رسالتِه، القيامَ بغاراتٍ وكمائنَ ضدَّ الأتراكِ؛ لتقطيعِ الطرقِ والمسالكِ بوجهِ القُوَّاتِ التركيةِ، وتعطيلِ الإمداداتِ والمعوناتِ الواصلةِ من قِبَـلِ الـدولـةِ إلى اليمن. ولإثارةِ حميَّتِه ودفْعِهِ إلى الجهادِ أرسلَ إليه قصيدتين يحرّضهُ فيهما على الجهادِ ضدَّ الأتراكِ، ومما قاله الإمامُ في واحدةٍ من القصيدتين:

أسـمعـاني تَحَمْحُمَ الصـافنـاتِ وارتـجـازَ الـكُمـاةِ فوقَ الكُمـاةِ
أسمعـاني الـولـوالَ تحتَ العَجاجِ وضـجـيجَ الـنِّسـا على الأزواجِ

---

(١) لعله حسن بن عبـدالله، أحد كبار رجال عسير، ومن قيادات محمد بن عائض بن مرعي. انظر، السراج المنير، ص ١٠٣.

وفي القصيدةِ الثانيةِ، خاطبَ الإمامُ المنصورُ بالله، أميرَ عسير، عليَّ بنَ محمدِ بنِ عائض بأبياتٍ منها[1]:

إذا صدقَ المُخْبِّرُ عن عليٍّ	نصيرِ الدينِ فابشرْ بالنجاحِ
فإنَّ عسيرَ ترمقُه بخيرٍ	لكشفِ لثامِ مُبْيَضِّ الصباحِ
فشَمِّرْ ساقَ عزمِك ثم أذِّنْ	بقحطانٍ بحيَّ على الفلاحِ
وكرِّرْ في النداءِ على عسيرٍ	فأولى الراياتِ في روسِ الرماحِ
وإنَّا نُشْغِلُ الأعداءَ عنكم	ونعضِدُكم بمصقولِ الصِّفاحِ
ونُحْيي دينَ خالقِنا جميعاً	ونصرُ اللهِ يأتي كالرياحِ

والقصيدةُ واضحةٌ في مراميها، توضِّحُ طبيعةَ التعاونِ المتوقعِ بين الإمامِ المنصورِ باللهِ وأميرِ عسير، عليِّ بنِ محمدِ بنِ عائض، ويقومُ التعاونُ بين الطرفين، على مواصلة الإمامِ قتالَه ضدَّ العثمانيين بقوةٍ حتى تبقى القواتُ العثمانيةُ مشغولةً ومنهكةً في اليمن، وبذا يحولُ دونَ تسييرِ الأتراكِ الحملاتِ على عسير، ويعضدُ الإمامُ قواتِ أمير عسير، عليّ بن محمد بن عائض بالسلاح والمؤن، ويقومُ أميرُ عسير من جهتِهِ بمهاجمةِ الأتراكِ وتصيُّدِهم في غاراتٍ وكمائنَ لقطعِ الطريقِ والإمداداتِ من جهةِ عسير إلى اليمن.

ويبدو أنَّ هذا التحالفَ قد أثمرَ، فقد أوقعتْ قواتُ الأميرِ علي بن محمد بن عائض هزائمَ فادحةً في القواتِ العثمانيةِ، وقتلت في إحدى المعارك أكثرَ من تسعِ مئةِ عسكريٍّ عثماني وأسرتْ ما ينيفُ على ثلاثِ مئةٍ، وغنمتْ أربعَ مدافعَ وجملةَ كثيرٍ من البنادق. وكان ذلك في عهد الوالي التركي

---

(١) انظر الأبيات في أئمة اليمن، ٣٢٧.

اسماعيل حقي، الـذي استضعفه أهالي عسير وثاروا عليه بقيـادة الأمير علي بن محمد بن عائض، وأشغلوه في حروب مـريرة، كان من نتائجها تخفيفُ الضغطِ على القواتِ اليمنية الإمامية في اليمن[1].

وعلى الجملـة، فإن عـلاقـاتِ الامـامِ مع عسيـرَ وأُمرائِهـا، كـانت جيـدة، حَكَمَتْها مصلحةُ كلا الطرفين، لا سيما وأنَ كليهما من وطن واحد.

---

(١) انظر، الدر المنثور، ١٠٨ب، المخلاف السليماني، ١/٥٦٥.

الفصل الخامس

المطلب الأول:

وصفُ المخطوط:

اقتنت المكتباتُ العربيةُ، ثلاثَ نسخ من المخطوطِ، محفوظة في مكتباتٍ، تعز وصنعاء والقاهرة، وقد حصلنا على تلك النسخ، وهذه النسخ هي:

ـ المخطوط رقم ٢، الكتب المصادرة بمدينة تعز، والمصورة بالميكروفيلم رقم ٢١٣٩، المحفوظ في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

وجاء على صفحة العنوان:

كتابُ الدرِّ المنثورِ في سيرةِ مولانا أميرِ المؤمنين

الإمام المنصورِ باللهِ ربِّ العالمين، محمد بن يحيى بن محمد

ابن يحيى بنِ محمدِ بن إسماعيل بن محمدِ بن الحسين

ابن الامام الأعظم المنصورِ بالله أميرِ المؤمنين

القاسمِ بنِ محمدِ رضوانُ اللهِ عليهم آمين.

جَمَعَها القاضي العلامةُ زينةُ الشيعةِ الكرامِ

جمالُ المسلمين والإسلام عليُّ بنُ عبدالله
الإرياني رضيَ الله عنه، هاجرَ إلى الإمام المنصورِ بالله
في أوّل سنةِ ١٣١٦ ولازَمَ حضرةَ الإمام، وكانَ مِنْ
جِبالِ العِلْمِ الكبار، وتوفي رحمه الله بعد وفاةِ
الإمام المنصورِ بالله بسنةٍ وكسورٍ
ولا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله.

وجاءَ في الصفحةِ الأولى بعدَ البسملة «الحمدُ للهِ الذي أطْلَعَ لعبادهِ في سماءِ الاقتداءِ نجوماً مِنَ العِترةِ النبويّة ساطعةً زاهرةً، وأشهرَ منهم في كلّ زمانٍ سيوفاً لأعناقِ أهلِ الإلحاد قاصمةً ... الخ. ثم بعدَ صفحتين: «وقد سَمَّيْتُ هذه السيرةَ المباركة، الدرَّ المنثورَ في سيرةِ مولانا أميرِ المؤمنين الإمامِ المنصورِ»

وجاءَ في آخرِه عندَ ذكرِهِ لوقعةِ بني مَدِيْخةَ التي كانتْ بتاريخ ٢٦ شهر ربيع آخر سنة ٢١ «... وحاصروا العَجَم الذين في مركز بني جل ثمانيةَ أيام ... الخ

ثم أبياتٌ من قصيدةٍ لسيفِ الإسلام كتبها إلى الإمامِ، جاءَ في آخرها:

[المديد]

وصلاةٌ من المليكِ تعالى	وسلامٌ ما دامتِ الصّحفُ تُتْلا
يَبْلُغانِ النبيَّ خيرَ المعالي	وكذا الآلُ أطهرُ الناسِ فِعْلاً

ثم عبارةُ «تمَّتْ والحمدُ لله ربِّ العالمين، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العظيم».

وقد رمزتُ لهذهِ النسخةِ بالحرفِ «ع».

كُتب المخطوطُ بخطٍّ نسخٍ جيد، وبالمدادِ الأسودِ، وُضِّحت السنواتُ والفصولُ والعناوينُ بخطٍّ أكبرَ حجماً.

وعلى صفحةِ العنوانِ تمليكٌ تاريخُه شوال سنةَ ١٣٤٠هـ. حيث وردَ:

الحمـدُ للهِ سبحـانَه، في دورِ المفتقر إلى رحمةِ [ربِّه] عبدِالرحمنِ بنِ حسين بن عبدالله الشامي، غفرَ له ولولديه وللمؤمنين، حُرِّر في شوال سنة٤٠».

الناسخ: عبدُالله بنُ محمد العيزري وغيرُه.

تاريخ النسخ: ٤ شهر رجب ١٣٤٣.

عدد الأسطر: ٢٨ سطراً.

ملاحظاتٌ على النسخةِ: جاءَ على حردِها ما يفيدُ نقلُها عن النسخةِ التي كتبها المؤلفُ، ثم ما يؤكِّدُ مقابلتَها وتصحيحَها، وتظهرُ التصحيحاتُ على هوامشِ العديدِ من صفحاتِها ولا ندري إذا كانت من قِبَلِ الناسخِ أو من قبلِ أحدٍ الذين اطّلعوا عليها وصححوها.

وتظهرُ ملاحظةُ نسخها، أنه قد اشتغَلَ بنسخِها عدةُ أشخاصٍ، فالأوراق حتى ورقة ٨١ مختلفةٌ في خطِّها عن بقيةِ الأوراق، كما أنه جاءَ فيها عشرةُ

أوراقٍ ليست من متنِ المخطوطِ، وإنما هي ترجمةٌ لجامعِ السيرةِ، علي بنِ عبدالله الإرياني، كتبها القاضي العلامةُ عبدُالله بن محمد العيزري المتوفى في رمضانَ سنة ١٣٦٥هـ، وهو من أترابِ مؤلفِ السيرةِ، وممَّن لازَمَه أيامَ طلبِ العلمِ بهجرةِ إريان».

وكُتِبَ على صفحةِ عنوانِ ترجمةِ جامعِ السيرةِ بيتان من الشعرِ بخطٍ نسخي حديث لبعض الشعراء: [مخلع البسيط]

حسَّنْتُ ظنّي بأهلِ دَهْري فَحُسْنُ ظنّي بهم دَهَاني
لاآمنُ الدَّهْرَ بعدَ هذا ما الخوفُ إلّا مِنَ الأماني

وبالرغمِ من ورودِ عبارة «تمت» للدلالةِ على اكتمالِها، فإنّ مقابلتَها وعرضَها على النسخِ تبينُ مدى النقصِ الواقعِ فيها، ثم إنَّ أوراقَها رُقِّمَتْ خطأً، وقد تطلّبَ هذا جهداً لإعادةِ ترتيبِ أوراقِها حتى جاءت بشكلها الحالي.

- المخطوط رقم ٨٢ تاريخ وتراجم (٢٥٣٤). المحفوظ في المكتبة الغربية، الجامع الكبير بصنعاة (الكتب المصادرة بمدينة صنعاء».

وجاء على صفحةِ العنوان:

كتابُ الدرِّ المنثورِ في سيرةِ مولانا أمير المؤمنين
وسيد المسلمين، ونعمةِ اللهِ على الخلقِ أجمعين
الإمامِ المنصورِ باللهِ ربِّ العالمين محمدِ بن يحيى بنِ محمدِ بن يحيى
ابن محمد بن إسماعيل بنِ محمد بن الحسين بن الإمام

المنصورِ بالله القسمِ بن محمد رضـوان الله
عليهـــم أجمعيـــــن آمـــين
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وسلم

وجاءَ أوَّلُها مطابقاً مع ما ورد في النسخة ع.

أما آخرُها، فقيه زيادةٌ اتصلت بوقعهِ بني مَديْخةَ، وانتهتْ بأبياتِ الشعرِ التي جاءَتْ في ع. ولكنها ناقصة،

وقد رمزتُ لهذه النسخةِ بالحرف «م».

كُتِبَ المخطوطُ بخطٍّ نسخٍ جيدٍ، وبالمدادِ الأسودِ والأحمرِ، وُضِّحَتْ فيه السنواتُ والفصولُ والعناوينُ بخطٍّ أكبرَ حجماً.

والنسخةُ خزائنيةٌ، حيثُ جاءَ على صفحةِ العنوانِ «بسم الله، من خزانةِ مولانا الإمامِ الأعظم أميرِ المؤمنين، المتوكلِ على اللهِ يحيى بنِ أميرِ المؤمنين المنصورِ باللهِ محمدِ بن يحيى عليهم السلام،

حُرِّر ٦ المحرم سنة ١٣٣٥هـ.

ثم خاتم «مكتبة الجامعِ الكبير، صنعاء».

ولم يُذكَرْ عليها اسمُ الناسخِ أو تاريخُ نسخِها، ولكنّه تمَّ قبلَ سنةِ ٦ محرم ١٣٣٥هـ.

عددُ الأوراقِ: ١٣٣ق

عددُ الأسطرِ: مختلف (٢٧-٣١) سطراً.

ملاحظاتٌ على النسخةِ:

يبدو أنَّ النسخة قد روجعتْ وصُحِّحَتْ من قِبَلِ أحدِهم، كما وردَ قبلَ صفحةِ العنوانِ قدرُ ١٢ ق ليستْ من متْنِ المخطوطِ، وإنما هي ترجمةٌ للمؤلِّفِ عليٍّ بنِ عبدالله الإرياني التي كتبها عبدُالله بنُ محمد العيزري المشارُ إليه سابقاً، ثم قصائدُ قالها الإمامُ، ونصُّ رسالةٍ وثيقةٍ كان قد بعثَ بها الإمامُ في ختامِ رمضانَ سنة ١٣١٥هـ، ويُلاحظُ أنَّ هذه الترجمةَ وقعتْ في صفحاتٍ مجدولةٍ، وزَخْرفَتِ الورقةَ الأولى فيها رسالة للشيخ حمودِ بنِ مسعد أبو غانم، يحرِّضهُ ويستحثّه على قتالِ العجمِ العثمانيين، ووردَ في تقرير إدارةِ المكتبةِ التي تقتني النسخة، أنها مجلّدةٌ بغلافٍ بُنيٍّ،بلسانٍ محفورٍ على نفسِ الغلافِ.

وهذه النسخةُ، وبالرغمِ من نقصانِها- حيثُ لا توجدُ السنةُ الأخيرةُ من حكمِ الإمامِ المنصور بالله، ١٣٢٢هـ، وكذا جزءٌ من أحداثِ سنة ١٣٢١هـ - إلا أنّها كاملةٌ وصحيحةٌ ودقيقةٌ في الضبطِ والإملاءِ في باقي الأحداثِ.

- النسخةُ رقم ٨١، المحفوظةُ في مكتبةِ الجامعِ الكبير بصنعاءَ (الكتب المصادرة بصنعاء).

وقد فُقِدَتْ منها صفحةُ العنوانِ، وكذا الترجمةُ التي كَتَبها عبدُالله بنُ محمد العيزري، وقد جاءَ العنوان في الورقة الثانية.

«وقد سَمَّيْتُ هذه السيرةَ المباركةَ بعدَ الخيرِ بالدرِّ المنثور في سيرةِ مولانا أميرِ المؤمنين الإمامِ المنصور».

أما أوّلُها فجاءَ بعدَ البسملةِ مطابقاً لما ورد في ع،م.

أما آخرُها فناقصٌ، يقفُ عندَ وصولِ سيفِ الإسلام إلى حُبور، حيث جاءَ في الورقةِ ١١٥ب «وحصلَ فيها النصرُ والانتقالُ، وكادتْ أنْ تنتظم»

وليسَ هناك وقفةُ كاتبٍ أو ما يفيدُ تمامَ النسخةِ.

كُتِبَتِ النسخـةُ بخطٍّ نسـخٍ جيد، وبـالمدادِ الأسودِ والأحمرِ، وضمَّتِ العناوينَ والفصولَ والسنواتِ بخطٍّ أكبرَ حجماً، ولم يُذْكَرْ اسمُ الناسخِ ولا تاريخُ النسخ، وليسَ عليها تمليكاتٌ، وخطوط نسخها ليس واحدة.

عدد الأوراق: ١١٥ق

مسطرتها: مختلفة (٢٧-٢٩ سطراً) و قد رمزتُ لها بالحرف «أ»

ملاحـظاتٌ على النسخـةِ: النُّسَخَةُ فيها نقصٌ كثير، فقد انتُزِعَتْ منها العديدُ من الأوراق.

إن طبيعـةَ النقصِ المـوجـودِ في النُّسخِ الثلاثِ دفعني لعدمِ اعتمادِ إحداها أصلاً، ولذا فقد اعتبرتُ النسخة «أ» هي المنسوخة من قِبلي أولاً، وكأنها الأمُّ ثم أفرزتْ مقابلاتُ النسخِ الثلاث نسخةً هي الأقربُ إلى تلك التي صدرتْ عن المؤلفِ.

أما لماذا لم يَكتملْ تناولُ الأحداثِ في إيٍّ منها، فذلك مسألةٌ سنتاولُها بالإيضـاح عندَ درسِنا للمؤلفِ ومنهجِهِ في الكتابةِ التاريخية، وكذا الظروفُ التي أحاطتْ بالمؤلِفِ في السنتين ١٣٢١هـ و ١٣٢٢، فليُنْظرْ إليه في مكانه من الدراسةِ.

هذا، وقد وردَ في كتابِ «قائمة بالمخطوطاتِ العربية المصورةِ بالميكروفيلم من الجمهورية العربية اليمنية، ط القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٦٧م»، والتي تقتنيها دارُ الكتبِ والوثائقِ القومية بالقاهرة وفي ص ١٧ نسخة رابعة، فقد جاء في القائمةِ المشار إليها:

ـ نسخةٌ ثانيةٌ ناقصةٌ من آخرِها، وليسَ بها ترجمةُ المؤلفِ، ١١٠ق (مكتبة القاضي حسين السياغي بصنعاء)، ميكروفيلم رقم ٢١٤٠، وهذه النسخةُ اطلعنا عليها وهي النسخةُ رقم ٨٢ المشارُ إليها سابقاً لأنها مصورة عنها وعليه فقد اعتمدنا النسخَ الثلاث أ، ع، م.

كتاب الدر المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين

[illegible]

الإمام المنصور [illegible] محمد بن يحيى بن محمد

بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين

ابن الإمام الأعظم المنصور بالله أمير المؤمنين

القاسم بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين

جمع القاضي العلامة زينة الشيوخ الكرام

جمال المسلمين والإسلام علي بن عبد الله

الإرياني رضي الله عنه هاجر إلى الإمام المنصور بالله

في أول سنة ١٣٠٦ ولازم حضرة الإمام وكان من

جبال العلم الكبار وتوفي رحمه الله بعد وفاة

الإمام المنصور بالله بسنة وكسور

ولا حول ولا قوة إلا بالله

الحمد لله تملكه
في دور الفقير إلى
عبد الرحمن بن حسين
عبد الله الشامي
غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين
[illegible] شوال [illegible]

صفحة عنوان النسخة ع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اطلع لعباده في سماء الاقتداء نجوماً من العترة النبوية ساطعة زاهره، واشهر منهم في كل زمان سيوفاً لاعناق اهل الالحاد والجور قاصمة باتره، وقضا بسابق علمه انها لا تزال منهم طايفة على الحق ظاهره حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال كما نطقت بذلك الاخبار المتواتره، فهذه ربوع الخلافة بهم في كل اوان آنسة عامره، ومعالي الدين بآثار بهجتهم وانوار طلعتهم عاطرة ناظره، ومشاعر الفضل والعلوم بحسن صنايعهم حامدة شاكره، فهم في كل مكان واوان زينة البادية والحاضره، وبجود الفضايل الزاخره، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا جنة في الدنيا والآخره واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهره، والبراهين المتظاهرة المتظافره، صلى الله عليه وعلى عترته الطيبة الطاهره، صلوة دايمة متواصلة متكاثره، وسلم تسليماً كثيراً أوله وآخره، اما بعد فانه لما من الله سبحانه علي وله الحمد بالوفادة الى مقام من ملك ازمة السعادة والسياده، وحوى من كمال الكمال الحسنى والزياده، مولانا ومولى كل مسلم، شمس الهدى التي طلعت آخر الزمان من القبله فكشفت عن حنادس الليل المظلم، نعمة الله التي امتن بها على العباد في هذي الزمن ورحمة الله التي تفضل بها على المستضعفين من اهل اليمن، وحجة الله التي اقام بها الفرايض والسنن، امير المؤمنين، والسالك سبيل آبايه المطهرين، والمجدد لدين جده سيد المرسلين، المنصور بالله رب العالمين، حفظه الله بما حفظ به الذكر المبين، وكلاه وحماه من شرور الاناسي والشياطين، وايده بعزيز نصره المبين، وامده بملايكة من عنده مردفين، وحين وصلت الى ذلك المقام وتشرفت برؤية بهجة ذلك الامام، ومفاكهة اخلاقه الكرام التي هي على المؤمنين روض نضير دايم الابتهاج، وعلى اهل الفسوق والعصيان بحر متلاطم الا[مواج]

الورقة الأولى من النسخة ع

وطوى بساط مملكت آل عثمان ٢٢ ٧٢ ٥٣٠ ٣١ ١٣٦١ وهذه الوفادة الثانية بعد الوفادة الأولى التي في شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٩ وقد قلت في مدح مولانا ايده الله غرراً من القصايد لكني اضربت عن ذكر بعضها في هذه السيرة خشية من أن أعد ممن هو بشعره مفتون، وذلك عيب لا يرتضيه العاقلون، وقد سميت هذه السيرة المباركة الدر المنثور في سيرة مولانا امير المؤمنين الامام المنصور وهذا اوان الشروع في المرام ومن الله نستمد التوفيق والاعانة على التمام.

فصل اعلم انه ينبغي للناظر والسامع ان يعلم اولاً علماً جازماً مستفاداً من البرهان القاطعة ان وجوب اتباع واعية اهل البيت عليهم السلام وائمتهم وان طاعة دعاتهم وموالاته واجب على كل مسلم وان من حاد عن ذلك فقد سلك في طريق مظلم، والمحولنك كثير من حاد عن سواء الطريق، فانه اقل ما نزل من السماء التوفيق، وانظر الى واضح الادلة فانك لا تكاد تجد الحق والخير الا مع القلة، وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور.

شعراً: تعيرنا انا قليل عديدنا ... فقلت لها ان الكرام قليل

وانظر كم كان اتباع الرسل في سالف الدهور، الى غير ذلك من الادلة التي هي في غاية الظهور، ولا ينكرها الا مخذول مغرور، ولا يأبى من خالفها الا بصيرة سنور، وانا نجد اهل الفسوق والكفر والطغيان، اضعاف اهل الاسلام والايمان، وان هذا امر لا يكاد ينكره انسان، وحينئذ تبين ان اهل الحق هم الجماعة، وان العترة النبوية هم اساطين الحق الى قيام الساعة، كيف لا وقد نوه بذلك الرسول في غير ما حديث تلقته الامة بالقبول كحديث، اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، قال العلامة الشريف يفهم انه لا بد من وجود من يكون اهلاً للتمسك به من العترة الطاهرة في كل زمن الى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به كما ان الكتاب كذلك فلذلك كانوا اماناً لاهل الارض، فاذا ذهبوا ذهب اهل الارض، والحديث المذكور

بلد عونك نا ذاك تاريخها بلغ [illegible] طه دبيت يا منصور للدين ناصر الحجها فقال [illegible]
بعض الشيخ [illegible]

شوقًا اقام القلب مني واقعدا | وصبرًا اذاب الجسم حتى تقيدا
تخشى السرا في البستي شوقًا اليكم | ونطوي الفيافي فدفدًا بعد فدفدا
شكرنا ايادي الجيش اذ بلغتنا | لتقبيل اقدام المهدي المجددا
فقرت عيون ثم طابت خواطر | برؤيا امام العصر اعني محمدا
امام اقام الله عنوان نصره | واحيا به الاسلام الذي كان شيدا
ووفقه المولى لطوع [illegible] | وكان له عونا معينا مؤيدا
ولما اتينا في الوقوف غنيمة | لديه اتينا الخيش نخضي ونسجدا
وما كل نجم في الهدى ايتدا به | ولا كل نار عندها توجب الهدى
فيا ايها المولى في حي الهوى | الى شوقه ثم لتهدا اوترشدا
وقف لجاه خاضعا متواضعا | وادع كريم الصفح توبا ومنشدا
ومن فضله يحظى بنا النت آمل | وحاشا عريض الجاه يخلف موعدا
ودع ما سوى المنصور من يرتجا به | منار الهدى والناس من دونه صدى
وقفنا بباب الجود [illegible] اشهر | وطفنا حواليه مرارا محمدا
ومرت بنا الايام اضعاف حالم | [illegible] انسانا الاهل والبلدا
خليفة شريف شرف الله قدره | ويا نعم سيدا اقام في الناس سيدا
وحاشا بان قد مر في الدهر مثله | وكلا بان ياتي به الدهر سرمدا
اذل عصبة لاذوا بالعقول والتقى | يريد وا افكار [illegible] ابدا
والقى جناح الذل منك تفضلا | وا [illegible] رضوا [illegible]
واردد عداهم خاضعين اكفهم | من الغيظ وارجع منهم الطرف ارمدا
واكفل بهم من يحتفل برجوعهم | واوصلهم [illegible]
لتسكن النحل الجميل جميعهم | ولتستولي الذكر الجميل المنضدا
وتلتقي لك الاشخاص [illegible] | بليل واطراف النهار [illegible]
[illegible] | [illegible]
اليكم فهاهي قد اتتك سيدي | تجر ذيول [illegible] في ثوب [illegible]
تقبلها مولاي اني جاهل | عن الشعر [illegible]
ولست لها غير الدعاء من وسيلة | الى الله يجعلكم لذي الدهر [illegible]

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة ع

وصلى الله على كل يوم وليلة على احمد وآل ما الطير غردا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله

مقلب الدهور ومدبر الامور على وفق حكمته العالم بما تكنه الصدور ولا يعادره شيا من خلقه احمده حمد معترف بالتقصير والقصور واشكره على انعامه الذي ليس بمقطوع ولا محصور والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله النبي المشهور صاحب اللواء المنشور صلى الله عليه وعلى آل بيته المحبور اما بعد فلما كانت الوقايع الحادثه في سنة ١٣١٦ حقيقة بان تفرد بالتاليف وتخص بالتصنيف رايت ان افردها في هذه الكراريس بلفظ ينحل في الاسماع فحل المنيد ريش اعلم انها دخلت سنة ست عشر وثلاث ماه والف وقد اشتد على الناس البلا وعظم التخبط والخلا وعم جميع الاقطار هذا الابتلا فارتفعت الاسعار حتى بلغ السعر في بعض البلاد الى سنة انفار وغلا كل شي وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وانما يكون تتابع التخبط والسنين عقوبة وزجرا للظالمين والمتقصرين عن نصرة الحق المبين بعد قيام الحجه ووضوح المحجه كما كان ذلك سنة الله في الامم الماضيه السابقين وقد حكى الله تعالى ذلك في كتابه قال الله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون وقال الله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وما زالت هذه السنه قايمه في اهل الحق ودعاة الدين اذا لم يظاهروا على القيام بما يجب لرب العالمين اذ هم ورثة المرسلين وان الناس لما صموا عن اجابة داعي الهدى وعموا عن القيام بما يجب لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فلم ينكروا منكرا ولا امروا بالمعروف ولا نهوا عن منكر بين الورى بل صار الاهم المقدم عند الخاص والعام جمع الحطام كانه الامر الذي خلق له جملة الانام والبذل اللازم الذي يجب به الاهتمام حتى عظم الخطب عليهم وصار طلب الحق غريبه عند جميع الامم لذلك وتسلط عليهم اعلاج العجم وما ربك بظلام للعبيد واعلم ان اول ذلك الحرج العظيم الذي قصد به محل ولاية العجم صنعا اليمن ذكر المخرج المذكور لقصد محاصرة العجم ودهاليقهم في مدينة صنعا ان في المحرم سنة ١٣١٦ المذكوره كتب الى حضرة الامام عليه السلام قبايل حاشد وبكيل يطلبون منه ان يجهزهم لجهاد العجم واعلنوا انهم يريدون بذلك امضا الرب الاكرم فاستعطف لهم الامام عليه السلام فيما ارادوه خشيه من الوقوع في التقصير فيما يلزم ومع ذلك فانه عليه السلام في مقاصدهم بقدمهم وانهم ما لا تحلق والله لم يكن لادليل الا قدام بنيه الصح

أول الجزء الثاني من النسخة ع

من تردّى بالمكرمات وأردى ... كل قرن أسنى فخاراً وقولا
وله في العلوم أوفر حظ ... كم لمعنى يبدو يفتح فصلا
وهو بالكوفة الزمان سحبانٌ ... وهو ناظورة الأئمة نبلا
وهو في العلم حيدري وفي الحلم ... إذا ما صلى الحنيف حبلا
وهو بدر الغياث فالعالم النحـ ... رير ذو الفهم إن رآه استهلا
سيد الناس أسلم الناس خير الناس ... للناس أحسن الناس قولا
ماجد زاهد كريم همام ... عالم عادل إذا صال جلّا
لم يزل للأنام غوثاً وحرزاً ... وارتفاعاً مجداً وقبلة أجلا
فهو التاج للأئمة جمعاً ... وهو في العلم قد غدا مستقلا
الإمام الذي له الله قد أعـ ... طاه فضلاً في العالمين وطولا
لست أحصي صفاتك الغر لو أنـ ... ني أعطيت ألسن الناس كلا
فسلوا عنه ذي المكثر المتـ ... لل في المدح ذا وذاك أقلا
فليكف اليراع سدوده في المـ ... دح وليبد ما يطلب استقلا
طال بثواي في حيود إلى أن ... ملّني مجلسي وصبري تولى
لست في حلبة الجهاد فارضاً ... بأمير العشيا جول شحو لا
وكذا لم يكن جليسي أسنا ... من العلم تلهيني أن أحلا
مما يكي فيه لمحض نوال ... كم وفود تأتي لنيل حشو لا
يا أبا المجد والمكارم والسؤ ... دد والحلم زادك الله فضلا
يا إمام الأنام يا واحد الأ ... يام لا زلت في العلا مستظلا
أعفني من حضور دائم للكر ... وعافاك ربنا وتولى
فلعلي صافاق في البقا نغاي ... وسمت النماء والفكر كلا
قد فرغنا وصار كل شجاع ... بالدما والأموال بالفضل أحلا
وإذا كنتم تريدون صلاحاً ... بالبقا فيه فالتردد أولى
أو يقيناً فيه الخليل حسين ... نجل إسماعيل الرفيع محلا
فاسمحوا بالجواب والإذن فيه ... واحكموا في الملوك عبداً وخولا
وصلاة من المليك تعالى ... وسلام ما دارت الشهب تتلى
بيلغانه النبي خير المعالي ... وكذا آل أطهر الناس فعلا
تمت والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من النسخة ع

هذه ترجمة جامع هذه السيرة سيرة الإمام الأعظم
المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين رضي الله عنه حبر هذه
الترجمة القاضي العلامة عبد الله بن محمد العيزري
المتوفى في شهر رمضان سنة ١٣٦٥ خمس وستين وثلاثمائة
والف وهو من أتراب مؤلف السيرة
ومن الأرمداء أيام طلب العلم بهجرة
ارتال

رقم
٤١

لبعض الشعرا

حسنت ظني بأهل دهري	خسرت ظني بهم دهاني
لا أمن الدهر بعد هذا	ما الخوف إلا من الأماني

صورة من ترجمة المؤرخ التي كتبها العيزري ملحقة بالنسخة ع

بسم الله الرحمن الرحيم ترجمة الجامع لهذه السيرة المنصورية هو القاضي العلامة
حجة الاسلام علي بن عبدالله بن علي بن علي بن حسين بن جابر بن محمد بن صلاح بن الوجيه عبدالواحد
الصديق بن محمد الارياني المولد والدار وارياني من معارب يريم بقدر نصف مرحلة وهو محل مشرف
على اليمن الاسفل والاعلى ووصاب وشمر وساير تلك الجهات الى حدود زبيد وحيس واول من
سكنها بعد خرابها الصديق بن محمد المذكور واختطها وسبب خرابها وتخريب حصنها مذكور في قرة
العيون للعلامة الديبع رحمه الله وكانت من محلات الباطنية وهي من اعدل البلاد هواء واحسنها
منظرا ونسبه في حمير وقد كان جاور بمكة حرسها الله زمانا واتفق بالشيخ الفاضل جمال الدين محمد بن علي
بن ميمون الاندلسي خارجا من بلاد الاندلس بعد استيلاء النصارى عليها فترافقا وخرجا الى اليمن
واستوطنا الهجرة المذكورة وكان الشيخ جمال الدين صاحب كرامات ومات بالهجرة المذكورة ارياني وقبره
هنالك مشهور مزور وعليه اوقاف واسعة ثم تبعه الشيخ المذكور واقتفى طريقته وكانا في محل
ملجأ للمريدين كذا ذكره بعض المورخين وصاحب الترجمة هو الامام العلامة المجتهد المطلق محي
الاسلام مولده في ذي الحجة الحرام سنة احدى وسبعين وماتين والف وهو ممن برع في جميع العلوم الكتاب
والسنة وحقق الاصولين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير والفرايض والحساب واخذ
في جميع ذلك على شيخه القاضي العلامة امام المعقول والمنقول يحيى بن علي بن عبدالله بن علي بن حسين الارياني
رحمه الله تعالى ولازمه خمس عشرة سنة لا يفارقه الا في الليل وكان شيخه المذكور يطلع كل يوم من ارياني
الى الحصن وبينهما عقبة قدر ميل وبه تخرج واتسع واخذ في النحو والقراءة على الشيخ محمد الطائفي وكان
احد الوافدين الى القضاه وبقي لديهم مدة وكان محقق وقته في علم النحو وله منظومات ومولفات
تدل على تحقيقه ثم رحل هذا الشيخ الى تهامه وتوفي بها ولا يخفى ان القرايح مختلفه والفطن متفاوتة
والافهام متباينه فمنهم من يبلغ الذروة العليا بايسر مدة ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ومنهم
من لا يفارق الحضيض مع طول المدة وهذا امر مشاهد وقد بلغ صاحب الترجمة الى غاية من التحقيق
مولفاته ورسايله وجواباته نظما ونثرا شاهد صدق على علو طبقته وارتفاع درجته هو انسان
عين هذا البيت القديم البنا الرحيب الفنا واهل هذا البيت مقيدون بالعلم بنصوص الادله
ومعتمدون على ما صح من الامهات الحديثية وما يلتحق بها من دواوين الاسلام المشتملة على سنة
سيد الانام صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ولا يشوبون دينهم بشي من البدع التي لا يخلوا اهل
مذهب من المذاهب بشي منها بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله
قد سرطت لحومهم ودماؤهم بمحبة الآل والموالاه لهم في جميع الاحوال ويستأنسون بقراءة
مولفاتهم هولاء هم الموافقون للامام الشافعي رضي الله عنه لمن عرف الافعال والاقوال لا ما عليه
سائر المنتسبين الذين ليس لهم الا انتساب عين الدعوى ولم يزل المذكور ملازما الدرس مقبلا على
شانه حتى فاق اقرانه الى ان دخلت سنة ١٢٩٤ اربع وتسعين وماتين والف ثم رحل الى مكة المشرفة لاداء
فريضة الحج هو وصنوه العلامة عز الاسلام محمد بن عبدالله اطال الله بقاه واتفق هنالك بالسيد العلامة
احمد زيني دحلان مفتي الشافعية وصاحب التاليفات المشهورة وجرت بينهما مذاكرات ومحاورات
ثم اجازه اجازة عامه في جميع مسموعاته ومولفاته ومروياته ثم اتفق في رجوعه اتفق بالسيد العلامة
الحافظ محمد بن احمد عبد الباري الاهدل في المراوعه وبالسيد العلامة سليمان بن محمد بن عبدالرحمن بن
سليمان الاهدل وبالسيد العلامة داود بن علي حجر القديمي في زبيد وساير تلك الطبقة وجرت

واقتفا ظ

الصفحة الأولى من ترجمة المؤرخ

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أطلع لعباده في سما الاقتدا نجوماً من العترة النبوية ساطعة زاهره ٭ واشهر منهم في كل زمان سيوفاً لاعناق أهل الالحاد والجور قاصمة باتره ٭ وقضى بسابق علمه انها لا تزال منهم طايفة على الحق ظاهره ٭ حتى يقاتل اخرهم المسيح الدجال كما نطقت بذلك الاخبار المتواتره ٭ فهذه ربوع الخلافه بهم في كل اوان انسة عامره ٭ ومغاني الدين باثار بهجتهم وانوار طلعتهم عاطرة ناضره ٭ ومشاعر الفضل والعلوم لحسن صنايعهم حامدة شاكره ٭ فهم في كل مكان واوان زينة البادية والحاضره ٭ وبحور الفضايل الزاخره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا جنة ونجاة في الدنيا والاخره ٭ واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المويد بالمعجزات الباهره ٭ والبراهين المتظاهرة المتضافره ٭ صلى الله عليه وعلى اله عترته الطيبة الطاهره ٭ صلوة دايمة متواصلة متواتره ٭ وسلم تسليماً كثيراً اوله واخره ٭ فانه لما من الله سبحانه علي وله الحمد بالوفاده ٭ الى مقام من ملك ازمة السعادة والسياده ٭ وحوى من كمال الكمال الحسنى وزياده ٭ من تشرفت به الخلافه والامامه ٭ والقت اليه مقاليدها السياسة والزعامه ٭ مولانا ومولا كل مسلم شمس الهدى ٭ التي طلعت اخر الزمان من القبله فكشفت عن حنادس الليل المظلم ٭ نعمة الله التي امتن بها على العباد في هذا الزمن ٭ ورحمة الله التي تفضل بها على المستضعفين من اهل اليمن ٭ وحجة الله على عباده لاقامة الفرايض والسنن امير المومنين ٭ قرين القران المبين ٭ السالك سبيل اباءه المطهرين ٭ والمجدد لما اندرس من دين جده سيد المرسلين ٭ المنصور بالله رب العالمين ٭ حفظه الله بما حفظ به الذكر المبين وحماه وكلاه من شرور الاناسي والشياطين ٭ وايده بعزيز نصره المبين ٭ وامده بملايكة من عنده مردفين ٭ وحين وصلت الى ذلك المقام ٭ وتشرفت برويته لمحت ذلك الامام ومفاكهة اخلاقه الكرام ٭ التي هي على المومنين روض نضر دايم الابتهاج ٭ وعلى اهل الفسوق والعصيان ٭ بحر عجاج متلاطم الامواج ٭ ولقد واجهنا حفظه الله بما يليق بجلالة الخلافة السنية وقابلنا بما هو اهله كما ذلك داب العناصر النبوية ٭ والفروع المصطفوية ٭ فلم ازل حفظه الله

الصفحة الأولى من النسخة أ

وهذه الوفادة الثانية بعد الوفادة الأولى التي في شهر ربيع سنة ١٣٠٩ هذا وقد قال الحقير
في مدايح مولانا الامام حفظه الله قصايد كثيره ۞ قديمة واخيره ۞ وقد اضربت عن ذكر
بعضها في غضون هذه السيره ۞ خوفا ان ينسب الي اني ممن هو بشعره وابيه مفتون ۞ وذلك
عيب لا يرتضيه العاقلون ۞ سميت هذه السيره
المباركة بعد الخيره ۞ **بالدر المنثور ۞ في سيرة مولانا امير المؤمنين
الامام المنصور** ۞ وهذا اوان الشروع في المرام ۞ ومن الله نستمد التوفيق
والاعانة على التمام ۞ **فصل اعلم** انه ينبغي للناظر والسامع ان يعلم اولا علما
جازما مستفادا من البرهان القاطع ۞ ان وجوب اتباع وانيبة اهل البيت امر متحتم ۞ وان
طاعة داعيتهم وموالاته من الواجب على كل مسلم ۞ وان من حاد عن ذلك فقد سلك في طريق مظلم ۞
ولا يهولنك كثرة من حاد عن سوا الطريق ۞ فانه اقل ما نزل من السماء التوفيق ۞ وانظر الى
واضح الادله ۞ فانك لا تكاد تجد الحق والخير الا مع القله ۞ وقليل ما هم ۞ وقليل من عبادي
الشكور ۞ شعر ۞ تعيرنا انا قليل عديدنا ۞ فقلت لها ان الكرام قليل ۞
وانظر كم كان اتباع الرسل في سالف الدهور ۞ الى غير ذلك من الادله التي هي في غاية
الظهور ۞ ولا ينكرها الا مخذول مغرور ۞ ولا يابى من خالفها الا هبا منثور ۞ وانا نجد اهل الفسوق
والكفر والطغيان ۞ اضعاف اضعاف اهل الاسلام والايمان ۞ وان هذا امر لا يكاد ينكره انسان ۞
وحينئذ تبين لها ان اهل الحق هم الجماعه ۞ وان العترة النبويه هم اساطين الحق الى قيام الساعه ۞
كيف لا وقد نوه بذلك الرسول ۞ في غير ما حديث تلقته الامه بالقبول كحديث **اني
تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي ابدا**
كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان اللطيف الخبير [illegible] انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض قال العلامه
الشريف يفهم انه لا بد من وجود من يكون اهلا للتمسك به من العترة الطاهره في كل زمن الى قيام
الساعه حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به كما ان الكتاب كذلك فلذلك كانوا امانا لاهل
الارض فاذا ذهبوا ذهب اهل الارض والحديث المذكور قاله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ۞
ورواه عنه من الصحابه ما يزيد على العشرين بالفاظ مختلفه ۞ فدل ذلك انه يجب على الناس الموالا ة
والمناصره ۞ والتمسك بتلك الاعقاب الطاهره ۞ وقد تبين صدق الاحاديث الوارده بالوقوع الذي

صفحة العنوان من النسخة أ

وألِفْ جناح الذل منك تفضلاً ○ وأقبلهم رفقاً رضوا بك سيّدا ○

واردد بعد اهم عاصين الكلهم ○ من الغيظ والرجع منهم لطرف ارمدا ○

واكفل بهم من يحتفل برجوعهم ○ واي صلاتهم ما منهم انت مرشدا ○

لتستكمل الفعل الجميل جميعه ○ وتستولي الذكر الجزيل انت مفردا ○

وتبقى لك الاشخاص ما دام الفها ○ بليل واطراف النهار مدى المدا ○

وتملك صغار القوم ثم كبارهم ○ مدى الدهر ما ابقاك مولاك وابدا ○

اليكم فهاهي بسيتدي قد اتتكم ○ تجر ذيول التيه في ثوب مولدا ○

تقبلها مولاي اني جاهل ○ عن الشعر والاداب اعمى مقودا ○

وليس لنا غير الدعا من وسيلة ○ الى الله يجعلكم لذي الدهر اعبدا ○

وصلى الهي كل يوم وليلة ○ على احمد والآل ما الطير غردا ○

حوادث سنة ١٣١٦ الحمد لله مصرف الدهور

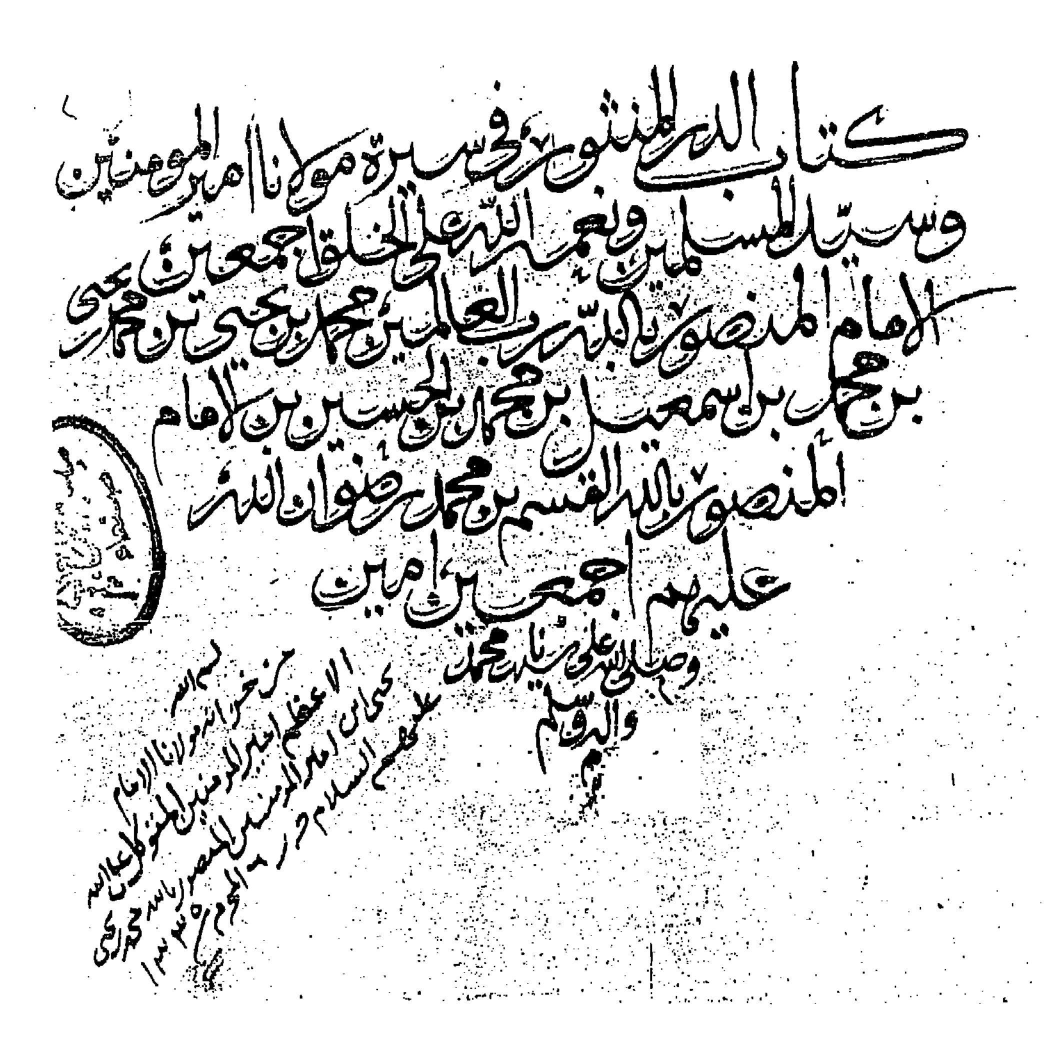
ومدبر الامور على وفق حكمته العالم بما اكنته الصدور وبحقيقة الصدور لا يغادره شيئا من خليقته احمده حمد معترف بالتقصير والقصور واشكره على انعامه الذي ليس بمقطوع ولا محظور والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله النبي المشهور صاحب اللوا المنشور صلى الله عليه وعلى آله الائمة المعمور

اما بعد فلما كانت الوقايع الحادثة في سنة ١٣١٦ حقيقة بان تفرد بالتاليف وتجمع في التصنيف رايت ان افردها في هذه الكراريس بلفظ يفعل في الاسماع فعل الخندريس

اعلم انها دخلت سنة ستة عشر وثلاث مائة والف وقد اشتد على الناس البلا وعظم القحط والغلا وعم جميع الاقطار هذا الابتلا وارتفعت الاسعار حتى بلغ السعر في بعض البلاد الى ستة انفار وغلا كل شي وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وانما يكون تتابع القحط والسنين عقوبة وزجر للظالمين ○ والمقصرين عن نصرة الحق المبين بعد قيام الحجة ووضوح المحجة كما كان ذلك سنة الله في الامم السابقين وقد حكى الله تعالى في كتابه قال الله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون وقال الله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون فهذه سنة الله التي خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ومازالت هذه السنة قايمة في امة الحق ودعاة الدين اذا لم يظاهروا على القيام بما يحب رب العالمين اذ هم ورثة المرسلين وان الناس لما صموا عن اجابة داعي الهدى وعموا عن القيام بما يحب الله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فلم ينكروا منكرا ولا امروا بالمعرو وف

نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني من النسخة أ

الصفحة الأخيرة من النسخة أ نهاية المخطوط



كتاب الدر المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين
وسيد المسلمين ونعمة الله على الخلق أجمعين
الإمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى
بن محمد بن إسمعيل بن محمد بن الحسين بن الإمام
المنصور بالله القسم بن محمد رضوان الله
عليهم أجمعين آمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وسلم

صفحة العنوان من النسخة م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي اطلع لعباده في سماء الافق نجوماً من العترة النبوية ساطعة زاهرة ، واشهر منهم في كل زمان سيوفاً لاعناق اهل الالحاد والجور قاصمة باترة ، وقضا بسابق علمه انها لا تزال منهم طايفة على الحق ظاهرة ، حتى يقاتل اخرهم المسيح الدجال كما نطقت بذلك الاخبار المتواترة ، فهذه ربوع العلوم الشريفة المطهرة بهم في كل اوان آنسة عامرة ، ومعالم الدين بآثارهم البهجة وانوار طلعتهم عاطرة ناظرة ، ومشاعر الفضل بحسن صنايعهم حامدة شاكرة ، فهم في كل مكان وزمان زينة البادية والحاضرة ، وبحور الفضايل الزاخرة ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا جنة في الدنيا والاخرة ، واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرة والبراهين المتظافرة ، صلى الله عليه وعلى عترته الطيبة الطاهرة ، صلوة دائمة متواصلة متكاثرة ، وسلم تسليماً كثيراً اوله واخره

اما بعد فانه لما من الله سبحانه علي وله الحمد بالوفادة الى مقام من تلك ازمة السعادة والسيادة ، وحوى من الكمال الحسنى والزيادة ، مولانا ومولى كل مسلم شمس الهدى التي طلعت اخر الزمان من القبلة فكشفت عن حنادس الليل المظلم ، نعمة الله التي امتن بها على العباد في هذا الزمن ، ورحمة الله التي تفضل بها على المستضعفين من اهل اليمن ، وحجة الله علينا التي اقام بها الفرايض والسنن ، امير المومنين والسالك سبيل اباه المطهرين ، والمجدد لدين جده سيد المرسلين المنصور بالله رب العالمين ، حفظه الله بما حفظ به الذكر الحكيم المبين ، وكلاه وحماه من شرور الاناسي والشياطين ، وايده بعزيز نصره المبين ، وامده بالملايكة من عنده مردفين ، وحين وصلت الى ذلك المقام ، وتشرفت برؤية بهجة ذلك الامام ، ومقابلة اخلاقه الكرايم التي هي على المؤمنين روض نضر دايم الابتهاج ، وعلى جاهل اهل الفسوق والعصيان بحر متلاطم الامواج ، ولقد وجدتها حفظه الله بما يليق بجلال الخلافة العلية التي هي فرع الدوحة النبوية ، وبضعة الذات المصطفوية ، فلم يزل يتعهدنا بجزيل فضله وبره ، فيا انا في حصر عن حصره ، وقصر عن اداء ادنا شكره الا بالدعا له والثنا عليه بما احرزه من قصبات السبق بالاصالة ، وورثه من المجد عن ابايه صدقاً عن كلالة ، وكيف لا وهو واحد الزمان في كماله وشهامته وزعامته وجلاله ، حامل راية الامامة في هذا العصر ، والمؤيد من مولاه بالتمكين والنصر ، قايد الامة الى سبيل التقوى ، والمتمسك من ربه بالحبل الاقوى ، والى لما وضعت عصى التسيار ، وحطت رحالي في تلك الديار سمعت اذناي ووعاه قلبي وقايعاً جرت بين الاجناد المنصورية انصار الحق وبين اعدا الله العجم يحق ان توثق بقيد القلم ، ويلزم حفظها في بطون الاوراق ، حفظاً لما اثر هذا الامام سابق السباق ، واشاعة لكراماته التي تواترت بالاتفاق ، وان في حفظ تلك الحوادث تبصرة

ن الخلافة

بملائكته

الصفحة الأولى من النسخة م

لمن ياتي بعد من الحذاق ٭ وعبرة لاهل الايمان والوفاق ٭ واغاظة لذوي الحسد والنفاق ٭
فرايت من اللازم بحكم المروة والواجب بشرع الفتوة ٭ خدمة هذا المقام الرفيع وطود الخلافة
الشامخ المنيع ٭ بتاريخ يشتمل على السيرة المنصورية ٭ والوقايع العلوية الصفية ٭
وما يلم بذلك من الحوادث السنية السنوية وانه لمطلب فخيم ٭ ومقصد جليل جسيم لما علم عند
كل ذي قلب سليم ٭ ونظر مستقيم ٭ ان ذكر الفتى عمره الثاني ٭ وان الثنا الحسن الخلد الذي ليس
بفاني ولذا سال سيدنا ابرهيم عليه وعلى نبينا افضل الصلوة والتسليم فصار ذلك مطلوبا
عند ذوي الهمم العالية والصفات السامية ٭ لا ينكر فضله الا من كان عن اردية الفضل عاريه
وكان وصولي الى ذلك المقام الشريف مناخ العز السامي المنيف شهر جمادى الاخرة تاريخها
ظاهر والامام محمد وكان حين نزوده من الباطل وجور يحق فيه قول القايل شعرا
انت الزمان واستكبرت ٭ سطوة الزمان ٭ ثم ولوا وغدرت ٭ تطلب الامان ٭
ربها الذي له سجدت العظيم الشان ٭ في دولة الاعاجم التي جبلت على الطغيان جورها وما صنعت
بلعج العمان ٭ فاجاب ما سالت ٭ برفع الامتحان ٭ والطوى بساط مملكة آل عثمان ٭
وهذه الوفاة الثانية بعد الوفاة الاولى التي في شهر ربيع الاول من السنة وقد قلت في مديح مولانا
ايده الله عزا من القصايد لكني اضربت عن ذكر بعضها في هذه السيرة خشية من ان اعد ممن
هو بشعره وابنه مفتون ٭ وذلك عيب لا يرتضيه العاقلون وقد سميت هذه السيرة المباركة
الدر المنثور في سيرة مولانا امير المومنين الامام المنصور وهذا اوان الشروع
في المرام ومن الله نستمد التوفيق والاعانة على التمام ٭

فصل اعلم انه ينبغي

للناظر والسامع ان يعلم اولا علما جازما مستفادا من البرهان القاطع بان وجوب
اتباع واعية اهل البيت امر متحتم ٭ وان طاعة داعيتهم وموالاته من الواجب على كل مسلم ٭
وان من حاد عن ذلك فقد سلك في طريق مظلم ٭ ولا يهولنك كثرة من حاد عن طريق سوا الطريق ٭
فانه اقل ما انزل من السما التوفيق ٭ وانظر الى واضح الادلة فانك لا تكاد تجد الحق واهل الحق الا القلة
وقليل ما هم ٭ وقليل من عبادي الشكور ٭ شعرا ٭ تعيرنا انا قليل عديدنا ٭ فقلت لها ان الكرام قليل
وانظر كم كان اتباع الرسل في سالف الدهور ٭ الى غير ذلك من الادلة التي هي في غاية الظهور ٭
ولا ينكرها الا مخذول مغرور ٭ ولا يأتي من خالفها الا بهبا منثور ٭ وانا نجد اهل الفسوق والكفر
والطغيان اضعاف اهل الاسلام والايمان ٭ وان هذا امر لا يكاد ينكره انسان ٭ وحينئذ
يتبين ان اهل الحق هم الجماعة وان العترة النبوية هم اساطين الحق الى قيام الساعة ٭ كيف لا وقد
نوه بذلك الرسول في غير ما حديث تلقته الامة بالقبول الحديث اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض قال
العلماء الشريفة يعلم انه لابد من وجود من يكون اهلا للتمسك به من العترة الطاهرة في كل زمن

صفحة العنوان من النسخة م

وتملك صغار القوم ثم كبارهم ... هلا الدهر ما ابقاك مولاي وابدا
اليكم فهذا نهي سيدي قد اتتكم ... تجر ذيول التيه في ثوب مولدا
تقبلها مولاي اني جاهل ... عن الشعر والآداب عمي ومقلدا
وليس لنا غير الدعا في سبيله ... الى الله يحميكم لدى الدهر امجدا
وصلى الهي كل يوم وليلة ... على احمد والآل ما الطير غردا

الجزء الثاني من السيرة المنصورية

حوادث سنة ١٣١٦ الحمد لله مصرف الدهور ومدبر الامور على

وفق حكمته العالم بما تكنه الصدور وتخفيه الصدور لا يغادره شيئا من خلقه
احمده حمد معترف بالتقصير والقصور واشكره على نعمائه الذي ليس بمقطوع ولا محصور
والصلوة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله النبي المشهور صاحب اللواء المنشور صلى الله عليه
وعلى آل بيته المعمور **اما بعد** فلما كانت الوقايع الحادثة في سنة ١٣١٦ حقيقة بان يهتم
بالتاليف وتجمع بالتصنيف رأيت ان افردها في نبذة الكراريس بلفظ يغفل في الاسماع
فيعد العبد بسرد علم انها دخلت سنة ست عشر وثلاث مائة والف وقد اشتد على الناس البلا
وعظم القحط والغلا وعم جميع الاقطار هذه الابتلا فارتفعت الاسعار حتى بلغ السعر
في بعض البلاد الى سنة انفار وغلا كل شي وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وانما يكون تتابع القحط والسنين
عقوبة وزجر للظالمين والمقصرين عن نصرة الحق المبين بعد قيام حجته ووضوح المحجة
كما كان ذلك سنة الله في الامم السابقين وقد حكا الله تعالى في كتابه العزيز ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون
وقال الله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون فهذه سنة الله
التي خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وما زالت هذه السنة
قائمة في المتاخرين ودعاة الدين اذا لم يظاهروا على القيام بما يجب لرب العالمين اذ هم ورثة المرسلين
وان الناس لما صمموا على عن اجابة داعي الهدى وعموا عن القيام بما يجب لله الذي لم يتخذ
صاحبة ولا ولدا حتى لم ينكروا منكرا ولا امروا بمعروف باين الورى بل صار الاهم للقدم على
الخاص والعام جمع الحطام كانه الامر الذي خلق لاجله الانام والبلا اللازم الذي يجب به الاهتمام
حتى عظم الخطب وطم وصار طلب الحق غريبا عند جميع الامم وتسلط عليهم اعلاج العجم وما
ربك بظلام للعبيد **واعلم** ان اول الحوادث المخرج العظيم الذي قصده محمد ولاية العجم صنعاء اليمن

ذكر المخرج المذكور لقصد محاصرة العجم ومضايقتهم في هذه السنة

صنعاء وصفتها انه في المحرم مفتاح السنة المذكورة كتب الى حضرة الامام عليه السلام قبايل حاشد
وبكيل يطلبون منه ان يجهزهم لجهاد العجم واعلنوا انهم يريدون بذلك ارضاء الرب الكريم
فاسعدهم الامام عليه السلام فيما ارادوه خشية من الوقوع في التقصير فيما يلزم ومعه ذلك

نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني من النسخة م

سيدا الناس أن تسلم الناس خيرا ... أي للناس أحسن الناس قولا
ماجدا زاهدا كريما هماما ... عالم عامل إذا صال جلى
لم يزل في الأنام عزا وحزما ... وارتقاها مجدا وقد نال أجلا
فهو التاج للأئمة جمعا ... وهو في العلم قد غدا مستقلا
الإمام الذي له الله قد أعـ ... ـطاه فضلا في العالمين وطولا
لست أحصي صفاتك الغر لو أن ... ني أعطيت ألسن الناس كلا
فسواء عندي المكثر والمقـ ... ـلل في المدح ذا وذاك فلا
فليكن البراع منه وده في الـ ... ـمدح وليبد ما بقلبي استقلا
طال مثواي في حبور إلى أن ... ملني مجلسي وصبري تولى
لست في حلبة الجهاد فارضى ... بأمر الأشياء حولا فحولا
وكذا لم يكن جليسي أشفا ... را من العلم يلهني إن أملا
صار مكثي فيه لمحض سؤال ... كم وفودنا أتى لتبلغ سؤلا
يا أبا المجد والمكارم والسؤ ... دد والعلم زادك الله فضلا
يا إمام الأنام يا واحد الأ ... يام لا زلت في العلا مستظلا
أعفني من حبور دام لكل العـ ... ـز وعافاك ربنا وتولى
فلقد ضاق في البقا مقامي ... وسئمت البقا والفكر كلا
قد فرغنا وصار كل شجار ... بالدما والأموال بالفضل أجلا
وإذا كنتم ترون صلاحا ... بالبقا فيه فالنزدد أو لي
أو يبقى فيها الخليل حسينا ... نحل إسماعيل الرفيع محلا
فاسمحوا بالجواب والإذن فيه ... واحكموا في الملوك عقدا وحلا
وصلوة من المليك تعالى ... وسلام ما دامت الصحف تتلى
يبلغان النبي حيا المعالي ... وكذى الآل أطهر الناس فعلا

الصفحة الأخيرة من النسخة م. نهاية المخطوط

كتاب الدُّرّ المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين

الأمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى بن محمد
ابن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين
ابن الإمام الأعظم المنصور بالله، أمير المؤمنين
القاسم بن محمد رضوان الله عليهم آمين

جمعها القاضي العلامة زينة الشيعة الكرام
جمال المسلمين والإسلام علي بن عبدالله
الإرياني، رضي الله عنه، هاجر إلى الإمام المنصور بالله
في أول سنة ١٣١٦، ولازم حضرة الإمام، وكان من
جبال العلم الكبار وتوفي رحمه الله بعد وفاة
الإمام المنصرر بالله بسنة وكسور
ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بسم اللهِ الرّحْمٰنِ الرَّحيمِ

/ الحمدُ لله الَّذي أطلعَ لعبادِه في سماءِ الاقتداءِ نجوماً منَ العترةِ النبوية، ساطعةً زاهرةً، وأشهرَ منهم في كلِّ زمانٍ سيوفاً لأعناقِ أهْلِ الإلحادِ والجوْرِ قاصمةً باترةً، وقضى بسابقِ علمِهِ، أنها لا تزالُ منهم طائفةٌ على الحقِّ ظاهرةً، حتى يُقاتِلَ آخرُهُم المسيحَ الدجَّالَ كما نطقتْ بذلكَ الأخبارُ المتواترةُ، فهذه ربوعُ الخلافةِ بهم في كُلِّ أوانٍ آنسةٌ عامرةٌ، ومغاني الدينِ بآثارِ بهجتهم وأنوارِ طلعتِهم عاطرةٌ ناضرةٌ، ومشاعرُ الفضلِ والعلومِ بِحُسْنِ صنائِعهم حامدةٌ شاكِرةٌ، فهمْ في كُلِّ مكانٍ وأوانٍ زينةُ الباديةِ والحاضرة، وبحورُ الفضائلِ الزاخرة.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَهُ لا شريكَ له، شهادةً تكون لنا جُنةً ونجاةً[1] في الدنيا والآخرة.

وأشهد أنَّ سيدَنا مُحمداً عَبْدُه وَرَسُولُه، المؤيَّدُ بالمعجزاتِ الباهرة، والبراهينِ المتظاهرةِ المتضافرةِ، صلّى الله عليه، وعلى عترتِهِ الطيِّبةِ الطّاهرةِ، صلاةً دائمةً متواصِلةً متواترة[2]، وسَلّم تسليماً كثيراً أوَّله وآخره.

أمَّا بعد، فإنّه لما مَنَّ اللهُ سبحانَه عليَّ، وله الحمدُ بالوفادةِ إلى مقامِ

---

(١) سقطت من ع، م.

(٢) في ع، متكاثرة.

مَنْ مَلَكَ أزِمّةَ السعادةِ والسيادة، وحوى من كمالِ الكمالِ الحُسنى والزيادة، (١مَنْ تشرفتْ به الخلافةُ والإمامةُ، وألقتْ إليه مقاليدَها السِّياسةُ والزعامة١)، مولانا ومولى كلِّ مُسلمٍ، شمسُ الهدى التي طلعتْ آخرَ الزمانِ من القبلةِ، فكشفتْ عن حنَادسِ الليلِ المظلمِ، نعمةُ اللهِ التي امتَنَّ بها على العبادِ في هذا الزَمن، ورحمةُ اللهِ التي تفضَّل بها على المستضعفين من أهل اليمن. وحجـةُ الله على عبـادِه لإقامة(٢) الفرائضِ والسنن، أميرُ المؤمنين، (٣قرينُ القرآنِ المبين٣)، السالكُ سبيلَ آبائه المطَّهرين، والمجدّدُ (٤لما اندرسَ مِنْ٤) دينِ جدِّه سيدِ المرسلين، المنصورُ بالله رَبِّ العالمين، حفظهُ الله بما حفظ به الذِّكْرَ المبين، (٥ وكلأه وحماه٥) من شرورِ الأناسي والشياطين، وأيّده بعزيزِ نصرِه المبين، وَأَمدَّه بملائكةٍ من عندِه مردفين.

وحينَ وصلتُ إلى ذلـك المقـامِ، وتشرَّفْتُ برؤيةِ بهجةِ ذلك الإمام، ومفـاكهـةِ أخـلاقِـه الكـرام، التي هي على المؤمنين روضٌ نضير(٦)، دائمُ الابتهاج، وعلى أهلِ الفسوقِ والعصيانِ بحرٌ عَجَّاج(1) متلاطمُ الأمواج. ولقد

---

(1). تسمع لمائهِ صوتاً لكثرة مائة، انظر، لسان العرب، مادة عَجج.

(١ ١) مَنْ تشرفت .... والزعامة، سقطت من ع، م.

(٢) في ع وم، التي أقام بها.

(٣ ٣) قرين .... المبين، سقطت من ع، م.

(٤ ٤) في ع،م والمُجدّد لدين.

(٥ ٥) تقديم وتأخير في أ.

(٦) في ع، نضير.

واجهَنا حفظه الله بما يليقُ بجلالةِ أخلاقهِ السنيّةِ، (١وقَابَلَنا بما هو أهلُه كما ذلك دأبُ العناصرِ١) النبويَّةِ، و(٢الفروعِ المصطفويةِ٢). فلم يزلْ ـ حفظه الله ـ

/ يتعهدُنا بجزيلِ فضلِه وبرِّهِ، فها أنا في حصرٍ عن حصرِه، وقصْرٍ عن أداءِ أدنى شكرِه، إلاّ بالدعاءِ له (٣بخيرَيْ الدارَيْن٣)، والثناءِ عليه بما أحرَزَهُ من قَصَباتِ السَّبقِ (٤بغيرمَيْن، فاستحقَّ التقديمَ٤) بالأصالةِ، وورث(٥) المجدَ عن آبـاءِ صدقٍ لا عَنْ كلالـة، وكيفَ لا وهـو أوحدُ الزمانِ فخامةً وشهامةً [وزعامةً](٦) وجلالة، حاملُ رايةِ الإمامةِ في هذا العصرِ، والمؤيَّدُ من مَوْلاه بالتمكينِ والنَّصرِ، قائدُ الأمةِ إلى سبيلِ التقوى، والمتمسِّكُ من ربِّه بالحبلِ المتين(٧) الأقوى. ٢أ

وإني لمّـا وضعتُ عصا التِسيارِ، وحططتُ رحالي في شريفِ المقام، (٨ومَنَّ الله عليَّ بذلك، فله الحمدُ على هذا الإنعام٨)، سمعتْ أذناي، ووعى قلبي وشاهَدَ بصري، وقائعَ جرتْ بين الأجنادِ المنصوريةِ، أنصارِ الحقِّ (٩من البريّةِ٩)، وبينَ أعداءِ اللهِ العجمِ (1)، يحقُّ لها أن تُوَثَّقَ بقيدِ القلمِ، ويلزمُ

---

(1) العجم: المقصود بالعجم الأتراك العثمانيون، وهو تعبير أطلقه العرب على كل من لا يتكلم اللغة العربية خلال تلك القرون، انظر وثائق يمنية/ ١٣٥.

(١ ١) سقطت من ع، م وجاءت التي هي فرع الدوحة النبوية.

(٢ ٢) جاءت في ع، م، وبضعة الذات المصطفوية.

(٣ ٣) سقطت من ع، م.

(٤ ٤) سقطت من ع، م.

(٥) في ع، وورثه من المجد.

(٦) الإضافة من ع، م.

(٧) سقطت من ع، م.

(٨ ٨) سقطت من ع،م.

(٩ ٩) سقطت من ع،م.

حفظُها في بطونِ الأوراق. حفظاً [1] لمآثرِ هذا الإمام سَيِّدِ السُّبَّاقِ، وإشاعةً لكراماتِه المتواترةِ بالاتفاق، وإنَّ في حفظِ تلك الحوادثِ تبصرةً وذكرى لمن يأتي بعدُ مِنَ الحُذَّاقِ، وعبرةً لأهلِ الإيمانِ والوفاقِ، وإغاظةً لذوي الحسدِ والشِّقـاق [2]، فرأيتُ من اللّازم بحكمِ المـروءةِ، والواجبِ لشرعِ الفتوّةِ خدمةُ هذا المقامِ الرَّفيعِ، طَوْدِ الخلافةِ الشامخِ المنيع، بتاريخٍ يشتملُ على السيرةِ المنصورية، والوقائعِ السنيةِ العلوية الصفينيَّة. [3] وربما أذكرُ استطراداً بعضَ [3] الحـوادثِ [السنيةِ] [4] السنوية. و[5] إنَّ ذلـك [5] لمـطلبٌ فخيم، ومقصدٌ جليلٌ جسيم. فقد عَلم كلُّ ذي قلبٍ سليمٍ، ونظرٍ مستقيمٍ، أنَّ ذكرَ الفتى عمرُه الثاني. وأنَّ الثناءَ الحَسَنَ المخلَّدُ الذي ليس بفانٍ، ولذا سألَه سيدُنا إبراهيم، عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والتسليم، فصارَ ذلك مَطْلُوباً عند ذوي الهممِ العَالية، والصفاتِ الساميةِ، لا يُنْكِرُ[فَضْلَه] [6] إلاّ مَنْ مَناكِبُهُ عن أرْديةِ الفضلِ عاريةٌ.

وكان وصولي إلى ذلك المقامِ الشريفِ، مناخِ العزِّ السامي المنيفِ، في [7] شهرِ جمادى الآخرة تاريخها «ظاهر والامام محمد [8]».

[9] وكان وصولي [9] على حينِ زفرةٍ من الباطل، وجوْرٍ يحِقُّ فيه قولُ القائلِ :

---

(١) في أ، رعاية.

(٢) في ع،م النفاق.

(٣ ٣) في ع،م وما يلم ذلك من الحوادث.

(٤) الإضافة من ع.

(٥ ٥) في ع،م وأنه.

(٦) الإضافة من ع،م.

(٧) في، سقطت من ع،م.

(٨) بحساب الجُمَّل.

(٩ ٩) سقطت من ع، م.

أنّــت الأرضُ واشــتـكـتْ سطوة الـزمـانْ

ثم وَلْــوِلَــت وغَــدتْ تطلبُ الأمــانْ

رَبُّهــا الــذي له سَجَدَت العـظيمَ الشـان

دولـة الأعـاجم التي جبلت على الــطغـيانْ

جَوْرُهــا ومــا صنــعــتْ يلغ العنــان

فأجــابَ ما سألــتْ رفـع الامتحـان

وطــوى بســاطَ مملكـــة آلِ عثمــان[1] سنة ١٣١٦

٢٢ ٧٢ ٥٣٠ ٣١ ٦٦١

/وهذه الوفادةُ الثانيةُ بعدَ الوفادةِ الأولى التي في شهرِ ربيع (الأول)[2] سنة ٢ب ١٣٠٩. (٣هـذا وقـد قال الحقيرُ٣) في مَديحِ مولانـا، حفـظه الله، قصائدَ كثيرةً[4]، (٥قديمةً وأخيرةً٥)، وقد أضربتُ عن ذكرِ بعضها في غضونِ[6] هذه السيرةِ خوفاً (٧ أن يُنسبَ إليَّ أني ٧) ممن هو بشعره مفتونٌ، وذلك عيبٌ لا يرتضيهِ العـاقلون، وقـد سمَّيْتُ هذه السيرةَ المباركةَ (٨ بعد الخير٨)، بالدرِّ المنثورِ في سيرةِ مولانا أميرِ المؤمنين الإمامِ المنصور.

وهذا أوانُ الشروعِ في المرامِ، ومن اللهِ نستمدُّ التوفيقَ والإعانةَ على التمام.

(١ ١) بحساب الجُمَّل وتكون ١٣١٦..

(٢) الإضافة من، ع، م.

(٣ ٣) في ع، م وقلت في مديح.

(٤ ٤) في ع، أيده الله غُرراً من القصائد.

(٥ ٥) سقطت من ع.

(٦) غضون، سقطت من ع.

(٧ ٧) خشية من أن أُعد في ع.

(٨ ٨) سقطت من ع، م.

فصـــل

إعلمْ أنـه ينبغي للناظرِ والسامعِ أن يعلمَ أولاً علماً جازماً مستفاداً من البرهانِ القاطعِ، أنَّ وجوبَ اتباع داعيةِ أهلِ البيتِ أمرٌ متحتّمٌ، وأنَّ طاعة داعيتهم وموالاتَه من الواجب على كلِّ مسلمٍ، وإنَّ من حادَ عن ذلك فقد سلكَ في طريقٍ مظلمٍ. ولا يَهُولَنَّك كثرةُ مَنْ حادَ عن سواءِ الطريق، فإنّه أقلُّ ما نزلَ من السماءِ التوفيق، وانظر إلى واضحِ الأدلّةِ، فإنك لا تكادُ تجدُ الحقَّ والخيرَ إلّا مع القِلَّةِ؛ وقليلٌ ما هم، وقليلٌ من عباديَ الشكور.

شعراً. [الطويـــل][1]

تعـيّرنـا أنّـا قليلٌ عديدُنـا فقلـتُ لهـا إنَّ الكـرامَ قليلُ

وانظرْ كمْ كانَ أتباعُ الرسلِ في سالفِ الدُّهورِ، إلى غيرِ ذلك من الأدلّةِ التي هي في غايةِ الظهورِ، ولا ينكرُها إلّا مخذولٌ مغرورٌ، ولا يأتي مَنْ خالفها الا بهباءٍ منثور.

وإنّـا نجـدُ أهـلَ الفسـوقِ والكفـر والطغيان، أضعافَ أضعافَ[1] أهلِ الإسلامِ والإيمان، وإنَّ هذا أمرٌ لا يكادُ ينكرُه إنسانٌ، وحينئذٍ تبيَّن أنَّ أهلَ الحقِّ هم الجماعةُ، وأن العترةَ النبويَّةَ هم أساطينُ الحقِّ إلى قيامِ الساعةِ، كيف لا وقد نوّه بذلك الرسولُ، في غيرِ ما حديثٍ تَلَقَّتْهُ الأمّةُ بالقبولِ كحديث «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكْتُمْ به لن تضلّوا بعدي أبداً، كتابَ الله وعترتي أهلَ

---

(1) الشعر للسَّموْأل بن عادياء، انظر الديوان، ص ٩٠، دار صادر، ١٩٥١م.

---

(١) سقطت من ع، م.

بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض»[1]

قال العلّامةُ الشريفُ: يُفهمُ أنه لا بدَّ من وجودِ مَنْ يكونُ أهلًا للتمسُّكِ به من العَترةِ الطاهرةِ في كلِّ زمنٍ إلى قيامِ الساعةِ، حتى يتوَّجَهُ الحثُّ المذكورُ على التمسُّكِ به، كما أن الكتابَ كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهلِ الأرضِ، فإذا ذهبوا ذهبَ أهلُ الأرضِ.

والحديثُ المذكورُ قاله ﷺ في حجةِ الوداعِ، ورواه عنه من الصحابةِ ما يزيدُ على العشرين بألفاظٍ مختلفةٍ، فدلَّ ذلك أنه يجبُ على الناسِ الموالاةُ والمناصرةُ، والتمسّكُ بتلك الأعتابِ الطّاهرةِ، وقد تبيَّن صدقُ الأحاديث الواردة بالوقوعِ الذي / لا ينكرُه الا مكابر. وإن هذه الأحاديثَ متفقٌ عليها عندَ الموالفِ والمخالفِ. ولقد صانها الله عن تحريفِ المحرّفين، وغلوِّ الغالين، ولم يقدرْ على كتمِها أحدٌ من المحدّثين، لأنها من معدنِ الذكرِ المبين. ٣أ

وقد وردَ عن النبيِّ ﷺ، «إنَّ الله يبعثُ لهذه الأمةِ على رأسِ كلِ مئةِ سنةٍ رجلًا من أهلِ بيتي يجدِّدُ لها أمرَ دينها[2] ـ الحديث ـ أو كما قال، وقولُه

(1) أخرجه أحمد في المسند، ٣/١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، الطبراني في المعجم الصغير، ١/١٣٥ والترمذي، ٣٧٨٨، ٣٧٨٦، صحيح مسلم، ٢٤٠٨ في فضائل الصحابة.

(2) معرفة السنن والآثار، ١/١٣٨، حلية الأولياء، ٩/٩٧-٩٨، توالي التأسيس، ٤٨، سنن أبي داود، ٤٢٩١، الخطيب البغدادي، ٢/٦١، الحاكم، ٤/٥٢٢، مناقب البيهقي، ١/١٣٧، من طريق ابن وهب، عن سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، فيما أعلم عن رسول الله ﷺ، قال: إنّ الله يبعث لهذه الأمةِ على رأسِ كل مئة سنةٍ من يُجدِّدُ لها دينها»، ورجاله ثقات، وإسناده قوي كما قال الحافظ في توالي التأسيس، ٤٨.

ﷺ «من أمرَ بالمعروف، ونَهى عن المنكرِ من ذُريّتي فهو خليفةُ اللهِ في أرضِهِ». إلى غيرِ ذلك من الأحاديثِ الثابتةِ في دواوين الإسلام.

ولقد دَلّتْ منطوقاً ومفهوماً على وجوبِ التمسكِ بعروةِ أهْلِ البيتِ النبويِّ، ووجوب طاعةِ أئمتِهم، وموالاةِ داعيتهم، والقيامِ بنُصْرتِهِ ومعاونَتِهِ باطناً وظاهراً، لا معنى للأحاديثِ إلّا ذلك. وقد استدلَّ بذلك على حُجيّةِ إجماعِهم، ولا منعَ أن يُستنبطَ من الخبر الواحد حُكمان، وكيف لا وهوَ من كلامِ منْ أُعطيَ جوامعَ الكلِم، وأنَّ دلالتَه على وجوبِ اتباع قائمِهم ومناصحتِه ومناصرتِه ومعاونتِه على القيامِ بالأمرِ بالمعروفِ والنّهيِ عن المنكرِ، ونشرِ الحقِّ أوضحُ وأظهرُ. وقد عُلِمَ أنَّ إقامةَ الحقِّ بالسيوفِ المجرَّدات، أتمُّ منهُ بالكتبِ المجلَّداتِ، وبُرهانُ الوقوعِ قد قضى بصحَّةِ هذا المرفوعِ، فكأنَّ ذلك مَنْ الإخبار بالغيوب، لئلا يكونَ للناسِ على اللهِ حجّةٌ بعدَ الرُسلِ. «ربَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا»[1]. واغفر لنا كبائر الذنوبَ.

ومما يزيدُك طُمأنينة أنك تجدُ العترةَ النبويةَ، متّفقين على وُجوبِ الخروجِ على سلاطينِ الجَوْرِ، ولزومِ الأمرِ بالمعروف والنّهي عن المنكرِ، الذي صارتْ بسببِه هذه الأمةُ خيرَ أمّةٍ أُخرجتْ للنّاس، وهو الأمرُ المجمَعُ على وجوبِهِ فيما بينَ السَّلفِ الصالحِ. (١حتى خلفَ من بعدِهم خلقٌ[٢]، ركِبوا متونَ القبائحِ، ورَانَ على قَلوبهم عملُهم الطالح١)، فلم يَسْمعوا القولَ

---

(1) سورة آل عمران، ٣/٨.

(١ ١) من «حتى خلف ... الطالح» سقطت من ع،م.

(٢) في أ، خلف.

المناصحَ، بل صارَ مطلبُهم الأهمُّ تحصيلَ حُطامِ الدُّنيا من أيدي العجمِ، وبما ذكرنا يتّضحُ لك أن بذلك الأمرِ حصلتِ المقارنةُ فيما بين الكتابِ والعترةِ، فاحفظْ هذا، فإنه مفيدٌ بالمرَّة.وأمَّا من لَهجَ بالتَّشَيُّعِ في الأموات، وقَصَرَ ودَّه على الرِّممِ الباليات، وظنَّ أنه قدْ بلغَ في التَّشَيُّعِ أعلى الدرجات، فإذا ظهرَ قائمُ العترةِ، هوَّنَ على النـاسِ أمرَه، وحملَهُ الكِبْرُ على جَحْدِ الحقِّ، وسلوكِ نهجِ شيخهِ أبي مرّة، فبَاءَ بخُسرانٍ وحسرةٍ، (١وقد١) رُوي عن النبي -ﷺ- أنه قال: «أَزْهدُ الناسِ في العالِمِ إخْوَانُه، وفي العابدِ جيرانُه(1)» الحديث. وتلك فِتْنةُ القُربِ مما فتَنَ الله به العبادَ، وأبرزَه في صورةِ التكشّفِ [لأحوالهم](٢)، والافتقادِ، ألَا ترى مريمَ ابنةَ عمرانَ سيدةَ نساءِ عَالَمِها، قال الله فيها «إن اللهَ اصطفاكِ وطهّركِ/ واصطفاكِ على نساءِ العالمين(2)». وقال فيها قومُها «لقد جئتِ شيئاً فَرِيّاً»، «وما كان أبوكِ امرأ سُوءٍ، وما كانت أُمُّكِ بَغِيّاً(3)». ٣ب

وترى(٣) أحدَنا يُحدِّثُ نفسَه أنه لو كانَ موجوداً في عصرِ رسولِ الله ﷺ،

---

(1) ويروى، أزهد الناس في عالمٍ قَارُّهُ أي من قَرَّ معه، ورواية أخرى، أهله وجيرانه» ويضرب في الاستهانة بما كان معرضاً غير مفتقد، انظر، الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ١/١٥٠ رقم ٥٩١.

(2) سورة آل عمران، ٣/٤٢.

(3) سورة مريم، ١٩/٢٧، وآية، ٢٨.

(١ ١) في ع،م «مع أنه قد».

(٢) الإضافة من ع، م.

(٣) في ع،م وإن.

أو عصرِ الإمام الفلاني، لفَعَلَ وتركَ، (١وظاهرَ ونصرَ١)، ولا يرفعُ رأسَه لنصرة القائم في عصرِه، ففتنةُ القربِ من المغويات.

وكـذلـك مَنْ أظهـرَ التَشَيُّعَ لتحصيلِ بعضِ الأغـراضِ الدّنيويّة، فإنْ تحصّلَ المرادَ[٢] وإلّا انقلبَ على وجهِه، وانعكست القضيّةُ. اللهمَّ لا ذا ولا ذاك أعمالُهم وأقوالُهم نيَّة [لم يصححوها بنية][٣]، فعليك أيها الناصحُ لنفسهِ بسلوكِ منهجِ الفرقةِ الناجية، وملازمةِ طريقِ السَّلف العتيقِ الخالية، فانظر إلى سِيَرِهم، وتـأمَّـلْ ما أتى مِنْ خبـرِهم، واسلكْ سبيلَ[٤] آثرِهم، فإنهم بذلوا أنفسَهم لله، وقامُوا بما أوجبَهُ الله، من الأمرِ بالمعروف والنهي عن المُنْكَرِ، وذلك أمرٌ[٥] ثابت لم يأتِ في نسخهِ خبرٌ ولا أثرٌ، [ولو كانَ في ذلك إزهاقُ النفـوسِ ومـلاقاةُ الشدائدِ والبؤسِ][٦]، وإيّاك أن يحملَكَ حبُّ هذه الدنيا الفانية على الوقوعِ في الأغلوطاتِ الكاذبة، والأعذارِ الواهيةِ، فإنّ مَوْلاكَ[٧] يعلمُ السرَّ والعلانيةَ، وعن قريبٍ، وقد لاقيتَ جميعَ ما أعلنْتَ وما أخفيْتَ وقد نصحتُك فالحذر، الحذرَا ولقد أعذر مَنْ أنذر، شعراً:

[الطويل]

فإنْ تَقْبَـلُوا نُصْـحِـي تَرَوْنَ قَبُـولَـهُ   نَجَـاةً وَمَـرْقَـاةً إلى جَنَّـةَ الخُلْدِ

وفي هذا كفايةٌ لمن وفّقهُ الله إلى سبيلِ الهدايةِ، فليكنْ منكم على ذكرٍ، وباللهِ التوفيقُ.

(١ ١) سقطت من ع،م.

(٢) سقطت من ع، م.

(٣) الاضافة من ع،م.

(٤) في ع،م على آثرهم.

(٥) في أ، الدين الذي لم.

(٦) الإضافة من ع،م.

(٧) في ع،م لك مولى.

فصل:

ولنتبرّكْ بذكرِ نسبه وذكرِ شيءٍ من بداياته

فأمّا نَسَبُه، فهو أميرُ المؤمنين، وصفوةُ الآلِ المطهَّرين، أَسْيَدُ الأسيَدين المنصورُ باللهِ رَبِّ العالمين، محمدُ بن يحيى بنِ محمدٍ بن يحيى حميد الدين بنِ محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين، العلاَّمةُ المحقَّقُ مؤلفُ الغايةِ[1] وشرحِها، ابنُ الإمامِ المنصورِ باللهِ، القاسمِ بنِ محمد بن علي (١بن محمد بن علي١) بن الرشيد، شعراً: [الكامل]

نَسَبٌ كأنَّ عليه من شمْسِ الضُّحى نُوراً ومِنْ فَلَقِ الصَّباحِ عمودا
ما ذاكَ الاّ سيّدٌ من سَيّدٍ حازوا المفاخرَ والثّنا والجُودا

وكان مولدُهُ ـ عليه السلامُ ـ في مدينةِ صنعاءِ اليمنِ[2]، ونشأ في حِجر والدِه السيدِ العلاّمة المُجمَعِ على أنه مِنْ ذوي الرّجاحةِ والشهامةِ والزعامةِ، يحيى بنِ محمدٍ، ثم لما بلغ عليه السلامُ لِسِنِّ قبولِ التعليم، دأبَ في تحصيلِ العُلومِ، بعدَ أنْ حفِظَ كتابَ الحيِّ القيوم، فكانَ مشايخُه في العلوم النقليةِ والعقليةِ جماعةً منهم، الفقيهُ العلاّمةُ البعيدُ الغَوْر، محمدُ بنُ عبدِالله

---

(1) هي غاية السئول في علم الأصول، مخطوط رقم ٣٣، ٣٤، ٣٥، المكتبة الغربية (جامع صنعاء) ورقم «مجموع ٧٠، ١٠٢» في نفس المكتبة.

(2) ذكر صاحب أئمة اليمن أنه ولد سنة ١٢٥٠ هـ، وصاحب فرجة الهموم، ذكرانه ولد سنة ١٢٨٠ هـ، ص ١٩٤.

(١ ١) سقطت من أ.

الثور[1]، والسيدُ العلامةُ محمدُ بنُ إسماعيل الكبسي[2]، والسيدُ العلامةُ أحمدُ بنُ محمدٍ الكبسي[3]، والسيدُ العلامةُ قاسمُ بنُ حسين بنِ المنصور،[4] والسيّدُ العلامة محمدُ[5] بنُ إسماعيلَ عشيش، والقاضي العلامةُ المحقّقُ أحمدُ [6] بنُ عبدِ الرحمن المجاهد، والقاضي العلامةُ جبلُ العلم الراسي، محمدُ [7] بنُ أحمدَ العراسي، والقاضي العلامةُ

---

(1) محمد بن عبدالله الثور بن محمد بن حسين بن إبراهيم الحميري الصنعاني ت سنة ١٣٠٧هـ بمدينة ضوران، انظر نزهة النظر، ٢/٥٤٠.

(2) محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى الكبسي الخولاني ت في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٠٨ هـ بمواطنه الكِبس له عدة مؤلفات منها، النفحات المسكية والإجازات السنية والسيرة المتوكلية المحسنية والتراجم البهية، تاريخ الزمان، واللطائف السنية وغيرها، انظر أئمة اليمن، السيرة المنصورية، ٢٢ - ٢٨، تحفة الاخوان، ٢٤، الاعلام، ٣٨/٦، الزهراء، ٥٥٦/٤، Brock. 2: 652 (502), s,2: 818

(3) أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله الكبسي، رئيس العلماء، ت ذي القعدة ١٣١٦ هـ، انظر، أئمة اليمن، سيرة الإمام المنصور، ٢٩٧ - ٣٠٨.

(4) قاسم بن حسين بن القاسم بن أحمد بن المنصور الحسين بن المتوكل الصنعاني ت ٦ ذي الحجة ١٣٠٦هـ، انظر، أئمة اليمن، ١/١١٠ (سيرة الهادي شرف الدين)

(5) محمد بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن عبدالله عشيش الحسيني الصنعاني، من شيوخ الإمام الهادي شرف الدين والإمام المنصور بالله، عالم محقق، أفتى ودرس بصنعاء، كف بصره آخر أيامه، مات في سجن الأتراك في الحديدة، انظر، أئمة اليمن، ١/٨، نيل الوطر، ٢/٢٤٦.

(6) أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن علي بن أحمد المجاهد ت سلخ جمادى الآخرة، ١٢٨١هـ، انظر، نيل الوطر، ١/١١١ - ١١٣

(7) محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن محيي الدين العَرَّاسي ولد بصنعاء =

حسينُ [1] بنُ عبد الرحمن الأكـوع، والإمام/ الأوحدُ مقدَّمُ الـذكرِ المتوكِّلُ على الله المحسن[2] بن أحمـدَ، وكلُّ هـؤلاءِ الشيوخِ أذعنـوا لـه بالتقـدُّم والرضـوخِ، وأنه المُجلَّى الذي لا يُجـارىٰ في مضمار، ولا يُدْرَكُ لـه غبار، وأنه أوحدُ الرجالِ، الجامعُ لخصالِ الكمال. ٤أ

وممَّنْ أجـازَهُ في فنـونِ العلوم نَظْمـاً، السيدُ العـلامـةُ حسنُ [3] بنُ عبـدالـوهابِ بنِ حسينِ بنِ يحيى الدَّيْلمي، ولم يزلْ عليه السلامُ يرقىٰ في معـارج الكمـالِ، حتى رمَقَتْهُ الأيامُ بعينِ الاحتـرامِ والإجلال، وأنه أوحدُ

= ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م؛ ونشأ بها ودرس على علمائها ودرس على الإمام المنصور بالله مفتي صنعاء ت ٢٥ صفر ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨، وقبره بوادي ضهر بمقبرة برقان كان إماماً في الفقه، انظر، أئمة اليمن، سيرة المنصور، ٢٦٤ ـ ٢٦٩، نزهة النظر، ٥٠٣.

(1) حسين بن عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن حسين بن علي بن حسن الأكوع، ت شهر القعدة سنة ١٢٨٢ أو ١٢٨٣، انظر، نيل الوطـر، ٣٧٩/١ (هذا لا يعقل أنه أخذ عنه إلا إذا ولد الإمام سنة ١٢٥٠هـ)

(2) هو المتـوكـل على الله، المحسن بن أحمـد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن صلاح بن عبدالرحيم بن الباقر بن نهشل بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن المـطهـر بن يحيى ت ١٢٩٥هـ، انظر، أئمة اليمن، ٥، سيرة شرف الدين، نيل الأوطـار من تراجم رجـال اليمن في القرن الثالث عشر، ١٩٣/٢، فرجة الهموم، ١١٧، رياض الـرياحين للحرازي، صفحات عديدة، لطائف الكبسي (خ) ٣٩٨، المقتطف ٧٩، بلوغ المرام، ٢٠٤ حوليات ٢٤٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٣٥، صفحات مجهولة ٦٢-٦٣

(3) حسن بن عبدالوهاب بن الحسين بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الديلمي الذماري، ت محرم الحرام ١٢٨١هـ. بمكة، انظر، نيل الوطـر، ١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٢.

الـرجـالِ. وكـان منـهُ ما كانَ من الجهـادِ للباطنية[1] وغيرهم، حالَ كونِه مُقَدَّمياً[2] بحضرةِ الإمامِ المتوكلِ على الله المحسنِ بنِ أحمدَ عليه السلام، ولم يزلْ على تلكَ الحالِ إلى خروجِ العجمِ إلى اليمن.

ثم إنه نظرَ في أمورهِمْ، وتَدَبَّرِ أحوالهم، وزاحَمَهم في الإصدارِ والإيرادِ، ورجحَ أنّهم من البَغيِ والفسادِ، فاعتزلَ في بيتِهِ ناشراً للعلومِ، فاصلاً للقضايا فيما بين الخصوم، آمراً بالمعروفِ ناهياً عن المنكرِ، حتى أذِنَ الله بما سيُذكر.

فصـــل

في خروجه أيّده الله تعالى من مدينةِ صنعاءَ المحمية

كانَ ذلك في يوم الإثنين، الثامنِ والعشرين من شوال سنة ١٣٠٧ (سبع وثلثمـاية و ألف). وذلـك على حين خفقـةٍ من الدين، وزفرةٍ من الباطلِ والمبطلين، وضعفٍ في طائفةِ المؤمنين، وقذىً في عين الشريعةِ، وحكامٍ يجعلون القضاءَ وسيلةً لأخذِ الأموالِ وذريعةً، ومأمورين قد قَطَعوا رَحِمَ المِلَّةِ الإسلامية أيَّ قطيعةٍ، شربوا الخمورَ، ورفَعُوا السُتورَ، وارتكبوا جميعَ الأفعالِ القبيحةِ الشنيعةِ، وشرعوا لأنفسِهم ديناً سَمَّوْهُ القانون[3]، فهمْ عن أحكامِ

---

(1) المقصود اسماعيلية اليمن.

(2) مقدمي: نسبة إلى المقدم، أي الذي يتقدم الجنود، سواء كانوا سرية أو كتيبة أو فرقة، بمعنى الرئيس أو القائد أو كبير القوم أو الطائفة، انظر، حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ٣/١١٢٠- ١١٢٧.

(3) المقصـود «القـانـون الأساسي العثماني في ممالك الدولة العثمانية» الصادر في =

جَوْرِه لا يعـدِلـون، وباعوا ضعفاءَ الرعيَّةِ من المشايخِ، فأصبح الظلمُ في دولتِهم كالطَّوْد الراسخ.

وكان ذلكَ بعدَ أنْ استشرفتْ لظهورِ هذا الإمام عيونُ الليالي والأيام؛ وذلـك بعـدَ وفاءِ الإمامِ الهادي لدينِ الله [1]، شرفِ الدين بنِ محمَّد عليه السـلام. وكانت وفاتُه يومَ السبتِ تاسعَ عشرَ شهرِ شوال سنةَ ١٣٠٧ (سبع وثلثمائة وألف). في حصنِ السِنَّارةِ [2]، ونُقِلَ منه بوصيةٍ إلى المَدَانِ [3]، قريةٍ في جبلِ الأهنوم [4]، ودُفِنَ هناك بعدَ وفاتِه بثلاثةِ أيام، ولم يتغير ريحُه كما أخبرني بعضُ السادةِ الأعلام.

= الاستانة سنة ١٨٧٦م، في مطلع عهد السلطان عبدالحميد الثاني، انظر، ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ٢٥٧ ـ ٢٧٨، أباظة: الحكم العثماني، ٤٤٨.

(1) الهـادي لدين الله، شرف الـدين بن محمد بن عبدالرحمن بن الحسن بن محمد الحسيني ت ١٩ شوال سنة ١٣٠٧هـ، انظر أئمة اليمن، سيرته، نزهة النظر، ١/٣١٣.

(2) حصن السِنَّارة ببلاد صعدة، شرع الإمام الهادي في عمارته سنة ١٣٠٢ هـ انظر، سيرة الإمام الهادي، ٣٧. المقحفي: معجم القبائل، ٣٢٦.

(3) المَـدَان: مدينـة في جبل الأهنوم، بها مركز ناحية شُهارة، أحد نواحي محافظة حجّة، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ٥٧٣، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، ٢٥٤.

(4) الأهِنْـوم: جبـال شامخة في بلاد حجة في الشمال الغربي من صنعاء، سميت بالأهِنْوم بن الحارث أغلب قبائلها من تليل، انظر المقحفي، معجم البلدان، ٥١، من مدنها، عُلْمان، المَدَان، والجُمْلول ومَعْمَرة ومن جبال الاهنوم سيران، وذري، وجبال شُهارة والعيازرة، انظر، شرح أجود المسلسلات، ٢١.

وحينَ توفيَ -عليه السلامُ- كان بحضرتِهِ السيّدُ العلامةُ الأوحدُ فخرُ الأواخرِ، ونجمُ الآلِ الزاهرِ، عمادُ الدينِ [1] يحيى بنُ قاسمِ بنِ عامر، رحمهُ الله تعالى. والسيدُ العلامةُ الأمجدُ صفيُّ الدين، وزينةُ الآلِ المطهَّرين، أحمدُ[2] بنُ قاسم بنِ عبدِالله حميدُالدين.

ولقد أخبرني -حفظه الله- بما حاصِلُه: أنّه لما توفّيَ الإمامُ الهادي -عليه السلامُ- كاد الشرُّ أن ينهضَ، وطمعَ كلُّ مَنْ في قلبِهِ مرضٌ، من أهلِ تلك الديارِ، وهم أهلُ صعدة[3] وسِحَار[4]، وأجمعَ الرأيُ بأنّهُ لا يَصْلحُ لهذهِ الرتبةِ العليا، إلاّ مَنْ جَمَعَ صفاتِ الكمالِ في الدين والدنيا، ولم يوجدْ بهذه الصفةِ

---

(1) هو يحيى بن قاسم بن إبراهيم بن يحيى بن إسماعيل بن محمد، عامر الأهنومي ت ١٢ رجب سنة ١٣١٥هـ، انظر، أئمة اليمن، ٢/٢٣٢ - ٢٣٥.

(2) أحمد بن قاسم بن عبدالله بن يحيى حميد الدين، سيف الإسلام ت في ١٢ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، انظر نزهة النظر، ١/١٢٠ - ١٢٣، تحفة الأخوان، ٥٢-٥٣، شرح أجود المسلسلات، ٣٤ - ٣٨

(3) صَعْدَة: تبعد عن صنعاء بمسافة ستة أيام سيراً، ٢٤٣كم، كانت تسمى في الجاهلية جماع، وهي كورة خولان، وفي وسط بلاد العَرِض، انظر، البلدان اليمانية عند ياقوت، ١٦٣ - ١٦٤، نزهة النظر، ١/٢١، صفة جزيرة العرب، ٥٣، ١١٥، نشر العرف، ١/١٩٠، فرجة الهموم، ٣٦، قرة العيون، ١٥٤، معجم البلدان، ٣/٤٠٦، مراصد الاطلاع، ٢/٨٥٤.

(4) سِحار: ناحية في بلاد صعدة سميت باسم قبيلة سِحَار ومن توابعها عُزلة ولد مسعود، وعُزلة الأبقور وعُزلة الطلح وعُزلة بني معاد وعُزلة الأزقول، ووادي علاف، وفروة والمهادر وبني عوير والعبيديين والحمزات وغراز، معجم المقحفي، ٣٠٥.

الّا علَمُ المعرفةِ، وواسطةُ عقدِ الآل[1]، وجُمانةُ عقدِ الّلآل، المحققُ في الفروعِ والأصولِ، ٤ب والمدقِّقُ في المعقولِ وهو، مولانا الإمامُ حفظه الله / فحينئذٍ بادروا بالإرسال إليه، [ومكاتبتِه][2] بأنه قدْ توفيّ الإمامُ الهادي - عليه السلامُ - ولم يبقَ من يَصْلُحُ لهذا المنصبِ الشريفِ غيرُك. وقد تحتَّم عليكَ الخروجُ؛ فبادِرْ إلى ذلك قبلَ أن يفطِنَ العلوجُ، وتداركْ أمورَ المسلمينَ، فإنها قد غَدَتْ تموجُ. فحينَ وصلَ إلى الإمامِ ذلك الكتابُ، شاوَرَ العلماءَ والعقلاءَ والأحبابَ، منهم: القاضي العلامةُ محمدُ بنُ أَحمدَ العراسي، فكلُّهم رَأَوْا أنه قد تحتَّمَ عليه الخروجُ، وما زالَ - حفظه الله - يقدِّمُ رجلاً ويؤخّر أُخرى. ثم رأى تقديمَ الاستخارةِ، وما انشرحَ له صدرُه قَصَدَه، وتفرّقوا على ذلك. وبعدَ أن استخارَ في ساعةِ الأسحارِ، قضتِ الخيرةُ بالخروجِ، فخرجَ منها متكتِّماً خائفاً يترقَّبُ، لأنَّ قيامَه على العجمِ قبلَ ذلك مترقَّب.

ولقدْ أخبرني مَنْ أثِقُ به، أنّه سمعَ بعضَ كبارِ العجم، وقد رأى الإمامَ - عليه السلام - في صنعاءَ داخلاً إلى المسجدِ فقال: هذا إمامُ الزّمان، وكان ذلك قبلَ خروجِ الإمام بأيام.

وأخبرني الإمامُ - عليه السلامُ - أنَّ رجلاً من النَّجارين - سمّاه الإمامُ - كان المعتمدَ في حاجاتِ كُبَراءِ العجم، فكلَّ ما وصلَ إلي منهم سألَه عنْ أحوالِ سيّدي - حفظه الله تعالى - وما أشغالُه؟، وأين استقرارُه؟. فحكى لهم ذلك

---

(١) في أ «الأول».

(٢) الإضافة من م.

الرجلُ، أنه مشتغلٌ بالزراعةِ، وتدريسِ العلمِ مع الطلبةِ في مسجدِ الخرّاز[1]، وفصْلِ خُصوماتِ مَنْ وردَ إليه لتحكيمِهِ. وأنَّ استقرارَه تارةً بصنعاءَ، وتارةً ببئر العزب[2]. وفي الخريفِ بقريةِ القابل[3] حتى قال ذلك النجارُ:

لقد خففتُ عليكم يا سيدي من كثرةِ السؤالِ!. وكان ذلك قبلَ وفاةِ الإمام الهادي ـ عليه السلام ـ بنحوِ عشرةِ أيامٍ. هكذا سمعتُه من الإمامِ ـ حفظه الله ـ. وكأنّهم استدلُّوا على ذلك بشيءٍ من حوادثِ الفلكِ على قاعدةِ المنجمين. وكثيراً ما يصيبُ مَنْ أتقن ذلك، كما أشار إليه الإمامُ المهدي ـ عليه السلام ـ في شرحِ القلائد[4].

هذا، ولما خرجَ عليه السلامُ مِنْ مدينةِ صنعاءَ، سقطَ ما في أيدي

---

(1) مسجد الخرّاز بالقرب من السايلة في الجهة الشرقية منها، بناه أرحب الخراز، انظر، تاريخ مدينة صنعاء ١٠٦، مساجد صنعاء عامرة وموفيها، محمد الحجري، ٥١.

(2) بئر العزب، متصلة بصنعاء، كان لها سور خاص قبل ذلك، في الجانب الغربي من صنعاء، فيها الآن محل الوزارات والادارات الحكومية، انظر صفحات مجهولة، ٣٦.

(3) القابل من نواحي صنعاء الشرقية، من قرى بني الحارث أسفل وادي ضهر غرباً من صنعاء إلى الشمال، والقابل في صحار بصعدة من عزلة المهاذر، والقابل، محلة في جبل ساقين من ناحية خولان بن عامر، والقابل من قرى القيفة، والمقصود هنا القرية بأسفل وادي ضهر، البلدان اليمانية، ٢١٧، صفحات مجهولة، ٤١، اليمن الكبرى، ٦٨، معجم المقحفي، ٥٠٢ نزهة النظر/ ١/ ٢٤

(4) هي الدرر الفرائد في شرح كتاب العقائد في تصحيح العقائد للمهدي لدين الله، أحمد بن يحيى المرتضى، منه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني رقم ٣٩٥٦، ونسخ أخرى في مكتبة الجامع بصنعاء رقم ١٩، ٢١، ٢٢٢، ٢٣٦ علم الكلام، وله شرح صنفه عبدالله بن أحمد النجري.

العجم، وعضوا اناملهم من الندمِ، وارسلوا في آثرِهِ نحو آربعين فارسا إلى أطـرافِ شَعْب[1] من بلادِ أرحبَ[2]، علمـاً منهم بأن خروجَهُ سببٌ للهلاكِ والعـطبِ، وأنهـا قد توّلتْ عنهم أيامُ الراحةِ والسرور، وأقبلتْ عليهمْ دعوةُ الويلِ والثُّبور. وقدْ كانوا سابقاً في أيامِ المشير مصطفى عاصم [3] اعتقلوا الإمامَ ـ عليه السلام ـ مع جماعةٍ من أكابر العلماءِ ثلاثَ سنين، وأرادوا أن يكونَ حبسُهم دائماً في أحدِ مدائنِ الروم. خوفاً من الأمرِ المكتومِ.

فبقوا مدةً في بندرِ الحُدَيْدَة [4]. وتوفيَ هنالك السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ إسماعيلَ عشيش رحمـه الله، ثم عُزلَ مصـطفى عاصم عن الـولايةِ، وأُبـدِلَ بالوالي اسماعيل حافظ[5]، فأطلق أولئك الأعلامَ، الذين من جملتِهم الامامُ، وحلَّ بالعجمِ ما كانوا يحذرون من البؤسِ والنِّقَم.

---

(1) شَعْب قرية في أرحب، ينسب إليها عامر بن شراحيل الشعبي، معجم الحجري، ١/٢٤١، ٢/٤٥٢، معجم المقحفي، ٣٥٦ البلدان اليمانية، ١٥٦.

(2) أَرْحَب: قبيلة كبيرة من همدان، وأرْحَب، ناحية تابعة لمحافظة صنعاء تبعد ٥كم شمـال شرقيها، أنظر اليمن الكبرى، ٧٣، المقحفي، ٢٤، الاكليل، ١٠/١٣٤، الأكوع: البلدان اليمانية، ٢١ نشر العرف، ٢/٢٧٤.

(3) مصطفى عاصم: حكم اليمن ست سنوات، وصل اليمن سنة ١٢٩١هـ وعزل عنها ١٢٩٧، انظر أئمة اليمن، ٩ (سيرة الهادي)

(4) الحُدَيْدَة: مدينة معروفة على البحر الأحمر، على بُعد ٢٢٦ كم من صنعاء، شمال غرب وهي مركز محافظة الآن، فيها ميناء كبير للتجارة، عرفت بعد القرن ١٠ هـ، معجم المقحفي، ١٦٢، أئمـة اليمن، ١٠٩، حوليات يمانية، ٣٥ صفحـات مجهولة، ١٩.

(5) اسماعيل حافظ هو اسماعيل حافظ حقي، أحد ولاة الأتراك على اليمن ومؤسس الحميدية توفي بصنعـاء ١٣٠٩هـ، ودفن في القبة التي شمالي الداخل إلى جامع ـ البكيرية في اعلا صنعاء ـ انظر، أئمة اليمن، ٩٤، حوليات يمانية، ٣٩٣.

فصـــل

في الإرهاصاتِ الدّالة على ظهورِ الإمامِ، وإشراق نوره التّام

وذلـك من الـرؤيا البصـريةِ والمناميَّة، والملاحمِ الجفريَّةِ، وهي كثيرةٌ جدّاً، لا سبيلَ إلى حصـرها، ولنقتصرْ على البعض منها، فمن ذلك أنّا رأينا / عندَ خروجِ الإمام، ـ عليه السلام ـ، أو قبلَ ذلك بيسير نوراً مستطيلاً ظهرَ في الجهةِ القبليّةِ ممتداً كامتداد نورِ الفجر، وكانَ يبقى من بعدِ العشاءِ إلى نحوِ ثلثِ الليل، بقيَ ذلك مدةَ شهرٍ. وأمّا الملاحمُ الجفريةُ فمن ذلك، ما ذكَرَهُ العلاّمةُ الصرمي[1] في ملحمتِه التي ذكرَ أنّه أخذَها من الجفر، وذكر فيها العَجمَ وجميعَ صفاتهم، وسمّاهم النّظامَ باسمِهم المعروفِ الآن.

ثمَّ قالَ بعدَ ذكرِهم شعراً: [الطويل]

سيظهـرُ داعٍ عن قريبٍ وكـمْ لهُ ... أيادٍ إلـى العـليا وأيدٍ إلـى الـعُـلا

حليمٌ كريمٌ مُتْـقَـنٌ في فُنـونـهِ ... لَهُ سرٌّ بيديه وآخـر مُقـفـلاً

يقـومُ بأمـرِ اللهِ لاعَـنْ كلالـةٍ ... ولا خيرةٍ من عالـمٍ أو مفـضّـلا

إلى آخرِ ما ذكَرَهُ من صفاتِه ـ عليه السلامُ ـ التي لا تُنْكَرُ، وهي ملحمةٌ قديمةٌ مشهورةٌ بأيدي الناس.

ومن ذلـك ملحمـةُ الفقيهِ ابنِ مَطْحَن[2]، وهي موجودةٌ بأيدي الناسِ،

(1) الجفر، الكتاب المنسوب لسيدنا علي بن أبي طالب، وهو هادي بن علي الصرمي ت بعد ١١٢١هـ.

(2) ابن مطحن، شاعر شعبي غير معروف من شعره «وكل باشه يكاد قلبه يطير فهو جدير» انظر، حوليات يمانية، ٤٧٣.

أنشأها قبلَ دخولِ العجم إلى اليمنِ بنحوِ سبعِ سنين، وذكرَ فيها العجمَ، وما يُحْدِثونَ مِن القبائحِ. ثمَّ ذكرَ ظهورَ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ.

وكثيرٌ من الملاحِم الواقعةِ المشاهدَة، قد سَبَرْنا جميعَ ما ذكرنا فيها، فلم يتخلفْ من ذلك شيءٌ. وهي قصيدةٌ طويلةٌ من الشعرِ الحُميني(1)، وإنما يقعُ الغلطُ والتصحيفُ كثيراً في ألفاظِها من جهةِ الكُتّابِ.

أخبرني مَنْ أثِقُ بهِ مِنْ قرابتهِ، أهل جبلِ مَطْحَن(2) من بلادِ وصاب(3) أن الفقيهَ المذكورَ كانَ من البُلْهِ، وأنّه أنشأ القصيدَةَ المذكورةَ قبلَ وفاته بأيامٍ يسيرةٍ. ولا يبعُدُ أنَّ الرَّجُلَ المذكورَ من المُحْدَثين، كما وردَ عن سيّدِ المرسلين: أنَّ في هذه الأمةِ مُحْدَثين(4).

ومِنْ ذلكَ ما سمِعْناه عن كثيرين(١) من أهلِ علمِ الفلكِ بأن هذا أوانُ

---

(1) الشعر الحُميني: أشعار منظومة على وزن الخفيف، وله بحور مختلفة، تشبه الموشحات الأندلسية، وأحياناً يسمونه الدوبيت، ولكن الدُوبيت قد تتغير فيه قافية الروي، انظر، طيب السمر، ١/٧٥ ـ ٨١، ديوان الدوبيت في الشعر العربي، ١٧، ٢٠.

(2) جبل مَطْحَن: من جبال وصاب العالي، أنظر معجم المقحفي، ٦٠٤.

(3) وصاب: صقع متسع غرب وادي زبيد، فيها عدة حصون، فيها جبل عظيم وعليها حصن الشرف، انظر طبقات الخواص للشرجي، ٦٥، معجم البلدان لياقوت، ٥/٣٧٨، مراصد الاطلاع، ٣/١٤٣٩ المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ٢١٤، ٢١٦، ٢٦٦.

(4) مُحْدَث انظر، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ٣٤ ـ ٣٥، صحيح البخاري، =

---

(١) في ع، كثير.

ظهورِ إمامٍ في أعدلِ المناهج، سلكَ إلى غيرِ ذلك مما لا يمكنُ استقصاؤه.

وأمّا المناماتُ الصادقةُ، فمِنْ ذلكَ ما أخبرَنا بهِ الإمامُ ـ عليه السلام ـ، وغيرُهُ عن الفقيهِ الثقة الزاهدِ الحاج المجاهدِ منصر خصرف(1)، رحمه الله تعالى، أنه أتى إلى الإمام -حفظه الله تعالى- وقال: هلْ بينكم وبينَ الإمامِ الهادي مكاتبةٌ أو رسولٌ سيعزِمُ إليه منكم؟ فأجابَ عليهِ الإمامُ: أنْ لا. فأخبرَه الحاجُّ منصرُ أنَّهُ رأى النبيَّ ﷺ، كأنّه في جامعِ صنعاءَ، وكانَ الحاجُّ منصرُ قد جمعَ شيئاً من الواجباتِ يريدُ إبلاغَها إلى الإمامِ الهادي عليه السلامُ، قال: فدَنَوْتُ منَ النبيِّ ﷺ وسلمْتُ عليه، وقلت: إني قد جمعتُ شيئاً أُريدُ تبليغَهُ إلى الإمامِ الهادي. فأجابَ عليه النبيُّ ﷺ: أنه سيقبضُها منكَ الولدُ محمدُ بنُ يحيى. فقال الإمامُ عليه السلامُ: فحاوَلني أن أقبضَها منه تصديقاً لرؤياه، بقوله ﷺ: «مَنْ رَآني فقد رآني حقاً، فإنَّ الشَّيطانَ لا يَتمثَّلُ بي(2)». فلمْ يُسعدْه الإمامُ ـ عليه السلام ـ بقبضِ ذلك. فأرسلَ بها الحاجُّ منصرْ إلى الإمامِ الهادي ـ عليه السلام ـ، وتحيّرتُ في حرف سِفْيان(3). ثم توفي الإمامُ

= ١٤٩/٤ سيدنا عمر، القول السديد (ط١ استانبول ١٣١٥هـ)، صحيح مسلم، ١٤٥/٧ (ط الاستانة، ١٣٢٩هـ، مسند أحمد، ٣٣٩/٢ ط مصر)

(1) هو منصر خصرف المطري من ناحية البستان، انظر، أئمة اليمن، ٨/٢.

(2) حديث صحيح، رواه أبو هريرة، انظر صحيح مسلم، ١٧٧٥/٤ رقم ٢٢٦٦، صحيح البخاري، تعبير، ١٠، سنن الدارمي، رؤيا، ٤، سنن ابن ماجه، رؤيا، ٢، مسند أحمد، ٢٣٢/٢، ٢٦١، ٣٤٢.

(3) حَرْف سِفْيَان: بلاد مشهورة بينها وبين صنعاء أربعة أيام، شمالاً من صنعاء بمسافة ١٤٦كم وسِفْيَان قبيلة من بكيل من ولد سفيان بن أرحب، لهم ناحية تعرف بحرف سفيان ترتبط بقضاء خَمِرْ أنظر، نشر العرف، ٥١٩، هامش الاكليل ٨٣/٨، معجم المقحفي، ٣١٧.

الهـادي ـ عليه السلامُ ـ، وهي هنالِكَ، وخرج الإمامُ ـ حفظه الله تعالى ـ، وهي باقيةٌ أيضاً، وفيها قليلُ مونة، فأخبرني الإمامُ ـ أيَّده الله ـ أنه أخذَ من تلكَ المُرسلَةِ مَونَةً، وجعلَ في قيمتِها ورَقةً للعاملِ عليها، وذلكَ عندَ مُضيِّ مِنْ حرفِ سفيانَ / قبلَ أن تنتشرَ الدعوةُ. وبعدَ ذلكَ، قبضَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ الجميعَ، واتَّضح بذلك أنّها رؤيا حقٌّ من العليمِ السميع. ٥ب

ومِنْ ذلك، ما أخبرَ به القاضي العلامةُ محمدُ بنُ أحمدَ العراسي ـ رحمه الله تعالى ـ عن بعضِهم أنه رأى أنّ ديكاً في شُبّاكٍ قاعدٌ في مدينة صنعاءَ، فأقبلَ من ناحيةِ القِبلةِ طائرٌ أبيضُ فلم يزلْ ينقرُ ذلكَ الديكَ حتى أخرجَه من ذلك الشُبّاكِ وقعدَ مكانَهُ.

وفي بعض كُتبِ التعبير أنَّ الديكَ يُعَبَّر بالعجم.

ومن ذلك، ما أخبرَ به بعضُ الصالحين: أنَّهُ رأى قبلَ خروجِ العجمِ بمدَّةٍ، أنّها خرجتِ الرومُ إلى أرضِ اليمن، ورآهُم بصُوَرِهم التي همْ الآنَ عليهـا، ثمَّ أظْلمتِ الأرضُ، ثم ظهرَ نورٌ يسيرٌ، وبعدَ ذلك عادَت الظُّلْمةُ أعظمَ مما كانتْ، ثم سمعَ صوْتاً يقول: ائتوا بالمشايخ، فأَتَوْا بهم وبَسَطُوهم ووَتَدُوهُم إلى الأرضِ، وبقيَ يسيراً وأشْرقتِ الأرضُ بالنُورِ، ونادى منادٍ، هذا نورُ آلِ محمدٍ. والمناماتُ في هذا كثيرة.

فصـــــل

ثمَّ إنَّ الإمام، ـ حفظه الله ـ لما خرجَ من صنعاءَ توارى في الجِرَافِ[1]،

(1) الجِرَاف: قرية جنوبي روضة حاتم، أقرب القرى إلى صنعاء وهي من شعوب، أنظر صفحات مجهولة، ٢٦، معجم المقحفي، ١١٦، أئمة اليمن، ١٦٨ (سيرة المنصور).

فأرسلَ كُتُباً إلى ابنهِ عمادِ الإسلام، يحثُّه على الانصرافِ واللحوقِ به على جهةِ المبادرةِ، فلمّا وصل إليه ابنُهُ، ارتحلَ حتى بلغَ غولة زندان[1] في بلادِ أرحبَ. وما مرَّ بأحدٍ حتى الأطفالِ وهم يقولون: هذا الإمامُ.

وأخبرني الشيخُ يحيى بن يحيى دوده، أنه التقى الإمامَ ـ عليه السلام ـ إلى بلادِ أرحبَ، وأنه كانَ يلقى الرعاةَ والأطفالَ ومن لا دريَّة له، فيقولون له(١): أنت عازمٌ لِلُقْيا الإمام.

ثمَّ ارتحل عليه السلامُ حتى وصلَ الصَّفرا[2] وآل عمَّار[3]، فأقامَ هنالِكَ حتى كتبَ إلى صعدةَ وما يليها، وبعدَ ذلكَ ارتحلَ إلى السِنَّارةِ. ووصلَها يومَ الجمعةِ تاسعَ عشرَ القعدةِ الحرام في السنةِ المذكورة.

ولمّا وصلَ هنالك اجتمعتْ إليه الأكابُر والأعيانُ والعلماءُ من أهلِ صعدةَ وضَحْيانَ[4]، فأفْهَمْهُم ـ حفظه الله ـ بأنّه لم تكنْ لهُ همةٌ إلاَّ في جمعِ كلمةِ المسلمين، وَلَمِّ شعثِهم لا تحمُّلِ أعباءِ الخلافةِ. وحينئذٍ دارتْ بينَهُ وبينَ العلماءِ كؤوسُ المذاكرةِ في علومِ المعقولِ والمنقولِ، والفروعِ والأصولِ،

---

(1) غولة زِنْدَان: زِنْدَان، من قبائل أرحب، والغولة قريتهم، اليمن الكبرى، ١٨٦.

(2) الصُّفْرَاء: مدينة بالجنوب الشرقي من صعدة بمسافة ٢٥ كم، ترجع إلى قبيلة وادعة همدان، بها مركز قضاء همدان، معجم المقحفي، ٣٨٢، حوليات يمانية، ٣٩١.

(3) من قبائل دُهمة في بلاد صعدة، معجم المقحفي، ٤٦٢.

(4) ضَحْيان: شمال غرب مدينة صعدة بمسافة ٢٥ كم، أنظر معجم المقحفي، ٣٩٥، أئمة اليمن، ١/٨٥.

---

(١) سقطت من ع.

فوجَدُوه في جميع ذلك البحرَ الزاخرَ، والسيّدَ الكاملَ الذي فاق بإتقانه الأوائلَ والأواخرَ. وكيفَ لا! وقدْ أذعنَ له أجِلّةُ المشايخ. وشهدوا لهُ بالاتفاق، وأنّهُ العَلَمُ الشامخُ الراسخُ، وأنّهُ الذي فاقَ الأقرانَ، وبرَّزَ في كلِّ ميدانٍ.

وعلى الجملةِ، فإن العالَمَ في ذاتِه مجموعٌ، وليسَ على اللهِ بمستنكرٍ، ففضلُهُ غيرُ مقطوعٍ ولا ممنوعٍ. فلمَّا عرفتِ العلماءُ والأكابرُ ما خصَّه الله به ومَنَحَهُ من الفضلِ المتكاثرِ، والعقلِ الوافرِ، وجَوْدةِ الرأي والتدبير، حتى إنه لم يكنْ لهُ في محاسنِه نظيرٌ، وأنّهُ جمعَ الشروطَ التي عليها تدورُ الدوائرُ. فلم يسعْهُمْ إلا الإذعـانُ له، والاجتمـاعُ عليه، وأجْمعـوا بأنها قدْ تجمَّعَتْ خصالُ الكَمالاتِ لديهِ.

فحينئـذٍ، نشـرَ الـدعـوةَ إلى جميعِ البلدانِ، فأجـابَه الأقصى والأدنى بالسَّمْعِ والطاعةِ والإذعان.

فصـــــل

وممنْ أذعنَ له بالإمـامـة، وشهِدَ له بالخلافةِ والزعامة، جماعةٌ من العلماءِ الأعلامِ، منهم: السيدُ العلّامة بقيةُ المحقّقين، الذي لا يمتري في فضله مُمْتـرٍ، عبدُالله بنُ أحمدَ العنتري[1] من علماءِ ضَحْيانَ، والقاضي العلّامةُ، رئيسُ أولي الفقهِ والزَّعامة، عزُّ الإسلام، وبقيةُ العلماءِ الأعلام / محمدُ بنُ ٦أ

---

(1) عبدالله بن أحمد بن محمد بن حسين، العنتري الضحياني ت ١٣١٥هـ، كان عالماً ضريراً، اشتغل بالفقه والأصول، انظر أئمة اليمن، ٢٣٥ (سيرة المنصور بالله)، نزهة النظر، ١/٣٧٢ ترجم له تلميذه في كتابه ذروة المجد الأثيل.

عبدِالله الغالبي[1]، والسيّدُ العلامةُ، شرفُ الإسلام، حسينُ بنُ محمدِ الحُوْثي[2]، والسيدُ العلامة أحمدُ بنُ يحيى العجري[3]، والسيدُ العلامةُ صفيُّ الإسلام، وبقية الآلِ الكرامِ، أحمدُ بنُ إبراهيمَ الهاشمي[4]، والقاضي العلامةُ إبراهيمُ بنُ عبدِالله الغالبي[5]، هؤلاءِ من علماءِ صعدةَ وضَحْيانَ،

(1) محمد بن عبدالله بن علي بن علي بن قاسم بن لطف الله الغالبي الصنعاني الضحياني، كان عالماً مجتهداً، أخذ عنه الأعلام في صعدة وسكن هجرة ضَحْيَان ت فيها في ذي القعدة ١٣٣٤هـ انظر نزهة النظر، ٢/٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(2) هو حسين بن محمد أمير الدين الحوثي، ينسب إلى حُوث، جده الأعلى حسين بن محمد الحوثي وهو من علماء ضَحْيَان ت ١٣٢٩هـ انظر، نزهة النظر، ١/ ٢٨٢، أئمة اليمن، ٣/ ٢١٥.

(3) أحمد بن يحيى بن أحمد بن الحسين بن محمد، الملقب العجري نسبة إلى قرية العجري، يتصل نسبه بالامام عزالدين بن الحسن بن المؤيد علي بن جبريل، له كتاب «ذروة المجد الأثيل فيمن قام ودعا من أولاد المؤيد علي بن جبريل» والدرة المضيئة في أنساب العترة المؤيدية ت ١٣٤٧هـ انظر نزهة النظر، ١/١٦٦، لسان الصدق، ١٣.

(4) أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن الإمام الناصر الحسن، ولد برحبان صعدة سنة ١٢٦٠هـ، ونشأ بها ورحل إلى ضحيان، كان خطيب جامع صعدة، ت ٣ صفر سنة ١٣٤٢هـ، ترجم له القاضي عبدالرحمن بن حسين بن سهيل، انظر، نزهة النظر، ١/٤٥، لسان الصدق في الآخرين، ٥، نيل الحسنيين، ٢٠١.

(5) ابراهيم بن عبدالله بن علي بن قاسم بن لطف الغالبي الضحياني ت ١٣٢٧ هـ، وكانت وفاته في بلاد بني مالك، كان مهذباً داعياً للحق، انظر، نزهة النظر، ١/٢٨، لامية نبلاء اليمن، ٥٤ (ترجم له القاضي عبدالرحمن بن حسن سهيل الصعدي، في كتابه تراجم علماء صعدة)، له رسائل وأنظار منها، المسائل الضَحْيانية التي اختبر بها =

(١) حسين بن محمد أمير الدين الحوثي في ع.

المشارِ اليهم بالبنانِ، أذعنوا له كلَّ الإذعانِ، وشهدِوا أنه أوحدُ الزّمانِ.

وممن أذعنَ له، وشهـدَ لهُ باستجماع الشروطِ السيّدُ العلامةُ حسنُ بنُ حسين ساري[1]. والسيدُ العـلامةُ لطفُ بنُ علي ساري[2]، سيّدُ أهلِ قريةِ حُوْث [3] وعالمُها، ومنهم أيضاً: القاضي العلامةُ فخرُالدين، عبدُالله بنُ أحمدَ المجاهدُ[4]، من علماءِ مدينةِ ذَمار[5]، وممن شهدَ بأهليتِه واستكمالِه السيدُ

= الامام شرف الدين والمهدي محمد بن القاسم.

(1) حسن بن حسين بن عبدالرب بن أحمد ينتهي نسبه إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني الحوثي، المعروف بساري، ولد سنة ١٢٥٥هـ، درس في حوث النحو والصرف والفقه والتفسير والأصول والحديث وغيرها، تولى فصل الخصومات، له مؤلف على أبيات التلخيص ت بحوث ١٣٣٤هـ، أنظر نزهة النظر، ٢١٧/١.

(2) لطف بن علي بن قاسم بن علي، ينتهي نسبه إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني الحوثي، المعروف بساري، نشأ بهجرة حُوث من بلاد حاشد، تولى أعمال ظُلَيْمة، توفي بالأبرق من بلاد ظليمة سنة ١٣٣٤هـ، عين قائداً لجنود الإمام المنصور المرابطة في حصن ظفير حجة سنة ١٣٠٩هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٨٩/١.

(3) حُوْث: بلدة مشهورة في الظاهر الأعلى من بلاد حاشد، شمال صنعاء، انظر أئمة اليمن، ٢/ ٧٠، معجم المقحفي، ١٩٨.

(4) عبـدالله بن أحمـد بن علوان بن أحمد المجاهد المعروف بالشماحي، ولد بذمار ١٢٥٣هـ/ ١٧٣٧م، تتلمـذ على شيوخ العصـر، هاجـر إلى صعـدة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م ودرس بها، ومن ثم بمدينة المَدَان من جبل الأهنوم ودرس في شهارة، توفي سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، انظر، نزهة النظر، ٣٧٠.

(5) ذَمـار: المدينة المشهورة بعد صنعاء، جنوب شرق، على بعد ١٠٠كم، انظر، صفحة جزيرة العرب، ٧٩، اليمن الكبرى، ٥٤، معجم المقحفي، ٢٥١، الاكليل و٥٥٢/١ صفحـات مجهـولـة ٢١/١، أئمة اليمن، ٤٦ (سيرة الهادي)، البلدان اليمانية، ١١٣ (الاكوع).

العلّامةُ فخرُ الأواخِرُ، يحيى بنُ قاسم عامر، والشيخُ العلّامةُ بقيةُ المحققين لطف شاكر [1].

وممَّنْ أذعنَ له، وشهِدَ باستكمالِه القاضي، العلّامةُ، محمدُ بنُ أحمدَ العراسي، والفقيهُ العلامةُ أحمدُ بنُ محمد الجرافي [2]، وسيدُنا العلّامةُ صفيُّ الإسلام أحمدُ بنُ عبدِالله الجنداري [3]، هؤلاء من أعيانِ عُلماءِ. ومنْ علماءِ

---

(1) لطف الله بن محمـد شاكر الصنعاني الأهنومي، امام العربية، ولد ١٢٤٠هـ في صنعاء، استقر بهجرة عُلمان من جبل الأهنوم ت سنة ١٣٣٣هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٩٣/١.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن حسين الجرافي الصنعاني، ولد سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م بمـدينة صنعاء ونشأ بها: حفظ القرآن وطلب العلم على شيوخ عصره مثلَ أحمدَ بن محمد الكبسي وغيره، أخذ عن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى. من مؤلفاته، النصح النافع في التأذين عن طلوع الفجر الصادع، المكتبة الغربية مجموع ٧ (٢٠٨-٢٢٠)، توضيح الدليل والرد على شفاء العليل في تحليل زكاة حاشد وبكيل للهاشمي، القول المستوفي في تحريم الغناء، المكتبة الغربية مجموع، ١٩٩ (٧٠ - ٧٧)، وجـوابات ومراسلات مع السيد عبدالوهاب بن أحمد الوريث، انظر، أئمة اليمن، ٢٨٠، لامية نبلاء اليمن، ٢٦، نزهة النظر، ١٤٠.

(3) أحمـد بن عبـدالله بن عبـدالـرحمن الجنداري الصنعاني، ولد بصنعاء في شعبان ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، ونشأ بصنعاء والروضة، درس القراءة والفقه والحديث ودرس على المنصـور بالله محمـد بن يحيى، هاجـر إلى قفْلَة عُذَر من بلاد حاشد ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وانتقل إلى هجرة عُلمان، وعكف على التدريس، وله مؤلفات في أُصول الدين وفي علم الحديث والرجال، والجامع الوجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز، بدأ فيه من الهجرة إلى وقته ١٣٠٥هـ، المكتبة الغربية تاريخ ٦٥ وغيرها، انظر، نزهة النظر، ٩٧، شرح ذيل أجود المسلسلات، ١٢، لامية نبلاء اليمن، ٧١.

ذَمارَ القاضي، العَلَّامةُ، صفيُّ الإسلام، أحمدُ بنُ أحمدَ العنسي[1]، ـ رحمه الله ـ. والقـاضي، العـلامـةُ، عمادُ الإسلام، يحيى بنُ محمد العنسي[2]، ـ رحمـهُ الله ـ، والسيدُ العَـلَّامةُ عبدُالوهاب بنُ عليّ بنِ الإمام[3]، والقاضي العـلامـةُ، عماد الدين، وليُّ الله، يحيى بن محسن العنسي،[4] هؤلاءِ مِنْ علماءِ ذَمَار، مُذْعنين لهُ بالإمامةِ، وأنه الخليفةُ من الآلِ الأطهار.

وممَّنْ سمعْنـا منهم الإذعـان، والشهـادةَ بأنَّـه أوحدُ الزمانِ، القاضي،

---

(1) أحمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن سعيد بن عبدالله العنسي الذماري، ولد بذمار ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، ونشأ بها درس النحو والمعاني والبيان والأصولين، علم الكلام وأصول الفقه والمنطق والحكمة، تنقل بين صنعاء، وشوكان، شرقي ذمار وقرية الشرية غربي ذمار، توفي في ربيع الأول ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، انظر، نزهة النظر، ٤٨، أئمة اليمن، ٢٢٢. لامية نبلاء اليمن، ٢٥.

(2) يحيى بن محمد بن يحيى العنسي الذماري، ولد بذمار ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، ودرس النحـو والبيان وأصـول الفقه والحديث والتفسير، رحل إلى صنعاء طلباً للعلم، ت ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، انظر، نزهة النظر، ٦٢٦.

(3) عبدالوهاب بن علي بن يحيى بن أحمد الإمام القاسم بن محمد المعروف بالوريث، ولـد بذمار ونشأ فيها، كان مرجعاً في فصل الخصومات، توفي ١٣٢٠/ ١٩٠٢م، صنف، تحفة الثقات في معرفة الأوقات، المكتبة الغربية، فلك ٢ (٣٣٢٦) انظر، نزهة النظر، ٤٠٧.

(4) يحيى بن محسن بن سعيد بن حسن، العنسي الذماري، ولد بمدينة ذمار ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، درس النحو والفروع وأصول الفقه والمعاني والبيان والبديع، دَرّس، وتوفي ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦، من مؤلفاته، تحفة الإعلام ببشائر سيد الأنام، المكتبة الغربية، جامع سير، رقم ٣، وكشف الغطاء عن أدلة الصلاة الوسطى، انظر، نزهة النظر، ٦٤٢.

العَـلَّامـةُ، عمـادُالدين، وبقيةُ المحققين يحيى بن علي الإرياني[1] ـ رحمه الله ـ، والقاضي العَلَّامة جمالُ الدين عليُّ بنُ يحيى المجاهد[2] من مدينةِ ذي جْبَلةَ. هؤلاء العلماءُ الأعلامُ، همُ المُعَوَّلُ عليهم في الإقدام والإجحام ممَّنْ بايَعَ وتـابَعَ، وناصَرَ وشايَعَ، وغيرُ هؤلاءِ كالسيِّدِ العَلَّامةِ، جمالِ الإسلام، وبقيةِ الأعلام عليّ بن يحيى بن الإمام من مدينةِ ضوران[3]، والقاضي العلامةِ صفيِّ الإسلام أحمد بنِ مطهر الغشم [4]، والقاضي العَلَّامة، جمال الإسلام،

(1) يحيى بن علي بن عبدالله الإرياني، ولد بإريان ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م، كانت له مطارحات ونظم ت بكرريبان سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، انظر أئمة اليمن ٢/ ١٨٥.

(2) علي بن يحيى المجاهد، من علماء ذي جبلة ت ١٣١٣هـ، من كبار العلماء الذين أحيوا التدريس بمدينة جبلة انظر أئمة اليمن، ٢/١٨٤.

() ذي جبَلَة: مدينة تحت جبل صَبِر، وتسمى ذات النهرين، اختطها عبدالله بن محمد الصليحي٤٧٣هـ جنوب غرب إب بمسافة ٧كم، انظر نشر العرف، ١/٢٠٣، ٢/٢٠٢، نيل الوطر، ١/٨٦، البلدان اليمانية، ٦٥، اليمن الكبرى، ١٦٥، صفة بلاد العرب، ١٦٨، الاكليل، ٨/٣٦ معجم المقحفي، ١٠٩، مراصد الاطلاع، ١/٣٠٣.

(3) علي بن يحيى بن الإمام قد سبق التعريف به.

() ضَوران: جبل مشهور وفي سفحه المدينة، جنوب صنعاء، مركز قضاء آنس، وتقوم في منتصف جبل آنس من الشمال، انظر البلدان اليمانية، ١٧٦، معجم المقحفي، ٣٩٩، نشر العرف، ٢/٦٥٣، رياض الرياحين للحرازي، ٥٥، صفحات مجهولة، ٤٦، نزهة النظر، ١/٢٤.

(4) أحمد بن مطهر الغشم، ما ورد في نزهة النظر، محمد بن مطهر الغشم، ولد سنة ١٢٨٠هـ بهجرة آنس وسار إلى الامام المنصور بالله مع أخيه أحمد، ودرس في سودة شطب، وتوفي أحمد سنة ١٣١٩هـ، انظر، نزهـة النظر، ٥٩١. من كتبه: مرضاة باري البرية، والطريقة المرضية.

علي بن حسن الحلالي[1].

وصارت الدعوةُ المباركةُ مُجْمَعاً عليها فيما بينَ الخاصّ والعامِ، واستبشرَ بذلك جميعُ أهلِ الإسلام.

فصــــل

في ذكرِ نبذةٍ من كراماتِه الباهرةِ، وآياتِ شَرَفِهِ الزاهرة، التي هي البحورُ الزاخرةُ.

ولقدْ بلغتْ حدَّ التواتر، فلا ينكرُها إلاَّ من أُصيبَ بعماءِ البصرِ والبصائر. فلنذكرْها ها هنا قطرةً من قطراتِ ذلك البحرِ، وشذرةً من شذراتِ ذلك النحر. ولم يكنْ قصدُنا إلا التبرّكَ بذكرِ هذه الكرامات، التي تنزلُ عند ذكرِها الرحماتُ. وإنّما ذكرْناهَا هنا ما حضرَ، وما عثرنا عليه لا بدَّ نُلحقهُ إن شاء الله، كلُّ شيءٍ في محله.

فمن ذلك، ما يعلمُه كلُّ عاقلٍ، وهوَ ما أكرمَهُ الله بهِ من إعانتِهِ على كثير من الأعمال التي لا يقدرُ على عملِهاالجمُّ الغفيرُ من الرِّجال. ولقدْ رَأيناه وشاهدْناه يكتبُ في اليومِ الواحدِ، ما لا يقدرُ عليه إنسانٌ، وذلك من جوابات ومكاتباتٍ بغايةِ الإحكام والإتقان، وإجراءِ الأحكامِ الشرعيّةِ بإيضاحٍ وتبيانٍ، وإجاباتِ السؤال، / وافتقاد جميعِ بيوتِ الأموالِ، والنظرِ في جميعِ الأحوالِ، وفي مؤنةِ ٦ب

(1) علي بن حسن الحلالي: من علماء صنعاء، وأخذ عن علمائها في صغره، وتولى القضاء بأنس أيام الأتراك، توفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، انظر نزهة النظر، ٢٧٨.

الوافدينَ والمهاجرينَ والمجاهدينَ، وهم كثيرون. وأمّا وكلاؤهُ للصَّرْفِ على المهاجرين، ففي مدينةِ حُوث وكيلٌ، وفي جبل الأهنوم وكيلٌ، وفي مدينةِ شُهارة وكيلٌ، وفي وادعة وكيلٌ. وقُدِّرَ المخرجُ في كلِّ اسبوعٍ نحوَ الألفِ الريال.

وكلُّ ذلكَ باطّلاعِ الإمام، مع محاسبةِ الوكلاءِ بثباتٍ وبيان، وهذه الأمورُ لا تدخلُ تحتَ طوقِ البشر، وإنما يُكرِمُ الله بها من صبَرَ، وإنما ذكرْنا ما ذكرنا عن اختيارٍ ونظر. فلو جُمِعَ ما يكتبُه في يومٍ لزاد على كُرّاستَيْن، مَعَ اشتغاله أيضاً بما ذكرْنا، وتفقّدِ جميعِ أحوالِ المقامِ وأهلِهِ، حتّى الخيلُ والبغالُ والجمالُ، هذا دأبُه في كلِّ يومٍ طلعتْ عليه الشمسُ.

ومن كراماتِه أيضاً، ما ألبسَهُ الله منَ الهَيْبَةِ العظيمةِ، وجعلَ له في قلوبِ عبادِهِ من المودّةِ العميمةِ، التي كانتْ لا تُوجَدُ سابقاً، ولا عجبَ، فقدْ وردَ في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ، «إن الله إذا أرادَ أن يخلِقَ خلقاً للخلافةِ مسحَ

() شُهارة: جبل مشهور في بلاد الأهنوم، شمالي حجة، من معاقل اليمن المشهورة، هي عبارة عن شهارة الفيش وشهارة الأمير بعد وصل الفج بينهما انظر، نيل الوطر، ١/٢٩٩، نشـر العرف، ١/١٢، صفة جزيرة العرب، ٢٣٨، البدر الطالع، ١/٢٥٨، معجم المقحفي، ٣٦٦.

() وادعة: من قبائل حاشد، وهم يتوزعون في جهات مختلفة، منها وادعة حاشد في بلاد حاشد على مقربة من خمر، ووادعة الشام، شرقي صعدة من ناحية الصفراء، ووادعة عسير شمال نجران بغرب، وربع وادعة، من ملحقات صنعاء، انظر، الاكليل، ١/٣١٤ ط الثالثة ١٩٨٦، اليمن الكبرى. ١٩٧، معجم المقحفي، ٦٨٧.

ناصيتَهُ بيدِهِ». وذلك عبارةٌ عن إلقاءِ المَهابة عليه ليُطاعَ. فهو استعارةٌ وتشبيهٌ كما قالهُ الزّمخشري، أخرجَ الحديثَ العقيليُّ والخطيبُ وابنُ عديٍّ، وأخرجه الحاكمُ عن ابنِ عباسٍ بلفظ: «إن اللهَ إذا أراد أن يخلقَ خلقاً للخلافةِ مَسَحَ على ناصيتِهِ بيمينهِ فلا تقعُ عليه عينٌ إلاّ أَحَبَّتْهُ. قال الحاكمُ: رواتُه هاشميون.

ومن الكراماتِ أيضاً، ما سمعتُه وشاهدتُهُ، وهو أنه لما وقَعتِ المحاصرةُ الأولى لصنعـاءَ، وكان الإمامُ عليه السلامُ يتبرّمُ من المجاهدين وأفعالِهم، ويقولُ: إنه لا يتمُّ المَرامُ والأفعالُ هكذا، فلما خرجَ الرديفُ صحبةَ أحمد فيضي باشـا، وهم قدرُ مئـةِ ألف، صرّحوا بأنهم مأمورون بأخذِ اليمنِ من صَعْدَة إلى عدن، والقبضِ على الإمام وأعوانه، وأخذِ النظام والسلاحِ، وكان خروجُهم بما لا يمكنُ وصفُه من القوةِ الكافيةِ، التي لا يقدِرُ على مقاومتِها من البشر أحدٌ، إلا الله الواحدَ الأحد، فلما وصلَ ذلك إلى مسامعَ الإمام ـ عليه السلام ـ التجأ إلى مَوْلاه، وأيقنَ أنّهُ لا ناصرَ له سواه، ولا مانعَ له إلا إيّاهُ، لِما علمَ من سوءِ مقاصدِ الناسِ، وعَدمِ الإخلاصِ والصّدقِ اللّذَيْن هما الأساس. فلذلك حصلَ منهم الإياسُ.

ولقد سمعتُه ـ عليه السلام ـ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٩، حين بلغه خروجُ العجم، وعـظمةُ الخَطْبِ الذي أَلَمّ، يدعو الله بعدَ صلاةِ الجمعةِ، ويتضرّعُ إليه في دفعِ شرورهِم بدعاءٍ أبكى العُيون، وأيقنَ بإصابته المؤمنون، فأرسل الله على عساكرِ العجم الطاعونَ.

ولقد حدَّثني بعضُهم أنه طُعِنَ منهم في مرسى الحُدَيْدَة نحوٌ من أَحَدَ عشر ألفاً، ثم ما زالوا يهلكون في المدنِ والطّرقات حتى أنّهُ هلَكَ أكثرُهُم،

ولم يرجعْ منهم الاّ نحوُ أحدَ عشر ألفاً، فبسببِ ذلك كتب السلطانُ إلى أحمد فيضي يسألُه عن سببِ هلاكِهم، هل ذلك بالقتلِ أم بالموت، فأجاب إن ذلك أمرٌ رباني، أرسل الله عليهم الطاعونَ، ولم يُقْتَلْ منهم إلا قليلون.

فأرسلِ السلطانُ كاشفاً من دارِ السلطنةِ يُسمَّى نامِق باشا. وكان بينه وبين أحمد فيضي ما كانَ مِنَ المجاولات / والمخاصمات. وآل الأمرُ أنه كرَّ راجعاً إلى الروم. ٤٧أ

ومن كراماتِه ـ عليه السلامُ ـ أنَّ أَهلَ دَرْبِ هِزَم[1] ودَرْبِ عُبَيْد[2] منعوا واجبَ العنبِ، بعدَ أنْ حصلَ من الإمامِ الطلبُ، فأرسلَ الله على أرضهِم البَـرَدَ، فاجتاح الثمرَ، وذهبَ بأوراقِ الشجرِ. وكان ذلكَ من حدودِ أرضِ مانعي الزكاةِ لم يتعدَّهُمْ إلى غيرِهم.

ومنهـا أيضـاً، أن رجلين منْ حاشـد سلَبَا رجلين من ذو محمد[3] في الـطريق. فلمـا وصـلا إلى الإمام استغاثاً به، فأرسل إلى قُطّاعِ الطريق، وألْـزَمَهُم بإرجاعِ المأخوذِ فلم يمتثلا، وخرجا من عند الإمامِ، فأرسلَ الله عليهما صاعقةً فأخذَتْهُمْ، فصارَ ذلك عِبرةً وتحذيراً من عدمِ الموافقة.

---

(1) درب هِزَم: قرية كبيرة في عُزلة شعب من أرحب، انظر، معجم الحجري ـ مادة هزم، معالم الآثار، ٥٨، معجم المقحفي، ٦٧٩.

(2) درب عُبيد: من قبائل العقارب في بلاد صعدة، وآل عُبيد من قبائل ذو حسين، وهم آل عُبيد بن حَمَد، وآل عبيد بن الشولان من ذو حسين ومساكنهم بَرَط، انظر، معجم الحجري، مادة عُبيد، معجم المقحفي، ٤٢٦.

(3) ذو مَحمـد: من قبائل بكيل، ومساكنهم في جبل بَرَط، وهم من أولاد محمد بن غيلان، انظر، معجم المقحفي، ٥٦٨، حوليات النعيمي، ٣٩.

ومِنْ ذلك أن ثلاثة أشخاصٍ من حاشد ثم من ذو غانم[1]، سوّل لهم الشيطانُ، واستولى عليهم الطُغيانُ، قطعوا السبيلَ لرجُلٍ من قبّاضِ الإمام ـ عليه السلام ـ يُسمّى الفقيه ناصر اليماني من مغرب عَنْس[2]، فأخذوا ما مَعَهُ من الدّراهمِ، فأمّا اثنان منهما، اسمُ احدِهما قايد بَعْرَان، ورجلٌ آخرُ من العُصَيمات[3]، فوصلا إلى الإمام عليهِ السلامُ بِعقيرٍ[4] يلتمسان العفوَ، وسّلما ما أخذا من الدراهم، وأما الثالثُ واسمُه شويعٌ، فأصَرَّ هو وأبوه على معصيتهما، فما لبثَ أنْ تخاصمَ هو وأولادُ عمِّه فَرَمَوْه وكُسِرَتْ رِجْلُهُ البتَّة، (وأما أبوه)(١) فتعاصرَ هو ومعزة حتى اختبطَ وكُسِرَتْ رجلُهُ. فبعدَ ذلك رجعا إلى التوبة. وأحالا بما عليهما من الدّراهم.

ومن الكراماتِ أيضاً، ما أخبرنا الحاجُّ الفاضلُ عليُّ بنُ محمدٍ الأكوع، أنَّ العجمَ لما منعوا بيعَ الرصاصِ والباروتِ في اليمنِ، ولم يتمَّ لهم ذلك، رأوْا من إخراجِ الكبريتِ والرصاصِ إلى البنادرِ ومكةَ وجدَّة، وما وجدوا من

---

(1) ذو غانم: من قبائل ذو حسين ثم من الرَّبَعة في بَرَط، انظر، معجم المقحفي، ٤٧٩.

(2) مغرب عَنْس: من أعمال ذمار بمسافة ٤١كم، انظر، معجم البلدان ٥/٤٣٨، معجم ما استعجم، ١٣٩٦/٢ نيل الوطر، ٣٤٠/٢، معجم المقحفي، ٤٦٩.

(3) العُصَيْمات: من بطون حاشد وهم أربعة جَبْري وفضلي وغني وقِيْص، انظر، معجم المقحفي، ٤٤٩، ١٤٣-١٤٥، معجم الحجري، ٢/ ٦٠٥.

(4) عقير: ذبح البقر والغنم دليلاً على الدخول في الطاعة، انظر، صفحات مجهولة، ٥٦.

---

(١) الاضافة من م.

ذلك أخذوه وكذلك السلاح، ووضعوا في الطرقِ من يفتِّشُ الحمائلَ، حتى كادَ الرصاصُ أن يُعدَمَ . فأرسلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ بدراهمَ إلى مكة صحبةَ الحاج علي بن محمد المذكور ليشتريَ بها رَصَاصاً، ويشتريَ جمالاً تحملُها خشيةَ الظهور. فحينئذٍ عزمَ الحاجُّ عليٌّ، واشترى الجمالَ من الحَرَجَة، ودخلَ بها من الحجاز مَعَ القحطِ فيه وغلاءِ الحَبِّ والعَلَفِ. وكانَ منْ أعجبِ ما وُصِفَ، أنها لم تزلْ الجمالُ إلى زيادةٍ في القوةِ مع ما هي فيه من الجوعِ ومشقةِ السَّفرِ حتَّى وصلَ إلى مكةَ، واشترى الرصاصَ وأخرج ذلك ليلاً، وسافرَ مَعَ الحجاج، وكلما وصلَ إلى محلٍّ فيه المأمورون بالتفتيش، فتَّشوا الجِمالَ الآخرة، وأعمى الله أبصارَهم عن تلك الجِمال حتى كأنهم لم يَرَوْها. وكان رفيقَهم الحاجُّ عبدُالله العكامُ صاحبُ الجوفِ، وظَنَّ الحاجُّ على أنه من الشيعة، فأسرَّ إليه أن الحمولةَ للإمام، وفيها كذا وكذا من الرصاص، ⁽¹وَوثِقَ منهمْ بالكتمِ، حتَّى وصلوا إلى عقبة مُخَايل(1) في الحجازِ، وقام المأمورُ يفتشُ الحمائلَ، ومضت جمالُ الإمامِ وعليها الرصاص¹⁾، وهو عنها غافلٌ، فقالَ له الحاجُّ عبدُالله العكام: فتِّشْ تلك الجمالَ المحمَّلَةَ بالرصاص. فالتفتَ المأمورُ فلَطَمهُ ولعنَهُ، ومضت الجِمالُ حتى وصلتْ إلى حضرةِ الإمام ـ عليه السلام ـ قَفْلَة عُذَر(2) سالمة، مَعَ أنه

---

(1) عقبةُ مُخايل: اسم موضع في عقيق المدينة، ومخايل ثلاث عقد، فالعليا تصب في أفلس والاثنتان على حضير انظر، المغانم المطابة للفيروزابادي، ٣٧١.

(2) قَفْلَة عُذَر: مدينة من بلاد خَمِرْ، مركز ناحية القَفْلَة، وهي في مرتفع يحيط بها حصن النواس وحصن عزان وجبل عيشان، معجم المقحفي، ٥٢١.

(١ ـ ١) سقطت من ع، م.

قد مات من الجمالِ غيرِها كثيرٌ من الجوعِ ، وحفِظها الله تعالى فلم يُصبْها شيء.

وكانت بعدَ ذلك من أحسنِ جمالِ الإمام / هكذا أخبرنا الحاجُّ عليُّ بنُ محمدٍ، شفاهاً. ٧ب

ومنْ ذلك ما أخبرنا به السيّدُ الصفيُّ أحمدُ بنُ يحيى بن المنصور، والسيدُ حسينُ بنُ يحيى عشيش الحوثي ، أنَّ الإمام ـ عليه السلام ـ أرسل إليهما إلى المشهدِ غربي السُكَيْبات[1] بنحوِ اربعِ مئةِ راسِ غنمٍ ، وأمرَهُما أنْ يؤجِّرا مَنْ يرعاها، فاعترض لهما حالَ وصولها ابنُ الشيخِ يحيى بنِ مقبل كليب، وقال: لا تبقى الغنمُ في حدِّ ذو كليب[2] تأكلُ مَرْعَى أغنامِهم، فراجَعَهُ السيدان فلم يتراجعْ، بلْ لمْ يزلْ يحدّثُهم، وهوَ يرجُمُ الغنمَ، فَردّوها، ورجعَ ولدُ الشيخِ محلَّه، وهم رَدُّوا الغنمَ نحوَ القِبلةِ. فلم يفارِقْهُمُ الولَدُ إلاّ قدرَ ما يُسْمَعُ فيه الصوتُ، حتى سمِعوا صياحَه، وهو يستغيثُ، فلما وصلوا إليه وجدوه قد التوى (١على رجله١) ثعبانٌ عظيمٌ، ورأسُهُ قائمٌ إلى حدِّ صدرِ الولدِ. فأراد بعضُهم على التحيّلِ لقتلِ الثّعبان. فقالَ لهم: لا تقتلوه، فتقتلوني معه، ردُّوا غنمَ الإمامِ ترعى في بدني، إنما سببي الإمامُ. فلما تابَ وأظهرَ الندمَ،

---

(1) السُكَيْبات: من قُرى حاشد ثم من بلاد عِذر، انظر، معجم الحجري، مادة السُكَيبات، معجم المقحفي، ٣١٩.

(2) ذو كليب: من قبائل آل سالم من بكيل في بلاد صعدة، انظر معجم المقحفي، ٥٤٠.

---

(١) في ع، عليه.

استرخى ذلك الثعبانُ عنْ صدرِهِ، وولّى هارباً عن القدمِ.

ومن الكراماتِ أيضاً: ما شاعَ وذاعَ، وتعطرْت[1] بذكرِهِ المجالسُ والبقاعُ، وهي قصّةُ الشيخِ محمد أبو شوصَى منْ مشايخِ العُصَيْمات، وذلكَ حالَ خروجِ الإمام من بلاد صعدة، وهو: أنّه وصلَ - عليه السلامُ - إلى قاعة[(1)]، وقدْ اجتمع خلقٌ كثيرٌ من ساداتِ حوث وعلمائِها، ومن حاشد فكلّمَهُمُ الإمامُ عليه السلام: إنّا مستقبلونَ لجهادِ أعداءِ الله العجمِ، ولا يتمُّ ذلك إلا بعدَ الإصلاح بينَ المتخاصمين منْ أنصارِ الحقِّ والمجاهدين، ليأمنَ الجاهدُ والقاعدُ، فأوَّلُ فتنةٍ ما بين أَبي شوصى وخصميه، فرمى الإمامُ - عليه السلامُ - مسبحتَهُ وهو راكبٌ على جوادِهِ إلى وسطِ الحلقةِ، وقال: هذا جاهُ الإمام، فمن خالَفه عَجَّلَ الله عقوبتَهُ، فزادَ امتناعاً، وعزمَ الإمامُ ومن معه، ورجَعَ أَبو شوصى إلى أصحابِهِ، وهم نحوُ عشرين نفراً، فما مشى نحوَ عشرين خطوةً حتى خرجَ له ثعبانٌ أسودٌ، وقصدَه، ولم يعترضْ أحداً من أصحابِهِ، فهربَ من بينهم وتبعَهُ الثعبانُ. ورامَ بعضُ أصحابِهِ أن يرميَه فمنعَهُ أبو شوصى، وصاحَ: أنا باذلُ صلحِ الإمام، وتبع بعدَ الإمام - عليه السلام - إلى عندِ بئر أثلة[(2)]، ولم يبالِ بخصميهِ أنْ يتعرَّضاه ولا خاف منهم. فوصلَ إلى الإمامِ وتابَ وأنابَ، ورقمَ الإمامُ عليه السلامُ الإصلاحَ بينهم في كتابِ.

---

(1) قاعة: حصن وبلدة غربي عمران، تشرع منها الطريق إلى حجة، وعزلة قاعة، من ناحية العشة بقضاء خِمْر انظر، قرة العيون، ١/٢٣٢، معجم المقحفي، ٥٠٤.

(2) بئر أثْلة. غارب أثلة، معروف ببلاد عُذَر من حاشد انظر، طبَق الحلوى، ٢٨٦.

---

(١) في ع، تخبرت.

ومنْ ذلك، ما حكى لي السيدُ الضياءُ عباسُ بنُ عبدِالله بن المؤيد، وهو الثقـةُ، أن السيدَ ناصرَ حيّاج من ساداتِ غُرْبَان[1] قدَّر عليه مُخامنةُ الإمام قدَحَيْن ونصف زكاة، فأبى عنْ ذلك، وامتنعَ أنْ يسلِّمَ إلاّ قدَحاً، وتخاصمَ هو والعدُولُ فتركوه وراحوا، وبعدَ أنَّ السيدَ نام في المسجدِ رأى أنَّ رجلاً هزّه حتى انتبهَ. وقال له: أنتَ بحسبِكَ حتى أجابَه، قال: نعم. فقالَ له: سَلِّم ما قدّر عليك العُدولُ إلى الإمامِ الذي يُقاتِلُ على الإسلام. وكانَ ذلكَ في سنةِ ١٣١٦، فقامَ السيدُ من حينِه مرْعوباً، وأتى إلى القبّاض. وقال له: خذْ مني القدَحَيْن[2] والنصفَ الذي قدَّرَ عليَّ العُدولُ. وإذا شئتَ أنْ أزيدَ زدتُ، ووصفَ لهم ما وقع.

وحكى لي أيضاً السيدُ المذكورُ، وهو عاملُ الإمامِ في بلادِ غُرْبَانَ أنه طلبَ من رجلٍ زكاةَ الغنم، فمنعَ عن التسليم، فأتى الذئبُ في ذلك اليومِ فعدا على الغنمِ، وأخذ بقدرِ الواجبِ من بين ألفِ رأسِ غنمٍ، مُلكِ الرجلِ وغيرِه.

وحكى لي أيضاً، أن رجلاً آخرَ منعَ عن تسليم خمسةِ ريالٍ[3] تعيَّنَتْ

---

(1) غُرْبَان: بلدة شهيرة في حاشد، ينسب إليها آل الغُرْباني، من فروعهم بنو حيدرة وبنو مَغْل وبنو جَحّاف، من ولد الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفربن الإمام المنصور القاسم العياني، معجم البلدان، ١٩٦/٤ انظر، معجم المقحفي، ٤٨٠، مراصد الاطلاع، ٩٩١/٢

(2) القَدَح: ويساوي ٢٫٠٦٢ لتر، والمشار إليه يساوي ١٫٥٦ لتراً، انظر: الأوزان والمكاييل ٦٥٠.

(3) ريال: اسم شائع في بلاد المشرق، أول من أجراه في التجارة والسوق الاسبانيون، =

عليهِ مِن طَرَف الإمام. فمنعَ عنْ تسليمها، فبالحالِ تردَّتْ عليه بقرةٌ تساوي
٨أ قيمتُها أربعةَ عشرَ / ريالًا، فتابَ الرجلُ وسلَّمَ المطلوبَ.

ومنَ الكـرامـاتِ أيضـاً، ما حكاه السيدُ هاشمُ بنُ يحيى الشرفي، أنَّ حيدرَ بنَ حسنِ بنِ مقبـل فارع نذرَ لمـولانـا الإمـام أيَّدَهُ الله بلبنةٍ في غولةِ الغَشْم[1] المسمى المجحافي، وطن البطاحي، وكانت هذه الغولةُ صالبةً منذُ أيام. فأراد الرجلُ أن يَغْرِسَها تيناً فلما غَرَسَها، وبلغَ الغرسُ فيها إلى قريبِ أنْ يُثمرَ، أرادَ أن يسقيَهُ من ماءِ الوادي المعروفِ بالمجحافي، فمنعوه، وأنكر أهـلُ المـاءِ استحقاقَه لمّا كانت الأرضُ صَالبةً، وخاصموه على ذلك حتى غلبوه. فما زالَ الرجلُ يتوسَّل بالإمام ـ عليه السلامُ ـ فأجرى الله له غيلاً في رأسِ ملكِهِ، وذلك ما يكفيه وزيادةٌ، ولا يُعرَفُ في ذلك الموضعِ ماءٌ أبداً.

ومنها أيضاً: أنَّ شيخاً من بني الشَغْدَري[2] أهلِ بلاد عَنْس، ذُكِرَ عنده

= وهو أنواع كثيرة منها، ريال أبو طاقة، وأبو مدفع، والمجيدي والريال العثماني، وفي اليمن كان الـريال النمسـاوي المعـروف بأبي شوشـة أو ماريا تريزا، وهناك الريال الامامي، ويسَك في صنعاء، انظر، النقود العربية وعلم النميات، ١٧٥.

(1) غولة الغشم المحجافي: من أهل آنس، بجبل الشِرْق، وغشم: تُسيع من بني صُريم في حاشد انظر معجم الحجري، مادة الغَشْم، نزهة النظر، ٢/٥٩١.

(2) الشَغَادِرَة: ناحية من أعمال حجة في الجهة الجنوبية الغربية منها، سُميت باسم قرية الشَغَادِرة التي هي مركز الناحية، ومن توابعها، عزلة قلعة حميد، وعزلة السوالمة وعزلة المسوح وعزلة المعطن وغيرها، وهي مشرفة على بلاد بني قيس من تهامة وادي مَوْر، وبنو الشَغْدَري، من مشائخ بلاد عَنْس وأعمال ذمار انظر معجم المقحفي، ٣٥٩، نزهة النظر، ٢٥٥.

الإمامُ ـ عليه السلام ـ فصارَ يقدَحُ في جنابِهِ الشريفِ الشريفِ بكلامٍ قبيحٍ. فلمْ يشعرِ الحاضرون إلّا وقدْ صاحَ ووَرِمَ ذكرُهُ في تلكَ الحال، ولم يبقَ الا ساعاتٍ قليلةً وهلَكَ.

ومنها أيضاً: ما أخْبَرَ به السيدُ أحمدُ بنُ محمدٍ الخلقي، رحمه الله تعالى، وكان مِنْ قُبَّاضِ الإمام ـ عليه السلام ـ،

قال: جمَّعتُ شيئاً من الواجبات من مغربِ عَنْس فتلقّاني رجلان من الحدا[1] من بني بُخَيْت[2]، فأرادا أنْ يأخذا ما معي، فقلت لهما: إن معي دراهمَ للإمام، حفظه الله. فلمّا قرُبا مني، رأيتُ أحدَهما وقد اسْتلقى على ظَهْرِهِ، وأَخذَ سكيناً بيدِهِ، فطعنَ فخذَه وهَرَبَ الآخر، وسارَ السيِّدُ سالماً.

ومن الكراماتِ العظيمة أيضاً، ما جعل الله له من الرُعبِ، وقذَفَه في قلوبِ أعدائهِ عموماً، وخصوصاً العجمَ وأعوانَهم، فلقدْ سمِعْنا ورأيْنا مِنْ ذلك ما يعجِزُ عنْ وصفِهِ الواصفون.

ولقدْ أخبرَني الثِّقةُ النقيبُ عبدُالله بنُ ناصر القرحة الذي دخلَ صحبةَ القاضي يحيى بن أَحمدَ المجاهد[3]، صاحبِ تعز إلى استانبول، ثمَّ خرجَ بعدَ

---

(1) الحداء: ناحية وقبيلة في الجنوب الشرقي من ذمار بمسافة ٣١ كم، تقع منطقة الحدا بين سهل جهران غرباً وخولان العالية شمالاً وعَنْس جنوباً، وبنو ظَبْيان من خولان شرقاً، انظر معجم الحجري، اليمن الكبرى ١٦٦، نشر العرف، ١٤٨/١.

(2) بنو بُخيْت: من قبائل حدا، عزلة مشهورة من ناحية الحدا، بالجنوب الشرقي من صنعاء، إليها ينسب المشائخ بنو البُخَيْتي انظر، معجم المقحفي، ٦٤، معالم الآثار، ٨٧، صفحات مجهولة، ٤٧.

(3) يحيى بن أحمد المجاهد ت ١٣٠٩هـ، مفتي مدينة تعز الذي تعاون مع الولاة الأتراك =

ذلـك، أنّهـا لما حوصرت صنعاءُ في أواخِرِ سنةِ ١٣٠٩، وصلَ الخبرُ إلى استـانبول بأنَّ صنعاءَ محاصرةٌ، وقدْ أخذَ الإمامُ جميعَ اليمن، وأَسرَ جميعَ المأمورين، فتزَلْزَلتْ عندَ ذلك استانبولُ، ونزلَ بأهلِها منَ الرُّعب العظيم ما لا يقـادرُ قدرةَ الجسيم. وهكذا كلُّ منْ اعتزى إلى الإمام وانتمى إليه بنيَّةٍ صادقةٍ، فإنّهُ لا يزالُ على جميعِ أعدائِهِ منصوراً، ⁽¹ وبجميع مرادِه مسروراً، ولقد شاهَدْنا من ذلك عجبَ العجابِ، واليقينَ الذي لا يصيرُ للناظرِ معهُ شكٌّ ولا ارتياب، فكلٌّ منْ حملَ رايةَ الإمام-عليه السلامُ-أو أصدَقَ النيَّةَ في الجهادِ معَهُ صارَ سعيداً منصوراً⁾¹، وكلُّ مَنْ ناوَأَهُ صار شقياً مخذولاً.

ومنَ الكراماتِ أيضاً: أنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ لمّا استوطَنَ قَفْلةَ عُذَر، جعلها مقاماً ومناخاً لكلِّ من ورَدَ وصدَرَ، وكانتْ أَوْبَأَ بلادِ القِبْلةِ، حتَّى أنَّ منْ بات فيها ليلةً أثرّ فيه ذلك الوباءُ، فلا يصبحُ إلَّا مريضاً، فلما استوْطَنَها الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ رفعَ الله منها الوباءَ، وصارتْ مِنْ أصحِّ البلادِ القبليةِ، يتنافسُ فيها وفي مائها المتنافسون، ويشتاقُ إليها الوافدون.

ومنَ الكراماتِ أيضاً: أنَّ الله ـ سبحانه ـ جعلَ لهذا الإمام ـ عليه السلامُ ـ

= المعتدلين، وقعت بينه وبين الوالي العثماني على اليمن، عثمان باشا، وكذا متصرف تعز خصومه، بسبب رفضه دفع رشوات للوالي والمتصرف الأمر الذي أوجب سجنه ثم استدعى لاستانبول لعرض شكايته على المسامع السلطانية، حيث مات ولما يمكن من ذلك بسبب تحيل رجال الادارة التركية، انظر الواسعي، فرجة الهموم، ١٢٢ - ١٢٣، أئمة اليمن، ١/ ٧٥ - ٧٩.

(١ ١) سقطت من ع،م.

سلطاناً نصيراً على الظلمةِ وأعْوانِهِمْ، فصار لا يَقصدُ أحداً إلاَّ أخذَهُ، ولا حِصْناً إلا افتَتَحَهُ.

ولقدْ شاهدنا مِنْ كراماتِه ـ عليه السلامُ ـ ما يعجزُ عن حصرِه الحَيْسُوب، وسيأتي ـ إنْ شاءَ الله ـ بعضُها في غضُونِ هذه السيرة. / وعلى الجملةِ فقد أمدّه الله بالكراماتِ الكثيرةِ، ولا بِدعَ ولا عجبَ، فأهلُ البيتِ النبويّ حقيقون أنْ يُكْرَموا منْ مولاهم بما يشتهون. فهمُ الفرقةُ الناجيةُ الذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون. وكيف لا! وهمْ فروعُ دوحةِ النبوَّةِ، وأغصانُ شجرةِ الأخوةِ، فهمْ المُكَرَمُون بصائبِ الفراسةِ، والحاملون لرايةِ السِّياسةِ والكياسةِ. ٨ب

ولقـدْ شاهـدْنـا من أحـوالِ هذا الإمـام وفـراستهِ ما يدلُّ على أنّهُ من المحدَّثين والمتوسمين.

وفي هذا القـدر كفـايةٌ. حيث لا يمكنُ استقصاءُ النهاية، وإذا كانت الغاياتُ لا تُدْرَكُ، فالمنشورُ منها لا يُتْرَكُ، وباللهِ التوفيقُ، والهدايةُ إلى أقومِ طريقٍ.

فصـــــل

وأما خصائصُهُ عليه السلامُ في الكَرَمِ ، فذلك أشْهَرُ من نارٍ على عَلَمٍ. ومنْ نظرَ في مُخْرَجاتهِ وإنفاقهِ للأموال في سبيلِ اللهِ عرَفَ أنهُ عطاءُ مَنْ لا يخشى الفقرَ والفاقة، ومع ذلكَ فإنه يتحرَّى في إنفاقِه المصلحةَ، كما في سيرةِ الخلفاءِ الراشدين.

فصـــــل

وأما خصائصهُ عليه السلامُ في حُسنِ الخُلقِ، فإنّهُ في ذلكَ الآيةُ الباهِرةُ،

والعينُ الناظرةُ يوقِّر الكبيرَ، ويرحمُ الصغيرَ، ويؤنِّسُ وحْشةَ الغريب، ليسَ له في ذلك شبيهٌ ولا ضريبٌ. ولقد شاهَدْنا مِنْ حُسْنِ أخلاقِه عليه السلامُ ووفورِ شفقتهِ ما يُبهِرُ العقولَ، والكلامُ في تفصيل ذلك يطولُ.

فصـــل

وأما خصائصُه في جَوْدةِ الرأي، فهوَ في ذلك الرجلُ الأوحْدُ، الذي لا يقاربُهُ في ذلك أحدٌ، وكأنّما يَنْظرُ إلى الغيبِ من وراءِ سترٍ رقيقٍ، حتى أقرَّ له في جَوْدةِ الرأيِ العدوُّ والصديقُ. ولو ذكرْنا العُشْرَ مِنْ مِعْشارِ ما رأيْنا لطالَ الكلامُ، وخرجَ إلى حدِّ الإكثارِ.

فصـــل

وأمّا خصائصُه في ثباتِ القَلْبِ والشجاعةِ والإقدامِ، فإنَّهُ الأوحدُ في كلِّ مقَام. ولقدْ حكى لي جماعةٌ مِمَّنْ حضَرَ معَهُ في حُروبِ الباطنيةِ أيامَ الإمام المتوكلِ على اللهِ ـ عليه السلامُ ـ وهو المقَدميُّ حينئذٍ، أنّهُ شاهدَ مِنْ إقدامِهِ عنـدَ انتهابِ الأرواحِ، وفي مواطنِ الكفاحِ ما يقضي بأنه اللَّيْثُ الهَصورُ، والضَّيْغَمُ الغضنفرُ المذكورُ.

فصـــل

وأما خصائصُهُ في الفَصاحةِ والبلاغةِ، فلا يَشُكُّ من رأى[1] خطبةَ وكُتُبَهُ، أنَّ الله قد أعطاهُ جوامعَ الكَلِمِ، [2]واختصرَ له الكلام[2] اختصاراً، كجَدِّهِ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام. وهذا أمرٌ لا يمتري فيه ممترٍ، وله شعرٌ حسَنٌ لا يوازنُهُ

(١) في ع، آي.

(٢ ٢) سقطت من ع.

فيه موازنٌ.

فصــــل

وأما تواضُعُه وأدبُهُ وحسنُ معاشرتِه، فإنه في ذلكَ العَلَمُ الشامخُ، والطودُ الراسخُ، فلقدْ رَأَيْنا مِنْ تواضعِه وإنصافِهِ في المذكراتِ العلميةِ والمحاوراتِ الدنيويّةِ والدينيةِ ما لا يكادُ يُوجدُ عندَ غيره. من حُسنِ الأدبِ والتواضعِ، مع ما ألبَسَهُ الله من الهيبةِ.

فصــــل

ولنـرجعْ إلى ذكرِ ما كانَ بعدَ استقرارِ أمْرِ الإمامةِ، وانتشارِ الدعوة في الأقـطارِ ـ فإنّـهُ، عليه ـ السلامُ، بعدَ انتشارِ الدّعوةِ مكثَ في السِنّارةِ بقيةَ القعدةِ والحجةِ؛ لإصلاحِ البلادِ، وحَسْمِ مادةِ الفسادِ، فجمعَ الله القلوبَ، وألَّفَ بينهم بعدَ التواحش والتقاطع، بِبَرَكَةِ هذا البَدْرِ الطالعِ.

ثم دخلت سنة ١٣٠٨

وفي اليومِ الخامسِ والعشرين / من محرم، مفتاحِ السنةِ المذكورة، ٩أ ارتحـلَ الإمـامُ عليه السـلامُ من بلادِ صعـدةَ متـوّجهاً إلى جبلِ الأهنومِ، واستخلفَ على بلادِ صعدَة سيفَ الإسلامِ. السيّد الهمام، محمدَ بنَ الإمام الهادي[1]، والقاضي محمَّد بنَ عبدالله الغالبي قاضياً، والسيّد العلامة صفيَّ

(1) محمد بن الإمام الهادي شرف الدين بن محمد الحسيني: ولد سنة ١٢٨٤هـ/، أخذ العلم عن والده وعلماء العصر، له فضل في تمهيد البلاد الصعدية في القلاقل التي وقعت بين الامام يحيى، وأصحاب السيد حسن بن يحيى الضَحياني، ثم بين الإمام =

الإسلام، أحمدَ بنَ قاسم على بلادِ خَوْلان[1]، والقاضي العلامةَ إسماعيلَ بنَ علي الفضلي[2] على جبل رازح[3].

ولمّا وصلَ الإمامُ حفظه الله، إلى جبلِ الأهنومِ، عرضَ لهُ المرضُ الشديدُ، فمرِضَ لمرضِهِ الطارفُ والتليدُ. وبعدَ نحوِ شهرٍ منَّ الله بالشفاءِ من ذلك الألمِ، وصحَّ بصحتِهِ العلياءُ والكرم.

فقال السيدُ الأديب عبدُالله بنُ يحيى الخاشب، مهنئاً من قصيدة:

[- الوافر -]

مُهنِّئةٌ ببُرءٍ بعدَ سُقْمٍ ألمَّ بكُمِ فعمَّ العالمينا
فصاحوا بالدُّعاءِ جميعاً وأنّوا من جَوى الأحشا أنينا
فَعَجِّلَ بالشِّفاءِ لكمْ سريعاً ومَنَّ على العِبادِ المُرْتجينا.

= يحيى والادارسة، اشتغل بالعلم والتدريس بمحل المَدَان من جبل الاهنوم وعمر جامعاً انظر نزهة النظر، ٥٣٢.

(1) خَوْلان: من القبائل اليمنية الكبرى وهي ثلاثة أقسام، خولان صنعاء، وخولان صعدة، وخولان قُضاعة وهي من خولان ابن عاجز، والمقصود هنا خولان ابن عامر، ومن بطونها رازح وحَيْدان وغيرها، انظر، معجم المقحفي، ٢٢٢ - ٢٢٥ (تسكن مناطق واسعة من محافظة صعدة).

(2) اسماعيل بن علي الفضلي الآنسي: قاضٍ، علاّمة، هاجر إلى الإمام شرف الدين، وتولى له القضاء ببلاد خولان الشام بجهات صعدة، وللإمام المنصور في جبل رازح ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠، انظر، نزهة النظر، ١٩٥ أئمة اليمن، ٣٠.

(3) جبل رازح، إحدى قضوات صعدة، الجبل المشهور والبلاد التابعة له غرب شمال صنعاء انظر أئمة اليمن، ٣١ (سيرة المنصور) ٢١٠، معجم المقحفي، ٢٥٨، نشر العرف، ١/ ٧٨٨.

ثم إنها تتابعتْ إلى حضرتِهِ الشريفةِ الوفودُ، وكلُّ مَنْ وصل أخذ منه البيعةَ والعهودَ.

فصـــــل

في ذكر الوقائعِ التي طالَ ذكرُها وانتشرَ أمرُها، وصكّت المسامعَ.

وقعةُ الشاهل(1):

وهوَ أوّلُ فتحٍ، قمعَ الله به حزبَ الباطلِ، وأيقنتْ بسببِهِ جميعُ القبائِلِ، أنّ هذا الامام قد قامتْ على سعادتِهِ الدلائلُ. وصفتها:

أنَّ أهلَ مدينةِ الشاهلِ كتبوا إلى حضرةِ الإمام عليه السلام بأنه زادَ الجَوْرُ من العجمِ، ومرامُهمْ أنَّ نارَ الحرب تُضْـرَمُ، في أيِّ جهـةٍ من الجهاتِ اليمنية، عسى أن يكـونَ ذلكَ شاغلاً ومخفِّفاً لبعضِ الجَوْرِ والأذيّة. وكان المتصدِّرُ للمكـاتبةِ السيدَ العلّامةَ محمدَ بنَ يحيى الشهاري(2)، وهو حينئذٍ القدوةُ في الشرفِ، والسيدُ الذي ينتهي إليه الشرفُ، فكأن العجمَ فَطِنوا لذلك

---

(1) الشـاهـل: جبـل وبـه قرية تحمل نفس الاسم، يقع في قضاء الشرفين في حده الجنـوبي، في الشمـال الغـربي من مدينـة حجـة بحـوالي ٣٧كم، انـظر، معجم المقحفي، ٤٣٨، .Wilson, p, 198 تاريخ اليمن (من كتـاب كنـز الاخيار)، تحقيق عبدالمحسن المدعج، ١٤٥، من حجور البُشرى وحجور أبو منصور الشرف الأسفل ومنه الشاهل الجانب الشامي والجانب اليماني.

(2) محمد بن يحيى الشهاري هو السيد العلامة القائمقام محمد بن يحيى بن إبراهيم الشرفي الحسني ت ١٣١٨هـ، انـظر أئمة اليمن، ٢/١٨، توفي سنة ١٣١٨هـ، بمدينة حجة، أئمة اليمن، ٢/٣٣١، ١/٧٣.

المـرامِ ، وعَرَفوا ما قصدَهُ أُولئك الأعلامُ، فجهزّوا محمد عارف قومندان[1] لحربِ أهلِ الشاهلِ ، فوصَلَ إليهم بجيشٍ هائل، وقد أظهر التجبُّر والتكبّرَ، فلما وصل إلى قُفْل شَمْر[2] في يومِ الأحد، الثاني من شهرِ شوال سنة ١٣٠٨ رمى من فورِهِ أهلَ الشاهلِ بالمدافعِ، فلم تُغنِ عنه شيئاً. وكان الله هو المدافعَ.

وفي يوم الـربوعِ، تقدّم بطابورٍ من العجم، وعلى المجاهدين هَجَمَ، فثبَّت اللهُ المجـاهـدين، وأنـزَلَ سكينَتَـهُ على المؤمنين. فانهزمت العجمُ، وانجلتِ المعـركـةُ عنْ خمسـةِ مقـاتيلَ منهم، ورجـعَ محمد عارف منكَّسَ الرأسِ، متغيَّر الحواس.

وفي يوم ثاني وعشرين من الشهرِ المذكورِ، نهضَ أعداءُ الله إلى الحرب يُهْـرَعـون، وبــرزوا بمـا عليـه مـن القـوّةِ يقـدرون. فـوقـع الحـربُ فـي عـارضـةِ جبـلِ الشاهل، منْ وقتِ الفجر إلى طلوع الشمس[3]، وانهزمتِ العجمُ وقُتِلَ منهم مئةُ نفرٍ، استبشر الدهرُ بقَتلِهم وابتسم، ومن جملةِ القتلى رأسُهم وطاغيتُهم

---

(1) محمد عارف بك (قومندان عسكر الترك)، ضابط، قتل في معركة الشاهل بينه وبين القبائل انظر، أئمة اليمن، ١٨.

(2) قُفْل شَمْر: شمَرْ، بلد في حجور (كُحْلان عَفَّار)، إليه ينسب الحصن المسمى قُفْل شَمْـر انـظر، الاكليل، ٥٣/٢، معجم الحجري، مادة شَمْر، معالم الآثار، ٧٥، معجم المقحفي، ٣٦٢.

(3) انظر أئمة اليمن، ١٨/٢ (سيرة المنصور بالله).

محمد عارف، فكانَ في ذلك عِبرةً لكلِّ متكبِّرٍ ومخالِفٍ. ولما أصابَهُ الرصاصُ اتّكأ على سيفِهِ وجعلَ يطلُبُ الأمانَ، ولاتَ حينَ مناص. فبادَرَ إليه مَنْ لا يعرِفُهُ مِنْ أهلِ الإخلاصِ، فاحتزّ رأسَهُ، وأبلغوا به الإمامَ ـ عليه السلام ـ وطيفَ به في البلادِ، وقالَ لسانُ الحالِ: هذا جزاءُ من ظلَمَ العبادَ، وسعى في الأرضِ الفسادَ، واستُشهِدَ / من المجاهدين ثلاثةَ عشرَ ٩ب رجلًا، وغنِمَ المجاهدون من الأسلحةِ وغيرِها غنيمةً عظيمةً.

وكانَ القبائلُ الذين باشروا القتالَ في هذا الحربِ، وحازوا الفخرَ في صناعةِ الرمي والضربِ، هم ساداتُ الشاهلِ، ورجالَ الجَبَر[1]، ورأسُهم الشيخُ منصر بن ثابت السنيدار، وقبيلة أفلح[2] ورأسُهم الشيخُ حسن ذياب، ورجالُ بني كعب[3] ونُوسان[4] وبني جل[5] مع مَنْ وصل إليهم مِنْ عسكرِ الإمام عليه السلامُ صحبةَ المقدّمي السيدِ العلامة إبراهيم بن قاسم الشرفي[6].

---

(1) الجبرَ، من الشرف الأعلى من حجور البُشرى وجَبَر الشَرَف غير جَبر حجة، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٥، اليمن الكبرى، ١٦٦، مصادر الفكر الاسلامي، ٤١٠.

(2) أفلح: قبيلة من همدان بناحية الشرف وأعمال حجة انظر، اليمن الكبرى، ١٨٧، وبلاد أفلح من حجور الشام.

(3) بنو كعب: من قبائل الشرف في حجور البُشرى، انظر، معجم المقحفي، ٥٣٨.

(4) نُوسان: عُزلة من ناحية كُحلان الشرف بالشرف بالشرق الشمالي من حجة بمسافة ٢٤كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٨٠، التعداد (حجة)، ١٧٧، معجم المقحفي، ٦٦٨ (من الشرف الأعلى) من حجور من بلاد همدان.

(5) بنوجل: قرية في بلاد الشرف، انظر، معجم المقحفي، ١٢٦.

(6) ابراهيم بن قاسم الشرفي الأهنومي الحسني، عالم مشارك في الفقه وغيره، تولى جبل =

ومنْ أعجبِ ما يُذكرُ أنَّ رجلاً من المجاهدين رمى بعضَ العَجَمِ فأخطأه، فأقبلَ نحوَه العجميُّ، وجعلَ يضربُهُ بسيفٍ كانَ معه. وأمسكَهُ بقوةٍ لا يقدِرُ معها على طعنِهِ، فعضَّ على حلقوم العجميِّ عضةً فاضتْ منها نفسُه.

وكان محمد عارف قد أقسمَ لا يتغدّى إلا في بيتِ السيد محمد بن يحيى الشهاري، فلم يأتِ وقتُ الغداء الا ورأسُه في ذلك المكان.

ولما وقعتْ هذه الواقعةُ، صارت للعجم خافضةً، وللمجاهدين رافعةً، وبلغَ الخبـرُ صنعـاءَ، إلى الوالي إسماعيل حافظ، فأيقنَ بالخذلانِ قطعاً، وكتبَ بصفةِ هذه الواقعةِ إلى جميعِ حكوماتِ اليمنِ. فكانَ ذلك مما أَرَّثَ في قلوبِهم الوهنَ.

وبعدَ هذه الوقعةِ، انحازَ منْ بقيَ من العَجَمِ إلى بني مَدِيْخة[1] وقُفْل شَمْر، وقد ذهلتْ عقولُهم لما دَهَمَ من الأمرِ. ولما وصلَ إلى العجمِ رجلٌ من حَجُور يُسَمَّى أحمد نور[2]، فأشار على العجمِ بنصبِ المدافعِ على الشاهلِ، والموجبُ لذلك ضغائنُ بين أولئك القبائلِ، فلم يَحْظَوْا من ذلك

= رازح للإمام المنصور بالله ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م وقبره في هجرة معمرة من بلاد الأهنوم، انظر، أئمة اليمن، ٣٧٨، لامية نبلاء اليمن، ٣٧، نزهة النظر، ١/ ٢٩.

(1) بنو مَدِيْخَة: من قبائل بلاد الشرف وأعمال حجور البشرى، انظر، معجم المقحفي، ٥٧٥.

(2) حَجُور: حول حَجُور وتقسيماتها وبلدانها وقبائلها، انظر، معجم المقحفي، ١٥٦ - ١٥٧، تاريخ اليمن الثقـافي، ١/ ٥٥، اليمن الكبـرى، ١٦٦، مصـادر الفكـر الإسلامي، ٤١٠، الصليحيون، ١٩٣، اعلام الاسماعيلية، ٢٨٠.

(3) أحمد نور من قبيلة حجور اليمن انظر، المقحفي، ١٥٦.

الـرأي بطائـلٍ. بلْ رمى المجـاهـدون طوبجيَّ المـدافـعِ، وكانَ الله نعمَ المُدافعُ. وأمَّا أحمد نور فإنَّهُ نزل به الحَيْنُ فجأةً بعد ذلك.

ثمَّ إن الإمام حفظهُ الله، جعلَ أمرَ تلك البلادِ للسيدِ العَزي، والمقدمّي الصارم، إبراهيم بن قاسم.

وفي التهنئةِ بهذه الوقعةِ، يقولُ السيدُ الأديبُ عبدُالله بنُ يحيى الخاشب شعراً من قصيدة مطلعها:

[الطويل]

بُعِـثْـتَ نظامـاً في بياضٍ محـرّرا بحـجَّـةَ والقُـطر اليمـاني مُبَشِّـرا
إلى القائمِ المَنْصورِ والأسدِ الهَصو رِ والسيِّدِ المَشْهـورِ حَرَّرْتَ مأثرا[(1)]
أُبَـشِّـرُ مولايَ الـمـؤيَّدَ بالـذي له فَتَـحَ الـرَّحْمنُ فَتْحـاً مُكَـرَّراً
بَدَتْ غُرَّةُ الإقبـالِ واليُمْنِ بُكْـرةً صَبيحـةَ يومٍ كانَ بالنَّصْـرِ أزهـرا
من الشَّرَفِ المَلْحوظِ مِنْ ربِّ قاهرٍ يُعَـزُّ به، خصَّ[(1)] الكُماةَ الكواسرا
رجـالٌ منَ الأشرافِ مِنْ آلِ حَيْدَرٍ ومِن عَرَبٍ أُسْـدِ الحلاحل والشَّرا
ليوثٌ إذا شبَّتْ لظى الحربِ أشْرعتْ بمســطونــةٍ مصقــولـةٍ تهتِـكُ العُـرا
بعارفَ ضحَّتْ قبلَ يومِ الضحى وبال[(2)] أعاجِمِ في الذّاري[(2)] لَهُمْ كانَ مَفْخَرا

(١) وردت بعضُ الأبيات في أئمة اليمن، ١٩.

(٢) الذاري: الذاري في اليمن كثير والمقصود محلة في الشرفين من عُزلة مروح انظر معجم المقحفي، ٢٤٨.

(١) في ع، حظ.

(٢) في أ، م، وبالا.

فأَسْمِـعْ بتلكَ السّـادةِ الغـرِّ أوَّلاً　　وتـاليهمُ الأنصـارُ سمعـاً ومَخْبـرا

وفي ذلك يقولُ أيضاً الفقيهُ الشرفي، حسينُ بنُ أَحمدَ العرشي(1):

[الطويل]

وفي الشّاهل المعروفِ جَالَتْ فوارِسٌ　　عليهـا إذا حانَ الـطِّعـانُ دُرُوعُ

وظـلَّتْ سيوفُ الـمُـؤمـنـين كأنهـا　　قبـايسُ نارٍ والـرجـالُ نَهِـيْعُ

وقـامتْ قنـاةُ الـدينِ في عودِ منبرٍ　　تُنـادي ألا إنَّ الـطِّعـان سريعُ

ولمـا التقى الجُنْـدانِ والحقُّ بَيِّنٌ　　وكـلٌّ له في مغـرسَـيْه فروعُ

١٠أ /فهـذا يَرى لله ذا الـدِّينَ لا يرى　　سِواهُ وذا في ذاكَ لَيْسَ يُطيعُ

فكـلٌّ لهُ هَمٌّ بهـمّ لأجْـلِهِ　　وشَـتّـانَ هَمٌّ صادِقٌ وشـنـيعُ

---

(1) حسين بن أحمد بن صالح العرشي الخولاني الصنعاني، ولد سنة ١٢٧٦هـ بهجرة الكبس من خَوْلان وبها نشأ، أخذ عن العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي، وعلي بن حسن الديلمي، أديب، شاعر، لازم المتوكل على الله يحيى حميد الدين، وكان خطيبه ومنشى رسائله، لازم الامام المنصور بالله من نحو سنة ١٣١٠هـ، وكان من أعيان حضرته، وتولى الكتابة له مع غيره من الاعلام، ألف «بهجة السرور في سيرة الامام المنصور، وساق فيها الأحداث إلى سنة ١٣١٧هـ، فقط ولم يكملها إلى عام وفاته سنة ١٣٢٢هـ، صنف، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى من ملك وامام فرغ من تأليفه ١٣١٨هـ، ط مصر ١٣٥٨ (طبعة سقيمة)، وله، الدر النظيم فيما كان بين أهلِ اليمن والعجم، أرخ فيه لكل قبيلة من العرب، وله رسالة سماها «كحل الأحداق في مرثية مكارم الاخلاق والتعريف بمكارم الخلاق» ت ٢١ ذي الحجة ١٣٢٩هـ انظر، نزهة النظر، ٢٤٩ ـ ٢٥٤، ووردت بعض الأبيات في أئمةِ اليمن ٣/ ١٩، أئمة اليمن، ٣/ ٢٢٦.

أرادتْ[1] بُغاةُ العُجْمِ ما لمْ يكُنْ لَهُمْ إليهِ وضَرْبُ الضَّاربين رُجوعُ

وحينَ استدارَ الحَرْبُ والفجرُ قد أضَا وغابَ الدُّجى إذْ غابَ وهو شفيعُ

أباحتْ سُراةُ المسلمين سُراتَهُمْ وأعمارَهُمْ فالمترفون[2] جذوعُ

فمِنْهُمْ جريحٌ عطَّر السَّيْفُ نَفْسَه بعَنْدَمِهِ(1) والدايراتُ لسِيْعُ

وآخرُ شَدَّ السَّاقَ فانْجابَ هارباً ومنهمْ أسيرٌ مُوْثَقٌ وصريعُ

وما للسُّيوفِ الباتراتِ مناهلٌ يَرِدْنَ سوى أعدائِها وولوعُ

فغادَرْتَهُمْ كالصَّيْدِ لفَّتْ فأوقعتْ عليها طيورٌ والشَّبّاكُ جميعُ

ولا عيبَ في أبْدانهم غيرَ أنّها وهاماتِهم ما بينهن شسوعُ

أعارفُ هلاَّ أُبْتَ أوْ تُبْتَ قبلَ أنْ تؤدبَ[3] فضربُ المؤمنين فظيعُ

ولو أُبْتَ ما آبَتْ حُتوفُكَ إنّما لربِّكَ في القَوْمِ الكِرامِ صنيعُ

أراكَ ظَنَنْتَ القومَ لا موتَ عندَهُمْ وخِلْتَ الرُّوا والسمُّ فيه نقيعُ

ولله قَوْمٌ لا يقومُ عُدُوهُمْ لواحدِهم أم كيف أنت خضيعُ

فيا وقعةً أنْبَتْ بيُمنٍ ومِنَّةٍ وطارتْ بها الرُّكبانُ وهي تذيعُ

ويا صدمةً إستوعَبَ الحقُّ ذِكْرَها فما إنْ لها عن حافتَيْه رُجوعُ

بها ماتَ أقوامُ الظَّلامِ وأشرقَتْ شموسُ العُلا في الهندوانِ مُريعُ

---

(1) العندَم: هو البُقَم، خشب شجر عظام، ورقه مثل ورق اللوز الأخضر، وساقه وأفنانه حُمرٌ، انظر الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٤١/٣، نهاية الأرب، ١٣٧/١١ معجم أسماء النباتات للدمياطي، ١٠٨.

---

(١) في ع، أرات، في م، إرادة.

(٢) في ع، فالمترفات.

(٣) في أئمة اليمن، ١٩ تأوب.

ومنهــا جُنودُ الـظَّالمين تقَـاعَـدَتْ فكــلُّهُــمُ للمســلمـينَ ربــيعُ
أيَكْـتُـمهــا ذو همــةٍ قَدْ رسَتْ به لدى كلِّ مرفــوعِ الجَنــابِ فُرُوعُ
وما كان يَبْغي العُجْمُ بالحق قلْ لَهُ إلـيكَ! فميدانُ الـقـتـالِ وسيعُ
ومـا عذْرُ مَنْ آوَىٰ العُـلا في دِيارِهِ وفــي نَفْـسِــهِ إلاّ إلــيهِ رُجــوعُ
فكــلُّ مُعّــدٍ نفــسَــه لا نُعِــدُّهُ فيشــكُــرَه، حتــى نراهُ مريعُ
وســرُّ الــذي أتــيتَ أنَّ علوَّهــا له في قلوبِ الـظَّالمين خضــوعُ

وفي شهـرِ القعـدةِ الحـرامِ مِن السنـةِ المذكورة، أرسلَ الإمامُ ـ عليه السـلامُ ـ قدر مئـةٍ وخمسين رجُـلاً إلى حصن الـظفير[1]، بـلادِ حَجّـة[2] ومقدِّميهم السيدَ عزَّالإسلام محمد بن يحيى بن الهادي[3]، والشيخ ناصرَبن مبخوت الأحمر[4]، وكانَ وصولُهم حصنَ الظفير في ثلثِ الليلِ الأخير، فلم يشعرْ أهلُه إلّا، وقد استوْلَوْا على ذلك، فحينئذٍ أذْعَنَتْ جميعُ البلادِ بالطاعةِ،

(1) حصن الـظفِير: معقـل مشهـور ببلاد حجة على مسافة ثلاثة أيام غرباً شمالاً من صنعـاء، في عزلـة بني حجـاج، انـظر أئمة اليمن، ٢٠ (سيرة الهادي)، البلدان اليمانية، ١٨١ (الأكوع)، نشر العرف، ٤١٨/١، اليمن الكبرى، ١٠٥.

(2) حَجَّة: تقع بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٢٧كم، على قمة جبل، انظر، اليمن الكبرى/١٠٠، معجم المقحفي، ١٥٧، البلدان اليمانية للأكوع، ٨٣.

(3) محمد بن يحيى بن أحمد بن الهادي الحسن ينتهي نسبه إلى المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، صاحب المدائر، بجهة حبُور وبلاد ظليمة، ولد سنة ١٢٧٤هـ، كان عالماً لازم الإمام المنصور بالله وتولى له عدة أعمال، ت ١٣٣٨هـ في الشرف، انظر، نزهة النظر، ٥٩٢.

(4) ناصربن مبخوت الأحمر الحاشدي. شيخ مشائخ قبيلة حاشد في ذلك الوقت، انظر أئمة اليمن، ٤٧/٢، وثائق يمنية، ٢٤٤.

وفيها أيضاً، أرسلَ الإمامُ عليه السلامُ السيدَ عبدَالله بنَ أحمد المتوكل إلى بلادِ لاعةَ[1] وصحبتَهُ جماعةٌ، / فَقَبَضَ المعاقِلَ، وأذعنتْ له جميعُ القبائلِ. ١٠ب

وفيه أيضاً، أخذَ العسْكرُ الذين في الظفير[2]، مِنْ قارعةِ الطريقِ أحمالاً للعَجَم فيها دقيقٌ. واتَّصَلَ بهذا فتحُ الظَهْرَين[3] من حَجَّةَ، وهو أنّ ناساً من أهلِ الظهرين طلبَ الشيخَ ناصر مبخوت، وطلبَ بعضَ العسكرِ مِنَ الظَّفير، ودخلَ البيوتَ: بعضها بالرغبةِ، وبعضَها بالرهبةِ إلّا الشيخَ محمد القَيْلي، فإنّهُ امتنعَ عنِ الدخولِ في الطّاعةِ، لكونِه صاحبَ قنطرة العجم[4]، فأرادَ المقاتِلةَ، ورقي إلى المجاهدين بحَجَرٍ، فرعاهُ رجلٌ من أصحابِ الشيخِ ناصر، فقتله.

وقعة الظَهْرين

وصفتُها: أنّها خرجتْ طائفةٌ من العَجَمِ مِن مدينةِ حَجّة على مَنْ في الظَهْرَين مِنَ المجاهدين، فوقعَ القتالُ بينهُمْ هنالِكَ، وانهزمتِ العَجَمُ، وقُتِلَ منهم خلقٌ كثيرٌ، وانقلبوا إلى حجَّة صاغرين. وفي خلالِ ذلكَ بَلَغَتِ الأخبارُ

---

(1) لاعة: بلدة من أعمال حجة، إليها تُنسب عدن لاعة انظر، معجم المقحفي، ٥٤٧، مراصد الاطلاع، ١١٩٤/٣. المفيد في تاريخ، ١٥٢.

(2) الظفير: بلدة في الجهة الشمالية من حجة بمسافة ١٧كم، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥ نشر العرف ٤١٨/١، البدر الطالع، ٧١/٢.

(3) الظَهْرَين: أحد أحياء مدينة حجة بالقرب من قلعتها الشهيرة، القاهرة، انظر، معجم المقحفي، ٤١٥.

(4) صاحب قنطرة العجم: أي الذي يجمع لهم الضرائب من غلالٍ وغيرها.

بوصول طائفةٍ من العَجَم مِن جهةِ تهامة، فتلقّاهُم بعضُ حاشد، وجماعةٌ من الرَّعايا إلى قلعةِ ابن حميد وإلى الحُصَيْب[1]، فناوشوا الحَرْبَ قليلاً، وفرَّت حاشدٌ، فدخلت العجمُ حَجَّة.

وفي الليلِ هَرَب مَنْ في الظَّهْرَيْن من حاشد بلا سَبَبٍ إلّا متابعةً للظّنِّ الفاسد.

وقد كانَ أرسل إليهمْ وكيلُ الإمامِ عليه السلامُ ـ الذي في الظفيرِ أحمالاً من المونة كثيرةً، فلقيتْهُمُ الرُّسلُ في الطريقِ، وقد سُلِبوا التوفيقَ.

ولما عرَفَ الإمامُ عليه السلامُ ما كان من أمرِ حاشد، وأنَّ طلبَهم الجهادَ لم يكنْ إلّا لمقاصدَ، أطلقَ رهائنَهُمْ، وأظهرَ التَّبَرُّمَ عليهم. ولمّا رجعوا إلى بلادِهم وبَّخَهم الحاج الفاضلُ زيدُ بنُ صالح الرضي على فعلِهم الذي هو غيرُ رضي. فأجمعَ رأيُهم على استعطافِ الإمام بكتابٍ. وأعلنوا إليه بالمتاب، فرجَع إليهم الجوابُ: أنْ ارجعوا حجَّةَ. وأقَّرَ عليهم الحاجَّ زيدَ بنَ صالح الرضي. فلَّما وصلوا بني العوام[2]، خرجَ الشيخُ(١) حزامُ بنُ قاسمِ الأحمر، وقايد بن مهدي نجمُ الدينُ من نجرةَ، حتّى وصلا حَجَّةَ مستنفرين للعجمِ،

---

(1) الحُصَيْب: اسم يطلق على مدينة زبيد ووداديها انظر معجم المقحفي، ١٧٦، البلدان اليمانية للأكوع، ٨٩، معجم المقحفي، ١/ ٢٦٢.

(2) بنو العَوَّام: ناحية من نواحي حَجَّة، منها عُزلة الصُرابي وعُزلة بني قُدَم وعزلة بني الذواد وغيرها، وإليها ينسب بنو العَوَّامي، انظر، اليمن الخضراء، ١٠٢، نشر العرف، ١/٥٤٢، ٧٤٦.

---

(١) سقطت من ع.

طالبين منهم الغارة ممَّا قد ألمَّ.

وقعة نَجْرَة[1]

وصفتُها: أنّها خرجتْ طائفةٌ من العجم ِمِن حجَّة بسبَبِ الاستنفار حَسْبَما تقدَّمَ، فلما وصلوا إلى محلٍّ من نَجْرَةَ، يُقال له قُدَم[2] في وقتِ السحرِ، وقعَ الحربُ بينهم وبينَ جماعةِ الحاج زيد، وتقاتلوا إلى نحوِ ثلثِ الليلةِ الثّانيةِ، وبعدَ ذلكَ وَلّى العَجَمُ منهزمين. وانجلت المعركةُ عَنْ مئةٍ وخمسين قتيلاً من العَجَمِ، ومكاوين[3] كثيرين، وغنِمَ الجاهدون السلاحَ. واستُشهد منهم نحوُ من اثني عشر رجلاً، وبقي من العَجَمِ بقيّةٌ بعدَ القَتول صاروا، محصورين في بعض بيوتِ نَجْرَةَ قريباً من أسبوع.

وفي خلالِ ذلك عَزَم الشيخُ ناصرٌ وصحبتَهُ جماعةٌ، يتلقى حمولةً للعَجَمِ إلى الطريقِ، وهي قدرُ مئتي حِمْلٍ من الدقيقِ، فتلقّاها إلى الحُصَيْبِ، فحملَ منها البعضَ الذي قَدَرَ عليه هو وأصحابُه، وأحرقَ الباقي، فيمّا علِمَ المحاصَرُون بنَجْرَة أنها قد انقطعتْ عليهم الميرةُ، تَوَلَّوْا هاربين، وفي ذلك يقولُ السيدُ الأديبُ عبدُالله بن يحيى الخاشب، حماه الله تعالى:

[الطويـــل]

---

(1) نَجْرَة: عُزلة من ملحقات حجة في الجنوب الغربي منها. انظر، معجم المقحفي، ٦٥٦. وهي من ناحية الشغادرة، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٧٣٨.

(2) قَدَم: جنوبي حجة من بلاد نجرة، انظر الاكليل، ٣١٨/١، قرة العيون، ١٧٨، صفة جزيرة العرب، ١٢٥ اليمن الكبرى، ١٨٧، تاريخ اليمن الثقافي ٥٥/١، أئمة اليمن، ٢/ ٢٠.

(3) الكـون: عبـارة عن الإصـابـة بالـرصـاص غير القاتلة، ويُقال للجرحى بالرصاص مكاوين، انظر، صفحات مجهولة، ٢٠.

وعَطِّرْ بذكْرِ السَّيدِ[1] الماجد الذي ... بحــاشــدِ أنصــارِ الأَئمــةِ قد سَرَا

هِزَبْـرُ الوغى عِزُّ الهُدى جادَ غازياً ... فَصَّبــحَ في حصنِ الـظُّفير مُظَفَّـرا

تَسَنَمَّ أعلى ذروةِ المَجْـدِ فاستـوى ... على عَرْشٍ عِز شامـخِ الذِّكْرِ والذُّرا

١١أ / ولاحَتْ لهُ مِنْ بعـدِ ذلـكَ فُرْصـةٌ ... فأرســلَ فوراً بعــدَ ذلــك ناصـرا

فدوَّخَ بالأنـصـارِ نَجْـرَةَ كلَّهــا ... ومُســوحَهــا ثم الشغــادِرَ والعُــرا

وحــجَّــةُ بالـغــربـيِّ عزَّتْ ببعثــةٍ ... إليها منَ الأنصارِ في اللّيلِ عَسْكرا

أحــاطُـوا بها مِنْ كلِّ قُطْرٍ وأَمْطروا ... عليهــا منَ المَصْبـوبِ ما صيبَ أحمرا

أعــاجِمُهــا في كلِّ يومٍ تَنحَّــروا ... فهمْ كَجُـذوعٍ خاوياتٍ على الثّرا

غرابُ البِــلا والبَيْنِ صاحَ بِحَتْفِهِمْ ... فحــامَتْ منــاياهُمْ عليْهِمْ كمــا ترا

وَمَسْوَرُ أضحى باسمَ الثغر إذْ أَتَتْ ... إليه جُنــودُ الحقِّ تبتــارُ في السُّــرا

وعَمْرَان [1] قد جاشَتْ جيوشٌ وأحدَقَتْ ... عليه رجــالٌ لا تراهــا تَقــهْــقَــرا

فبُشْــرى لمــولانا الإمــام محمَّــدٍ ... وبُشــرىٰ لنــا بالقَــائمِ الطَّيِّبِ الذُّرا

أرى بعيونِ الفِكْــرِ في كلِّ وجهــةٍ ... وميضَ بروقِ النَّصْرِ كالبرقِ إنْ سرا

فلا بُدَّ مِنْ فتــحٍ قريبٍ مُعَجَّــلٍ ... يَعُــمُّ أزالاً والــبــنــادِرَ والــسَّــرا

مِنَ الله أرجُـو نَصْرَ مولايَ مَنْ له ... مِنَ اللهِ حفظٌ مِنْ أمــامٍ ومِنْ ورا

---

(1) عَمْـرَان: مدينة شمال صنعاء بمسافة ٤٨كم، بأعلى البون انظر، المفيد لعمارة، ٢٦٣، مراصد الاطلاع، ٢/٩٦٠، صفة جزيرة العرب، ١٦٧، اليمن الكبرى، ٨١، ١٨٤، صفحات مجهولـة، ٢٩، معـالم الآثـار، ٦٢، معجم المقحفي، ٤٦٤، الاكليل، ٢/١٥٨.

---

(١) المقصود، السيد العلامة عز الإسلام، محمد بن يحيى بن الهادي.

وهـاكَ إمـامَ العصـرِ منّي عروبـةً		معّـجلـةً منـكَ القبـول لهـا قِرا
وصـلِّ إلـهـي كلَّ يوْمٍ ولـيلةٍ		على أحمـد والآلِ هُمْ سادةُ الورا

وخلال هذه الحوادثِ أرسلَ الإمامُ، عليه السلامُ، السيدَ الهمامَ، واللَّيْثَ الضِّرْغامَ، أحمدَ بنَ محمدٍ الشرعي(1)، رحمهُ الله تعالى، إلى بلادِ أرحبَ، ومَنْ جاوَرَهُمْ من القبائلِ، يحثُّهم على الجهادِ الذي وَجَبَ. وكانوا إلى ذلك أشوقَ منَ الهَيْمِ إلى الوُرودِ. ومحاصرةُ صنعاء عندَهُمْ أعظمُ المقصودِ؛ لما في ذلك من حَسْمِ مادّةِ الفتن، وإخمادِ نارِ المحن، وحين وصَلَ، رحمهُ الله، إلى هنالِك، كتبَ إلى جميعِ القبائلِ المحيطةِ، وهمْ رجالُ هَمْدَانَ وأرحبَ، وبني الحارث(2) وعِيال سُريح(3). وكانَ اجتماعُهم في دربِ هِزَم، ورأسَهُمْ بالحثِّ على تلكَ المقاصِدِ المَحْمودةِ الشيخُ العمادُ يحيى بنُ يحيى دوده، فوقعَ إجماعُهم على نُصْرَةِ الإمامِ، ووجوبِ مُتابعتِه ومُناصرتِه على الخاصّ

(1) أحمد بن محمد الشرعي الحسيني ينتهي نسبه إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة، نشأ بصنعاء، وكان من أعوان الأئمة الهادي لدين الله شرف الدين، والمنصور بالله محمد بن يحيى، توفي أثر اصابته في سنة ١٣٠٩هـ في قرية القابل، انظر، نزهة النظر، ١٥٤، أئمة اليمن، ٢/٨٥.

(2) بنو الحارث: قبيلة مشهورة تقع ديارها شمال صنعاء بنحو ٥كم من قراها، القابل، عُلمان ثَقبَان، ذَهْبَان، جَدِر، الحتارش، بيت القشم، الغَوْلَة، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٧، اليمن الكبرى، ١٦٦، معالم الآثار، ٢٥، معجم المقحفي، ١٤٢.

(3) عيال سُريح: من قبائل هَمْدَان، شمالي صنعاء بمسافة ٢٨كم، من توابعها، عُزلة الخُمَيّس وعُزلة بني حَجّاج وعُزلة الداية وعُزلة بني عبد انظر، صفة جزيرة العرب، ١٣٧، معالم الآثار، ٢٦٣ تاريخ اليمن الثقافي، ١/٦٣، معجم المقحفي، ٣١٤.

والعام، والسعي في تحصيلِ ذلك المرامِ أعني محاصرةَ مدينةِ سام.

وفي خلال ذلـكَ، أرسلَ السيّدُ الصفيُّ رحمه الله، والشيخُ العمادُ مَنْ أشعَـلَ النارَ في جبالِ بني حِشيش[1] وجبل نُقُم[2]، وكَوُلَةِ العرج[3]، وكَوُلَةِ العرَّة، وقاعِ بني الحارث من قبلي الرَّوضة. وكانَ ذلكَ من الرأي السَّديد، فعلوه لينضمّ إليهمْ مَنْ لمْ يَدْخلْ تحتَ الطاعةِ من بني الحارث وبني حِشيشَ، فبسببِ ذلـك دخلوا كغيرِهمْ، ولإظهـارِ ذلـك على سنحان[4] وخولانَ وبني بهلول[5]، ليعملوا(١) بالإجماعِ على المناصرةِ، فيدخلوا في ذلك، ولِتُشَتَّتَ

---

(1) بنو حِشيش: قبائل تلحق بخولان الطيال، تابعة لمحافظة صنعاء، تتصل بجبل نُقُم وبَرَاش من شرقيها ومن شمالها ببلاد نِهْم وبني الحارث، ومن غربيها ببني الحارث وصنعاء وتنقسم إلى ثمانية أقسام، ثُمن سعوان ومنها بيت اللهيدة، وثمن الرَّوْنة وعيال مالك وصَرف وذي مرمر ورجام، والشَّرَفة والابناء انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٧٨/١، معجم المقحفي، ١٧٤، طبق الحلوى، ٨٨.

(2) جبل نُقُم: جبل صنعاء المشهور والمطل عليها من الجهة الشرقية. يرتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠٠م انظر معجم الحجري، مادة نُقُم، صفحات مجهولة، ٤٢، معجم المقحفي، ٦٦٤، الاكليل، ١٠١/٢.

(3) كَوُلة. حصن وبلد في حاشد من ناحية العشة، والكَوُله، حصن من نواحي ذمار، والكَـوُلة، قرية من عزلة بني سيف التابعة لقفر يريم، والكَوُلة، أكمة غربي روضة حاتم، انظر، معجم المقحفي، ٥٤٤، صفحات مجهولة، ٤١، البلدان اليمانية، ٢٣٤.

(4) سَنْحان: قبيلة موطنها في الجنوب الشرقي من صنعاء، انظر، الاكليل، ٢٤٦/٢، صفحات مجهولة، ٤١، معالم الآثار ٣٦، ٣٩، أئمة اليمن، ٤٠٥/٢.

(5) بنو بهلول: من نواحي صنعاء في الشرق، على نصف مرحلة، يفصل بينها وبين =

---

(١) في م، ليعلموا.

أفكارُ العجمِ في جميعِ البلادِ، حتى لا يقصِدوا واحداً من الشيعةِ المحبّين إلى رأسِهِ خاصَّةً. فمع صلاحِ النيّةِ تمَّ لهمْ هذا التدبيرُ، بعون الله القدير، فلمّا وقعَ التنصير[1] كما ذكَرْنا بلغتِ الأخْبارُ إلى صنعاءَ، فضاقَتِ الأرْضُ بالعَجَمِ ذَرْعاً، ثمَّ تَواعَدَتْ تلكَ القبائلُ بالإجماعِ إلى جَرْبَان[2] وإنَّ ذلك يكونُ/في خامسَ عشرَ شهرِ الحجةِ من السنةِ المذكورة. ١١ب

وفي اليومِ المذكورِ على وفاءِ الميعادِ وصلَ المُقَدّمي المذكورُ إلى جَرْبَان وصحبتَهُ قدرُ خمسةِ آلافِ إنسانٍ منْ أرحب، وثلاثةُ ألافٍ منْ هَمْدَان، وخمسُ مئةٍ منْ عيالِ سُرَيحٍ، وعقدَوا لكلِّ قوْمٍ رايةً، ووقعَ الرأيُ بعزمِ الجميعِ إلى بلادِ البستانِ[3] والحَيْمَةِ[4]. فعزَموا وتوجهوا بلادِ البُستانِ، فلمّا وصلوا هنالك

= ناحية سنحان ويتصل بها من شرقها خولان العالية، انظر مذكرات المؤيد بالله محمد، ٥٠.

(1) التنصير، (في لغة اليمن)، هو إشعال النيران ليلاً في الشواهف،وسط دور القرى إيذاناً بيوم النصر، وبهذا فالتنصير هنا من النَّصر.

(2) جَرْبَان: عزلة من ناحية وصاب السافل وأعمال ذمار، وجَرْبان: قرية من بلاد هَمْدَان بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨كم وهي المقصودة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٤، معجم الحجري ـ مادة جربان ـ معجم المقحفي، ١١٧.

(3) بلاد البستان: بلاد واسعة غربي صنعاء، بها مخاليف عديدة، منها تمر الطريق إلى الحديدة، يحدها شرقاً قاع صنعاء وغرباً بلاد الحَيْمة وجنوباً آنس وشمالاً كَوْكَبان وهمدان، انظر، اليمن الكبرى، ٧٦، صفحات مجهولة، ٣١، رياض الرياض، ١٢٢.

(4) الحَيْمَة: ناحية مشهورة إلى الغرب من صنعاء بمسافة ٣٧كم، وتنقسم إلى الحَيْمَة الداخلية والحَيْمَة الخارجية، مركز ناحية الحَيْمَة الداخلية العر، ومركز ناحية الحَيْمَة الخارجية مفحق انظر، نزهة النظر، ١٤٤، طبق الحلوى، ٧٨، اليمن عبر التاريخ، =

انضمَّ اليهم المجاهـدون منْ بلادِ البستان والأهجرِ، وما يلي ذلك، وعَزَمَ الجميعُ حتى وصلوا مَسْيَب[1] وما يليها، فلَمْ يشعروا إلّا بمكتوبٍ من أحدِ الشيعـةِ من أهـلِ صنعاءَ مُخبراً لهم بأن العَجمَ خارجون يومَ ثاني. وأنَّهم قاصدون الرَّقة[2] إلى عَمْرانَ. فرجَعَ القومُ بأجمعهم إلى شقّ[(١)] بلادِ هَمْدَان. وخرجتِ العَجمُ متوجّهين طريقَ الرّقةِ، فلمّا رأَوْا المجاهدين قد التقَوْهُمْ إلى الأزرقين[3] رجَعوا من ذَهْبَان[4] إلى بيت نَعَمْ[5].

وفي اليومِ الثاني التقاهُم المجاهدون [(٢)]إلى رأسِ نَقيل بيت نَعَمْ، وقدرُ العجمِ ثلاثةُ طوابيرَ، ووقع الحربُ هنالكَ، وانهزمَ المجاهدون[(٢)] حتى وصلوا

= ٥٢، صفحات مجهولة ٢٣٠ معالم الآثار، ٣٧، نشر العرف ٢٥٢/١.

(1) مَسْيَب: قرية في بني مطر، من عزلة بني الراعي، من قرى بلاد البستان (بني مطر) غرب صنعاء انظر، صفحات مجهولة، ٣١، الاكليل، ٣٥٥/٢، معالم الأثار، ٣٦، صفة جزيرة العرب، ١٥٧، البدر الطالع، ٥٨/١.

(2) الرَّقةَ: قرية من بلاد هَمْدَان بالقرب من ثُلا، انظر، معجم المقحفي، ٢٧٢.

(3) الأزرقين: اسم جبل صغير قرب صنعاء إلى الشمال منها، انظر، طبق الحلوى، ١٤٤.

(4) ذَهْبان: قرية شمالي صنعاء فيما بين ثَقْبَان والجِرَاف، اتصل عمرانها بمدينة صنعاء انـظر، صفة جزيرة العرب، ٣٤٧، معجم البلدان لياقوت. مادة ذهبان، الاكليل، ٣٢١/٢، معجم المقحفي، ٢٥٣، البلدان اليمانية، ١١٥.

(5) بيت نَعَم: قرية في أعلى وادي ضهـر من أعمال ناحية هَمْدَان، انظر، صفحات مجهولة، ٨٨، السفر الثاني من رياض الرياحين، ٨٦.

---

(١) في ع، جانب.

(٢ ٢) سقطت من ع.

ذَرْحَان[1] فلحقَهُم العجمُ إلى هنالك.

ووقعَ فيما بينهم الحربُ إلى غروبِ الشمس، وكانتِ العجمُ قدْ أحاطوا على ما في ذَرْحَانَ من المجاهدينِ من كلِّ جهةٍ. فغارَ الشيخُ يحيى بنُ يحيى دوده بمنْ معه من جهةِ الشرقِ. وغارَ المقدَّميُّ صفيُّ الإسلام بمنْ معه من جهة القِبْلة.

وقعةُ ذَرْحَانَ، وقاع المنقّب[2]

وصفُتها: أنّه لما أغارَ سيدي صفيُّ الإسلام، والشيخُ يحيى بنُ يحيى دوده من الجهتين، وقعَ الحربُ بينهم وبين العجمِ حتى شغلوهم عن المجاهدين الذين في ذرحان. فانهزمتِ العَجَمُ إلى عدني ذَرْحَان[3].

وهَجَمَ عليهم السيِّدُ صفيُّ الإسلام بمَنْ معهُ قاصداً لأخذِ المدفع، فحينئذٍ قاتلت العجمُ أشدَّ القتالِ. وكانَ بعضُ العجمِ في المنقّب. فهجَمَ عليهم المجاهدون من كلِّ جهةٍ. وقامتِ الحربُ على ساقٍ إلى نصفِ الليل، وقُتِلَ منَ العجمِ خلقٌ كثيرٌ. وأقامتِ العجمُ بعدَ ذلك في المنقَّب يوماً واحداً. وأجمعَ رأيُهم على الرَّحيل إلى عَمْرَانَ، فتلقَّاهُم المجاهدون، فانقلبوا إلى جهةِ المغربِ، وهم خائفون وَجِلُون، حتى بلغُوا حجرَ سعيد[4]، فتلقّاهم

---

(1) ذَرْحان: قرية من ناحية هَمْدَان صنعاء من عزلة عيال حاتم، انظر، معجم المقحفي، ٢٥٠.

(2) المنقب: قاع مُتَّسِع أسفل مدينة ثُلا، انظر، المقحفي، ٦٣٦.

(3) عدني ذرْحان: جنوبي ذرحان.

(4) حجر سعيد: قرية على طريق شبام حمير من ناحية همدان، انظر، معجم

المجـاهـدون. ووقع الحربُ بينهم خارج حجر سعيد من الصبحِ إلى آخرِ النهار، وقُتِلَ من العجمِ كثيرون، وباتوا تلكَ الليلةَ في شِبَام[1] ، ثم عَزَموا كَوْكَبان[2] ، وحطّوا خارجَ البابِ، فأشار عليهم بعضُ الأعوانِ أنْ يمضوا في اللّيْلِ ، ويكونَ طريقُهم من وادي السَّيل، ويعدلوا عن طريقِ المصانع[3] ، وما شاءَ الله فهو واقع. فكانت طريقُهم تحتَ الأبذر[4] ، وباتوا ببني الفليحي،

= المقحفي، ١٥٤.

(1) شِبَام: شِبَام كوكبان، بسفح جبل كوكبان (ذُخار)، غربي صنعاء بمسافة ٣٤كم، انظر، نشر العرف، ٢٨٢/١، البلدان اليمانية، ١٥٠، معالم الآثار، ٧٣، مراصد الاطلاع، ١١٨٨/٣.

(2) كوكبـان: جبل قرب صنعاء، والمدينة شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٠كم، وإليه يضـاف شبـام كوكبـان، انـظر، معجم البلدان، ٤٩٤/٤، مراصـد الاطـلاع، ١١٨٨/٣، البـلدان اليمـانـية، ٢٣٣، معجم المقحفي، ٥٤٣، تاريخ اليمن الثقـافي، ٥٨/١، الاكليل، ١٠٧/٢، نشـر العـرف، ٥٤، ٢٧٢، قرة العيون، ٢٩٧، معالم الاثار، ٧٤.

(3) المصانع: اسم مشترك بين عدد من الحصون والجبال في اليمن، وكلمة مصانع تعنى السـدود والقصـور نُسِبَت إليهـا الجبال من أشهرها، مصانع حمير، وافيق، ومارية، ووحاظة وكَتَفى، وجبل المصنعة، بالشرق من النادرة بمسافة ٢٣كم، انظر، البلدان اليمانية، ٢٥٩، والمصانع ، الأحواض والسدود.
وفيه عزلـة كبيرة من ثُلا، معجم المقحفي، ٥٩٩ (منها أيضاً، جبل قُدَع، جبل حضور الشيخ وغيرهما).

(4) الأَبْـذَر: من قرى جبـل مَسْـوَر في الشمـال الغربي من صنعاء، انظر الاكليل، ٨٠/٢، معجم المقحفي، ٧.

وفي الصباح ارتحلوا عنه. فلمّا بلغَ الإمامَ عليه السلام، خروجُ العجم منْ صنعاءَ غائرين على منْ في جبل مَسْوَر[1]، أرسل السيدَ العلامةَ العمادَ يحيى بن حسن الكُحلاني[2]، حماه الله، إلى بيتِ عُلْمَان[3]، وصحبتَه رجالٌ من أهلِ ظُلَيْمة.[4] فواصل السفرَ ليلاً ونهاراً، فلما وصلَ هنالك دعا أهلَ تلك البلادِ، أعني المصانع والزافن[5] والأشمور[6] إلى البُصرةِ، فمنهمْ منْ أجابَ، ومنهمْ مَنْ أبى وخاب.

ولما بلغَ الشيخَ حزامَ الصَّعر وصولُ السيدِ العمادِ، تابَعَ في إرسال

---

(1) مَسْوَر: يقال لها مسور المنتاب تمييزاً لها عن غيرها، تابعة لصنعاء، وجبالها أثرية معروفة، انظر، اليمن الكبرى، ٦٩، معالم الآثار، ٧٦، الاكليل، ٢/٨٠، نشر العرف، ١/١٨٣.

(2) يحيى بن حسن الكُحلاني: ينتهي نسبه إلى الإمام شرف الدين، أرسله الامام يحيى عاملاً على الشرفين والحيمتين وهاجر إلى ظفير حجة، له عدة معارك ضد الأتراك، وخاصة في بيت ذرة ت سنة ١٣٢٠هـ انظر، نزهة النظر، ٦٢٣.

(3) بيت عُلْمَان: قرية وجبل أسفل وادي ضهر غربي صنعاء بمسافة ٥كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٧ الاكليل، ٨/١٢٢، معجم الحجري، مادة بيت عُلْمَان، معجم المقحفي، ٤٥٩.

(4) ظُلَيمة: ناحية من قضاء شُهارة بالشمال الغربي من حجَّة، انظر، صفة جزيرة العرب، ٣٢١، نشر العرف، ٢/٢٢٨، معجم المقحفي، ٤١٤.

(5) الأشمور: جبل مشهور بالغرب من مدينة عَمْران، بمسافة ٢٢كم، انظر معجم المقحفي، ٣٤، اليمن الكبرى ١٠٦، غاية الأماني، ٢/٥٦ اليمن عبر التاريخ، ٣٣٩.

(6) الزافن: قرية بالشمال الغربي من صنعاء، فيما بين ثُلا والخدرة، مركز جبل عيال يزيد، انظر، معجم المقحفي، ٢٨٥.

الكتب إلى أهلِ البلادِ، لينهاهُمْ عَنْ الإعانة والإنجادِ. وأمدَّ السيدُ العمادُ عائضَ بنَ صالحٍ السنحاني وصُحْبتَه مئةَ رجلٍ. ووصلَ مِنْ حضرةِ الإمامِ الشيخُ صالحُ بنُ يحيى الأخرمُ بثمانين رجلاً من بني قيس[1]، والعجمُ حينئذٍ في بابِ كوكبان، ثم إنَّهمْ خرجوا إلى وادي السَّيل وباتوا في بيتِ الأبذرِ. وكانَ قَدْ سبقهُم السيدُ العمادُ إلى بيتِ عُلْمَانَ.

ثم إنَّ العجمَ بِمَنْ معهمْ مِنْ أعوانِهم العربِ، تقدَّموا إلى جبل تعز وإلى قبلي بني الفليحي يقودُهم السيِّدُ محمدُ الشويع / وابنُ فارع وابنُ سنان. فلمّا وَصَلوا إلى هنالِكَ طلبُوا الاتفاق مِنَ المجاهدين، فوافَقَهُم بعضُ المشايخِ، وعَرضوا على السيدِ العمادِ ومنْ معه ألفَ ريالٍ على أنْ يخرجوا منْ بيتِ عُلْمَانَ أو يختاروا الحربَ العوان، فاختاروا رضى الرحمن. ١٢أ

وقعةُ بيتِ عُلْمَان

وصفتُها: أنّهُ لمّا كانَ ما كانَ مِنَ الاتفاقِ بينَ أولئك الاعوانِ، ولمْ يتمَّ الصلحُ، وقعَ الحربُ من بكرةِ يومِ الجمعةِ إلى آخرِ نهارِ السبتِ. وفي يومِ الأحدِ، سَكنَ الحربُ من الجهتين. أمّا طائفةُ المجاهدين فإنها نفذتْ عليهم المونةُ مع أنَّ الله قدْ كفاهُمْ المونةَ. وأما العجمُ فإنَّ الرُّعْبَ قدْ خالطَ اللحمَ والدمَ، ففرّوا مرعوبين، وولّوْا على أدبارِهِمْ منهزمين، وشدّوا بالليلِ قاصدينَ عَمْران. فلمّا بلغوا ذَرْحانَ، وكانَ شيخُ المحلِّ يُقال له رجل مبخوت

---

(1) بنو قيس: اسم مشترك بين جملة بلدان وقبائل، منهم بنو قيس، تُسيع من بني صُريم في حاشد ومنهم من أهالي ثُلا، انظر، معجم المقحفي، ٥٢٧، اليمن الكبرى، ١٠٩، مصادر الفكر الإسلامي، ٢٢٣.

الذرحاني، من أعوانِ العجمِ، رمَى رجلٌ مِنْ أصحابِ الشَّيخِ المذكورِ إلى نحوِ العَجمِ بغيرِ رضى من الشيخِ، فهجمَ عليهم العَجمُ، وقتلوا منهم خمسةَ عشـرَ رجـلاً، وحزّوا رؤوسهُم، وأسَرُوا اثنين من القبائلِ، ولمْ يكنْ مقصدُ القبائِلِ المذكورين أداءَ واجبِ الجهادِ على أهلِ الإيمان، فبسببِ ذلك كان الخذلانُ.

وفي ليلةِ الأحدِ نصفِ القعدةِ الحرام(1) خُسِفَ القمرُ من وقتِ العشاءِ، واستمر إلى نصف الليلِ، ونزلَ بسببِ ذلك على العجمِ الويلُ، لأنَّ العوام تفاءلوا بذلكَ، وقضوْا بأن بدرَ العَجَمَ قد انخسفَ حتّى نَصَّر بسببِ[١] ذلك أكثر الناس، ففزِعَ لهذا الخطبِ العجمُ الأرجاسُ.

وفي خلالِ ذلـكَ لمْ يلبثِ الـوالي في اليمنِ إسماعيل حافظ باشا أنْ أنشبتْ فيه المنيةُ أظفارَها، وكانتِ الفتنةُ قدْ كشفتْ أستارَها. وهذا الوالي قد تولّى اليمنَ مرتين:

المرَّة الأولى: حينَ أخرجَ العلماءَ المحبوسين في الحديدة بحبْسِ المشيرِ قبلَه مصطفى عاصم، بسببِ إغراءِ[٢] الشيخ البغيضِ محسن معيض(2)، وكانَ

---

(1) انظر، أئمة اليمن، ٢/٢١.

(2) محسن بن علي معيض: من أهل صنعاء يتجر في قشر البن، ونصبه أهل صنعاء شيخاً عليهم، حظي عند الأتراك، فكان من أعضاء مجلس الإدارة ت ١٢٩٩هـ، انظر أئمة اليمن، ١/١٥-١٧.

---

(١) سقطت من م.

(٢) في م، أمر.

الإمامُ، حفظه الله، مِنْ جملةِ المحبوسين كما ذكرْنا، وغيرُه من الأعيان.

وفي المرة الثانية: تولّى الوالي المذكورُ على اليمنِ. وكانتْ وفاتُهُ في صنعاءَ، في هذه المدَّة عندَ اشتغالِ نار الفتن.

وكانَ الوالي المذكورُ قد كتبَ في التلغرافِ إلى حضرةِ السُّلْطانِ بأنَّ اليمنَ قد اضطرمتْ فيه نيرانُ الفتنِ، وإنْ لم يتداركْ يلحقْ بخبر كان. وشنَّ الغارةَ في ذلك، فلم يلبثْ أنْ هَلَكَ قبلَ وقعِ الوقائع.

وفي هذه المدةِ، سمعَ الناسُ في صنعاءَ أصواتاً مختلفةً كباراً وصِغاراً في الهواءِ بقيَ ذلك نحوَ ثلاثةِ أيامٍ، حتى فرغَ الناسُ إلى المَساجد، وحصلَ في قلوبهمُ الرعبُ الزائدُ، وكان ذلك خاصّاً بمدينةِ صنعاءَ. وذكرَ ذلكَ العجمُ في جرائدِ الأخبارِ التي يُوْدعونَ فيها الحوادث، وصاروا يعتذرونَ عن ذلكَ، ويذكرون أنّهُ قد وقعَ مثلُه في زمنٍ سابق.

وفي هذه المدّةِ خرجَ من العجمِ قدرُ مئةِ نفرٍ صحبةَ سليمان بيك، وبرفقتِه السيدُ محمدُ بنُ عليّ الشويع، وراجحُ بنُ سعدٍ، قاصدين مدينةَ حجةَ، ثم إلى قُفل شَمْر، فبقوْا هنالكَ أياماً ثم جمعَوا العسكرَ وقسّموهم طائفتين: طائفةً عزمت القُفلَ(١) على ميلين من الشاهل، وطائفةً تقدمت على بني جِلّ.

---

(1) القُفل: حصن من جبل خُفاش وأعمال المحويت، والمقصود هنا القريب من الشاهل وهناك قَفل شَمْر، وقُفل الشلالة من بلاد ذمار، والقفل، قرية في وادي الجار من أعمال ذمار، وكانت قديماً من عبيدة يريم، وجبل القفل، وجبل وعر، والقفل بلدة =

---

(١) في ع، القُفل.

وقعةُ القُفل

وصفتهـا: أنّهـا لما تقدّمتْ ـ كما ذكرنا ـ لم يشعر أهلُ البلادِ إلاّ وقَدْ رَمُوهُمْ بالبنادِقِ والمدافعِ، فاجتمعتْ الغارةُ/ مِنْ كلِّ جبلٍ، وأحاطوا بالعَجمِ ١٢ب في القُفلِ، وقُتِلَ منهم نحوٌ من السَّبعين وغنِمَ المجاهدون بنادقَ كثيرةً. وقد كانَ أجمعَ رأيُ العجمِ على قطعِ شجرِ البنِّ، فلمْ يمكِّنْهم الله مِنْ ذلك.

وفي أوائِلِ شهرِ الحجةِ منَ السنةِ المذكورة، وردت الأخبارُ: أنّهُ وصلَ حسن أديب باشا والياً على اليمن، منْ حضرةِ السلطانِ وصحبتَهُ أحمد رشدي بيك، وصحبتَهما من العساكرِ قدرُ ألفين، فخرجا من بندر الحُدَيْدَة حتى بلغا حجةَ، وحطّا رَحْلَهُما هنالكَ.

وفي خلالِ هذه الوقائع المتقدمةِ دخلت سنة ١٣٠٩هـ.

فأمّا الوالي حسن أديب، ومَنْ صُحْبَتَه من العساكرِ، فإنه بقي محصوراً في حَجَّة، كلَّ ما همَّ بالخروجِ قطع عليه المجاهدونَ المحجة(1).

ذِكْرُ حصارِ صنعاءَ وما يلحقُ بذلك من الوقائع:

ولمّا أجمعت(١) القبائلُ ـ أعني أحواز صنعاء ـ (2) جميعاً على محاصرةِ منْ

= في بني النمري، وبلدة في جبل الأشمور من بلاد عَمْران، انظر، معالم الآثار، ٦٦، معجم المقحفي، ٥٢١.

(1) المحجة أي الطريق.

(2) أحواز صنعاء، جوار صنعاء من القرى والقبائل المحيطة بصنعاء في سفوح الجبال، انظر، صفحات مجهولة ٢٦، رياض الرياحين، ٩٦ (الحَوْز: الموضع إذا أقيم حواليه =

(١) في ع، اجتمعت.

في صنعاء من العَجمِ بموجب تحريضِ السّيد الأكرمِ صفيِّ الإسلام، رحمه الله، وكانَ ذلك هو المقصدَ الأهَمَّ، والمطلبَ الأعظمَ، من حضرةِ الإمام، ـ عليه السلامُ ـ، فأُشعِلَتِ النيرانُ في الجبالِ جميعها، وارتاعَ لذلك العجمُ، وظنّوا أنها القاضيةُ، وكتبوا إلى العساكرِ الذين عَزَموا حجَّةَ أنْ يرجعوا، فقد التقتْ حلقتا البطان فخرجوا من عَمْران، وكان طريقُهم من المنكلِ، واتفقَ أنــهُ وقــع مطرٌ فســاروا فيه على غفلةٍ ولمــا خرجــوا من المنكــلِ التقــاهم المجاهدون إلى غربي حاز[1].

وقعةُ حاز

وصفتُهــا، أنــه لمــا التقى المجاهدون العجمَ، ـ كما ذكرنا ـ باشروهم بالحربِ، وأصْدقوهم الرَّمْيَ والضَّرْبَ، واستمر ذلك في أثرِهم إلى أنْ وَصلوا رَيْعانَ[2] وردغم، وهنالَك باتَ العَجمُ بلا زادٍ، والجمالُ قائمةٌ وعليها الشّدادُ، والمجاهدون محيطون بهمْ من كلِّ جانبٍ قد أصدقوهم الجلاد.

وفي اليوم الثاني، وقع الحربُ، وانهزمتِ العَجمُ من بيتِ عِذْرَان[3] إلى

= سد أو حاجز)

(1) حاز: قرية في ناحية هَمْـدَان على طرف قاع المِنَقّب، أثـرية، انـظر، الإكليل، ٢/٤٥٦ معالم الآثار، ٢٨، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٤.

(2) رَيْعَان: قرية أثرية من هَمْدَان، شمال غرب صنعاء بمسافة ٣٠كم، ورَيْعان أيضاً، قرية في الحَيْمَة الخارجية، ومحلة صغيرة في جبل مَسْوَر، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٧، تاريخ اليمن الثقافي ١/٥٤، معالم الآثار، ٣١، معجم المقحفي، ٢٨١.

(٣) بيت عِذْران: قرية من مخلاف بني شهاب الأسفل من بني مطر، وأعمال صنعاء، انظر، معجم البلدان، لياقوت، ١/٥٢١، البلدان اليمانية للأكوع، ٤٥، وهي مشرفة =

أنْ وصلوا صنعاءَ، وقدْ خالطهم الرعبُ والهوانُ، وكانوا قريباً من خمسَ عشرةَ مئةً، وما ينفعُ الكثرةُ مع الخُذلان.

وقعةُ يَازل(1)

وصفتُها: أنّهُ في هذه المدّةِ طلعت خيّالةٌ من العَجَمِ والعربِ من جهةِ مَنَاخـة (2) يقصدون صنعاءَ، فلما بلغوا يازل ثارتْ عليهم القبائلُ، فتحصّنوا هنالكَ، وطفَقَتِ القبائلُ بحربٍ فوقَهم المنازل. فاستَسْلَمُوا للأسْرِ، ولاحت هنالكَ لوائحُ النصرِ، ولمّا أسروهم أوْصلوهم مع خيلِهِم إلى حضرةِ الإمام عليه السلامُ، وبُرِمَ الأمرُ والسلام.

وكانَ قدْ وصلَ قبلَ ذلك إلى حضرةِ الإمام عليه السلامُ مِنْ أهلِ بلادِ البُستانِ، وأسعدوا له بغايةِ الطاعةِ والإذعانِ، وكانَ منْ أثرِ ذلك ما كان.

وقعةُ بيت عِذْران

ولمـا بلغَ العجمَ ما وقع في يازل، استقرَّ رأيُهم على الخروجِ، على أولئك القبائلِ، فخرجوا وهمْ في غايةِ الذلّ والرُّعْبِ والتخاذلِ. حتى وصَلُوا

= من الجهة الغربية على صنعاء، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٤٩.

(1) يَازل: قرية في بني مَطَر ناحية بلاد البستان، من عزلة بني سوار، على الطريق الغربية لصنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٥٤، الاكليل، ٢/ ٨٧، معجم المقحفي، ٧٠٥، أئمة اليمن، ٢/ ٤١، حوليات يمانية، ٤٣٥.

(2) مَنَـاخـة: مدينة في قمة جبل حراز غربي صنعاء بمسافة ١٢٠كم فيما بينها وبين الحُـدَيْدَة، انـظر، اليمن الكبـرى، ٦٠، ١٩٣، معجم المقحفي، ٦٣١، فرجـة الهموم، ٣٢.

بيتَ عِذْران، قاصـدين الحَيْمـةَ وبـلادَ البُستان، فنهضَ إليهم السيدُ صفيُّ الإسلام بِهمّةٍ عظيمةٍ، وقوّةٍ عزيمةٍ، وصَحِبَهُ من المجاهدين كلُّ ذي شكيمة، فأصْدقوا[1] أعداءَ الله العَجمَ، الطعنَ والضربَ، فولّوهم الأدبارَ، وباءوا بالذّلةِ والصَّغار، والمجاهدون يقتفون بعدَهم الآثار، وقُتِلَ مَنْ العجمِ حينئذٍ ما يزيدُ على ثمانين، والحمدُ لله ناصرِ المؤمنين.

وفي هذه المـدةِ قُتِـلَ السيِّدُ عبـدُالكريمِ (1) مِن ساداتِ كوكبان، وكان للعَجَمِ مِن أعـظمِ الأعـوانِ، وجعلُوه مديراً في بلادِ البُستـان، فلما سمعَ بوصولِ العجمِ، وكانَ في بيت رَدَم(2)، صالَ على القبائِلِ بلسانه وأقدم، فكانَ ذلك من النّقم، الذي يُرمى بها مَن ظَلم، وفي هذه المدةِ أذْعَنتْ / ١٣أ أهلُ بلادِ الحَيْمةِ بالطاعةِ.

وقعةُ العِرّ(3) والمنصورةِ(4):

(1) عبد الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن الحسين الكوكباني ت: ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، نشأ بكوكبان، تولى أعمالاً للترك، تولى عمالة ناحية البستان من أعمال صنعاء، قتل غيلة من بعض الرعية انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٤٢، ٨٥.

(2) بيت رَدَمْ: قرية مشهورة من قرى مخلاف بني شهاب، تابع بلاد البستان (بني مطر)، إليهـا ينسب بنو الرَدْمي، .أهل صنعاء، انظر، صفحات مجهولة ٣٢، تاريخ اليمن الثقافي ٩٨/١، معجم المقحفي، ٢٦٦، البلدان اليمانية للأكوع، ٤٥.

(3) العِرّ: مركز ناحية الحيمة الداخلية في جبل العِرّ على مسافة مرحلة غرباً من صنعاء، وهو متصل بجبل النبي شعيب من ناحية الشرق، انظر، صفة جزير العرب، ١٧٧، معالم الآثار، ٣٧، معجم المقحفي، ٤٣٥، أئمة اليمن؛ ٢/ ٤٣.

(4) المنصورة: حصن في الحَيْمَـة الـداخلية، غربي صنعاء، انظر، معجم المقحفي، =

(١) في م، قاصدوا.

وصفتُها، أنّها لمّا أجابت قبائلُ الحَيْمَة كما ذكرنا، وصَلَ مَنْ وصلَ منهمْ إلى حضرةِ الإمام ـ عليه السلامُ ـ، وأخذوا أمراً لمجاهدةِ مَنْ في الحَيْمَةِ مِن العجمِ. فلمـا وصلوا البلادَ، اجتمعت قبائلُ الحَيْمَةِ من كلِّ حاضرٍ وبادٍ، وقصدوا العِرَّ والمنصورةَ وفيها قدرُ اثنين وخمسين نفراً محصورةٌ، منهم ثلاثةَ عشرَ رجلاً من العجمِ اللّئام، والباقون من قبائِلِ يام[1]. فدخلَ المجاهدون العِـرَّ عنوةً، وحاصروا العَجَم في المنصورةِ، وأُسِرَ الحاكمُ من جهةِ العجمِ القاضي عبدُالرحمن بنُ أحمدَ المجاهد[2]. فلمّا كان يومُ الجمعةِ خرجَ الشيخُ يحيى القطيعُ، ونادى المحصورين في المنصورةِ: إنَّ اليومَ يومُ جمعةٍ، والرأيُ أنْ نكُفَّ عن الحـربِ فيه نحنُ وأنتمْ، فظنّـوا أن المجـاهـدين قد جَبُنوا، وداخَلَهُم الفزعُ. فأجابَ مَنْ في المنصورة: أنْ ليسَ بيننا إلّا القتالُ. فتقدَّم حينئذٍ المجاهدون الأبطالُ، واقتحموا الجبلَ حتى لاصقوا الدورَ. ورمى رجلٌ من العَجمِ في الدارِ، وشرعَ المجاهدون في نقبِ الجدارِ. فلما أيْقَنَ مَنْ في المنصـورةِ، أنَّهم هالكـون استسلمـوا للأسرِ، وسلّموا جميعَ ما مَعَهُمْ منْ السّلاحِ والمونةِ. فأُرسلت الأسارى والمونةُ والسّلاحُ إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ. ولمّا كانتْ هذه القضيةُ، أذعنتْ قبائلِ الحَيْمَةِ الدّاخليةِ والخارجية.

= ٦٣٥، اليمن الكبرى، ٣٩، معالم الآثار، ٣٨.

(1) يَام: جبل يطل على الجوف من الجهة الغربية، كان سكن قبيلة يام قبل انتقالها إلى نجـران، وهي أحـد فروع همدان، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٤، اليمن الكبرى، ٧٢، اليمن عبر التاريخ، ٢٠٨، العقود اللؤلؤية، ١/٢٥٩، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٧.

(2) عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن المجاهد ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، انظر، أئمة اليمن، ٢/٢٧٢ وتوفي علي بن أحمد ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

وقعةُ مَفْحَق (1)

وصفتها: أنَّهُ لمّا وقَعَ ما ذكرْنا في المنصورةِ، تجمَّعتْ قبائلُ الحَيْمَتين وبني مطر، وأجمعوا على حصارِ مَنْ في مَفْحَقٍ من العَجَمِ، وقدرُهم ستونَ رجلًا، فأحاطوا بالحصنِ المذكورِ، وشدّدوا عليهم الحصارَ، فخرجَ إليهم العاملُ، وطلَبَ الأمانَ لِمَنْ في مَفْحَقٍ مِنْ دونِ سلاحٍ. فخرجوا مِنَ الحصنِ، وسلّموا البنادق، وخلّوا الحصنَ المذكور بلا رُتبةٍ، وكانَ ذلك من التّقصير الذي لا يرتضيهِ ذوو[1] التدبير، وكانَ قدْ سبقَ من المجاهدين أخذُ السَّمْسرةِ(2) المشهورة هنالك، وأخذوا ما فيها من المونة والزّاد. ثم إن العجمَ الذين خلّوْا سبيلَهم مِنَ الحصنِ لمّا وصلوا إلى مَنَاخةَ وفيها حسني باشا، ومعه قدرُ ستِّ مئةٍ أخبروه الخبر، وأفهموه أنَّ حصنَ مَفْحَقٍ خالٍ عن الرُتبةِ والعسكر، فأرسلَ حينئذٍ ثلاثَ مئةِ رجلٍ وأربعين جملًا تحملُ الزادَ، وقصدوا حِصْنَ مَفْحَق، فقبضُوه، والمجاهدون حينئذٍ قد تفرَّقوا واشتغلوا بأمرِ الغَنيمةِ، كما هي عادةُ العرب المستديمة، فلما بلغت العجمُ إلى بني مقاتلٍ(3) تلقّاهم المجاهدون،

---

(1) مفحق: بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية وأعمال صنعاء، انظر، معالم الآثار، ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٩.

(2) السَّمْسَرة: عمارة في السوق، تورد إليها بضائع التجارة، وينزل فيها المسافرون والتجار.

(3) بنو مقاتل: من قبائل حراز، وهم أهل الشرقي انظر، الأمثال اليمانية، ١/٥٨٨، معجم المقحفي، ٦١٩.

---

[1] في ع، أولو، وفي م، أولي.

ووقعَ بينهُم الحربُ في العِجْز[1]، وفرّ المجاهدون.

وكانَ العجمُ قد هَجَموا على ناسٍ في «صَبُل[2]»، وقتلوا منهمْ اثني عشرَ رجلًا، فبموجب ذلكَ انهزمتِ القبائلُ ودخلتِ العجمُ مَفْحَقاً. ومَنْ تركَ الحزمَ ندمَ، وأدركه الشقاءُ. ورجعتِ الجمالُ بعدَ حطِّ الأثقالِ، ومَنْ معها مِنَ الرِّجالِ يؤُمُّون مَنَاخَة. فنهضتْ إليهم قبائلُ الحَيْمةِ، واتفقوا في العِجْزِ، ووقعَ الحربُ هنالك، وقُتِلَ من العجمِ خمسةٌ، ومن العربِ واحدٌ، وسَلَبوا من الجمالِ والبغالِ خمسةً وعشرين رأساً، وعشرَ بنادق، ورجعَ المجاهدون نحوَ مَفْحَقٍ، وبدأوا بالمحاصرةِ لمَنْ فيه.

ذكرُ دخولِ الأجنادِ المنصورةَ رَوْضَةَ حاتم:

وصِفةُ ذلك: أنَّ السيدَ صفيَّ الإسلام أحمدَ بنَ محمدٍ الشرعي / لمّا ١٣ب تمَّ له المرامُ من جميع القبائلِ على الجهادِ، لم يزَلْ يزحفُ قليلاً قليلاً حتى وصلَ بالأجنادِ بيتَ عِذْرَان.

ثم عَزَمَ المجاهدون إلى الروضةِ[3] وهم، أرحبُ وهَمْدَانُ وبنو حِشيش،

---

(1) العِجْز: بلد من الحيمة الخارجية على طريق المسافر من مَفحَق إلى مَناخة انظر، معجم المقحفي، ٤٣٠، صفة جزيرة العرب، ٧٨ وفيه أنها من حضرموت.

(2) الصَبُل: وطن في آنس ثم في عزلة المنار انظر، الاكليل، ٣٣٢/٢، معجم المقحفي، ٣٧٦.

(3) روضة حاتم شمالي صنعاء تنسب إلى حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، زعيم هَمْدَان ت ٥٥٦ متنزه، كانت تسمى المناظر، انظر، المفيد لعمارة، ٣٣٥، مراصد الاطلاع، ١٣١٥/٣، صفحات مجهولة، ٢٠، صفة جزيرة العرب، ١٥٣، ١٧٨، اليمن عبر التاريخ، ٢١٨، معالم الآثار، ٢٧ نشر العرف، ١٦١/٢، معجم =

فلمّا وصلوا الروضةَ دخلوا بيوتَ أعوانِ العجمِ ، مُبْغضي آلِ النبيّ المكرم ، وقعدَوا فيها ثم شدّدوا حصارَ صنعاءَ ، وانضافَ إليهم قبائلُ سَنحان وبنو بهلولٍ وبـلادُ الروس[1] وتعاقدوا على محاربةِ العَجَمِ ، وقطعِ الطرقِ عليهمْ مِنْ جميعِ الجهاتِ ، ما عدا أولادَ السيدِ هاشم مِنْ أهلِ سَيَّان[2] ، فإنهم أسَرُّوا في أنفسِهِم مُلازمة الأعاجِمِ ، فلمْ يعبأ الناسُ بهمْ ، بل قاموا بفَرْض الجهادِ اللاّزم ، ثم إنها نهضت طائفةٌ منَ المجاهدين فقبضوا جرف نُقُـم . وطائفةٌ أخرى طرحوا في القرى القريبةِ ، وفي أثناءِ ذلكَ فإن طائفةً مِنَ العَجَمِ كانوا في مدينـةِ ذَمَـار ، فوقَـعَ الـطلبُ لهمْ من صنعـاءَ ، فطلعُـوا ولمْ يشْعرْ بهم المجاهدون ، إلاّ وقدْ بلغوا محلَّ النجاةِ ، فأكثروا مِنَ التأسف على عدمِ الانتباه .

ولما تيقَّنَتِ العجمُ ما تعاقدَ عليه أولئك القومُ ، أهلُ الكرمِ ، قرعوا سنَّ الندمِ ، وضاقت عليهم الأرضُ بما رحبت .

= المقحفي ، ٣٧٦ .

(1) بلاد الروس : من نواحي صنعاء على بعد ٤٠كم جنوباً ، مركزها وعلان ، تتصل من شمالِها ببلاد سنحان وناحية البستان ، ومن شرقها ببلاد خَوْلان العالية والحدأ ، ومن جنوبها ناحية جهران وبلاد آنس انظر ، معجم الحجري ، ١/١٤٠ ، رياض الرياحين ، ١١٢ (هامش ٣) .

(2) سَيَّان : جنوب صنعاء من بلد سنحان ، محاطة بجبال بني بهلول وبني مطر ، انظر ، صفحـات مجهـولة ٥٤ ، أئمة اليمن ، ٢١٣ معجم المقحفي ، ٣٣٦ ، صفة جزيرة العرب ، ٢٣٨ ، مراصد الاطلاع ، ٢/٧٦٣ ، تاريخ مدينة صنعاء ، ٥٦٥ .

وقعةُ جُرْبان

وصفُتهـا: أنـه خرجَ طائفـةٌ من العجمِ أهـلِ الـطغيانِ، فلمـا وصلوا جُرْبَانَ، تلقّاهمُ المجاهدون.

ووقع الحربُ هنالك، فانهزمَ العجمُ ووَلّوا الأدبارَ، ولم يُقْتَلْ غيرُ ثلاثةٍ من الأنصـار، وكـانَ ذلـك عاشرَ شهرِ محرمٍ من السنةِ المذكورة. وفي اليومِ الحادي عشر خرجت العجمُ وصحبَتُهم شيخُ صنعاءَ علي البليلي، فرتّبوا بيتَ مِعْياد[1] خشيةَ أنْ يقبضَه أهلُ الجهاد.

ثم إنها لما سمعتْ قبائلُ خَوْلان، بما أجمعَ عليه أهلُ الإيمان مِنْ جهادِ حِزْبِ الشيطانِ، اجتمعوا إلى سوقِ الحضارمِ، وهم: جَبْري[2] وشدَّادي[3] وعَرَشي وسَحَامي[4]، فتعاقدوا على القيامِ بِفريضةِ الجِهاد، وطاعةِ الإمامِ التي هيَ طاعةٌ لربِّ العبادِ، وكتبوا إلى قبائِلِهِم الخارجية من اليمانيتين[5] والهجرتين

---

(1) بيت مِعْيَاد: قرية في قاع صنعاء الجنوبي، كانت تعرف باسم داع الخير، أصبحت اليوم جزءاً من صنعاء، انظر، معجم المقحفي، ٦١٢.

(2) جبري، نسبة إلى بني جَبْر من بطون خَوْلان صنعاء، انظر، معجم المقحفي ٢٢٣.

(3) شدادي، نسبة إلى بني شَدَّاد من بطون خَوْلان صنعاء، انظر معجم المقحفي، ٢٢٣.

(4) بنـو سِحَام: عُزلة ووادٍ في خَوْلان العالية متصلة بسنحان، بها جبل اللوز، انظر، معجم المقحفي، ٣٠٥.

(5) اليمانيتان: اليمانية السُفلى واليمانية العليا من بطون خولان صنعاء، من مخلاف ذي جُرَة، ببلاد سنحان، من خَوْلان العالية، انظر، معجم المقحفي، ٢٢٣.

وأهلِ حصنِ الظبيتين(1)، فدخلوا فيما(١) أجمعَ عليه قبائلُهم، أرسلتْ عُقَّال خَوْلانَ جميعُهم رَهائنَهم إلى الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ، صحبةَ السيدِ أحمدَ بنِ حسنٍ الكِبسي، وكتَبوا إلى الإمامِ يطلبونَ مقدَّمياً، فأرسلَ إليهم سيفَ الإسلام، وعزَّ الأنامِ، محمدَ بنَ الإمامِ المتوكل ـ عليه السلامُ ـ وفوَّض إليه أمرَ القيامِ بالجهاد في تلك البلادِ، وأمرَهُم بمحاصرةِ صنعاءَ منْ جميع الجهاتِ، وألَّا يَدَعَ للعجَمِ مسْلَكاً إلّا قطعهُ، ولا سِلْكاً إلّا انتزعه. وأمرَه بتقوى اللهِ، والعملِ بما يَرْضاه، وأنْ يلزمَ الكياسةَ والاحتراسَ، ويعاملَ الناسَ بالسياسة التي هي لكلٍّ خيرُ أساسٍ. فسار على بركةِ اللهِ المنَّانِ. واتفق في الطريقِ برهائنِ خَوْلانَ متوجهين حضرةَ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ.

وفي هذه المدّةِ، اجتمعتْ قبائلُ خولانَ إلى الشَّرْزَةِ(3)(٢ بنيّةِ الجهادِ٢). ووقع طريقُ بني جَبْر من بني حِشيش.

---

(1) الظبيتين: حصن في اليمانيتين من خولان العالية انظر، معجم المقحفي، ٤٩٠.

(2) محمد بن المتوكل على الله محسن بن أحمد، سيف الاسلام، ولد بحصن ذي مرمر من جهات صنعاء ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، حفظ القرآن ودرس النحو والفروع وأصول الدين، شاعر حارب الباطنية (المكارمة)، تولى قيادة جيوش الامام المنصور بالله، كان عاملاً للإمام يحيى على بلاد رداع، استقر بالحمري من بلاد حاشد، توفي ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، انظر، نزهة النظر، ٥٧٤.

(3) الشَرَزَة: قاع معروف في بلاد سنحان وعلى حدود خولان الطيال، على مقربة من قرية شَعْسَان انظر، صفحات مجهولة ٥٧١، معجم الحجري، مادة الشرزة، معجم المقحفي، ٣٥٠.

---

(١) في ع، م، بما.

(٢ ٢) سقطت من ع، م.

وفي هذه المدةِ، وَجَّه الإمامُ عليه السلامُ الحاجَّ الفاضلَ شريان بنَ حزام مرح، وكانَ رجلاً من أهلِ السّابقةِ في الجهادِ، وصحبتَه جماعةٌ من أرحبَ، ومن انضمَّ إليهم من أهلِ بلادِ البستانِ، وأمرَهُمْ بأنْ يكونَ مطرحُ الجميعِ في حَدَّة(1) لمحاصرة مدينةِ صنعاءَ من تلك الجهةِ، فلمَّا وصلوا إلى هنالك استولوا على طاحون العجم. وكان يَطْحَنُ في اليومِ والليلةِ قَدْرَ ستّين قَدَحاً، وفيه شيءٌ يُنَقّي الأحجارَ من بينِ الحبِّ، ودَوَرانُه على ماءِ خُمَيْــس(2).

وفي هذه المدةِ، قطعَ المجاهدون السِّلكَ، ويُسَمّيه العجمُ «التلغراف»، وهو مِنْ غرائبِ الاختراعِ بلا خلافٍ، قيلَ: إنّهم أخذوا أصلَ صنعَتِه من خزائنِ حِمْيَر، / أخذوا ذلكَ من الأحكارِ التي يتطلّبونها[1] من اليمنِ، وفيها كُتِبَ بالقلم الحمْيَري، ما زالوا يبذلون الدراهمَ الكثيرةَ لمَنْ أتى لهم بشيءٍ من تلكَ الأحجار المكتوبةِ بالقلم الحميري، وكذلك الأحجارُ التي فيها الصورُ، وأكثرُ من يعتني بذلك النصارى. ١٤أ

---

(1) حدا: (حدة) ناحية جنوب شرقي صنعاء، على بعد ٥٠كم، مركزها الرئيسي زِرَاجة، انظر، مراصد الاطلاع، ٣٨٦/١، اليمن الكبري، ٦٨، صفة جزيرة العرب، ١٠٢، فقهاء اليمن لابن سمرة، ٣١٢، صفحات مجهولة، ٣٢.

(2) خُمَيْس مذيور: قرية من عزلة المخلاف بالحَيْمَة الخارجية، وخُمَيْس بن الهيج، وادٍ صغير في تهامة يأتي من جبال حجور ويمر بالخُمَيْس شمال الواعظات انظر، اليمن الكبرى، ٢١، معجم المقحفي، ٢١٩.

---

(١) في ع، يطلبونها وفي م، التي كانوا يطلبونها.

وصفةُ السِّلكِ، على ما وصفه بعضُ أعوانِ العجمِ المختبرين، أنَّ طَرَفَ الخيطِ الحديدِ مُرَكَّبٌ إلى مكينةٍ تسمّى التلغـراف ، وهي كثيرةُ الآلاتِ والعجلاتِ، فبمجرّدِ ما يستعملُها الشخصُ عندَ احتياجِ الكُتُبِ، يركّبُ لها عجلةً من بياضٍ على حكمِ السَّيرِ الملح مطويّةْ. ثم يركّبُ طرفَ البياضةِ التي هي كالسير إلى تحت الإبرة، ثم يَدُقُّ اللولبَ فتتحركُ تلكَ العُجيلات، يحرّكُ بعضُها بعضاً، حتى يحرّكَ لولابُ الإبرة، فيضربُ كما ضرَبَ الأسطى، وكـلُّ ضربةٍ لها في البياضِ خَرْقٌ معيَّنٌ، كما هو مقرّرٌ عندَ أهلِ المعرفةِ بذلـك[1]، ولكلّ[2] حرفٍ أخـراقٌ متعدِّدة[3]، وحاصلُه: أنّ السيرَ الذي من البياضِ يمرُّ تحتَ الإبرة إلى نهايةِ ذراعِ الأربعِ ، ويقطعُهُ المِنْباشُ ويحطُّهُ، ومـا حصـلَ قطعُـهُ وحـطُّهُ فوقَ الأولِ حتى يتمَّ دقُّ المكينةِ، وتسكنُ تلك اللّواليب بتمـامِ المكاتيبِ، فيبدعُ بنقلِ السيرِ الأسفلِ معَ معرفتِه بمفتاحِ حروفِها، كمْ كلَّ حرفٍ خَرَق الإبرةُ، فينقُلُها بخطِّهِ، وأمَّا أنَّ السلكَ يصنعُ خطاً فمحالٌ، إنما هو استحكامٌ والعملُ على خواصاتِ المعادنِ والمجموعاتِ في الحديد المركّبِ منه لاستجذابِ الدقّةِ بذاتها من المحلِّ إلى آخر.

وأما استعمالُ الكتبِ فهو صنعةُ الشخصِ القيّمِ في عهدتِهِ، وعلى هذا [قد][4] شوهدَ غيرَ مَرَّة. وحاصلُه أنَّ ذلك حكمةٌ يسهُلُ استعمالُها عندَ أبْناءِ العربِ مع وجودِ آلاتِها أحْسنَ مما يستعملُه العجمُ، هذه صفةُ السِّلكِ.

---

(١) في، ع، وذلك.

(٢) في ع، م، كل.

(٣) في أ، م، معددة.

(٤) الإضافة من م.

وكـان قَدْ استقصى قَطْعَه المجاهدون مِنْ حَرازٍ[1] إلى صنعاءَ، فعميتْ على العجمِ الأخبـارُ عن الذي في صنعاءَ، وعن الذي في الحُديدةِ، لمْ يعلموا لانقطاع السلكِ؛ لأنه كانَ يأتي إليهم الخبرُ في السلكِ من الحديدة، ثم مِنْها في البحرِ إلى مصرَ ثم إلى استانبولَ، فيبلغُ الخبرُ في أسرعِ وقتٍ.

وفي هذه المدةِ، عزمَ صفيُّ الإسلام حتى توسّط البلدين: بني مطر والحَيْمَتين.

وقعةُ الجَرْدَاء[2]

وصفتُهـا، على مـا أخبرَنـا بـه المشاهـدون أنَّ العجمَ فـي صنعاءَ لمـا اشتدّ عليهم الحِصارُ من جميعِ الجهاتِ، وكانَ مطرحُ هَمْدَان، وبني الحارثِ في الروضةِ، ورجالُ بني حشيشٍ وبني جَبْر في بيتِ اللهيدة[3] في سَعْوَان[4]،

---

(1) حَراز: صقـع متسـع غربي صنعـاء بمسافة ٨١كم، مركزه مناخه انظر، الاكليل، ١/٢٠٣، صفة جزيرة، ٢٠٩، صفحات مجهولة، ٤٥، معالم الآثار، ٧٧ نيل الوطر، ١/٣٥٧.

(2) الجَرْدَاء: قرية من سنحان، جنوبي صنعاء، انظر، معجم المقحفي، ١١٧، أئمة اليمن، ٢/٤٣ طبق الحلوى، ٢٣٠.

(3) بيت اللهيدة: على مقربة من باب ستران، من بني حشيش بِخَوْلان الطيال تلحق محافظة صنعاء، وبيت اللهيدة من ثُمن سعوان، ومنها أيضاً، العَشّة والخِربة، انظر، معجم المقحفي، ١٧٤، تاريخ اليمن الثقافي ١/٧٨ أئمة اليمن، ٢/٤٥، والأثمان الباقية، ثُمن الرَّونة، ثُمن عيال مالك، ثمنُ صَرِف، ثمنُ ذي مرمر، ثُمن رِجَام، ثُمن الشَرَفة، ثُمن الأبناء.

(4) سَعْوان: بلد ووادي في الشرق الشمالي من صنعاء بمسافة ٨كم، يُطل عليه جبل نُقم من جنوبه، انظر، صفة، ١٥٥، غاية الأماني، ٢/٦٥١، الاكليل،

والحاجِ شريان بن حزام مرح، ومن صحبتَه من رجالِ أرحبَ، وبلادِ البستان في حدَّةَ، والمقـدّميُّ السيدُ صفيُّ الإسلام، وقعَ مطرحُهُ في بيت عِذْران، وسيفُ الإسلام محمدُ بنُ الإمام بمَنْ معه من قبائلِ خَوْلانِ، وسنحان في دار الحيد(1)، حينئذٍ أجمعَ رأيُ العَجَمِ وأعوانِهِمْ على أن يخرجوا ثلاثةَ مخارِجَ لقصدِ الإرهابِ، وأخذِ الحبِّ الذي كانَ في قريةِ الجرداء للشيخ على البليلي.

وكـان قد كتبَ المـذكـورُ إلى سنحانَ وبلادِ الروسِ وبني بهلول، ما حاصلُه، أنكم إنْ لمْ تعقِروا في بابِ المشيرِ، وتطلبُوا منهُ الأمانَ. وتطيعوا، فلا بدَّ ينالُكُم العقابُ الشديدُ، وقد برئتْ منكم الذمةُ.

ثم إنّـهُ في اليومِ الثـاني، خرج العجمُ من صنعـاءَ قبلَ الفجرِ بالقوّةِ والسـلاحِ والعـدّةِ، التي لا تُغني شيئـاً إذا انقضتِ المـدّةُ، وكانت القبائلُ بعضُهم في نُقُم، وبعضُهم في الجرداءِ، وما قربُ منها جداً / وكانوا قد أرسلوا عيونـاً لحـراسةِ العدُوّ، فنامتْ تلك العيونُ، فلـم يستيقظوا إلّا والعجمُ بهم محيطون، فأوْقعـوا بِهِمْ وجـزُّوا رؤوسَهُمْ، ولم يُشْعَرْ مَنْ في قريةِ الجرداء إلاّ بأصواتِ المدافعِ قد وُجِّهَتْ إليهم.

١٤ب

وفي القريةِ المذكورةِ قدرُ خمسِ مئةِ رجلٍ من سنحانَ وبلادِ الروسِ، فتعـاقـدوا على الموتِ حينَ علموا أنّهُ لا محيدَ لهمْ عن البؤسِ، وإزهاقِ

٢/ ١٠١، معجم المقحفي، ٣١٥.

(1) دار الحَيْد: قرية بناحية بني مطر، بلاد البُستان، ودار الحَيْد، قرية من سنحان، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٤٩، معجم المقحفي، ٢٠١.

النفوسِ ، فضرَبَت العَجَمُ سورَ القريةِ بالمدافعِ ، وأجْمعَ مَنْ في القريةِ أنهم لا يرمـونهم إلّا وقدْ قرُبوا منهم. فلما أكثروا الرميَ بالمدافعِ ، ولم يسْمعوا لأهـلِ القريةِ حِسّاً، ظنّوا أنهُ لم يبقَ فيها أحد، فهجموا عليها، وكادوا أن يدخلُوها، فرماهُمْ مَنْ في القريةِ أشدَّ الرَّمْي فانهزموا ، وقُتِل منهم خلقٌ كثير، وجمٌّ غفيرٌ، فرجعوا من حيثُ جاءوا، وطفِقوا يرمُون القريةَ بالمدافعِ من بُعدٍ. وقد كانوا رتّبوا الجهاتِ التي ستُغيرُ منها العَربُ، وجعلوا طائفةً منهمْ في قريةِ حمرا عَلِب[1]، وجعلُوا مَنْ هنالك يرمونَ مَنْ في جروف نُقُمِ مِنَ العربِ، فهـربوا منْ هنالكَ. وكلُّ منْ غارَ من العربِ منْ أيِّ جهةٍ دافَعتْه العجمُ، وحملتِ الخيَّالةُ، فأحاطتْ بالقريةِ من جهةِ العَدَنِ مِنْ وراءِ الكَوُلةِ السوداءِ[2]، ومرامُهمْ قبضُ مَنْ قرُبَ إلى القريةِ. فلمّا أخذتِ العَجمُ ما قابَلها من السورِ، هجموا على القريةِ المرةَ الثانيةَ، حتى بلغوا إلى حيثُ بلغوا المرةَ الأولى، فأطلقتْ عليهم العربُ البنادقَ، وناجزوهم بالرَّمي الصادِقِ، فانهزموا إلى حيثُ انهزموا أولاً، وبقيت القتلى حولَ القريةِ، لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يبلغَ إليهم، فلمّا رأى علي باشا أنَّهُ لم ينجعْ فيهم ما وقعَ، جعلَ يُحَرِّضُ أهلَ المدافعِ على الرِّمايةِ والعسكرَ على الهجومِ.

وأرسـلَ طائفةً من العسكرِ فأحرقوا قرية القُلْفان[3] فحرق بعضَها وجمعَ

(1) حمراء العَلِب: قرية من بلاد سنحان في السفح الجنوبي من جبل نُقُم، انظر، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٦١، معجم المقحفي، ١٩١.

(2) الكَوُلة السوداء: أكمة جنوب الجرداء، انظر، صفحات مجهولة، ٤١.

(3) القُلْفان: قرية صغيرة بالقرب من الجرداء من جهة المشرق، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٥٠.

العسكرَ، وعزمَ على الهجوم حتى قارب القريةَ، فرمتْهُم العربُ حتى ردّوهم مكانَهم. وكانَ أهلُ قريةِ الجرداءِ لما أحسّوا بخروجِ العَجَمَ، أخْرجوا أطفالهم، ولم يبقَ إلا مَنْ يقدِرُ على الحَرْبِ، هكذا حكاه بعضُهم.

وأخبرنـا بعضُ منْ حضرَ الوقعةَ أنّ العجمَ لما هَجموا دخلوا من بابِ القريةِ فرماهم مَنْ في القريةِ رمْياً شديداً حتى رَدّوهم. ثم هَجموا المرةَ الثانيةَ، وحينئذٍ تناجى من في القريةِ، وقالوا: مَنْ أرادَ البقاءَ، فليخرجْ، ومنْ وَطّنَ نفسَهُ على الموتِ فليبقَ. فخرجَ منهم جماعةٌ، فلما رَأتْهم العجمُ ظنّوا أنّهم قد خرجوا الجميع. وقالَ رجلٌ من أهلِ العُبِّس[1]: يا جماعة، أينَ الذين كانوا يرمُـون في كلِّ ساعةٍ، اليومَ وقتُها. فنزل الجميعُ إلى سُورِ القريةِ، وجعلوا يثبِّتون فيه المرامي والمتارِسَ. فهجمتْ عليهم العجمُ، فأطلقوا عليهم البنادِقَ حتّى انهزموا، وكانَ بهمْ ما كانَ من القَتْلِ، ثم هَجَموا المرَّةَ الثالثةَ كذلك، وأمّا مَنْ كانَ حولَهمْ مِنَ القبائلِ ففرّوا، وأيِسَ الناسُ مِمَّنْ في الجرداء لَمّا شاهـدوا منَ الهُجـوم والمَعْدا. وأما سيفُ الإسلامِ، ومَنْ معه من خَوْلانَ، فأقبلوا غائرين، وهمْ قدرُ اثنتي عشرةَ مئةً.

وقـدْ كانت العَجَمُ رتَّبتِ الأكامَ التي في طريقهمْ، فلمّا رَأَوْهم غائرين رمَوْهُم بالمدافعِ والبنادقِ، فما قدَروا على الوصولِ، بل انْحبسوا مكانَهم،

---

(1) العُبِّس: قرية وواد غربي بلاد الروس، ويصب الوادي في سهام بعد أن يلتقي مع بقية مصبات أودية بلاد الروس في فَرْش آنس، انظر، الإكليل، ٢/٤٥٠، صفة جزيرة العرب، ١٣٥، ١٨٢، طرفة الأصحاب، ٦٥، قرة العيون، ٣٠٢، معجم المقحفي، ٤٢٥.

وأقبلَ الحاجُّ شريانُ مرح، رحمه الله، وصحبتَه جماعةٌ غائرين من مطرحِ حدّة، لمّا رأوْا أنّها قد تناهتْ على أهلِ الجِرداءِ الشدةُ، فَرَمَاهُم العجمُ بالمدَافعِ والبنادِقِ، فلمْ يرجعْ منهم كلُّ صادقٍ. بل حملوا حملةَ رجلٍ واحد. حتى وصلوا إلى قُربٍ من الجرداءِ، فلما رأتْهم العجمُ وأحسُّوا منهم الصدقَ والثباتَ انهزموا أقبحَ هزيمةٍ. ورجعوا صنعاءَ وقد نَدِموا / غايةَ الندم، وقُتِلَ منهم خلقٌ كثير، وتركوا في الفلاةِ طعاماً للسباعِ والطيورِ، وأدخلوا معهم المكاوينَ. ولما دخلوا صنعاءَ عندَ الغروبِ خائبين فشلين، منَعوا الناسَ عن النظرِ إلى المكاوين، خوفاً من شماتةِ الشامتين، وكان قَدرُ المقاتيلِ منهم مئةً وخمسين، وقيلَ أكثرَ من ذلك، ومثلُهم مجاريحُ.

١٥أ

ثم إنَّ العجمَ لما رأَوْا ما نزلَ بهم وألَمّ، استعدّوا لِنزولِ البلاءِ، وحَسِبوا أنَّ الله قد كتبَ عليهم الجلاءَ. وطلبوا الطعامَ مِنْ أهلِ صنعاءَ الذين يدَّخِرون الحبوبَ طوعاً وكرهاً. وخرجُوا في بعضِ الأيامِ إلى مَذْبَح[1]، وصحبتَهم السيدُ محمد الشويع ليدخلوا حَباً من هنالك، كانَ قد اشتاطه لهم السيدُ محمد الشويع، فبكروا لذلك عند طلوعِ الفجرِ، ولم يشْعرِ المجاهدون إلّا وقدْ رجَعوا فتبعوهم بالحرْبِ. وكانَ قد تلقّاهم جماعةٌ من العسكرِ الذي في صنعاءَ: فطابَ لهم المآبُ والرجعا.

ثم إنَّ العجمَ وأهلَ صنعاءَ كتبوا كتاباً إلى مَنْ في الروضةِ من المجاهدين؛ أنّهُ لا ينبغي أنْ تكونَ الروضةُ ميداناً للحربِ؛ لما في ذلك من

(1) مَذْبَح: بلدة من بني الحارث في الغرب الشمالي من صنعاء بمسافة ٣كم في الطريق إلى ضلع همدان، انظر، معجم المقحفي، ٥٧٦.

ترويعِ النساءِ والصّبيانِ ومَنْ ليسَ له ذنبٌ: فعيِّنوا أيَّ موضعٍ شئتمْ يكونُ فيه تلاقي الفرسان. فأجابَ عليهم المجاهدون: إنَّ الخيرةَ إليكم في هذا الشانِ. فاتّفقوا على الخروجِ إلى جبل قُرْعَة(1)، وكانتْ فيه وقعةٌ وأيُّ وقعةٍ، وهي وقعةُ الجراف.

ذكرُ وقعةِ الجراف(2)

وصفتُها: أنّها خرجت العجمُ مِنْ صنعاءَ يومَ الإثنين، ورتّبوا طريقَ الجِرافِ، ليصعدوا إلى جبلِ قُرْعَةَ بمدافِعِهم، وجَعلوا يرمُون إلى الجِرافِ، وفيه السيّدُ الجمالي عليُّ بنُ صلاحٍ [وهو](١) المقدمي(٢)، وصحبتَه جماعةٌ من أرْحَبَ وهَمْدَانَ، فلمْ تؤثّرِ المدافعُ إلاّ تأثيراً يسيراً، وأقبلتِ الغارةُ مِنْ بني حِشيشٍ، فجعلوا يرمُونهم بالمدافعِ إلى جبلِ الحشيشية(٣) فتحيّروا هنالك. وما زال سيدي عبدُالله بنُ المتوكل، وسيدي يوسفُ بنُ غالب ومن معهما من أهلِ البنادق الشاشخان(3) يرمون العجمَ. ولم تزلِ الغاراتُ تتلاحقُ، وكلّما

---

(1) جبل قُرْعَة: فوق وادي الحربي، المعروف عند أهل الجِراف، انظر، حوليات يمانية، ٤٢٩.

(2) الجِرَاف: قرية جنوبي روضة حاتم تتوسط بين صنعاء (المدينة القديمة)، والروضة، أصبحت اليوم جزءاً من العاصمة صنعاء، انظر، اليمن الكبري، ٧٤، صفحات مجهولة، ٣٦، طبق الحلوى، ١١٩.

(3) الشاشخان (الشيخشان): نوع من البنادق تبلغ في مرماها ضعف البنادق العربية، والمرت: بنادق عرفتها اليمن سنة ١٣٠٩هـ، تبلغ في مرماها ضعف الشاشخان انظر، حوليات يمانية، ٤٢٨.

---

(١) الإضافة من ع.

(٢) في أ، م، مقدمي.

(٣) في أ، الحشيشة.

وصلتْ تحتَ الجرافِ تحيَّرتْ خوفاً من المدافعِ .

ثم إنَّ جمـاعةً من هَمْدَان وغيرِهم شمّروا الهمةَ، وزحفوا نحوَ العدوِّ، فصعدوا أكمةً سوداءَ غربيَّ ذلك الجبلِ ، كانتْ قدْ طَرَحَتْ فيها العجمُ حتى هزمـوهم عنهـا وصَعَـدوهـا، ثم صاروا يرمـون إلى رأسِ الجبل، فأصابتْ طوبجيَّ[1] المدفعِ رصاصةٌ كان فيها حتفُهُ. وأقبلتْ غارةٌ من حدَّة، فلما عرَفَ العجمُ إقبالَ الغاراتِ وقد قُتِلَ الطوبجيُّ، انهزموا، ونزلوا عن الجبلِ ، وقدْ ظهرَ عليهم ِ الرُعبُ والوَجَلُ. فأقبلَ إليهم المجاهدون من كلِّ جانبٍ، فأظهرَ العجمُ الهزيمةَ خداعاً كما هي عادتُهم المستديمةُ، فتبعهم المجاهدون. ثم إن العجمَ عطفـوا وثـارَ الحـربُ العـظيمُ. وصبَّـر الفريقان ، كلُّ طائفةٍ من الأخرى. وقُتِلَ منهم جماعةٌ، وكان العجمُ قد رتَّبوا بيتَ الطوقي(١) والنوبة[2] التي قريبَ البئرِ الجديد، ولم يعلمِ المجاهدون بذلك لأنهم كانوا قد قالوا لأهلِ[3] بيتِ الطوقي أن يرتبوا محلَّهم. فقالوا: لا نقبلُ منكم عسْكراً ولا من العَجَمِ ، فظنّـوا صدقَهم، فلّمـا أرادوا أنْ يخلفـوا للعجمِ من جهةِ الشرقِ

---

(1) طوبجي المدفع: ضارب المدفع

(2) بيت الطوقي : بوادي شعوب على نحو نصف ساعة شمالاً من صنعاء، انظر أئمة اليمن، ٢/٩.

(3) النـوبـة: مكـان يخصص للقتـال من داخله وهو مبنى مدور من طين يتخذ على الاسطواني للتحصين والدفاع، ويوضع في الجوانب خروق للرماية منها، بحيث لا يستـطيع مَنْ في الخـارج أن يرمي عليهـا، لأنها تكون ملتوية من الداخل، تسمى بالعامية مواشق، انظر، صفحات مجهولة، ٤٢.

---

(١) في ع، لبيت الطوقي.

ليقطعوا عليهم الطريقَ التي إلى صنعاءَ، رماهُمْ الذين في بيتِ الطوقيِّ وفي النوبةِ من العَجَمِ، واستُشهِدَ من المجاهدين ثلاثةٌ، منهم: الشيخُ أَحمدُ بنُ يحيى دهره، رحمه الله. فانحاز المجاهدون راجعين، وانهزمت العجمُ إلى صنعاءَ فارّين، فتلقتْهُمْ غارةُ بلادِ البستانِ، فرَمَوْهُمْ، فقتلوا منهم جماعةً.

١٥ب ثمَّ بعدَ (ذلك)[١] دخلوا المدينةَ في تلك الساعةِ، واستُشْهِدَ من / المجاهدين في تلك الوقعةِ [(1]نحو العشرين[1)]، ومن العجمِ كثيرٌ غيرُ محصورين.

ولما رجعَ العجمُ إلى صنعاءَ، وقد ضاقَتْ بهم الأرضُ ذرعاً، وخالَطَهُم الرعبُ الظّاهِرُ، أمروا أهلَها بأنْ يحرسوا كلَّ ليلةٍ في الدوائرِ، ومَنْ لم يحرسْ كانَ عليه الجزاءُ والأدبُ. ومِنَ الغرائبِ[٢]؛ أنَّ رجلاً من المجاهدين الصادقين، جعلَ له حفرةً في أسفلِ جبلِ نُقُم، فوقَ القصر، وكان يدْخلُ في تلك الحفرةِ بعدَ الفجرِ إلى اللّيلِ، ويرمي العجمَ إلى داخلِ القصرِ، وكانَ إذا رَمى خرجَ من الحُفرةِ، وتركَ بعضَ ثيابهِ في تلك الحفرةِ، فيرميها العجمُ بالمدافعِ. ثم يرجِعُ إلى الحفرةِ ويرميهم كذلكَ حتى أضرَّ بهم، وقَتَلَ منهم نحواً من خمسةٍ وعشرين، حتى حصلتْ فيهم النكايةُ. وكان مؤيَّداً بالنَّصرِ، كُلَّما رمى رصاصةً وقعتْ على لحمٍ.

وفي بعضِ الأيام رماه طوبجيُّ المدفعِ، ففهِمَ ذلك قبل أن يرميَ

---

(1) انظر أئمة اليمن، ٢/٤٤ «وفيه أن لقبه المعتكف».

---

(١) الإضافة من ع، م.

الطوبجيُّ، ونصبَ ثوباً في الحفرةِ، واختبأ في حفرةٍ أخرى، فرماه الطوبجيُّ، فلما وقعتِ الرصاصةُ في الأرضِ نصب الرجلُ رجليه، واستلقى على ظهرِه، كأنه قد أُصيبَ، فلما رآه الطوبجيُّ سُرَّ بذلك، وأخذَ الناظورَ وجعل ينظرُه، فمدَّ الرجلُ البندقَ من بين أصابعِ رِجْلَيْه ورمى الطوبجيَّ، فأصابه في وجهِه، فقتله.

ومن العجـائبِ، أنّـهُ لم يُعْلَمْ مَنْ هذا الرجلُ، معَ أنهُ قد أراد بعضُ المجاهدين الوصولَ إليه ليعرَف من هو، فلمّا وصلَ إليه هَرَبَ منه، ولم يُطَّلَعْ له على خبرٍ إلى حدِّ التاريخ، حتى سمعنا من بعضِ العوامّ أنه من صالحي الجِنِّ، والله أعلم.

ولقدْ سمعتُ من يحدِّث عن عليّ البليلي أنَّ الرجلَ المذكورَ أثَّر فيهم تأثيراً عظيماً، وسمِعْتُ من الامام عليه السلامُ، أنه لم يَعْلَمْ من الرجلُ، ولعلَّه من المجاهدين المخلصين تقبَّل الله منه.

ثم إنّـهُ اشتَدَّ على العجمِ الحصارُ، وظهرَ عليه الذُلُّ والصَّغارُ، وفرّقوا المدافعَ في النوبِ التي في الدَّوائرِ، ودارتْ عليهم الدوائرُ.

ومما اتفق أنه في بعضِ الأيّامِ، خرجَ جماعةٌ من العجمِ والضبطيةِ[1] يجرُّون مدفعاً ليرموا به، فقرِحَ من قفاه، وقَتلَ اثني عشر رجلاً.

ثمَّ إنَّ أهلَ صنعاءَ ما زالوا يُخرجون منها في كلِّ يومٍ إرسالاً، بعضُهم

---

(1) الضبـطية: نسبـة إلى فرق الضبطية التي كونها العثمانيون من أبناء البلاد، وتشبه مهمتها مهام الشرطة حالياً. انظر، وثائق يمنية، ١٩٥.

على أثرِ بعض.

وفي هذه المدةِ خرجتِ العجمُ أيضاً وقتَ الظُّهْرِ، وقد اشتدَّتْ عليهم، فالتقاهم المجاهدون بالحربِ حتى ردُّوهم إلى صنعاءَ، واستُشْهِدَ حينئذٍ من المجاهدين ثلاثةٌ، وقُتِلَ من العجمِ أربعةٌ.

وفي اليومِ الثاني، خرجتِ العجمُ يقصدون الغَنَم، فوقعَ الحربُ بينهم وبينَ سنحان، من الصُّبْحِ إلى العصرِ.

وفي وقتِ العصرِ غارَتْ جماعةٌ مِنْ مطرحِ الروضةِ، فتقاتلوا هُمْ والعجمُ حتى ردُّوهم من نُقُم إلى صنعاء. وكانَ دخولُهم من المشهدِ[1]، وصارَ الذين في صنعاءَ يرمون مِنَ الصوامعِ[2] ومِنَ الدّوائرِ[3] عِندَ رجوعهم. ولمّا اجتازوا عندَ ماجل الدِّمة[4] ـ وكانوا يفرّون من بينِ القبورِ ـ حتّى وصلت الرصاصُ إلى بابِ اليمن[5]. واستُشْهِدَ من المجاهدين قدرُ سبعةٍ، وقُتِلَ من العجمِ عشرةٌ، فحينئذٍ خالطَ العجمَ الوَهَنُ الأعظمُ. حتّى إنه أخبرني مَنْ أثِقُ به مِن العلماءِ

---

(1) المشهد: مصلى العيد في جهة فَروة وهي حارة من ظاهر شعوب بصنعاء تنسب إلى المسجد الكائن بها، انظر، مذكرات المؤيد بالله محمد بن اسماعيل، ٤٤.

(2) الصوامع: الأماكن العالية، مفردها صومعة.

(3) الدوائر، ج دوار في الحارات أو مكان تجمع الدور، الحي.

(4) ماجل الدِّمة: الماجل في اللغة البركة الكبيرة، وهو كل ماء في أصل جبل أو واد، وماجل الدِّمة، بجوار مقبرة صنعاء الشرقية وعلى مقربة منها آكام الزبيب، انظر، رياض الرياحين، ١١٩.

(5) باب اليمن: هو الباب الجنوبي لمدينة صنعاء القديمة، وهو من المعالم الهامة التي تبرز روعة الفن المعماري، انظر، طبق الحلوى، ٩٩.

الأعلامِ، أنّه سمعَ الشيخَ عليَّ البليلي يقولُ: لو دخلَ المجاهدون في تلكَ الحملةِ لأخذوا المدينةَ على الجملةِ، لما أصابهُمْ من شدّةِ الوَهَن والرُّعبِ(١).

وفي هذه الفتوحِ يقولُ القاضي حسينُ بنُ أحمدَ العرشي، شعراً:

[البسيط]

اللهُ أكبرُ جاءَ الفتحُ واقْترَبا ... واسْتَرْجعَ الدَّهْرُ من غيظِ الذي وهَبَا

لمّا رأيتُ سيوفَ الحقِّ مُصْلَتَةً ... جَديرةً أنْ تُؤدّي كلَّ ما وَجَبا

مُحيطةً ببُغاةٍ طالَ ما عَمِيَتْ ... أبصارُها فَتَعامَتْ واعْتَدَتْ نكبَاً

وألزَمَتْ كلَّ مَنْ يدعو أسِنَّتَها ... أنْ يضربَ العَصَبَ المشتَبَّ والعَضْبا

وقد رأيتُ خيولَ اللهِ صاهِلةً ... مُغيرةً تتهادَى نحوَهُمْ سَرَبا

تمرُّ وهي إلى الأوْطارِ قد بَسَطَتْ ... والسُّمُ من مِنْخَرَيْها يقذِفُ العَطَبَا

/ وقد رأيتُ أميرَ المؤمنين وَقَدْ ... عبًّا لحرْبِهِمْ مِنْ حِزْبِهِ النُّجُبا ١٦أ

وخيرَ أهلِ ذوي الغاياتِ كلِّهِمُ ... مشاعِراً وأجلَّ العالمين أبَا

مُحمَّدَ بنَ أميرِ المؤمنينَ أخا الـ ... هيجا إذا أضْمَرَتْ في سِرِّها نَصَبَا

أفتى البريةِ محموداً وأجودَها ... جوداً وأكرمها بالمكرُماتِ حَبَا

قومٌ تفرَّدَ بالعلياءِ فانفَرَدَتْ ... إليه طالعةً لا تبتغي سَبَبَا

وآمِرٌ لو رآهُ الآمرونَ لَهُ ... وقدْ تبسَّمَ حينَ الليثُ قدْ غَضِبا

والجردُ تهوي إلى الأعداءِ قد كَشَفَتْ ... عن وجهها برقَعَ التحسينِ والعتبا

والأُسْدُ تَزْأَرُ إذْ وافت فرائسَها ... وكلُّ ما عَمَّرَتْه العُجْمُ قَدْ خَرِبا

---

(1) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ٢/٤٥.

---

(١) في م، والرهب.

وصـارع فوقَ مَصْـروعٍ يُجدِّلُـهُ | كأنَّـهُ حَطَبٌ ألـقـاهُ مُحْتَـطِبـا
يَرْمي العُـداةَ بجيشٍ لا ينـازِلُـهُ | جيشٌ فَيُصْبِـحُ إلاّ مضمَـراً هَرَبـاً
وكـلُّ ما بانَ من أعـدائِـهِ عَلَمٌ | وصـاحَ فيهِ بصـوتِ الشـدّةِ انْقَلَبـا
أكـرِمْ به مِنْ حسـامٍ قاطـعٍ ذكـرٍ | مصـمَّـمٍ مسـتـعـدٍّ لِلِّقـا شَطِبـا
يَشْـتَـاقُ لُقْـيا عُداةِ الـدِّين بارزةً | في مَوْقفٍ فيه أرواحُ الكُمـاةِ هَبَـا
حتـى كأنَّ عليهِ الـعُـجْـمُ راضيةٌ | أوْ أنّـهُ في سَوَادِ المـوتِ قد كُتِبـا

ومنها:

وذا الـذي كانَ جبـريلُ الأمينُ يَرَا | إيّاهُ معـجـزةَ الـتـنـزيلِ والكُتُبـا
والفِـرعُ من أصْلِهِ الموصوفِ مَنْبَتُهُ | وليسَ يُثْمِـرُ عوداً يثمـر الحبـا

ومنها:

وقـد رأيْتُـكَ أهـلاً أنْ أقـولَ له | خيرُ البـرَّيةِ من يمشي ومن رَكِبـا
من خيرِ أصـلٍ له الآياتُ شاهـدةٌ | وخيرُ فرعٍ تربَّـا فاسـتـوى ورَبـا

وفي هذه المـدةِ، وجّـه الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ السيدَ محمدَ بنَ محمد المـطاع إلى مدينةِ ذَمَار ويَريم [1] لقبضِ ما في خزائنِ العجمِ من البنادقِ الشاشخان والمونة لا غيرَ، فأنعموا له بالتسليم.

وقدْ كانَ أهلُ المدينتين كَتَبوا إلى سيفِ الإسلام لتحصيلِ ذلك المرامِ،

(1) يَرِيْم: مدينة تقع إلى الجنوب من مدينة ذمار والمنطقة المحيطة بها تسمى باسمها، تتبع إدارياً محافظة إب، تبعد عن ذمار بمسافة ٤٠ كم، في سفح جبل يصبح انظر، صفـة جزيرة العرب ١٣٢، طبق الحلوى، ٦٨، الاكليل، ٢/١٩، تاريخ اليمن الثقافي، ١/١٠١، اليمن الكبرى، ٤٥، معالم الآثار، ٩٧، صفحات مجهولة، ٢١، معجم المقحفي، ٧١٠.

فلمّا وصلَ السيِّدُ محمدُ إلى ذَمَار تلقّاه أهلُها بأُهبةٍ تُهيلُ العقولَ والأبصارَ، فقبضَ ما هنالكَ مِنَ البنادِق، وأرسلَ إلى يريمَ مَنْ يقبضُ ما فيها، فقبضوا جميعَ ذلك.

/ وكانَ جملةُ المأخوذِ من البنادقِ الشاشخان ثلاثةً وسبعين قصبةً، واثني عشرة بغلـة وفرساً، وبقيَ المأمـورون من طَرَف العَجَمِ في المدينتيـن: يَرِيْم وذمار، حتى أرسلَ لهم الإمامُ – حفظَهُ الله كما ستأتي به الأخبارُ. ١٦ب

وفي هذه المدةِ كتبَ أهلُ مدينةِ يَريم وذَمَار وبلادُهما مِنَ المشايخِ الكبارِ إلى الإمـام ـ عليه السـلامُ ـ بالبيعـةِ، وأنْ يرسِـلَ العُمّالَ ليُقيموا شَرْعَ ذي الجـلالِ. وكان المعرّفَ إليه من المشائخِ والرعيةِ أولو الكمال، خوفاً من ثورانِ العامة والأنذالِ؛ لأنَّ العامَّة لمّا سمعوا بحصارِ مدينةِ صنعاءَ، طارتْ قلوبُهم فَرَحاً واشتياقاً إلى رفْعِ دولةِ العجمِ، وطَمْسِ اسمِ مَنْ بغى وظَلَمَ، حتى أنَّ الرعيةَ همَّتْ بالبطشِ في المشائخِ، وهدْمِ ركنِ جَوْرِهم الراسخِ. وكـان الحقيرُ ممَّنْ حثَّ النـاسَ على الطاعةِ، والدخولِ في بيعةِ الجماعةِ فأذعنوا لذلك، وسارعوا إلى الدّخول في أوضحِ المسالكِ. أما الرّعيَّةُ منهمْ صادقون فيما يدّعون، وأمّا المشايخُ وأعوانُ العَجَمِ، فإنّهم يُبْطِنون خلافَ ما يُظْهِرون. ولقد نَزَل بهم من البلاءِ والخوفِ ما لا يَصِفُه الواصفون. وحينَ أجمعَ أهلُ بلادِ يَرِيْم على مبايعةِ هذا الإمامِ الكريمِ، أمروني أنْ أكتبَ البيعةَ إلى حضـرةِ الإمـامِ، عليه أفضـلُ الصلاةِ والتسليم، مصحوبةً بأبياتٍ فيها التهنئةُ بتلك الفتوحِ، التي بروقُ السعادةِ من جوانبها تلوحُ. وهي هذه[1]:

[الطويـــل]

(1) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ٢/٤٨.

[الطويـــل]

أهنّيكَ يا ابنَ الطُّهْرِ من آلِ هاشمٍ *** بفتــحٍ بهِ سُرَّتْ جميعُ العَــوَالمِ
ومــجــدٍ أثــيلٍ ليس يُدْرَكُ شأْوُهُ *** وفخـرٍ سيبقى ذِكْرُه في المـواسمِ
لَقَــدْ جاءَ نصــرُ الله والفتــحُ كلُّه *** وقـد ولّتِ الأدْبارَ جنـدُ الأعـاجمِ
نَصَرْتَ كتابَ اللهِ يا ابنَ رسُولهِ *** وقُـــمْـــتَ بأمْــرِ اللهِ قَوْمــةَ حازمِ
ودَوَّخْتَ أهْلَ الجورِ والفِسْقِ والخنا *** فكـلُّهُـمُ لاقـى شِفـارَ الصَّــوارِمِ
إذا نشأتْ في حربك السّحبُ أمْطَرَتْ *** رؤوسَ الأعـادي لا كغيث الغمائمِ
فقدْ أصبحَ الأعداءُ في كلِّ مَنْهَلٍ *** طعـامـاً لغِـربـانِ الهـوا والقشـاعمِ
جزاءً وِفــاقــاً عَنْ خبيثِ فِعَــالهِم *** وما اجترموا في سالفٍ من جرائمِ
هُمُ ضيّعــوا دينَ الــنّـبيِّ محـمّــدٍ *** هُمُ وسّعـوا في الناس طُرقَ المظالمِ
همُ ركِبــوا كلَّ الفــواحش جَهْــرةً *** همُ فَعــلوا فيهــا جميعَ الــمــآثـمِ
وقـــدْ كادَ هذا الــدينُ ينهــدُّ رُكْنُــه *** بحينِ استحـلَّ التـركُ كلَّ المحـارمِ
ومَـنْ عَرفَ الأتـــراكَ معـــرفـتـي بهمْ *** وبـــالـــطّعْنِ رَوَّى رُمْحَـــه غيرَ راحِمِ
فاحْيَيْتَ فينـــا يا ابنَ يحيى رســومَـهُ *** وَجَـــدَّدْتَ منـــهُ دارســاتِ المعــالمِ
١٧أ وأصــبــحــتِ الأعـــداءُ في كلِّ بلدةٍ *** كطيفِ خيالٍ أوْ كأضـغــاثِ حالـمِ
فهـــلْ بعـــدَ هذا من فخــارٍ وســؤددٍ *** وهـــلْ بعـــدَ هذا مِنْ مقــالٍ لناظمِ
فقـــلْ لأمــيرِ الــمــؤمــنين مهنّياً *** هنـيـئـاً بمــا أوْلَـيْتـه من مكــارمِ
عليكَ صلاةُ اللهِ ثم سلامُـــه *** وأنـصـــارُكَ الـغــرُّ لُيوثُ المـلاحمِ
فـللهِ هَمْـدَانٌ وللهِ أرحــبٌ *** وحــاشــدُ حيّوا من رجــالٍ أكـارمِ
ويا حبّــذا أولادُ كهــلانَ جُمْــلةً *** مســـاعيرُ حربٍ لم يَدينـــوا لظالـمِ
رجالٌ متى يُدعَوْا إلى الحربِ يرقلوا(1) *** إليهـــا كإرقـــالِ اللُّيوثِ الضــراغمِ

(1) أرْقلت القوم إلى الحرب إرْقالاً، إذا اسرعوا، قال النابغة:

هُمُ نصــروا قُدْمــاً عليّاً وهــكــذا　　　بنــوهُ جميعــاً قائــمــاً بعــد قائــم

ولا عيبَ فيهــم غيرَ أنَّ سيوفَــهُــمْ　　　بهــنَّ فلولٌ من قِراعِ الـجَمــاجــمِ

سَلُوا عنــهمُ شرْقَ البــلادِ وغــرْبَهــا　　　تُخَــبِّــركَ الــرُّكبــانُ من كلِّ قادمِ

همُ القــومُ كلُّ القومِ إنْ كنتَ جاهلاً　　　فسـلْ عنهمُ صنعـا ومَنْ في التهـايمِ

الـيكَ ـ أميرَ الـمـؤمـنين ـ قصيدةٌ　　　وجُــهْــدَ مقــلٍّ فاقبـلوا قولَ خادمِ

ولا زِلـتَ منْـصــوراً لِربِّــك ناصِــراً　　　وغوثَ ذوي[1] الشَّكْوى ورغمَ المراغمِ

ثمَّ إنَّ الامام، حفظه الله، بعدَ وصولِ المكاتبة[2] إليه بطلبِ العاملِ، أرسل السيدَ الماجدَ، عزَّ الإسلام محمدَ بنَ يحيى بن الهادي، عاملاً على بلادِ يريم، فتلقَّتْهُ مشايخُ البلادِ إلى مدينةِ ذَمَار.

ولما وصلَ مدينةَ يريم رحَّبَتْ به الدّارُ، وأيقَنَتِ الرعيَّةُ أنها قدْ طلعتْ شموسُ الفرحِ المحمَّديةُ، فأذعنتْ لهُ كلَّ الإذعانِ، وكانَ ما كان.

ثم بعدَ وصولِهِ بمدةٍ تقوَّتْ نيَّةُ الحقيرِ، راقمِ هذا التسطيرِ، بعد استخارةِ الملكِ القديرِ على شدِّ الرِّحالِ، إلى مقام نجمِ الآلِ، وقُثَم الكمالِ، مقامِ الـرجـالِ، والإمامِ الذي لا يُصابُ له شكلٌ ولا مثالٌ، فأخذتُ الإذنَ من العـامـلِ، وعـزَمْتُ على بركـةِ اللهِ تعالى، والاشتياقُ يسوقُ حثيثاً، وعِتاقُ الركايب تقولُ هاتِ حديثاً. فلما وصلنا إلى حدَّة، بلغَنَا من الأخبارِ ما فيه أعـظمُ الشِّـدَّة، وهي: أنَّ صفيَّ الإسلام، السيدَ الماجد، أحمدَ بنَ محمدِ

(١) في م، لذوي.

(٢) في أ، المكاتيب.

الشرعي(1) قد وافاه الحِمامُ شهيداً، يُرْزَقُ عندَ ربِّهِ الملكِ العَلَّام.

ويلغَ أيضاً خبرٌ آخرُ، وهو أنَّ العَجَم قد خرجتْ غارتُهم، وقدْ وصلَ أوائلُهُم سوقَ خُمَيّس مذيور صحبةَ أحمدَ فيضي، فصارَ الناسُ مِنْ تلكَ الأخبارِ في حَيْصَ بَيْص.

وفي صبحِ تلكَ الليلةِ، توجَّهْنا من حدَّة حتى وصَلْنا تحتَ نقيل عَصُرْ(2)، وإذا النذيرُ العريانُ يخبرُ بأنَّ العَجَم على أثرِهِ / قاصدين صنعاءَ، فقطعْنا الطريقَ عَرْضاً حتى وصلْنا قريةَ القابل. ثم إنَّ القبائلَ الذين كانوا محاصِرين لصنعاءَ تلقَّوْا أحمد فيضي بالحربِ، وأصدَقوا الجِلادَ والضربَ، وكانَ أحمد فيضي قد ألزمَ الطوبجيةَ بأنْ يتابعوا الرميَ بالمدافعِ ليلاً ونهاراً، وفي كلِّ ساعةٍ خشيةَ أن ينامَ(١) العسكرُ، لأنّهم قد كانوا سهِروا في اللّيالي

١٧ب

= اذا استنزلوا عنهن للطعنِ أرْقَلوا إلى الموت إرقالَ الجِمالِ المَصاعِبِ
انظر مادة رَقَل في لسان العرب.

(1) أحمد بن محمد الشرعي الحسيني، ينتهي نسبه إلى الإمام المتوكل على الله، المحسن بن أحمد، اثر قتله لرجل من صنعاء اسرته الأتراك ١٢٨٩هـ، وارسلته إلى الحديدة وبقي في مركب من المراكب البحرية، وحج إلى مكة،ومنها هرب إلى طرف الامام المنصور بالله. مقدام، شجاع، روى عنه أنه كان يحرض الناس على القتال قبل موته بساعة إثر اصابته برصاصة في صدره ويقول «رتبوا أموركم، وأصلحوا قلوبكم وصدوركم، ولا تأمنوا العدو ولا تحقروه، ان مكر الأعداء لا يؤمن وإن قليلهم لا يحقر» انظر، أئمة اليمن، ٢/٤٦، نزهة النظر، ١٥٤.

(2) نُقيل عَصُر: جبل يطل على صنعاء من غربيها، وتحت الجبل من الجهة الشرقية قريباً =

(١) ينام.

السابقةِ كثيراً. ولمْ يزلِ الحربُ بينَ العربِ والعجمِ، حتى دخلَ أحمد فيضي صنعاءَ.

ولقد سمِعْنا من المدافعِ والبنادِقِ، ما هو أشدُّ من الرَّعْدِ القاصفِ وأصواتِ الصواعقِ. ثم إنّا عَزَمْنا في اليومِ الثالثِ نحوَ ذيفان، ولحِقَنا الخبرُ بأنها قد افتشلت العربُ وكان وكانَ، وسيأتي تفصيلُ هذا، والحديثُ ذو شجون.

ولما وصلنا حضرَتَهُ السعيدةَ، وفاكَهَنا بأخلاقِهِ الحميدةِ المجيدةِ، وتأمَّلْنا قوةَ آرائِهِ السديدةِ، وتدابيرَه الرشيدة. وسمعْنا من دُرَرِ ألفاظِهِ في مذاكرةِ العلومِ فرائد مفيدةً، ولاحَ لنا أنَّهُ أوحدُ الرجالِ، وفريدُ أهلِ الكمالِ، ونعمةُ اللهِ في هذا الزمنِ، ورحمةُ اللهِ على أهلِ اليمنِ، ولقد وقَعَ حبُّه من حينئذٍ في قلبي، وصادفَهُ فارغاً فتمكَّن.

وقال قطني وحسبي: [الطويل]

وهل يستوي ودُّ المُقلِّدِ والذي ... له حجَّةٌ في ودِّه ودلائلُ

وحين أرسلَ الإمامُ، عليه السلامُ، العُمّالَ إلى البلادِ، أرسلَ القاضي

= عَصُر السفلى والعليا انظر، الإكليل، ١٠٨/٨، صفحات مجهولة، ٢٣، قرة العيون، ٤١٧، رياض الرياحين، ١٧٨، والنقيل: الطريق المسلوكة صعوداً في الجبل بلغة اليمن، وعَصُرْ، اسم لقريتين غربي صنعاء ومن منتزهاتها وفيها الغيول والأشجار، وهي في سفح الجبل الغربي الممتد من عيبان ومن رأسه الطريق إلى الحديدة.

العلامةَ سعدَ بنَ محمد الشرقي عاملاً على بلادِ آنس ، والسيدَ الجمالي(١) عليَّ بنَ محمدٍ المطاع عاملاً على بلاد ذمار، والسيدَ العلامةَ شرفَ الإسلام حسينَ بنَ إسماعيلَ الشامي عاملاً على بلادِ إب[1]، والسيدَ حسينَ بنَ يحيى الشامي على بلادِ قَعْطَبة[2]. فلما بلغَ كلُّ واحدٍ منهم إلى محلِّ عملِهِ تلَقَّتْهُ الرعايا بالترحيب والتسهيلِ والتعظيمِ والإجلال، فصلحتْ لهمُ الأحوالُ، ورحَّبَتْ بهم المنازلُ والأطلالُ، وقبضوا على من كانَ فيها من عُمَّالِ العجمِ.

ووجَّهَ الإمامُ، عليه السلامُ، سيدي(٢)، السيِّدَ يوسفَ بنَ غالبٍ عاملاً على الروضةِ، فوَصَلَ هنالك بجمعٍ كثيرٍ. ودخل بيتَ الشيخِ علي البليلي.

وفي يومِ الثلاثاءِ(٣) الرابعِ من شهرِ صفر، ضاق الخناقُ بمنْ في صنعاءَ من العجمَ، وكادَ أنْ ينفذَ عليهم الزادُ، وعلفُ الدوابِّ فخرجوا إلى قاعِ صنعاءَ ليأخذوا من الزَّرْعِ هنالك ما يحصلُ بهِ لهُمْ ولدوابِّهم الانتفاعُ، فتلقّاهُم المجاهدون واقتتلوا قتالاً شديداً حتى اختلط بعضُهم ببعضٍ،

---

(1) إبّ: مدينة عامرة، تبعد عن صنعاء ٢٠٠كم جنوباً غرباً، في رأس ربوة متصلة بجبال بَعْدان، انظر، معجم البلدان، ٦٤/١، مراصد الاطلاع، ١٠/١، تاريخ مدينة صنعاء، ٦١٧، الفضل المزيد لابن الديبع «تحقيق صالحية، ٢٥١، معجم المقحفي، ٧٢٦، معجم البلدان اليمانية للأكوع، ١١٥.

(2) قَعْطَبة: مدينة بالشرق الجنوبي من إب بمسافة ٦٢كم، عُمِّرت على أنقاض مدينة جَيشَان، انظر، أئمة اليمن، ٣٧٨/٢، معجم المقحفي، ٥٢٠، طبق الحلوى، ٨٤، مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، ٢٠٠.

---

(١) سقطت من ع، م.

(٢) سقطت من ع، م.

(٣) في أ، م الثلوث.

فانهزمتِ العجمُ، وقدْ أخذوا شيئاً مما خرجوا لأجلِهِ. وقُتِلَ منهم نيفٌ وعشرون، واستُشهِدَ من المجاهدين سبعةُ أنفارٍ منهم: الشيخُ صالحُ بنُ حسين الكليبي من مشايخِ الحدًّا، وحينئذٍ اشتدّت الأزمةُ على العَجمِ، ولم يجدوا ملجأ مما قَدْ ألَمَّ. فما أغْنتْ عنهم المدافعُ، وإذا جاءَ أمرُ اللهِ فليسَ له مِنْ مُدافعٍ.

ولقدْ أخبرني الثقةُ أنهم كانوا يرمون بالمدافعِ، فيتلقّفُ المجاهدون الرصاصَ، فتصلُ إليهم، وتقرح بينهم ولا تضرُّ أحداً / ويأخذون ما فيها من الرصاص. ١٨أ

ولمّا اشتدَّ الحصارُ على أهلِ صنعاءَ خرجوا منها أرسالاً، إلا أنّهمْ وَجدوا مِنْ سفهاءِ العسكرِ شدَّةً ونِكالاً، فصاروا يَنْهبونَ الداخلَ والخارجَ مِنْ صنعاءَ، فما أحسنوا في ذلك صُنعاً، وإنّما أمَرَهُمُ الإمامُ بمحاصرةِ العَجَمِ وأعوانِهم اللئامِ، فتعدَّوْا إلى ما ليس من شأنِهم، ثمَّ إنَّهُ لم يبقَ للتُّركِ مُعاوِنٌ ولا مُتابعٌ في جميعِ البلادِ إلّا شعوب وبيت مِعْيَاد.

وفي مدةِ الحصارِ أرسلَ سيفُ الإسلام محمدُ بنُ الإمام للقاضي عبدِالرحمن المجاهدِ، وكان قدْ أُسِرَ في عرّ الحَيْمَة قاضياً للعجمِ، فلمّا وصلَ إليه حَبَسهُ في بيتِ حاضر[1]، ثمَّ بعدَ مدةٍ أرسلَ به إلى الإمامِ عليه السلامُ، وكانَ قد طلبَ أقاربُه أن يفتدوه(١) بثلاثِ مئةِ ريال.

---

(1) بيت حاضر: قرية في وادي الأجبار (وادي التناعم سابقاً) من بلاد سنحان، انظر، معالم الآثار، ٤٢، معجم الحجري، بيت حاضر، مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، ٨٥، معجم المقحفي، ١٤٥.

---

(١) في ع، يفدوه.

فلم يساعدْهُم على ذلك الحالِ، فلما بلغَ به حضرةَ الإمام، لم نشكَّ أنها القاضيةُ المؤديةُ إلى الحِمام. وكان معه ابنٌ له صغيرٌ، فحينَ واجهَهُ الإمامُ، حفِظَهُ الله، تلقّاهُ بالإجلالِ والإكرام، ولم يعامِلْهُ بما يستحقُّه من الإهانة والإعدام، بل كساهُ وأعطاهُ شيئاً من الحطام، تأنيساً لهُ ولغيرِهِ منْ أهلِ الإجرام، وصَفحَ وعفا كما هو دأبُهُ ودأبُ آبائِهِ الكرامِ، عليهم أفضلُ الصلاةِ والسلامِ.

ولمّا سكَنَ جأشهُ وزال استيحاشُه، جعلَ له أمراً على الطّويلة [1] لإصلاحِ أمْرِها، وضاعفَ له النَّفَقة، وأركبَهُ بغلةً، وأصحَبَ معه عسكراً. ولما بلغَ ثُلا [2] أظهرَ الكامنَ، ونادى على نفسِهِ أنّهُ خائنٌ، وانخذلَ راجعاً إلى طائفةِ العجمِ. ولمّا رأى ذلكَ بعضُ العسكرِ الذين أصحبَهم الإمامُ معَهُ، نجا بنفسِهِ وبالبغلةِ، ووصلَ بها حضرةَ الإمامِ -عليه السلامُ- ووصفَ له ما جرى مِنْ عدوِّ اللهِ مِنْ نَكْثِ العهدِ. وجَحْدِ النعمةِ، وذلكَ مِنَ القبيحِ عندَ كلِّ أمّةٍ. لا يُقْدِمُ عليه إلّا الأسافلُ ولا يتفيّأ ظلالَهُ إلّا الأراذلُ.

ومِنْ قَبيحِ فعْلِه أيضاً، أنّهُ أَخذَ الرأيَ المختومَ بختمِ الإمامِ، ومَحا

---

(1) الطَويلة: مدينة بالغرب من كوكبان بمسافة ٢٥كم، في سفح جبل القَرَانع، بها مركز قضاء الطويلة المطل على بلاد المحويت من الغرب وإلى الجنوب على بلاد حراز والحَيْمَة أنظر، صفحات مجهولة، ٧٢، اليمن الكبرى، ٦٣، معجم المقحفي، ٤٠٦، طبق الحلوى، ٢٠١.

(2) ثُلَا: تبعد ٤٥كم شمال غرب صنعاء، مطلة من الجنوب على شِبام كوكبان وحَبَابة، انظر اليمن الكبرى، ٦٥، نشر العرف، ١/١٥٩، صفة جزيرة العرب، ١١٢، الاكليل، ٢/١٠٨.

الكتابةَ بالإسفنجةِ، وهي شيء كاللّيفةِ لا يبقى للمِدادِ معها أثرٌ. وكتبَ مَوْضعَ الكتبِ تحتَ الختمِ، يُسَلِّم الولدُ أحمدُ بنُ محمد العانزي إلى الواصِلِ بهذا كذا وكذا. ثم ما زالَ بعدَ ذلك يُشاغِلُ الشيعةَ[1]، فالله يعامِلُهُ بأفعالِه القبيحةِ الشنيعةِ.

وقعةُ وادي علي[2]:

وفي هذه المدة كانتْ وقعةُ وادي عليّ في الحَيْمَة.

وصِفةُ ذلك: أنّ العجمَ أرادوا أنْ يَقْصُدوا الحَيْمَةَ الداخليَّة، وكانَ الإمامُ، عليه السلامُ، قدْ وجّه إليها مقدّمياً: السيدَ عزَّ الإسلام، محمدَ بنَ أحمدَ الشامي، فلمّا قصدَها الأعاجمُ تلقّاهم الشيخُ يحيى قطيعُ في رجالٍ مِنْ جماعتِهِ أهلِ الحيمةِ الداخليَّةِ، واشتدَّ بينهمُ الحربُ، ثم إنّهُ وقعَ مطرٌ، فَطُفِئَتْ فتائلُ بنادقِ المجاهدين، وبنادقُ العَجَمَ لا يضرُّها المطرُ، فما زالوا يرْمُون المجاهدين / حتّى كادوا أنْ ينهزِموا، فأمدَّهُم السيدُ الهمامُ محمدُ بنُ أحمد الشامي بمِنْ معه مِنَ العساكرِ، فانهزمت العجمُ إلى حصنِ العَجِز ورجعَ العربُ، وقدْ دخلَ في قلوبِ العَجَمِ الوَهَنُ والرَهَبُ، فعزموا من فورِهم مَناخةَ، ولمْ تعلم العربُ بذلك. ١٨ب

---

(1) الشيعة: الزيدية يعتبرون أنفسهم زبدة الشيعة لاعتصامهم بالصحيح من مذاهب العترة المشفوعة بالبرهان المنهي إلى العلم اليقين، انظر السيرة المنصورية لأبي فراس بن دِعثم، ٢/٥٤٦.

(2) وادي حمام علي: في آنس جنوب ضوران بمسافة ١٠كم، به ينابيع مياه معدنية فوارة انظر اليمن الكبرى، ٥٩، ١٤٤، ١٤٥، هذه هي اليمن، ٥/٧٧، معجم المقحفي، ١٩٠، رياض الرياحين، ٥٦.

فلمّا وصلوا إلى مَنَاخةَ، وعلِموا أنَّ العربَ لم تتبعْهُم،رجعوا من ساعتِهم إلى مراتبهم، فوجدوها خاليةً، وقُتِلَ مِنَ العجمِ في هذه الوقعةِ ثلاثون رجلاً ومنَ المجاهدين خمسةُ رجالٍ.

ثم إنَّ المقدّميَّ المذكورَ أرسلَ السيدَ أحمدَ بنَ محمدٍ الحديري إلى جبلِ عانز (1) وأمرَهُ أنْ يَشُنَّ الغاراتِ ويقطعَ الطرقاتِ. فلمّا وصلَ السيدُ أحمدُ إلى الجبلِ المذكورِ جمعَ أربعين رجلاً من بني القلّام، ومِنْ أصحابِ الشيخِ عليٍّ بنِ صالحٍ الهروي، فوقف بهم في الطريقِ ليقطعَها على مَنْ في حصْنِ ابن مهدي(2)، فخرجتْ عليهم العَجمُ مِنْ ذلكَ الحِصنِ حتى بلغتْ وادي المحلأ، وخرجَ السيِّدُ المذكورُ بِمَنْ معهُ، فَوَقَعَ بينهم الحربُ مِنَ الساعةِ الثالثةِ في النهارِ إلى العشاءِ، ورجعت الأعاجمُ منهزمين، وصاروا يرمُون المجاهدينَ مِنَ الحصنِ بالمدافعِ، وقُتِلَ مِنَ العجمِ سبعةٌ، وسَلَّم اللهُ المجاهدين.

وفي هذه المدةِ زادت الشدةُ، وعظُمَ الحصارُ على أهلِ صنعاءَ، وخرجَ الضُّعَفاءُ مِنْ أهلِها حتّى امتلأتِ الرَّوْضةُ والسِرّ(3) ودار الحَيْد، وهرَبَ كثيرٌ من

---

(1) جبل عانز: جبل واسع وعزلة ذات قُرى وحصون من الحَيْمَة الخارجية، وهو بالجنوب من مَفْحَق، يطل جنوباً على وادي سِهام انظر، صفحات مجهولة، ٥٧، اليمن الكبرى، ٨٠، هذه هي اليمن، ٣٨٧، معجم المقحفي، ٤٢٠.

(2) حصن ابن مهدي: عزلة بيت ابن مهدي بمحل حيدرة، قرب السايلة التي تنحدر إلى وادي سهام بواد هناك تسمى البادية انظر، معالم الآثار، ٣٧، وبيت المهدي قرب مناخة.

(3) السِرّ: وادي مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣كم، وهو من ناحية بني =

عسكرِ العجمِ.

وفي هذه المـدةِ أيضاً، كانتْ وقعةُ حصنِ مَفْحَق. التي استُشهِدَ فيها السيدُ صفيُّ الإسلام[1].

وصفتُها، أنه لما اشتدَّ الحصارُ على منْ في حصنِ مَفْحَقٍ، خرجتْ طائفةٌ مِنَ العَجَمِ مِنْ مَناخة، وصحبَتْهُمْ جماعةٌ مِن الباطنيّة، يريدون الغارة على مَنْ في مَفْحَق، فتلقّاهُم السيِّدُ صفيُّ الإسلام، رحمه الله، بمَنْ معه، ووقَعَ الحربُ بينَهُ وبينهم، فانهزمَ بعضُ أصحابِهِ، فلما فرَّ عنه مَنْ فرَّ، قامَ يُحرِّضُ مَنْ بقيَ معه مِنَ العسكرِ، فطلعَ سبعةُ أنفارٍ مِنَ العجمِ، فقالَ السيّدُ، رحمه الله، للحاج المجاهدِ أحمدَ معصار: اشْهَدْ لي على واحدٍ منهم، فرماه فقتلَهُ، ورمى الحاجُ أحمدُ معصارُ الثاني فقتلَهُ، ورمى السيّدُ الثالثَ فقتلَهُ، ورمى معصارُ الرابع فقتله. ثم إنَّ واحداً مِنَ العَجَمِ توارى وراءَ حَجَرٍ، ورمى السيّدَ الصفيَّ فأخذت الرّصاصةُ أنمُلةً من أَنَامِلِ يدِهِ ومحلَّ جريدةَ البندقِ، ودخلتْ من صدْرِه إلى أنْ خرجتْ مِنْ ظهرِهِ. فقالَ للحاج أحمدَ معصار: قد رُمِيتُ. فأجابَ عليه: لا تُفشِلِ النّاسَ، ثم دعا برجلينِ فحملَهُ على أحدِهما، وألقى عليه ثوباً لئلّا يعرفَهُ الناسُ فيفشلوا، وعارَضَهُ الرجلُ الآخرُ حتى بلغا بهِ النّجا. وحينئذٍ دخلَ العجمُ مَفْحَقاً. وأدركَ العربَ الشقاءُ، هكذا ذكره بعضُهم في صفةِ استشهادِهِ.

= حَشيش، ويطل على حصن ذي مرمر، وحصن ذَباب، وجبل صَرَع، كان يُقال له سابقاً سر ابن الرويّة انظر، اليمن الكبرى، ٧١، معالم الآثار، ١١٣، صفة جزيرة العرب، ١٧٦، نشر العرف، ٩٥/٢، معجم المقحفي، ٣١٠.

(1) السيد صفي الإسلام المقصود أحمد بن محمد الشرعي.

ولقدْ وَصَفَ لي بعضُ ضُبّاطِ العَجَمِ ، وكانَ مِنْ حاضري الوقعةِ:

قال: وقـعَ الحربُ فحملَ علينا الشريفُ، ووثبَ وَثْبَةَ الأسدِ، وكانَ لا يحتجي حتى فرَّ منه أكثرُ العَسْكرِ، ثمَّ حملَ على المدفعِ والأحجارُ بيدِهِ، فرماه / رجلٌ من العَجمِ مِنْ فوق بغلتِهِ، قالَ: وكنّا نعدُّه مثلَ ألفِ رجلٍ، ولقد صدقَ، فإنه كما قيل: [الرجز] ١٩أ

والـنـاسُ ألـفٌ منهـمْ كواحـدٍ وواحـدٌ كالألـفِ إن أمـرٌ عنـا

فلما أُصيبَ رحمةُ الله عليه سقطَ في أيدي المجاهدين، وقُتِلَ في هذا اليوم من العَجَمِ خَلْقٌ كثيرٌ. ومِنَ العَرَبِ سبعةُ أنفارٍ منهم، (١صفيُّ الدين، وأوْحدُ المجاهدين١) رضوان الله عليه.

وقعةُ حصنِ عكبار وبني خَطّاب[1]:

وصفـةُ ذلك: أنّهُ في هذه المدّةِ تشاوَرَ سيّدي صفيُّ الإسلام والشيخُ «يحيى قطيع على أنْ يغزو العجَمَ إلى مَناخةَ، فاجتمعَ ستُّ مئةِ نفرٍ مِنْ أهلِ الحيمـةِ، وتوجّهَ الشيخُ يحيى قطيع وأولادُه في ستين نفراً، فَقَبضَوا حصـنَ بنْـدار فوقَ هوجران بيت المدعي[2]، وكانَ الحِصْنُ المذكورُ خراباً لا سكنَ فيه، ورتّبـوا معـه حِصْنَ عكبـار، وتقـدّم الباقون إلى عزلةِ بني خطاب ، فتقدمتْ عليهم العجمُ، واستمرَّ الحرْبُ حتّى حَجَزَ الليلُ، ووقعَ القتلُ في العجمِ ممّنْ في الحصنِ، وممّنْ في بني خَطاب.

---

(1) الخَطّاب: من توابع مناخة انظر، معجم المقحفي، ٦٣١، اليمن الكبرى، ٦٠، ١٩٣.

(2) بيت مدعي: قرية شمال مناخة.

(١ ١) في ع، م، السيد الصفي وواحد المجاهدين.

وفي اليومِ الثّاني، وقعَ الحربُ أيضاً مِنَ الفجرِ إلى أنْ أظلمَ اللّيلُ. وكانتْ هنالك ملحمةٌ عظماءُ أوْهنتْ أعداءَ اللهِ، وقُتِلَ منهم مئة وخمسون رجلاً، ومن المجاهدين خمسةٌ، وعادَ كلٌّ منهمْ إلى مطرحِهِ.

وفي هذهِ المدّةِ، توجّهَ الشريفُ حسنُ الجندبي لقصدِ حصارِ كوكبانَ، فطَرحَ بِمَنْ معهُ في قاعِ الضِّلعِ. وما زالَ مَنْ معهُ في كلِّ يومٍ يتناوشون الحربَ: همْ والعجمُ وتكون الهزيمةُ في العجمِ.

وفيها أيضاً، خرجت العجمُ من مدينةِ حجّة يريدون حصنَ عَفّارٍ[1]، وسببُ ذلك: أنّهُ خرجَ واحدٌ من العسكر الذين في حصنِ عَفّار، وزعمَ أنّهُ هاربٌ، ووقفَ عند المجاهدين فأمّنوه وخلّوا سبيلَهُ، فمضى حتّى دخل حجّة، وأعْلَمَ العجمَ الذين هنالكَ بأنَّ الذين في حصنِ عَفّار قد اشتدَّ عليهم الحصارُ، وبلغوا حدَّ الاضطرارِ حتى أكلوا بغلاً من الجوعِ، فكان ذلكَ سببَ خروجِ العَجَمِ من حجّة للغارةِ على مَنْ في عفّارٍ، فتلقاهم السيدُ عزُّ الإسلام محمدُ بنُ يحيى بنِ قاسمٍ عامرٌ بمنْ معَهُ مِنَ الأنصارِ. ووقعَ الحربُ بينهم من عندِ خروجهم مِنْ حجّةَ إلى أنْ وصلوا عفّاراً. وقُتِلَ من العَجَمِ ما يقربُ من مئةٍ، وأكثرُ القتلِ وقعَ في وادي شَرِس[2]. فلما دخلوا عفّاراً وأصلحوا أمورَ مَنْ فيه، عادوا إلى حجّةَ، فتلقّاهم المجاهدون بالحربِ، وقُتِلَ مِنَ العجمِ قريبُ

---

(1) عَفّار: بلد من نواحي حجة الشمالية الشرقية على مقربة من كُحلان تاج الدين، ينسب إليها بنو عَفّار، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٨٣، الاكليل، ٢/٨٨، نشر العرف، ٢/٦٨٥ قرة العيون، ٤٠٧، معالم الآثار، ٧٦.

(2) شَرِس: وادٍ وبلدة أسفل مدينة حجة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٥، الاكليل، ٢/١٠٠.

من الخمسين، ومن المجاهدين عشرةً، فلما رجعوا إلى حجَّة اشتدَّ الحصارُ على مَنْ في حصن عَفَّارٍ، وحين وَصَلَ أحمد فيضي أجازَهم على ذلك الاصطبارِ.

وفي هذه المدةِ، اشتدّ الحصارُ على مَنْ في جبل مَسْوَر[1] وبيت عِذاقة[2]، وفيهما أربعةُ مراتب: قصبةُ السوقِ فيها مسعودُ بنُ سعد يسر من مُوَلّدي صنعاءَ، وثمانيةَ عشرَ رجلًا تحتَ أمْرِه، وفي قصبةِ الحسوي(١) على علوي، أصلُه من أرْحب، وكانَ هو وأُمُّهُ في صنعاءَ يبيعان مِنْ أهلِ صنعاءَ روثَ الحمير وبعرَ الجمالِ، فرقّاه العجمُ، وكانَ مأموراً على سبعةٍ وعشرين رجلًا

١٩ب / وفي باب الرميح أربعون رجلًا عليهم عليٌّ العسيري، وفي المصنعةِ أحمد آغا الرّوسي وصحبتَه ستون رجلًا. فأمّا مَنْ في قصبةِ السوق فإنهم خرجوا بالتدبير والحيلةِ، وكيفية ذلك: أن الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ أرسل السيدَ الهمامَ محمدَ بنَ عباسٍ[3] ووجَّههُ إلى جبل مَسْوَر وما حولَه، لمحاصرةِ العجمِ،

---

(1) مَسْوَر: يُقال لها مسور المنتاب لتمييزها عن غيرها، تابعة لمحافظة صنعاء انظر، اليمن الكبرى، ٦٩، ١٠٤، صفة جزيرة العرب، ١٦٢، معالم الآثار، ٧٦، نشر العرف، ١٨٣/١، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٨٨.

(2) بيت عِذَاقة: مدينة كبيرة في جبل مَسْوَر، بها مركز قضاء مَسْوَر التابع لمحافظة صنعاء، انظر، الاكليل، ٨٢/٢، اليمن الكبرى، ١٠٢، أئمة اليمن، ٤٧/٢، حوليات يمانية، ٥٠٦، وبيت عِذاقة تقع إلى الجنوب من حجة انظر، اليمن الكبرى، ١٠١.

(3) محمد بن حسين بن عباس الكوكباني: أحد قادة الإمام المنصور بالله في حروبه مع =

---

(١) في أ، الحيسوي.

وقَطْعِ الطُّرقاتِ، فوقعَ الحربُ بين الفريقين مناوشةً. وقد دبّروا حيلةً، وهي: أنهم حفروا غاراً إلى تحتِ القصبةِ، وأرادوا أنْ يحرقوا مَنْ فيها بالبارود. كان مَنْ فيها قد رَدَموا بابَها بالأحجارِ. فحِينَ عَلِمَتِ العجمُ بذلكَ، نادوا بالصُّلحِ مكيدةً منهم أيضاً، ليَشْرُفَ عليهم من يريدون قتلَهُ، ولمْ يفطن المجاهدون لذلك، فظهرَ لهم جماعةٌ من المجاهدينَ، فرمَوْهُمْ بالبنادقِ،وسلَّمهم الله مِنْ ذلك، وأصابَ الشيخَ ناصر مبخوت جراحةٌ خفيفةٌ.

ثمَّ دارَ الصلحُ بينهم على خروجهم من القصبةِ، فخرجوا من طاقٍ في تلك القصبةِ، وقبضوا ما معهم من السّـلاح والمؤنةِ، وأوْصلوهم إلى حضرةِ الإمام - عليه السلام -.

وفي هذه المدّة اشتدَّ الحصارُ على مَنْ في حجّة، وكان المقدّميُّ هنالك السيدَ العلاّمة لُطفَ بنَ علي ساري، حفظَهُ الله، فوقعَ التدبيرُ من الوالي حسن أديب باشا، وكانَ حينئذٍ محاصراً في حجّة أنْ يرجعَ الحُدَيْدَة، فخرجَ منها، وصحبتَه قومندان أحمد رشدي، وكانت الطريقُ إلى الحديدة مفتوحةً بسببِ معـاونةِ بني قيس، فلمّا بلغا الحُصَيْـــب اعترضَ لهم الشيخُ ناصر مبخوت الأحمـرُ في ثلاثـةَ عشرَ رجلاً لا غيرَ، ورمى أحمدَ رشدي فسقطَ مِنْ فوقِ بغلتِـهِ، وتبعتْ أولئك النفرَ من المجاهدين عساكرُ العجمِ، فأحاطوا بهِم، ونجّـاهم الله مِنْ فرجةٍ بقيتْ، فخرجوا منها، فلمّا وصلوا إلى ذلك المحلِّ الذي وقعَ فيه الحربُ، وجدوا البغلةَ ميّتةً. ولعلَّ أنها لم تُقْتَلْ الا هي. وأمّا

= الأتراك ت ١٠ محرم ١٣١٠هـ، انظر، أئمة اليمن، ٢/١٠٥.

أحمد رشدي فبقيَ تحتَ الاستنطاقِ، وزعمَ العجمُ أنه قصَّر فيما دبَّرَ حتى ردُّوه إلى نفرٍ.

وفي آخرِ شهرِ الحجة وأوائلِ مُحرّمٍ كانت المحاصرةُ لمدينة إب.

وصفةُ ذلك: أنَّ المتصرّفَ والعجمَ الذين في تعز[1]، لمَّا علموا بثورانِ العَامَّةِ، دبّروا بأن يرسلوا عسكراً إلى مدينةِ إب، فأرسلوا طابوراً وألزموهم المحافظة.

ثمَّ إنَّ أهلَ بلاد إب وما يتبعُها مِنْ نواحي بَعْدَان[2] وبلاد حُبَيش[3] وبلاد المَخَادِر[4] لمّا بلغهُمْ ما وقعَ في أحوازِ صنعاءَ من محاصرةِ أعداءِ الله العجمِ، نصّروا تنصيرةً واحدةً، وتكاتبَ الشيخُ صالحُ بنُ قاسم الصبري، شيخُ بلادِ

---

(1) تَعِزّ: مدينة مشهورة معروفة، قلعتها تسمى القاهرة، أول من مدَّنها ومصَّرها توارن شاه الأيوبي، في السفح الشمالي لجبل صبر، وقلعتها تتوسط بينها وبين جبل صبر، انظر، البلدان اليمانية، ٥٥ اليمن الخضراء، ١/٨١، اليمن الكبرى، ٣٣، نشر العرف، ١/٢٢١، معجم المقحفي، ٩١.

(2) بَعْدَان: من أعمال إب، جبل واسع فيه قرى وحصون كثيرة ومزارع، والجبل يُطل على مدينة إب، انظر، معجم البلدان، ١/٤٥٢، مراصد الاطلاع، ١/٢٠٧، صفة جزيرة العرب، ٢١١، معجم المقحفي، ٨١، الاكليل، ٢/١٠١، نشر العرف، ٢/٣٦٩.

(3) حُبَيش: ناحية من أعمالِ إب في الشمال الغربي منها، انظر، معجم المقحفي، ١٥١، نشر العرف، ١/٧٦٩، اليمن الكبرى، ٤٤.

(4) المَخَادِر: بلدة شمالي إب بمسافة ٢٠كم انظر، معالم الآثار، ١٠٧، طبق الحلوى، ٢٣، معجم المقحفي، ٥٧١، وثائق يمنية، ١٩٤، اليمن الكبرى، ٤١.

المخـــادِر، والشيخُ سعيدُ بنُ غالـــب الـدعيس، شيخُ بلاد بَعْـدَان، وكـان الإجماع منهما على محاصرةِ مدينة إب، فعزَمَ الشيخُ صالحُ بنُ قاسم، وجَمَعَ من[٢] العَسكرِ، وأعلنَ بالفسادِ، وأظهرَ وتقدَّم بِمَنْ معه، وتقدّم أيضاً الشيخُ سعيدُ بن غالب، وابنُـه الشيخُ محمـد، وكانَ مطرحُ الشيخِ سعيدٍ من جهة العَدَنِ والشرقِ / والشيخُ صالح بن قاسم الصبري من جهةِ القبلة والغرب في بيوتِ العَدَن وقبة جُرَانة، وكانتِ العجمُ حينئذٍ خارجَ المدينةِ. ١٢٠أ

فلمّـا بلَغهم ما دبّـروه، دَخَلوا المـدينةَ وصحبتَهم الشيخُ عبدُالواحد بنُ محمدِ بنِ قاسم، وهوَ مِنْ مشائخ العجمِ الذين شرَحوا صدورَهم بمحبَّتِهِمْ، فلمّا دخلوا المدينةَ انقطع عليهم الموادُّ والداخلُ والخارجُ من جميعِ البلادِ، وكانتْ بينهم وبينَ المجاهدين وقائعُ، كانَ النصرُ والظُّفْرُ فيها للمجاهدين، وكانوا كلَّ ما همُّوا بالخروجِ ردّوهم إلى المدينةِ، وقطعوا عليهم الماءَ النازلَ من المشَنَّةِ[1]، وعظمتْ على العجمِ وأهلِ المدينةِ المحنةُ، حتى كادَ أنْ يُعْدَمَ عليهم الماءُ، إلَّا أنَّهُ بقيَ في المجنّ شيءٌ يسيرٌ، وهلكتْ من المواشي بسببِ الجوعِ والعطشِ شيءٌ كثيرٌ، وصارَ العجمُ يرمونَ بالمدافعِ فلا تؤثّر شيئاً.

وفي خلال ذلـــك، وصـــلَ الشيخُ عليُّ بنُ عبـــدالله بنِ سعيد، أرسلَهُ المتصرّفُ مِنْ تعز لاستحسانِ خروجِ الذين في إب لمّا اشْتَدَّ عليهم الحِصارُ،

---

(1) المَشَّنة: في سفح جبل بَعْدان، فيها ساقية ماء، انظر، المدارس الاسلامية، ٢٥٣.

---

(١) في ع، خالد وهو خطأ.

(٢) سقطت من ع،م.

فطلعَ بأُبَّهةٍ كبيرةٍ.

فلمّا وصلَ إلى مدينةِ ذي جِبْلَة، اتّفقَ بالشيخِ صالح بن قاسم وبأعيان المجاهدين، وهو كما وصفَ لي الشيخُ صالحُ بنُ قاسمٍ: لا مقصدَ له إلاّ إخراجُ مَنْ في إب من المعجمِ. فوقع الرأيُ من الشيخِ صالحِ بن قاسم والشيخِ سعيد بنِ غالِب على قَبولِ الصُّلحِ الواصلِ به الشيخُ علي [بن عبدالله][1] وهو: أنَّ العجمَ يخرجون مِنْ إب بسلاحِهِمْ، وتَخْلُصُ مدينةُ إب وبلادُها لعاملِ الإمامِ ـ عليهِ السلامُ ـ ويمضي فيها أمرُهُ، وكتبُوا بذلكَ إلى السيِّدِ عزِّ الإسلام محمدِ بنِ يحيى بن الهادي لطلب المشورةِ، فاسْتَحْسَنَ ذلكَ واستحْسَنَّا جميعاً ذلكَ الرأيَ السّديدَ، لتقليلِ معاقل الأعجمين، وتخفيفِ المُؤْنَةِ على المجاهدين. وتقعُ المحاصرةُ على مدينةِ تعز.

فلمْ نشعرْ بعدَ وصولِ المكاتيبِ إلى السيدِ محمدِ بنِ يحيى بالاستشارة من الشيخين إلاّ بوصولِ الشيخِ محمد بنِ سعيدٍ يأبى هذا الرأي، وأنهم لا يُخرجونَ العجمَ إلا مِنْ دون سلاحِهم. وأن ما ذُكِرَ من الصُّلحِ خديعةٌ مِنَ الشيخِ علي. وصادَفَ وصولُه مدينةَ يَريم، محلَّ ولايةِ السيدِ محمد بنِ يحيى، على حينِ وصولِ عامِلِ بلاد إب من طَرَفِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ السيدِ الهمامِ حسينِ بنِ إسماعيلَ الشامي، فوافَقَ الشيخُ محمدُ بنُ سعيدٍ العاملَ المذكورَ على هذا التدبير، فَراجعناهما في ذلك فصمَّما وعزما بيدِ الجميعِ، ووقعَ تقويةُ المطارحِ، وتشديدُ الحصارِ على مدينةِ إب.

---

(١) الإضافة من ع.

وأما الشيخُ عليُّ بنُ عبدِالله بنِ سعيدٍ الأموي، فإنه لما لَمْ يتمَّ له المرامُ، دخلَ مَعَ العجمِ المدينةَ.

وقعةُ القاعدة[1]:

وصفتُها: أنَّ السّيدَ شرفَ الإسلام، حُسَينَ بنَ إسماعيلَ الشامي، ورؤساءَ ذو غيلان[2] شمّـروا الهِمَّةَ لمحاصرةِ العجم في تعز، فعزَمُوا صحبةَ السيدِ عبدِالرحمن الشامي. وفي القومِ مِن رؤساءِ ذو محمد النقيب، عبدُالله بنُ ناجي الـدميني، وأَحمد بن قايد، أَبو راس، والقاضي أَحمدُ بنُ محمد الشرعي، وعليُّ بنُ محمـد دمَّاج. وغيرُ هؤلاءِ من الرؤساءِ، فاتّفقَ أنَّ العَجمَ خرجتْ منهم غارةٌ مِنَ الذين في تعز على مَنْ في إب، فاتّفقَ بهم المجاهدون في القاعدةِ.

فكانتْ هنالِكَ ملحمةٌ زائدةٌ. وحينَ رآهم المجاهدون حَمَلوا عليهم حملةً واحدةً، فانهزمَ العجمُ، وقُتِلَ منهمْ ما يزيدُ على الخمسين، ونُهِبَتْ أسلحتُهُمْ، وتفـرّقت العجمُ بعدَ ذلك أيدي سَبَأ. وأوضعَ فيهم المجاهدون قتلاً ونهْباً، حتى أنَّ بعضَ عسكِرِ العجمِ كانَ يُطعي المرأة البندقَ لتَسْتُرَهُ عن العربِ خوفاً من القتلِ.

---

(1) القاعدة: مدينة بالشمال الشرقي من تعز، على أكمة مطلة على الجَنَد، انظر، اليمن الكبرى، ٤٥، اليمن الخضراء، ١/٨٤، معجم المقحفي، ٥٠٤.

(2) ذو غيلان: من قبائل بكيل وهم محمدي وحسيني، وبنو غيلان من أهل آنس فيهم رؤساء ولعلهم المقصودون هنا، انظر، الاكليل، ١/٢٣٦، صفة جزيرة العرب، ١٢٩.

وفي هذه المدةِ وصلَ السيدُ حُسينُ بنُ يحيى الشامي إلى مدينةِ قَعْطَبةَ بموجبِ أمرِ الإمامِ ، ـ عليه السلامُ ـ، فأخذَ ما فيها من البنادقِ والخزنةِ، وأذْعَنَ له جميعُ الرعايا والعُقَّالِ(1) إلاّ قليلاً، فإنهم خرجوا عن الطاعةِ، فتقدَّمَ بمن أطاعَ على من عَصَا، ودار الحربُ بينهم، وكان في مدينةِ قَعْطَبة حينئذٍ قريبٌ من عشرين رجلاً من العجمِ ، ومن أعوانِهم العرب.

فقَبضَ المجاهدون بعضَ المدينةِ، وانحازَ العجمُ إلى بيتِ الحكومةِ، فاحتـالَ بعضُ مشـايخِ البلادِ، بأنْ طلبَ صلحَ يومين من السيدِ المذكورِ، فأجابه إلى ذلك، فيُقال: إنه أخرجَ العجمَ، ومَنْ معهم في الليلِ سرّاً.

وفي اليومِ الثاني عندَ وفاءِ الصلحِ ، دخلَ المجاهدون بيتَ الحكومةِ، ولـم يجدوا فيـه أحداً إلا قليلاً من البنادقِ والمونة والشماشيرِ.

وفي هذه المـدةِ أمَرَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ السيّدَ الماجدَ محمدَ بنَ حُسين بنِ عباس[الكوكباني](١)،رحمه الله ، ليَقْبضَ رَجُلاً من بني الرَّمَيْم(2)، صارَ يَدّعي أنّـه ابنُ السيدِ حسين الهـادي، ويأخُـذُ من البلادِ واجباتٍ(3)،

(1) عُقال مفردها عاقل، وهو رئيس جماعة أو منطقة أو قرية أو جزء من قبيلة، والعاقل أقل من الشيخ في الدرجة، اذ أن الشيخ قبلياً يرأس عدداً من العقال انظر، وثائق يمنية، ٢١١.

(2) الرَّمَيْم: موضع في بلاد الحَيْمَة الخارجية، إليها ينسب بنو الرُمَيم، انظر، صفحات مجهولة، ٨٤، معجم المقحفي، ٢٧٤.

(3) الواجبات: ما فرض لبيت المال من زكاة واعشار وخراج، وهناك غيرها مثل الضرائب الوضعية ومثل رسوم الأسواق واعانة الجهاد. انظر وثائق يمنية، ٦١.

(١) الإضافة من ع،م.

ويكتبُ إليهم: مِنْ محمدِ بنِ أميرِ المؤمنين، وقد طلبَتْهُ العجمُ أشدَّ الطلبِ فلم يظفـروا به، وكان معتقداً عندَ العوامّ ، فتوجَّهَ السيدُ المذكورُ إلى قريةِ الرَّوْنة(1)، فتلقّاهُ أهلُها بالحربِ، وغُلِبَ أهلُ القريةِ، ونَهَبَ المجاهدون ما فيها، وأحرقوا بعضَ البيوتِ، وقبضوا الكذَّابَ المذكورَ.

وحُكي عن السيدِ محمـدِ بنِ عبـاس، أنـه قال: دخلْنـا على الـرَّجُلِ المذكورِ، وهو يبرقُ وجهُه، في صوررةٍ حسنةٍ، فنزعْنا ما عليهِ من الثيابِ، ووجْدنا في عَضُدِه كتاباً لم نَدْرِ ما هوَ، وحين نزعْنا ذلك رأيناه بعدَ ذلك في أقبـحِ صورةٍ، فعلمنـا أنَّ ذلك من السِّحْرِ والتّمْويهِ. وقُتِلَ في هذه القصةِ جماعةٌ من أهلِ القريةِ، وجماعةٌ من المجاهدين.

ثمَّ إنَّ السيدَ، رحمهُ الله، حَبَسَ الرجلَ المذكور، وأوْصَلَهُ حضرةَ الإمامِ ـعليه السلامُ ـ فأُوْدِعَ الحبسَ حتى مات.

وفي هذه المدةِ، أعني شهرَ محرّم وصفَر وبعضَ ربيع، تتابعت الوفودُ إلى حضـرةِالإمـام ـعليه السـلامُـ، من جميعِ النواحي والأقطارِ. وَوَرَدَتْ إليه الكُتُبُ من بلادِ إب ورَدَاع(2) ورَيْمة(3) وذمار، وغيرِ ذلك من البلادِ، مُعْلنةٍ

---

(1) الـرَّوْنَـة: عزلة ووادٍ خصيب من ناحية بني حشيش، بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٣كم، انظر، صفحات مجهولة، ٥٨، معجم المقحفي، ٢٧٧.

(2) رَدَاع: مدينـة كبيرة شرقي ذمار بمسافة ٥٣كم، تعرف برداع العرش انظر، اليمن الخضراء، ١/٨٠، صفة جزيرة. العرب، ١٠١، نشر العرف، ١/١٨، قرة العيون، ٢٠١، الاكليل، ١/٢٠٤، اليمن الكبرى ٤٨، فرجة الهموم، ٣٣، المقحفي، ٢٦٥.

(3) رَيْمة: جنوب شرق الحديدة بمسافة ٧٠كم، وجنوب غرب صنعاء انظر معالم الآثار، =

الطاعة والأنقياد، إلّا أعوانَ العجمِ في جميعِ أقطارِ اليمن، فإنهم أظهروا الطاعةَ على دخنٍ. ولم يَزَلِ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ يُرسِلُ القُضَاةَ والعُمّالَ، ويُوصيهمْ بتقوى الله، والعَمَلِ بِما يرضاهُ ذو الجلالِ، ومتابعةِ أوامِرِه في كلِّ حال.

وممّا وردَ منَ الأشعارِ والتّهاني، ما قالَهُ القاضي الأديبُ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيم الحضراني[1] شعراً: [الطويل]

طيورُ القَنَا غَنّتْ على كلِّ دَوْحةٍ ... بأفصحِ قولٍ بالعُلا والمسرَّةِ

وفَتْحٍ مُبينٍ وانْتصارٍ على العِدى ... فأَعْظِمْ بِبُشْرى للأنامِ ونِعْمَةِ

٢١أ / ونصر إمام الحقِّ منصورِنا الذي ... أقامَ قَناةَ الدّينِ في كلِّ بلدةِ

ومُحيي رسوماً للجِهادِ ومَعْهداً ... لآلِ رسولِ اللهِ أهلِ السفينةِ

مآثرُ تُبْنَى بالصّوارمِ والقَنا ... وبالعَدْلِ والتَّوْحيدِ لا بالمجلّةِ[2]

فقلْ لِعُلوجِ الرُّومِ وافاكمو الذي ... لِسَطْوَتِهِ يَنْجابُ كلُّ المُلمةِ

هُمَامٌ كريمٌ مِنْ ذُؤابةِ هاشمٍ ... خبيرٌ بكُمْ يا شرَّ كلِّ الخليقةِ

= ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٧، قرة العيون، ٢٦٩، الاكليل، ٤٦٢/٢ نشر العرف، ٤٩٠/١، صفحات مجهولة، ٣٢.

(1) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد الحضراني الآنسي، ولد سنة ١٢٨١هـ في آنس، درس في صنعاء شاعر، ت ١٣٢٣هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٠٠.

(2) المجلة: المقصود المجلة العدلية التي أصدرتها الدولة العثمانية. للأحوال الشخصية والعقوبات (مجلة الاحكام العدلية).

وهيهـاتَ هيهـاتَ الفِـرارُ وأينما تُوَلُّـوا تُلاقُـوا وقعـةً بعـدَ وقعـةِ
هَتَكْـتُمْ شريعـةَ جَدِّه وارتـكـبتُم جرائـمَ أدنـاهُـنَّ ظلمُ الـرَّعـيَّةِ
وجئتُمْ بأعـوانِ الـظَّلام وعُصْبـةٍ مِنَ الـعـيِّ مرتَـدِّين مِنْ كلِّ مِلَّةِ
لكـمْ كلُّ مفـتـونٍ بكُمْ ومُـدَاهِنٍ وعِـصْـمَـتُـنـا باللهِ يا شرَّ عُصْبـةِ
مَدافِـعُكُمْ لَمْ تُغْنِكُمْ عن لقـائِـه وأسيافُـهُ مَشْـهـورةٌ ذاتُ سُرْعـةِ
سيُصْبِحُ ذاكَ الـرُّومُ ثُكْـلاً ومـالُها جزاءً مِن الـمنصـورِ غيرَ الأسنـةِ
سلاحُكمُ سَلْبـاً وأرحـامُكم سبّـاً وأمـوالُكُمْ نَهْبـاً إذا الهـامُ حُزَّتِ
أتـاكُمْ كريمُ الأصْلِ لا عَنْ كَلالةٍ سَمِـيُّ رسـولِ اللهِ خيرِ الـبـريةِ
عليمٌ بأحـوالِ الأنـام مُجَـرِّبٌ عواقبَ دهـرٍ، بحـرُ علمٍ وحكمـةِ
وينشـرُ راياتِ الـجـهـادِ عليكـمُ لِكُـلِّ خمـيسٍ كرةً إثْـرَ كرَّةِ
أمـا قَدْ عَلِمْتُمْ أنَّ سيفَ إمـامِنـا يُنـاجِـزُكُـم في بُكْـرَةٍ وعـشيَّةِ
سَلُوا عارفـاً يُنبـيكُـمُ بنضـالِـهِ ومـا وقـعـةُ الجَـرْدا بكُمْ ببعيدةِ
ومـا سيفُ دينِ اللهِ إلّا محـمَّـدٌ حميدُ المسـاعي فرعُ بيتِ النبوةِ
ولله أجـنـادُ الـهُـدى وحُـمـاتُـهُ رجالُ التُّقى سبحانَ أهلِ الحفيظةِ
ولله ابـنـا حارثٍ وقـبـائـلُ من الصَّـادقينَ الفِعْلَ عندَ الكريهةِ
بنـو مطرٍ أَكْـرِمْ بِهِمْ مِنْ عِصابـةٍ وحـيِّ بلادَ الـرُّوسِ أزكـى تحيةِ
ومـا آنِسٌ مِنْ أرحـبٍ ببـعـيدةٍ وهَمْـدانُ هَمْـدانُ رجـالُ الحقيقـةِ
قيالٌ بكـيلٍ، بَلْ وجبـرُ بنُ غالب ويا لبـنـي شدَّادَ عنـدَ الـشَّـديدةِ
خُذوا عَلَمَ الـمنصـورِ لا يَرْهَبَنَّكُمْ طمـاطِمُ أعـلاجٍ وجِـدُّوا بِهِمَّـةِ
وسَمّـوا على راي الإلـه وصمِّموا على فتـحٍ صنعـا فهـو أيسرُ خُلَّةِ
بِنَصْـرٍ مِنَ اللهِ الكَـريمِ لِعَبْـدِه وفَـتْـحٍ مُبـين قادمٍ بالـسَّـعـادةِ

٢١ب / فتاريخُ هذا العامِ قدْ جاءَ مُخبراً لعزٍّ وعزمٍ بابتهاجٍ وفَرْحَةِ
وصلِّ على المختار والآلِ دائماً ومِنْهُمْ إمامُ العصرِ ختمُ القصيدةِ

وقال القاضي الأمجدُ حُسينُ بنُ أَحمدَ العَرشي شعراً: [البسيط]

أهلاً بذا الدارِ[١] ذاتِ الفخرِ والكَرَمِ وآيةِ العَلَمِ الممتدِّ في العِلْمِ
دارٌ تُنارُ قلوبُ المؤمنينَ بها كما تُنارُ بِقاعُ الأرْضِ بالنُّجُمِ
دارُ الكرامةِ دارٌ للعداةِ[٢] بها مرامياً(1) كعداةِ الجنِّ بالرّجمِ
أهْلاً بها ثم أهْلاً قد رأيتُ بها ما لَوْ رآهُ عدوٌّ باتَ لم ينمِ
وظَلَّ ترعَدُ مِنْ خوفٍ فرائصُهُ فعلَ الذليل الأبختِ الزّنمِ
تَمَّمْتُها حين ناداني بقوَّتِهِ عزمي وتَمَّمتُها بالسيفِ في كلمِ
وطُفْتُ منطلِقَ الكفينِ قد سلكتْ مسالكي في سبيلي سِلْكَ منتظمِ
لهمّتي همَّ ساداتُ الرجالِ وما يهتمُّ فيه ذوو[٣] الغاياتِ والهممِ
منزَّهاً مذ عُرِفْتُ النفسَ من دَنَسٍ ممّا يَعيبُ وفيه غير مُتَّهمِ
ولا وطيتُ فراشَ الظالمين ولا واليتُهم بِسوى بُعْدٍ من الحُرُمِ
حتى رضيتُ لنفسي كلَّ مكرُمةٍ وكلَّ فعلٍ صحيحِ المتن مرتِسمِ
وقادني قايدُ الخيلِ الذي انتشرتْ راياتُه فأزالتْ رايةَ العَجَمِ
وأكرمُ الناسِ عوداً في منابِتِه وأبعدُ الناسِ من عَيْبٍ ومِنْ تُهَمِ

---

(1) خطأ نحوي ولكن يحق للشاعر ما لا يحق لغيره.

---

(١) في ع، الدر وفي م، بذي الدار.
(٢) في م، بالعداة.
(٣) في ع، ذي.

فَعــيْنُ ماءِ حياتــي عنــد رؤيتِــهِ غزيرةُ الماءِ لم تنضبْ ولـم تَرِمِ
يعنـي بذاكَ أميرَ الـمـؤمـنين فلا يَغْـنـي سواه وفـي ذكــراه لـم أُلمِ
يا صاحبَ النَّـظْرةِ المعروفَ نَظْرتُه يُغني الـوفـودَ عن الأمـطارِ والدِّيَمِ
يا أرْفــعَ النــاسِ بيتــاً في أزمَّتِـهِ مُشَـيَّداً مسـتـقـيمــاً غيرَ منـهــدمِ
وعـامرَ الأرْضِ عدلاً بعدْ أن هُدِمَتْ أركــانُــهُ وتَسـاوىٰ البـازُ بالـرَّخَمِ
اضــرِبْ عِداكَ بِسَـيْفٍ غَيْرِ مُنْثلمٍ وحُــدَّهُــمْ بطعــامٍ غيرِ مشــتــلمِ

وفي هذه المدةِ، بلغ الإمامَ ـ عليه السلام ـ رجوعُ حسن أديب باشا من حجَّة إلى الحُدَيْدة، فعلِمَ أنْ ثمَّ مكيدةً، فكان الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ يكتبُ إلى جميعِ المجاهدين في جميعِ البلدانِ بحفظِ الطُّرُقاتِ، وشنِّ الغاراتِ، مِنْ كلِّ مكانٍ، فأعْرضَ أكثرُهُمْ لمُوجباتٍ وأسبابٍ، ولكلِّ أجلٍ كتابٌ.

ولمـا وصلَ حسن أديب إلى الحُدَيْدةِ، دخلَ في هيئةٍ رثَّةٍ، وشدَّدَ في الشِّكايةِ مما وقع كتباً بالتلغراف ـ أعني السِّلك ـ ووقفَ في الحُدَيْدَةِ منتظراً للجوابِ.

وفي شهـرِ ربيعٍ الأولِ من هذه السنـةِ، توفي السيِّدُ الأوْحَـدُ، صفيُّ الإسـلام، وصارمُ الصِّدام، أحمدُ بنُ محمدٍ الشرعي، يومَ الجمعةِ شهيداً، رضي الله عنـه، وأسْكَنَـهُ أعلى درجـاتِ الجنـانِ وتلقَّـاهُ بالرأفةِ والرحمةِ / ٢٢أ والرضوانِ، فيا لهُ مِنْ جرحٍ ما انجبرَ، وخَطْبٍ تَنْسَكِبُ عندَه العَبَراتُ والعِبر، ومصابٍ كلُّ مصابٍ دونَه جَلَلٌ وهَدَرا. وأحفظُ فيما قلتُه مِنْ مرثيَّته، وقد غاب عن خاطري بعضُها[1]، وهي: [البسيــط]

---

(1) انظر، نزهة النظر، ١٥٧، أئمة اليمن، ٢/ ٨٩.

العينُ في أرقٍ والـدمـعُ في قَلَقٍ والقلبُ في حَرَقٍ والدهرُ في جَزَعِ
لموتِ نجمِ[1] المعالي وابنِ نَجْدَتها غيثُ الخليقـةِ في صيفٍ ومُرْتَبَعِ
الـسيدُ الـورعُ ابـنُ السيِّدِ الـوَرِعِ ابنِ السيدِ الـورعِ ابن السيدِ الورعِ
صفيُّ الاسلام لقلبِ[1] الحربِ فاتِكُهُ سيفُ الخـلافـةِ نجلُ السيِّدِ الشرعي
قد كانَ يومُ الـوغى كالألْفِ نحسَبُه فَبَعْـدَهُ المجـدُ أضحى غيرَ مجتمعِ
فالله يرفـعُ في الـفـردَوْسِ رُتْـبَتَـهُ يومَ الـمـعـادِ ويُنْـجيه مِنَ الفَـزَعِ

وقال القاضي حسينُ بنُ أحمدَ العَرشي ترثية إلى آخرِها[2]، وهي:

[الطويل]

أبـالـدهـرِ والأيامِ يا صاحِ تَغْتَـرُّ وتـفـتـرُّ إنْ هي صاحبتـك وتستُـرُ
ومـا أضحَكَتْ حتى أَرَتْـكَ نواجِـذاً فمِنْهـا وعَنْهـا يَصْـدُرُ الهَمُّ والشَّـرُّ
وهـلْ أضحكَتْ يومـاً فلمْ تبـكِ بعدَه وتستـأنِفُ اللّذاتِ مطعمُهـا المـرُّ
فأَوَّلُـهـا ليلٌ وأبهـجُـهـا[3] دُجـىً وآخـرُهـا فجـرٌ وأوّلُـهـا عَصْـرُ
وأبنـاؤهـا جيشـان: ذا طالبٌ لهـا وذا هاربٌ عنـهـا وكـلُّهـم بَرُّ
ومـن ينـظرُ الـدُّنـيا بعينِ احتقـارِهِ لَهَـانَ عليه الأمْـرُ لو عَظُمَ الأمـرُ

---

(1) انظر، نزهة النظر، ١٥٦ وفيه «ضاحكتك بدل صاحبتك» في الشطر الثاني من البيت الأول، وللدين بدل وما الدين، ولولا الظباء بدل الضياء، بيت بدل نبت، وانظر أيضاً، أئمة اليمن، ٢/٨٨-٨٩.

---

(١) في ع، نجل.
(٢) في م، ليث.
(٣) في ع، وابهاجها.

لكـلِّ زمـانٍ مُلْبِسٌ لا كمُـلْبَسٍ — وكـربٌ وتـفـريجٌ وعُـسـرٌ بهِ يُسْـرُ

ومـا الـدينُ والـدُّنيا رجـالٌ نُعـدُّهم — فواحـدُهُـمْ كلٌّ وكـلُّهُـم الـقَـطرُ

ومـا الـمجـدُ الاّ رايةٌ مسنـونـةٌ — سيُدْركُـهـا مَنْ كانَ في رأيِهِ الصَّبْـرُ

متى يبـلُغَنَّ المجـدَ قومٌ تأخَّـرتْ — سوابِقُهُمْ عَنْ همَّـةِ العـزِّ واغتـرُّوا(١)

ولـولا الـضَّيا ما كانَ للعـزِّ مَنْبَـتٌ — ولا للعُـلى الـمحكيِّ بيتٌ ولا وكْـرُ

وهُـنَّ(٢) الـلّواتـي شرَّدَ الـعُجْمَ بأسُهـا — مشـارِدَهُـمْ حتـى لقـدْ مسَّهُمْ ضرُّ

ومـا هذه الأيامُ الا مُعـارةٌ — [ ](٣)

لحـا اللهُ ذي الـدُّنْيا رَمَتْ كلَّ ماجـدٍ — بأهـوالِها حتّى استبَـانَ بهـا الحَقْـرُ

ومِـنْ عَجَـبِ الأيّامِ والـدَّهْـرُ كلُّه — عجيبٌ وإنْ أنكَـرْتَ أمـراً فلا نُكْـرُ

أسَيْفُ العُلى والمجدِ أحمدُ خيرُ مَنْ — مشى أوْدَيْتَـهُ يا دهرُ بالقسرِ يا دهـرُ

أمثـلُ الـذي نادى العُلى فأجـابَـهُ — سَميعـاً مُطيعـاً يُوْدِعُ الجَدَثَ القبرُ(٤)

وكمْ أوْدَعَتْ أرماحُهُ الموتَ فانقضتْ — ليالـي عِداهُ ما لَهـا أبـداً فَجْـرُ

وكـم وقعـةٍ أسقـاهُمُ الحَتْفُ كَفُّـهُ — كُؤوسـاً لحتى قيلَ ذي وقعـةُ بِكْـرُ

/ أتاحَ لهم مِنْ كفِّـهِ ما أبـادَهُـمْ — فلمْ ندرِ أفْنى الكُـلَّ أمْ بعضُهم فَرُّوا ٢٢ب

بِعَـزمٍ يَرُدُّ الـعَـزْمَ والعَـزْمُ صادِقٌ — وحـزمٌ يَرُدُّ الحـزمَ والحـزمُ مُفْتَـرُّ

وضربٍ يكادُ الصَخْرُ من عظمِ وقْعِهِ — ينـادي ألا يا قومُ قدْ أسْلَمَ الصَّخْـرُ

---

(١) في أ، م، واغتر.

(٢) في ع، م فهُنَّ.

(٣) بياض في كل النسخ.

(٤) في أ، القدر.

ويومٍ كأنَّ الـنـقـعَ ليلٌ وسـيـفُـهُ ... هِلالٌ يراهُ الجيشُ والكـوكبُ السُّمـرُ
تَطَاوَلَ ميدانُ الـوغى في سمـائِـهِ ... فسـاعـاتُـه في عينِ أعـدائِـهِ شَهْـرُ
له ولَـهُمْ في معـركِ الحـربِ عادةٌ ... فعـادَتُـهُ كرٌّ وعـادتُـهـم فَرُّ
لئِـنْ ماتَ ما ماتَـتْ مآثـرهُ الـتـي ... بنـاهـا ولا ماتَ العُلى لا ولا الفَخْـرُ
ومـا ماتَ حتّى موَّتَ العُجْمَ بأسُـهُ ... وأفعـالُـهُ (فـالأُسْدُ في عينِـهِ حُمْسُ)
ولـو عَلِمَ السَّـهْمُ الـذي جاءَ أنّـهُ ... إلـيه سيدنُـو ما يخُـبُّ ولا سبـرُ
ولـو قيلَ ها هُوْ ذاكَ قبـلَ اتصـالِـهِ ... لذابَ فلا بردٌ لديهِ ولا حرُّ
جَلالاً وإكـرامـاً وخَـوْفـاً وهَـيْبَـةً ... ومَـنْ مِثْـلُهُ حتـى يقـاسَ بهِ حُرُّ
ثوى إذْ ثوى لا واهـنـاً في فَعَـالِـهِ ... ولا طائـشـاً كَلّا ولا مُتْـرَفٌ نَزرُ
فيا حبّـذا روحـاً إلـى اللهِ سافَـرتْ ... وألقَتْ عصـاهـا حينَ قرَّبهـا الأجـرُ
فيا آلَ طهَ ثم يا آلَ أحـمـدٍ ... ويالَ عليٍّ أينَ ضربُـكُـمُ الـهَـبْـرُ
فكَمْ صولـةً صولـوا عليهم وبـادِروا ... إليهمْ بصـدقِ العـزمِ إذْ كُنْتُمْ وتـرُ
فمَـنْ غيرُكـم أمَّنْ سِواكـم أخيلُهـا ... مثمَّـرةً تسعى المُـطَهَّـمَـةُ الشقـرُ
وتـركضُ بالـفـتـيانِ في كلِّ ما قطٍ ... ويهـوى فلا يبـقـى لبـاقيهمُ ذكـرُ
وأينَ السيوفُ البـاتـراتُ التـي إذا ... رآهـا عدوٌّ ماتَ من قبـلِ يضـطـرُ
ألا فاضـربـوهم ضربـةً بعـدَ ضربـةٍ ... فمـا لَهُـمْ دارٌ ولا لَهُـمْ قصْـرُ
ودُلّـوا إلـيهـم كلَّ شخصٍ مُكَـرَّمٍ ... سمـوحٍ فإنَّ النصـرَ يتبعُـهُ النصـرُ
ألا ليْتَ شعـري ما جوابـي فإنّـني ... بِكُـمْ ولـكـمْ أرْضـىٰ مراراً واحـتـرُ
وهـذا أميرُ الـمؤمـنين محـمـدٌ ... ينـادي الا يا قومَـنـا[ ][1]

---

(١) بياض في كل النسخ. وتقديره «كروا».

فدىً لكـُمُ يا آلَ طه عشـيرتـي وأهـلُ ودادي بلْ وَمَـا حَمَـلَ الصَّدْرُ
وحمــداً لمــولانــا وشكــراً لرِّبنــا وصَبْــراً لمنــا فالحمـدُ لله والشكـرُ
وصــلِّ إلهي كلَّ ما هبَّت الصَّبـا على المصطفى الهادي وما هَمَلَ القَطْرُ
مع الآلِ والـتسـليم والـيُمْـنِ كلِّه فَهُمْ مَفْخَـرُ الأيامِ والسـادةُ الغُـرُّ

وفي شهرِ ربيعٍ الأول المذكورِ، خرج أحمد فيضي باشا غائراً على مَنْ في اليمنِ من العَجَمِ، وكانَ مُشيراً على مكةَ، فلما بلَغَهُ ما وَقعَ في اليمن خرجَ مُسْرِعاً بمنْ معَهُ، وكانوا نحواً من سبعِ مئةٍ وثمانين بغلةً ومدفَعَيْن. وكانَ أحمد فيضي قد تولى اليمنَ سابقاً، فله فيه وفي أهلِهِ اختبارٌ، مع أنَّه ـ كما حكى لي غيرُ واحد ـ مِنْ أهلِ الصناعةِ في علم السحرِ./ وكذلك ابنُه طاهرٌ، فإنه في علمِ السحرِ ماهرٌ، فلما وَصَل الحُدَيْدَة توجَّه نحو صنعاءَ وصحبتَه حسن أديب وأحمد رشدي، فلمّا وصل مَناخة تجمَّعَت القبائلُ لحربِهِ، وكان خروجُ العَجَمِ مِنْ مَنَاخةَ، يومَ السبتِ السابعِ من الشهرِ المذكورِ، فباتوا تحت نجد إصرير[1]، وأقاموا به يومَ الأحدِ، ووقعَ في نجد إصرير، فهربَ مَنْ فيه من العربِ، واستولتْ عليه العجمُ، وأحرقتْ بعضاً منه، ورتَّبوه وساروا يومَ الاثنين، وبـاتـوا في مَفْحَق، وتلقّـاهم المجـاهدون ومقدَّميُّ الإمام، السيدُ محمدَ بنُ أحمد الشامي، عافاه الله. ووقعَ الحربُ من بعدِ الظُّهْرِ إلى اللّيلِ، وثبتَ الفريقان، ومطرحُ العجم قاعُ مَفْحَق، والعربُ محاذون لهم.

٢٣أ

وفي الصبـاحِ، ارتحلت العَجمُ، فتلقّـاهم المجـاهدون، واقتتلوا قتالاً شديداً، ففرَّت العسكرُ الذي من الشرف[١]، وثبتَ أهلُ البلادِ والمقدّميُّ السيدُ

(1) نجد إصرير: على مقربة من مناخة، انظر خريطة اليمن.

(١) في ع، م المشرق.

محمـدُ بنُ أَحمد الشامي بعضَ ثباتٍ، ولكنْ قدْ خالَطَهُمْ الرعبُ، وسارتِ العجمُ إلى خُمَيْس مذيور. ولم يقـدرِ المجـاهـدون على رَدِّهِمْ، فأَحْرَقتِ الأَعاجِمُ الخُمَيْسَ وفَرَّ مَنْ فيه.

وقعةُ بيت الحسام[1]:

وصفتُها: أنَّ العجمَ لما أَحْرَقتِ الخُمَيْس وفَرَّ مَنْ فيه، وقعتِ المعركةُ في بيتِ الحسام، وامتدَّ الحربُ إلى اللَّيْل. وكانتْ هنالك ملحمةٌ عظيمةٌ حتى أنه قال أَحمد فيضي: إنه لَمْ يرَ مثلَ حربِ ذلك اليومِ، وحربِ الظفيرِ إلاّ في جهادِ الكُفَّار. وأخبروا أن صبيَّةً مِنْ أَهْلِ بيت الحسام، لما رأت العجمَ، وقد أحاطوا بالدارِ، أَلقتْ عليهم جِداراً من سطحِ البيت، فقتلت من العجمِ سبعـةً، وكانَ عددُ القتلى من العجمِ ما يزيدُ على الستين، ورمتِ العجمُ الصبيَّةَ التي أَلْقَت الجِدارَ فقتلوها، وامرأَةً أخرى، ولم يُقْتَلْ غيرُ هاتين المرأتين من العربِ، وباتت العجمُ في الخُمَيْس، وقدْ بَعُدتْ عنهم مطارحُ العربِ، فرتَّبت العجمُ الـذي فوقَ الـطريقِ ليلاً، وأَقبـل المجاهدون مِنْ كلِّ جهةٍ، فقبضوا الآكامَ التي على الطريقِ، وحينئذٍ فرَّتْ [العجم وثبت][2] المجاهدون مِنْ أهلِ البلاد.

وفي الصباحِ تقدَّمتِ العجمُ واشتدَّ الحربُ، والتحمَ حتى أدبرَ عسكرُ العجمِ وانهزَمَ، وخلفت خالفةٌ من وراءِ جبلِ قُملان، فما شعرَ المجاهدون إلاّ ورميُ البنـادقِ مِنْ ورائِهم كالصَّواعِق، وأحاطوا بهِمْ مِنْ أكثرِ الجهاتِ،

---

(1) بيت الحسام: موقع قريب من خمَيّس مذيور.

---

(٢) الإضافة من م.

فانهزمَ المجاهدون. وكانَ ذلك من أثرِ الخدّاعات، واستُشْهِدَ أثنا عشرَ رُجلاً في حالِ الهزيمة، وقُتِلَ من العجمِ ثمانون، ودخلت العجمُ بيت حصيبة قُملان[1]، وقد تفرّقَ المجاهدون بكلِّ مكانٍ، وقد خالط أفئِدَتَهُم الفشلُ والخذلانُ والوَهَنُ، فرجعَ كلُّ واحدٍ إلى بلدٍ وما أحسن.

وقعةُ بيت عِذْرَان:

وصفُتها: أنَّ أحمد فيضي انتقلَ مِنْ بيت حصيبة نصفَ الليل إلى صنعاءَ، وقد كثروا بِمَن انضاف إليهم من الباطنيةِ. فلمّا وصلوا بيت عِذْران [قبضوا الآكامَ التي حولَهُ، وأقبلتِ القبائلُ، فلمْ يُؤْثِروا شيئاً، وأرسلت العجمُ المدافع على بيت عِذْران][1]، وفيه نحوُ أربعين رجلاً من الأعيان.

ثم هجمت العجمُ فردُّهم الذينَ في القريةِ، ثمَّ ما زالت العجمُ يهجمون، ويردُّهم المجاهدون من نصف النهارِ إلى نصفِ اللّيلِ. وكانَ فيهم الحاج شريان مرح، فلمّا عَلِمُوا أنّهُ لا طاقةَ لهم، وأنَّ جميعَ مَنْ بقيَ من القبائلِ قد فرُّوا عنهم، وما فيها من الأهلِ والمالِ؛ لأنه لم يخرجْ منها شيءٌ قبلَ القتال، وقع خروجُهم مِنْ بينِ مطرحِ الأعاجِمْ، وما حفظهُ الله فهو سالم، وقُتِلَ من العَرَبِ نحو ما زادَ على الأربعين، واستُشْهِدَ / من المجاهدين الشيخُ عليٌّ من مشائخ البلادِ وامرأة. ودخلتِ العجمُ بيتَ عِذْران، وما شاءَ الله كان. ودخلَ حسن أديبِ بِمَنْ معهُ مِنْ صنعاءَ يومَ السبتِ، وأمْسَتِ

٢٣ب

(1) قُملان: بلدة وحصن يسيطران على الطريق بين صنعاء والحديدة شمال صنعاء، في عداد بني مطر انظر، الاكليل، ٢/٢٨٤، طبق الحلوى، ٢٤٣، معجم المقحفي، ٥٢٣، ١٧٥، وجاء في أئمة اليمن «قملان بيت حصيبة».

(١) الإضافة من ع، م.

العربُ في مذبحٍ، وسائرِ القيعان.

فلمّا كانَ يومُ الأحدِ التحمَ، وخرجتْ من العَجَمِ طائفةٌ، وسلَكَتْ طريقَ الجِراف، وقصدوا مذبح، ولم تزل العربُ في قِلّةِ العرب . وتتابعت الهزيمةُ، وآهاً لها من خلّةٍ ذميمةٍ، وسجيّةٍ غيرِ كريمةٍ.

وكانَ في مطرحِ الجرافِ السيّد عليُّ بنَ صلاح، وصحبتَه جماعةٌ من أرحبَ ونهم[1] فلم يزالوا يتسلّلون. وبلغتْ خيلُ العَجَم إلى قُربِ الكولة، فقتلوا ناصرَ بنَ صالح دُغَيْش، والسيّدَ محمدَ بنَ موسى، وجزّوا رأسَيْهما، وحصلَ في العربِ مِنَ الفشلِ والوَهَنِ، ما يتعجّبُ منه ذو الفِطَن. وتقدَّمتْ طائفةٌ مِنَ العَجَمِ إلى حدةٍ، ففرَّ منها الشريفُ محمدُ الحتري، ومَنْ فيها من الرجالِ المُعَدّةِ. وتوجَّهَ أحمد فيضي الجِرافَ فرمى بالمدافعِ ، فلم يخرجْ من فيه فتركَهُمْ، ثم طلعَ جبلَ عُرقةَ، ورمى مِنْ هنالِكَ إلى الرَّوْضةِ، وأهلُها في غفلةٍ لا يشعرون، فوقعتْ أوّلُ رصاصةٍ في بيتِ رجلٍ، ففتحتْ في أعلاه باباً، وقرحتْ داخلَ المكانِ، فكسرتْ طاقاتِه والزُّجاجَ، ففزع الناسُ لذلك، ثم تابعوا الرَّمْيَ بالمدفعِ إلى الرَّوضةِ قدرَ أربعَ عشرةَ ضربةً ، وطفِقَ أهلُ الرَّوْضةِ يشدُّون أداتَهم، ويهربون مِنْ وقتِ العصرِ إلى الصُّبحِ ، حتى هربَ بعضُهم إلى ذيفان. وكانَ في الروضةِ عسكرٌ كثيرٌ من العربِ، فما أمسى أحدٌ منهم إلاّ إلى أهلِهِ انقلبَ، ثم عادَ العجمُ إلى الجِراف، فأخذُوه بالاعتسافِ، وباتوا فيه، وفي الصُّبْحِ أحرقوه. وأمّا أهلُ

---

(1) نِهم: قبيلة من بكيل الهمدانية، مساكنها في الشرق الشمالي من صنعاء على بعد ٥٨كم انظر، اليمن الكبرى، ١٩٤، صفة جزيرة العرب، ١٥٤، الاكليل، ٢/٤٥٣ معالم الآثار، ٣٧، نشر العرف، ٢/١٩٤.

الروضةِ فطلَبَ لهم بعضُ أهلِ صنعاءَ أماناً مِنَ العَجَمِ ، فما أصبحوا الا والبَيْرَقُ على رأسِ الصَّومعةِ (1).

وفي الصَّباحِ دخلَ أحمد فيضي بِمَنْ معه، وأصبحتِ الأسعارُ فيها مرتفعةً، واستحلّوا حُرْمَةَ الجامعِ ، وأُدخلوا فيه البِغالَ والمزاميرَ، وما هذا منهم بأوّلِ نكيرٍ، بلْ في طبائِعِهم القبائحُ، وكراهةُ كلِّ عملٍ صالحٍ ، وأما دارُ الحَيْدِ فما قد تعرَّض لهم العجمُ بكيدٍ، إلاّ أنَّ العربَ ما بَلَغَ أحدٌ منهم خبرٌ إلاَّ هَرَبَ ، فصاروا يذهبون رجلاً رجلاً ، وقد ذهبتْ عقولُهم خوفاً وَوَجلاً .

وفي اليومِ الثاني ، وعندَ وصولِ أحمد فيضي الرَّوضَة، خَرَجَ جَدِر(2) فرماه بالمدافعِ . وكان أهلُهُ قد فرّوا منه، هُمْ، ومن هناك من العسكرِ، فدخلَها العجمُ، وأحرقوا بعضَ بيوتِهم .

وقعةُ الحاوري (3):

وصفتها: أنَّ العجمَ في اليومِ الثاني ، قصدوا الحاوري ، وفيه الشيخُ المجاهدُ يحيى بنُ يحيى دوده باقٍ فيه بعدَ عزمِهِ من جَدِرٍ، فتلقّاهُم الشيخُ يحيى ومَنْ معه بالحربِ مِنَ الصُّبحِ إلى الليلِ ، وتكوَّنَ الشيخُ يحيى بن يحيى دوده

---

(1) الصوامع الأربع ، صومعة صلاح الدين والمدرسة والمرادية والبكيرية انظر، المدارس الاسلامية ٢٨٢ ، حوليات يمانية، ٤٧٠ .

(2) جَدِر: من قرى بني الحارث، شمال شرق صنعاء، هي جَدِر أعلى وجدر أسفل، وجَدِر أيضاً بلدة من عُزْلة الأحبوب وأعمال الحَيْمَة الداخلية ، صفحات مجهولة، ٤٠ ، الاكليل، ٥٢٧/١، معجم المقحفي ، ١١٣ .

(3) الحاوري: من قرى همدان التي تمتد مساكنها من شمال صنعاء حتى صعدة انظر أئمة اليمن ٥٠/٢ : (سيرة المنصور بالله، ٥٠).

كوناً خفيفاً. وجماعةٌ من أصحابه مكاوين، ولم يُقْتَلْ منهم أَحدٌ، ومنَ العجمِ قدرُ أربعين.

ولقد أخبرَنا الشيخُ يحيى بنُ يحيى دوده أنه رُميَ بالمرت، وحُرِقَت اللَّحْفَةُ والقميصُ، وأكْبَسَتْ في الجلدِ، وقد خرجتْ[1] إلى جَيْبِه، وهذهِ من الغرائبِ.

ولمّا علِموا أنَّ البيوتَ قدْ تهدّمَتْ مِن رمي المدافعِ، خرجَ الشيخُ يحيى بِمَنْ معه في الليل، وقَدْرُهم مئةٌ وخمسون، وقدرُ العجمِ أربعةُ آلافٍ.

ورجعَ أحمد فيضي بمنْ معه صنعاءَ، وأنفذَ علي باشا إلى بلادِ حُبور كما سيأتي. ثم خرجَ أحمد فيضي إلى الجَـرْداء(1)، ففرَّتِ القبائلُ، ولم يَبْقَ إلاّ القليلُ فرمَوْهم بالمدافعِ من الظُّهْرِ إلى اللَّيْلِ. فلمّا علِمَ مَنْ في الجَـرْدَاء أنه لا طاقةَ لهم، خرجوا في الليلِ. فلما أصْبَحت العَجَمُ ضربوها بالمدافعِ، ثم دخلوها، وأخذوا ما فيها من الحبوبِ وأحرقوها.

٢٤أ وفي ذلـك اليومِ خرجَ سيدي / عزُّ الإسلام من دارِ سالمٍ المسمى دارَ الحَيْد(2)، خوفاً أن يصيبَه[2] من الأعاجم كيدٌ.

ثم إنّهُ تقدَّم فيضي على دار سالم، فلم يلقَ فيها أحداً من الأوادم، فأخذَ ما فيهـا من الحبوب التي طلَعَتْ مِن يريم وذمار، ثم أحرقَ بعدَ ذلك بعضَها بالنارِ. ثم تقدّم إلى دار سالم[3]، فوقع مِمَّنْ فيها حربٌ يسيرٌ، ودخلَ فيها العجمُ

(1) الجَـرْدَاء: قرية من سنحـان جنـوب صنعاء انظر، معجم المقحفي، ١١٧، طبق الحلوى، - ٢٣.

(2) دار الحيد،دار سَلَم: من ناحية سنحان، قرية في القاع الجنوبي الشرقي من صنعاء =

(١) في ع، خرقت. (٢) من أن تصيبه، في ع.

ليلاً فأحرقوها، ثم تقدّموا إلى جوب، وكانَ فيها الصوفي وجماعةٌ، فوقعَ الحربُ بينَهُم وقُتِلَ من العجمِ جماعةٌ، وسُلِبَت منهم ثنتين بنادق ، ثم خرجوا منه، وأما عزُّ الإسلام فإنه خرج غَيْمَان(1) واستدعى بني هلال[1]

وفي هذه المدةِ ، وصل السيدُ أحمد بن قاسم حجر مِنْ يريم وذمار قافلاً بالأسارى الذين من العجمِ ، ولما عَلِمَ بانهزامِ العربِ، أوْثَقَهُمْ بالحديدِ المُحْكَمِ ، وسارَ بهم حتى أوْرَدَهُمْ المقام المكَرَّمَ، بما أنضافَ اليهم من الأثاثِ والسلاحِ والخدمِ .

وفي هذه المدةِ أيضاً كان فتحُ قصبة الحسوي في بيت عِذَاقة، وفيها سبعةٌ وعشرون، أجبرُهم علي علوي كما تقدم. وكانَ صفةُ خروجهم أنّهُ لما خرجَ من قصبةِ السوقِ سعد يسر(2) عيَّرَهُ عليّ علوي ، فَشُّدو عليه الحصارَ، وجعلوا يحفرون الحفائرَ، وكانَ الشيخُ غالبُ عليَّان يأتيه ليلاً طالباً للصُّلْحِ في الظاهرِ، وإرادةُ علي علوي الغَدْرُ به، وكانَ يُظْهِرُ له البِشْرَ، فلمّا عَزَمَ علويّ على قتلِهِ

= بمسافة ٥ كم، ووردت في معجم المقحفي، دار سَلْمَ، انظر المقحفي، ٢٢٩، أئمة (سيرة المنصور بالله)، ٤٩، صفحات مجهولة، ٦١.

(1) غَيْمَان: شرقي صنعاء بمسافة ٢٠كم، مشهورة في بني بهلول، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٢/١٢٠، صفة جزيرة العرب، ١٥٥، الاكليل، ١/٢٩٧ اليمن الكبرى، ١٨٧، معالم الآثار، ٤٥، تاريخ مدينة صنعاء، ٢٣٣.

(2) سعد يسر: بيت سعديسر، هم ذرية النقيب يسر من عبيد الدولة في صنعاء انظر، صفحات مجهولة، ٢٥.

---

(١) في م، بهلول وهو الأصح.

ذاتَ ليلةٍ، فطِنَ[1] لذلك الشيخُ غالبٌ، فثَبَتَ لها[2] بخمسةَ عشرَ رجلاً، وأقبلَ علوي بخمسةٍ من العجمِ، فقرَعَ البابَ، ودخلَ بِمَنْ معه، فطلَعَ إليه، وخرجَ الكامنون، فقبَضوا عُلْوياً ومن معه، وحاوَلَهُ المجاهدون أن ينادِيَ مَنْ في القصبةِ بالخروجِ فأبى، فعذَّبوه حتى ناداهم، فخرجوا وأوْصَلوا الجميعَ إلى حضرةِ الإمامِ -عليه السلام-(1).

وقال القاضي العلامةُ حسينُ بنُ أحمدَ العرشي في ذلك شعراً:

[الطويل]

ألا هَلْ أتى الأعْرابُ في نايِ دارِها	عُموماً وأهلُ المَرْوَتَيْن وزمزمِ
وإن كنتَ قَدْ حصَّنْتَ قوماً فإنما	أخصُّ من الأعرابِ أهلُ يَلَمْلَمِ
فجالَدنَا عنْ دينِنَا كلُّ مُعتَدٍ	ومبتَدعٍ في دينِهِ مترَنِّمِ
غداةَ احتملْنا للقتالِ يقودُنا	إلى الموتِ قُوّادُ الخميسِ العرمرمِ
إمامٌ له الأخبارُ باليُمن أشرَقَتْ	على العُجْمِ في سوقِ النفاقِ المتمِّمِ
يُعادُ إليه الناسُ شرقاً ومغرباً	وينتالُ علياه ورا كلِّ مُحرمِ
ويُنبيكَ والأخبارُ عنكَ خفيَّةٌ	مكارِمَهُ إنْ قَلَّ أهلُ التكَرُّمِ
وما الناسُ الا اثنان فيه: فَمُبْغِضٌ	سيسقِيهِ مِنْ كاساتِهِ كأسَ عَلْقَمِ
وذو خِلَّةٍ قد محَّح العُسْرُ سَيْلَها	حَباه فسوَّاهُ بأهلِ التنعُّمِ
ولمّا دعى الأعرابَ قامَتْ وألّفَتْ	غمامَتَها فاستَفْتَحَتْ كلَّ مُبْهَمِ
بكلِّ كميتٍ يلتقي الموتَ باسماً	له أهبةٌ في طيِّها روحُ ضَيْغَمِ

(1) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ٤٧.

(١) ففطن في ع، م.

(٢) سقطت من م.

وكــلُّ حســامٍ أخْلصَ الصقــلُ لَوْنَــه ... يحــدِّثُنــا عن حيٍّ عادٍ وجــرُهُــمِ

وقــومٍ لَهُــمْ فعــلُ الــرُّمــاةِ سجيَّةً ... إذا كانَ أفعــالُ الـعِــدا بالـتّعــلُّمِ

/ قبــائلُ من حَيَّيْ بكيلٍ وحــاشــدٍ ... مُطيعــتُــه يومَ الــوغى والـتقــدُّمِ ٢٤ب

ومِنْ مُذْحِجِ الغُلْبِ الكرامِ بأنفُسٍ ... معــوَّدَةٍ ضربَ الـكـمِّي المجَمْجَمِ

ومِنْ كنــدةِ الأبــطالِ كلُّ مقــاتــلٍ ... كريمٍ يلاقــي الـجـيشَ غيرَ مُذَمَّـمِ

ومن حميرِ الشُّمِّ المــطاعين عُصبــةً ... مراجحــةٌ مِنْ عبــدِ شمسٍ ويقــدُمِ

سلوا مَفْحقاً أغنى عن العُجْمِ عصمةً ... أم انـقــطعتْ عنهم حبــالُ التعصُّمِ

بلى قد رَمَتْــهُ العُــرْبُ فانقــاد طائعــاً ... ولــم يلقَ للأتــراكِ غيرُ الــذي همِ

ويومٍ لهُ والــذكــرُ يستــوجبُ الثنــا ... ويســتــلزِمُ الأعْــرابَ مِنْ كلِّ مُلْزِمِ

ويومَ استـغــارَ الجيشُ بيتَ عِذَاقــةٍ ... فآبَــوْا برضــوانٍ، وغـفــرانَ منـهــم

ثمــانينَ لا نصفَ الثمــانينِ غُودِروا ... أســارى هُمُ ما بَيْن عُربٍ وأعــجُـمِ

وقــد سَلَّمــوا ما كان في الحصن عُنــوةً ... وســاءَ بهِمْ أمــرُ الحــديثِ المُقــدَّمِ

وفــي كلِّ يومٍ وقـعــةٌ بعــدَ وقـعــةٍ ... وفــي كلِّ حينٍ مغـنـمٌ بَعْــدَ مَغْـنـمِ

تركْـنــا نســاءَ التُّــركِ يبكينَ حوْلَهُمْ ... حِزانــاً عليهــم بينَ بِكْــرٍ وأيِّمِ

وذلـــك أنَّ الـعُـــرْبَ لمّــا تنـمَّــرتْ ... مُتــابـعــةً نجــلَ الـنبيِّ المكــرَّمِ

وعــن أمْــرِهِ لا عَنْ سواه نوفِّهــم ... ونـتــركُـهُــمْ في بَلْقــعٍ من جَهَـنَّـمِ

إمــامُ بني الـزهـرا وشمسُ ازد هائِهِمْ ... ومفخــرُهُم في العلمِ لا في التعلمِ

ومـولى جميعِ النّاسِ إحسانُه الذي ... أفــاضَ على كلِّ الـعـبــادِ بأنـعـمِ

ويحتارُ وصفُ المادحِ الوصفَ وصفَه ... فلم يدْرِ ماذا قال عنــدَ الـتّــكــلُّمِ

ويُولـيكَ إحســانــاً ويُقــريكَ طيبــاً ... ويُعـليكَ في مرقى منَ العــزِّ منتمِ (1)

---

(1) الأبيات ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣ وردت في أئمة اليمن، ٤٧ مع بعض الاختلاف.

وكم يَسْمَحَنَّ اليومَ مِنْ بعدِ قُدْرةٍ ويغفرُ من ذنبٍ عظيمٍ مُعظَّمِ
وكمْ مِنْ أسيرٍ باتَ وهوَ منعمٌ وكانَ يَظُنُّ الموتَ في طي مقدمِ
فذا خُلُقُ الآباءِ كانَ قديمُهُ وأدركَها المولودُ عندَ التقسُّمِ
وأوْصافُ خيرِ الخلقِ عِلْماً وحكمةً مُنَقَّلةٌ في مُسْتَمٍ بعد مُسْتَمِ
ومِنْ حيدرِ الضربِ المبيدِ وراثةٌ توارثَها في كلِّ يومٍ متمِّمِ
(١فدعني في عُلاك مشيداً١) أظنُّ بهِ ظنَّ الحبيبِ المتيَّمِ(1)
وإنْ كُنْتُ قدْ قصَّرتُ فالقصرُ عادةٌ لِمثْليَ كان العفوُ [ ](٢)
وفي آلِ طه المصطفى سيدِ الورى وسيلتُنا عندَ القيامِ المعظمِ
فصلَّ عليهم والسلامُ فإنهمُ هُداةٌ وهمْ أهلُ المقامِ المحرَّمِ

وبخلال هذه المدةِ خرج علي باشا بعسكرٍ كثيرٍ للغارةِ على المحاصَرين في كوكبان، وبيت عِذَاقة، وكان طريقُه على شِبام ومرامُه الطويلة، لأنه قدْ صارتْ بحَوْزةِ الإمام ـ عليه السلامُ ـ فتلقّاه الشريفُ حسن(٣) الجندبي / [٢٥أ] ومن معه ووقع الحربُ في قاعِ الضلعِ، ومنعوا العَجَمَ عن الدخولِ. فلمّا كانَ الليلُ ارتحلَ ولم يعلَمْ به أحدٌ حتى بلغَ الهرَّة، فرمى بالمدافعِ، ففرَّ مَنْ فيه، وعَزَمَ مِنْ حينهِ الطويلة، فهربَ المجاهدون فدخلها ورتّبها، ولمْ يلقَ أحداً بها.

---

(1) في هذا البيت خلل عروضي.

(١ ١) سقطت من ع.

(٢) بياض في أ، ع.

(٣) في ع، علي.

ثمَّ سارَ حتى وصلَ بيت عِذَاقة ، فوجدَ من فيه قد استسلموا وأُسِروا، فرتَّب بيتَ الفقيه صالح، وبيتَ سريح، وعزمتْ طائِفةٌ من العجمِ طريقَ ثُلا. وكانَ الإمامُ، حفظهُ الله، قد وجّه إليه السيدَ أحمدَ بنَ عبدِالرحمن بنِ هاشم، وأمَرَهُ أن يشحَنَ الحِصْنَ بالرجالِ والزّادِ. فلمّا وصلت الأعاجمُ فرَّ، فاستولتِ العجمُ على الحصنِ ورتبوه، وعزمتْ طائفةٌ من العَجَمِ ، فرتبوا بيتَ عُلْمَان.

وقعةُ نَجْرةَ:

وهـذه هي الـوقعـةُ الثانيةُ، وصفتُها: أنّهُ لما بَلَغَ من في حجة[1] [من العجم] (١) أن علي باشا وصلَ الطويلةَ، كتبوا إليه أنه سيخرجُ منهم عسكرٌ، وهـو ـ أعني علي باشـا ـ يمـدُّهُم بعسكرٍ فيملكون ما بين القريتين، فاتّفقَ المجاهدون بالرسولِ والكتابِ، فعرفوا ما يريدُه الأعاجمُ، ولم يعلمْ مَنْ في حجَّة بأنَّ العربَ قَدْ أُخذوا المكتوبَ، فخرجوا على الوعدِ المضروبِ، وقد تأهّبَ المجاهدون لذلك اليومِ ، فأقبلتِ العَجَمُ وتلقاهم المجاهدون، ووقع الحرْبُ في بيت صولان[2]، وجاءَتْ فرقةٌ أخرى من العَجَمِ ، واشتدَّ الحربُ

---

(1) يتبَع حجَّة النواحي التالية، بني العَوَّام، الطَوْر، مَبْيَن، الجَميمة، الشَغَادرة، كحُلان عَفَّار، نَجْره، شَرس، المَدَان، ظُليمة حُبور، كُشَر، وشْحَة، كحُلان الشَرَف، خَيْرَان، المَحَابِشَة، القُفْل، الشَاهِل، أسْلَم، أفْلَح الشام، كُعَيْدِنة، عَبْس، المفتاح، حَرَض، ميري، شُهَارة، مُسْتَبَّا، بكيل المير، أفلح اليمن.

(2) صولان: قرية من عزلة مرهبة، ناحية ذيبين، وجبل صولان يقع شمال وادي ذيبين انـظر، التقسيمـات الادارية لعام ١٩٨٥، خريطة ج. ع. ي، ٠٠:ر٥٠ صفحة، 1544,A,I السيرة المنصورية، ٥٩٣.

---

(١) الإضافة من م.

والتحموا، فهربتِ العجمُ حتّى وصلوا إلى مطرحِهِمْ، وقُتِلَ اثنان وثلاثون غير الأسارى، وغنموا منهم أحدَ عشرَ بندقاً(١).

ذكرُ وقعةٍ في الشرف(1):

وفي هذه المدةِ كانت الوقعةُ في الشَّرَف ، وذلكَ أنَّ مَنْ فيه مِنَ الأعاجمِ تقدّموا يريدون القتال، فالتقاهم المجاهدون، ووقعَ حربٌ عظيمٌ حتّى فرّت العجمُ، وتبعهم المجاهدون إلى مطرحِهِم، وقتلوا منهم نحوَ الأربعين.

وفي هذه المدةِ رتَّب علي باشا بيتَ عِذاقة وجبل مَسْوَر، ووصلتْ إليه الأخبارُ، أنها عادَ الأنصارُ إلى حصارِ صنعاءَ، فتركَ في الطويلةِ أربعَ مئةِ نفرٍ، ورجعَ متوجهاً صنعاءَ.

ثم إنّ المجاهدين أحاطوا بيت عِذَاقة من كلِّ جانبٍ، فحاصروهم ثلاثة أيامٍ، فخرجوا بعدها للأسْرِ والاستسلامِ، وأوْصلوهم حضرةَ الإمام عليه السلامُ، حتى ضاقتْ قريةُ المَدَان عن الأسارى، فتضرَّر أَهلُها، فبعثَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ منهم جماعةً إلى صَعْدَة.

ثمَّ إنَّ العَجَمَ أمَّنـوُا مَنْ هَرَبَ مِنَ العَـرَبِ في الأحـوازِ، فتراجع أكثرُ النـاسِ. ثم خرجت العَجمُ على عزِّ الإسـلامِ إلى غَيْمَان. فأرسلوا عليها

---

(1) الشَرَف: هو شرَف حجور، جبل واسع في الشمال الغربي من حجة ويشكل أحد قضواتها، انظر الاكليل، ١٠/٨٦، صفة جزيرة العرب، ١٢٦، المفيد، ١٤٨، نشر العرف، ١/٦٧ نيل الوطر، ١/٥٨، معجم المقحفي، ٣٥٢.

(١ ١) سقطت من ع، م.

المـدافـعَ، وكـانَ خروجُهُمْ هنـالك فجرَ يومِ الاثنين، وانتهى الحربُ إلى اللَّيْلِ ، وأحـاطتِ العَجمُ بغَيْمَـان مِنْ جميعِ الجهات. وتحاوَرَ العربُ في بقائِهم أو الخروجِ ، واستقرَّ رأْيُهم في نصفِ الليلِ على الخروجِ.

وكانتِ المدافعُ قد أخربت الجدارَ التي حولَ الباب، وبعدَ مشقةٍ افتُتِحَ البـاب، فخـرجـوا من بين مطارحِ العجم بجميع دوابِّهم، وكأنَّ العجَم لا يعلمون تغاضياً، هكذا أخبرني مَنْ حضَرَ الوقعةَ مِمَّنْ أثِقُ به، وعَزَمَ سيفُ الإسلامِ جبل اللوز[1]، وتقدَّمَتِ العجمُ في اليومِ الثاني حتى بلغوا جَـوْب [2] فوقَـعَ بينهم وبينَ القبائلِ الحربُ، ثم رجَعوا غَيْمـان فأحرقوه، ورجعوا صنعاءَ، وفيها عَزَمَ أحمد فيضي بعكسرٍ عظيمٍ قاصداً إلى ذمار ويريم، فلما وصلَ ذمار فرَّ أهلُها أشدَّ الفرارِ، ولم يَبْقَ منهم ديَّارٌ، إلا نحوَ أربعين نفراً، فأمَّنَ الناسَ وأظهرَ العَفْوَ عمّا وقع منهم/ وأرسلَ الشيخَ علي البليلي [3] ومصطفى نافذ ومنْ معهم من العساكرِ إلى يَريمَ، فوجدوا أهْلَها قد فرّوا، ولم يبقَ الا اليسيرُ. وتلقّاهم المشائخُ وأعلنوا بالأمانِ، والعفوِ عن كلِّ جانٍ. وأما عُمّالُ الإمامِ ففرّوا من كلِّ مقامٍ من ذمار ويريم وإب وقَعْطبة.

٢٥ب

---

(1) جبل اللوز: من جبال خولان الطيال في بني سحام، وقد سبق التعريف به. انظر، معجم المقحفي، ٥٧٢.

(2) جَوْب: هي جَوْب غَيْمان، قرية من ناحية بني بهلول بالشرق الجنوبي من صنعاء بمسافة ١٧كم انظر، معجم المقحفي، ١٣٤، رياض الرياحين، ١١٣.

(3) علي بن محمد البليلي الصنعاني، انظره في أئمة اليمن، ٢/٤٣.

وممَّنْ قُتِلَ في حصارِ إب سيفُ بنُ غالب الدعيس (١ومحمد بنُ غالب الدعيس١). ولمّا تفرَّقت تلكَ الجموعُ، وخُفِضَ مِنْ أعلامِها كلُّ مرفوعٍ، اشتدَّ الخَطْبُ على العربِ، وأيقنوا بالهلاكِ والعَطَبِ، وما علِموا أنَّ لكلِّ شيءٍ سبَبَاً. وإنما الله أراهم أنه العظيمُ القادرُ على سَلْبِ الممالكِ وأنَّ كثرةَ العَددِ والذخائرِ لا تُغني شيئاً إذا أرادَ المَلِكُ القاهرُ، وأنَّهُ لا يغترُّ أحدٌ بعِظَمِ سلطانِه، فإنَّ الجميعَ بحسبِ تفضُّلِه وحكمتِهِ وامتنانِه. لكنّه سبحانَهُ لمّا امتَنَّ على العربِ برفعِ هذه الطائفةِ لينظرَ كيف يعملون، فبادرُوه بالمخالفةِ، ونَسَوْا سنَّةَ اللهِ في الأممِ السابقةِ(٢). وأنَّ بشؤْمِ المخالفةِ والعصيانِ تعودُ العقوبةُ والامتحانُ، كما نطقَ بذلك مُحْكَمُ القرآنِ، وتَفكّرْ أيّها الإنسَانُ في صدرِ سورةِ سبحان، فإنّما ولايةُ العَجَمِ إنّما هي عقوبةٌ لِما سبقَ من الذُّنوبِ وتقدّم، فإن القبائلَ في اليمنِ أضرموا نارَ الفتن، وصارَ كلُّ واحدٍ يدّعي أنه الأمينُ المؤْتَمن، وأكلوا أموالَ اللهِ، وخالفوا آلَ بيتِ رسولِ الله. وصارت الدولةُ في اليمنِ للعَسْكرِ، فأعلنوا بكلِّ مُنْكَرٍ، وأثاروا كلَّ شرٍّ، فلمّا لَمْ تَودَّ العربُ شُكرَ هذا الإحسان، ولا عَزَمتْ قدرَ هذا الامتنانِ، بلْ لمّا استخلَفَهُمْ الله فسدُوا في الأرضِ، وأضاعوا النّوافلَ والفَرْضَ، ولم يحاسِبوا نفوسَهم قبلَ الحسابِ والعرضِ، سُلِبوا هذه النعمة، وكلُّ أفعالِه سبحانه لا تخلو عن حكْمةٍ، ولقد رأيْنا مَرَّاتٍ وشاهدْنا كَرّاتٍ، فوجدنا كلَّ منْ خالفَ رَسْمَ إمام (٣) الزّمانِ، لابدّ أن يُبْتَلى بالخذلانِ، ويُسْلَبَ التوفيقَ ويُرمىٰ بالامتحانِ. ومَنْ صَدَقَ في نياتِه وأفعالِه وأقوالِه، وتابعَ الإمامَ فيما يأمرُ به، فإنّهُ لابدّ يبلُغُ مرامَهُ مِنَ النَّصْرِ، ولو

(١ ١) سقطت من ع، م.

(٢) في ع، م، السالفة. (٣) في أ، ع، أهل.

اجتمعَ عليه أهلُ العصر، وحسْبُكَ في فضلِ الصِّدقِ أنَّ اللهَ مَعَ الصادقين. ومَنْ كانَ اللهُ معه، فحقيقٌ أنْ ينصرَه اللهُ ويرفعَهُ. ويكفي في شؤمِ المخالفةِ، قولُه تعالى «حتّى إذا فشلتُم، وتنازعْتُم في الأمرِ وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكُم من يُريدُ الدنيا، ومنكُم مَنْ يريدُ الآخرةَ، ثمَّ صَرَفكمْ عنهم لِيَبْتَليكُم[1]» فالابتلاءُ سببُهُ المخالفةُ، فليَبْكِ كلُّ مخالفٍ على ما مضى في أيّامِهِ السّالفةِ. فليَحْذَرِ الذين يُخالفون عَنْ أمْرِهِ أنْ تُصيبَهُم فتنةٌ أو يصيبَهُم عذابٌ شديدٌ، فاستيقظوا عبادَاللهِ، فما هي مِنَ الظالمين ببعيدٍ.

وفي هذه المدةِ، بعثَ الإمامُ -عليه السلامُ- صفيَّ الإسلام، أحمدَ بنَ قاسم حميد الدين إلى بلادِ أرحب. لمّا بَلَغه ما وقع من الفشلِ والغَلْب.

ولقدْ سمِعْنا الإمامَ -حفظه الله- يتبرّى ويتبرّمُ مِنْ أفعالِ العربِ في أحوازِ صنعاءَ، وأنهم لم يُحْسِنوا في ذلك صُنعاً، وأنّ ما وقَعَ من الخذلانِ، كانَ بسببِ المخالفةِ والعصيانِ، كما ذلك سُنَّةُ اللهِ في جميعِ الأزمانِ.

وحينَ وصلَ صفيُّ الإسلامِ -حفظهُ الله- إلى أرحبَ، جَمَعَ القبائلَ، وبلّغَ الرسائلَ، وأدّى ما وجبَ، وكنتُ برفقتِه في هذه السفرةِ مِنْ حين خروجِهِ من الحضرةِ بإشارةِ من الإمام طوَّل الله عمرَه، ونِعمَ الصّاحبُ لم أزلْ أشكُرُ بِرَّه.

ولمّـا رأى مِنَ النـاسُ الفشلَ والمَلَلَ. أنشـأ هذه الـرسالـة، / ونعمَ مـا فعل، ولفظُ الرسالة[2]: ١٢٦أ

(1) سورة آل عمران، ١٥٢/٣.

(2) ورد قسم من الرسالة في أئمة اليمن (سيرة المنصور بالله)، ٥١، وقد ورد فيه الأبيات ١-٤، ٦، ٩، ١٣، ١٨، ٣٢، ٣٤، ٤٥، ٤٧، ٥١.

يقولُ الراجي عفوَ اللهِ، والداعي إلى نُصرَةِ أميرِ المؤمنينَ، المنصورِ باللهِ، أَحمدَ بنِ قاسمٍ، وفّقه الله:

الحمدُ لله، وما النَّصْرُ إلاّ مِنْ عندِ اللهِ، وبعد،

فإنّي لمّا رأَيْتُ شقائقَ النّفاقِ قد هُدِرَتْ، وسِلَعَ الظلمِ في سوقِ النّفاقِ قد نَفَقَتْ، وراياتِ الجهادِ معَ الأَئمةِ قدْ سَكَنَتْ، وطبولَ[1] جنودِ الحقّ قدْ وقفتْ، وأرجفَ الظالمون على المسلمين بإرعادٍ وإبراقٍ، وقامَ أهلُ الدنيا لفسادِ الدين على قَدَمٍ وساقٍ - قلتُ مستنجداً للعصابة الزيدية، ومادحاً للفرقةِ الشّيعيةِ، عسى الله أن يُوْجِدَ لنا عصابةً للحقِّ نافعةً، ولما يُريدُه الظالمون مانعةً: [الطويـــل]

تخـاذَلَ أهـلُ الـدينِ عَنْ نصـرِ دِينِهِمْ ... وأَجْمَـع أهـلُ المُنْكَـراتِ على النُّكْـرِ
وشـــدَّتهُم في النـــائبـاتِ وصبـــرُهمْ ... على البُؤسِ والضَّـراءِ والقتلِ والأسرِ
على قِلّةٍ في دينـــهــم ورجـــالِــهــمْ ... وبُعْـــدٍ عنِ الأوْطـــانِ بالبـــرِّ والبحـــرِ
لقـــدْ أظهَـــرُوا تيهـــاً على كلِّ مُسْلِمٍ ... وعُجْبـــاً على عُجْبٍ وكِبْـراً على كِبْـرِ
فللّهِ ما في الـقــلـبِ مِنْ لوعـــةِ الأسى ... ومِنْ حُرْقـــةٍ بَيْنَ الجـوانـحِ والصَّـدْرِ
فأينَ حُمـــاةُ الـــدّين مِنْ آلِ أحـــمـــدٍ ... وشيعتِهِم، أهـلُ الفضـائـلِ والـذّكـرِ
وأينَ أُســـودُ الـــحَـــرْب من آلِ حَيْدَرٍ ... وأبْنـــاءِ قَحْـــطانَ الحَجـاحجـةِ الغُـرِّ
وأينَ رجـالُ الصَّبْـرِ في كلِّ عاربٍ ... ومِنْ بطلٍ مِنْـــهُ ومن عالمٍ حبـرِ
وأينَ رجـــالُ الـغـــزوِ من شُمِّ أرحَـبٍ ... وأينَ رجـالُ الـطَّعْنِ من حاشـدِ الزَّهَرِ
همُ البـــاذلـــونَ النفسَ في كلِّ موقفٍ ... لِكَسْبِ المعـالي والمحـامـدِ والـذّكْرِ

---

(١) في ع، طيور.

كذاكَ لُيوثُ الحـرب سفيانُ الـذيـــن قَدْ ذهَبَـوا بالمجدِ والعزِّ والفخرِ

وأينَ رجـالُ العزِّ مِنْ نَهُمُ والأُلـى ... بِهِـمْ عزُّ دينِ اللهِ في السـرِّ والجَهْـرِ

وأينَ رجـالُ الصَّبرِ همـدانُ مَنْ لهمْ ... مقـامُ اجتهـادٍ واضـحُ الحـالِ والقَدْرِ

وأينَ جمـاعُ العـزِّ من نَسْـلِ حارثٍ ... ومِنْ نجلِ قحطان حشيشٍ مع الجَبْرِ

ألا أيْنَ بُستـانُ الفـواضـلِ والنُهى ... ألا أينَ سِنحـانٌ ويـهـلولُـنـا الغـرّ

وأين بنـو خولانَ إذْ طالَ ذكـرُهـم ... كذاكَ الحدا والروسّ [أكرم من يُقري][1]

وأينَ[2] خيارُ النـاسِ شيعـةُ جدِّنـا ... ذوي الصَّبْرِ في البأساءِ واليُسْرِ والعُسْرِ

ألا بايع[3] في طاعـةِ الله نفـسَـهُ ... فيحـرزُهـا مِنْ قبلِ حادثـةِ الـدَّهـرِ

ألا خائِـفٌ مِنْ غَضْـبـةِ اللهِ زاهـدٌ ... لنـارٍ تلظىّ بالـشّـرارِ وبـالـجَـمْـرِ

ألا بَايِعٌ في دارِ الـغـرور بجـنَّـةٍ ... روائحُهـا بُشـرىً وأنهـارُهـا تجـري

فيا معشـرَ الإسـلامِ مالـي أراكُـمُ ... غُفولاً عن الفضلِ المضاعَفِ والأجْرِ

ألَـمْ يأتِ أنْ تستيقـظوا من مَنـامِكُمْ ... فَقَـدْ بانَ جُنْحُ اللَّيْلِ عن شَفَقِ الفجرِ

/ ألا فاستجيبـوا داعيَ اللهِ إنْ دعـا ... فأسْمَـعَ ذا سمْـعٍ ومَنْ كان ذا وَقْـرِ ٢٦ب

ألَـمْ تسـمعُـوا ما جاءَ في كُتْبِ ربِّكُم ... مِنَ الوَعْظِ والتذكيرْ[4] لِمَنْ كانَ ذا فكر

[5]ألَمْ تسمعـوا ما جاءَ في الكُتْبِ واردٌ ... عن المصطفى المختارِ مِنْ وَلَدِ النُّظْر[5]

ألَـمْ تَسْمَعُـوا ما جاءَ في العَجَبِ الـذي ... تولّـى فِراراً مِنْ وعـيدٍ ومِـنْ زجْـر

---

(١) الإضافة من ع.

(٢) في ع، الا.

(١) في أ، بايعي.

(٤) في ع، والذكرى.

(٥ ٥) سقطت من ع، م.

ولا تتركوا المولى يجودُ بنفْسِهِ اتّاقلوا مِنْ غيرِ شغْلٍ ولا عُذرِ
أفي الدين أنْ يبقى إمام بنفسِهِ وحيداً وما مِنْكُم معينٌ على أمْرِ
ولا تبخلوا بالمالِ عنهُ وقدْ سخا بمُهْجتِهِ، والروحُ أغلى من الدُّرِّ
أنيبوا أنيبوا قبلَ أن تُمَطِرَ السَّما عليكم بأنواع المصائب والفقرِ
وتُنْتَزَعَ الأرواحُ والمالُ عنكمُ علانيةً من غيرِ شكٍ ولا أجرِ
بخلْتُمْ على اللهِ الكريمِ برزْقِهِ ولمْ تَجْزَوُا الباري بحَمْدٍ ولا شُكْرِ
كأنكُم الملاكون[1] لذاتِكم وأرزاقُكُمْ مِنْ عندِ أنفسِكُم تجري
ألمْ تعلموا كَمْ مِنْ صحيح مُنَعَّمٍ أَتَتْهُ المنايا بَغْتَةً حيثُ لا يدري
/ وكم تاعبٍ في ليلهِ ونهارِه يريدُ الغِنى، والفقرُ في سيرِه يجري ٧
فهلْ تائبٌ من ذنْبِه ومُراجعٌ إلى ربِّهِ قبلَ المصيرِ إلى القبرِ
ونسألُ ربَّ العرشِ في كلِّ حالةٍ يمدُّ إمامَ العصرِ بالفتحِ والنَّصْرِ
بجاهِ رسولِ اللهِ أكرمِ خلقِهِ وآلِ رسولِ اللهِ خيرِ بني الدهرِ
عليهم سلامُ اللهِ ثم صلاتُه ما دامَ وعدُ الله بالفتحِ والنصرِ

يا قومَنا، أجيبوا داعي اللهِ، وآمنِوا به يغفرْ لكم مِنْ ذنوبِكُم، ويُجِرْكُمْ من عذابٍ أليم، أجيبوا داعيَ إمامِكُمْ، ولبّوا صوتَ مناديه فيكم، واتبعوا هاديكم، والمُذبَّ عن دينِكُم، إمامٌ شرى مهجتَه بالجنّةِ، وَبَيّنَ ما كانَ أجدادُه سَنّه، ولم يزَلْ على الكتابِ يقاتلُ الظالمين والأظنَّةَ، فإن اجبتُمُوهُ حَمَلَكُمْ على واضحِ المحجّةِ، وأَبانَ لكم الدليلَ وأوْضحَ الحُجَّةَ، فلا تُضْربوا عن نُصْرتِهِ صَفْحاً، ولا تطوُوا[2] عن إجابتِه كَشْحاً، «ومَن لا يُجِبْ داعي اللهِ فليس بمُعجزٍ

---

(١) في ع، المُلاّك حتماً، وهو الصحيح. (٢) في أ، ولا تطروا.

ولا تتركوا المولى يجودُ بنفسِهِ اتثّاقلوا مِنْ غيرِ شغْلٍ ولا عُذرِ
أفي الدين أنْ يبقى إمام بنفسِهِ وحيداً وما مِنْكُم معينٌ على أمْرِ
ولا تبخلوا بالمالِ عنهُ وقدْ سخا بمُهْجتِهِ، والروحُ أغلى من الدُّرِّ
أنيبوا أنيبوا قبلَ أن تُمَطِرَ السَّما عليكم بأنواع المصائب والفقرِ
وتُنْتَزَعَ الأرواحُ والمالُ عنكمُ علانيةً من غيرِ شكٍ ولا أجرِ
بخلْتُمْ على اللهِ الكريمِ برزْقِهِ ولمْ تَجْزَوُا الباري بحَمْدٍ ولا شُكْرِ
كأنكُم الملاكون[1] لذاتِكم وأرزاقُكُمْ مِنْ عندِ أنفسِكُم تجري
ألمْ تعلموا كَمْ مِنْ صحيح مُنَعَّمٍ أَتَتْهُ المنايا بَغْتَةً حيثُ لا يدري
/ وكم تاعبٍ في ليلهِ ونهارِه يريدُ الغِنى، والفقرُ في سيرِه يجري ٧
فهلْ تائبٌ من ذنْبِه ومُراجِعٌ إلى ربِّهِ قبلَ المصيرِ إلى القبرِ
ونسألُ ربَّ العرشِ في كلِّ حالةٍ يمدُّ إمامَ العصرِ بالفتحِ والنَّصْرِ
بجاهِ رسولِ اللهِ أكرمِ خلقِهِ وآلِ رسولِ اللهِ خيرِ بني الدهرِ
عليهم سلامُ اللهِ ثم صلاتُه ما دامَ وعدُ الله بالفتحِ والنصرِ

يا قومَنا، أجيبوا داعي اللهِ، وآمنوا به يغفرْ لكم مِنْ ذنوبِكُم، ويُجِرْكُمْ من عذابٍ أليم، أجيبوا داعيَ إمامِكُمْ، ولبّوا صوتَ مناديه فيكم، واتبعوا هاديكم، والمُذبَّ عن دينِكُم، إمامٌ شرى مهجتَه بالجنّةِ، وَبَيّنَ ما كانَ أجدادُه سَنّه، ولم يزَلْ على الكتابِ يقاتلُ الظالمين والأظنَّةَ، فإن اجبتُمُوهُ حَمَلَكُمْ على واضحِ المحجّةِ، وأَبانَ لكم الدليلَ وأوْضحَ الحُجَّةَ، فلا تُضْربوا عن نُصْرتِهِ صَفْحاً، ولا تطوُوا[2] عن إجابتِه كَشْحاً، «ومَن لا يُجِبْ داعي اللهِ فليس بمُعجزٍ

(١) في ع، المُلّاك حتماً، وهو الصحيح.
(٢) في أ، ولا تطروا.

في الأرضِ ، وَلَيْسَ له مِنْ دونِهِ أولياءُ أولئك في ضلالٍ مُبينٍ»[1]. لا تَمِـلْ بكم الأهواءُ، ولا تفترقْ بكم الآراءُ، ولا تَغُرَّنَّكُمْ الحياةُ الدنيا، فإنَّ زينَتها تزولُ وتفنى. والذكرُ فيها شيءٌ يدُومُ ويبقى. أمّا الأمالُ فيها فهي كالسَّرابِ والأماني فيها ككيلِ التراب. حلالُها حسابٌ، وحرامُها عقابٌ، وعمارتُها إلى خراب، ويتوبُ الله على مَنْ تابَ، وليست الدنيا نافعةً إلّا لمَنْ عَمِلَ صالحاً وأناب. واعتبروا عبادَ اللهِ، عمَّنْ قد سلَفَ قبلَكم، فإنما أنتمْ حُثالةٌ بعدَهُمْ.

مَنْ ماتَ منهم سعيداً، ذُكِرُ بالخيراتِ إلى يومِ القيامة، ومن ماتَ شقيّاً لَعَنَهُ النـاسُ إلى يومِ النَّـدامـةِ، فشمِّـروا للجهـادِ بالجِدِّ والاجتهادِ؛ فإنه أفضلُ الأعمالِ عندَ ربِّ العباد، وأفضلُها في العُقْبى وفي المعاد.

قـال تعـالـى: «يـا أيّهـا الـذين آمنوا هَلْ أَدُلُّكم على تجارةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عذابٍ أليم، تؤمنـون باللهِ ورسـولِـهِ، وتجـاهـدون في سبيلِ اللهِ بأموالِكُمْ وأَنْفسِكُمْ، ذلكمْ خيرٌ لكُمْ إنْ كنتم تعلمون »[2].

وقالَ تعالى: « إنَّ الله إشترى من المؤمنين أنفسَهُمْ وأموالَهم [3] الخ».

وقالَ ﷺ: «[4]لغدوةٌ أوْ روحةٌ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من الدنيا وما فيها» انفِرُوا

---

(1) سورة الأحقاف، ٤٦/٣٢.

(2) الصَّف: ١٠، ١١.

(3) التوبة: ١١١.

(4) صحيح البخـاري، جهاد، ٥، ٦، ٧٣، رقاق، ٥٢، الترمذي، فضائل الجهاد، ١٧، سنن النسائي، جهاد، ١١، ١٢، سير أعلام النبلاء، ٤٥٢/٣، مسند أحمد بن حنبل /١٦٨/٤.

والحديث «روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وغدوة في سبيلِ الله خير

خِفافاً وثِقالاً، وأقْبلوا على طاعةِ إمامِكم أرسالاً ارسالاً، ممتثلين بما ألزمكم ربُّكم تعالى، منتقمين مِنْ عدوِّكم للهِ بما عصاه، ناعشين لدينكم الذي قدْ أماته البُغاةُ، موضِّحين من مذهبِكُمْ ما طمَّهُ الظالمون، ومستحجِّين بما صَنَعُوه من الأعمالِ الخبيثةِ، وأنتم بها عالمون. قاتِلوهُمْ فانتم حزبُ اللهِ. «ألا إنَّ حزبَ اللهِ هم الغالبون»، وأنتم إن شاء اللهُ أنجدُ منهم، وأصْبرُ وأشرفُ وأفخرُ. أنتم العربُ العرباءُ، وهمُ الأعاجِمُ النُكبا، همْ أذلُّ منكُمْ وأحقرُ، وإنْ كانوا في عُدَّتِهم أكثرَ وأوْفرَ، وهم الذين قاتلتوهم بالأمسِ، وامتلأتِ القيود منهم والحبسُ.

وفي هذه المُدةِ، تقدَّمَتِ العجمُ مِنْ مدينةِ تعز إلى حصونِ الأخطورِ[1] ونقيل المَحْرس[2]، وفيها جماعةٌ من آلِ دماج، وأحمد بن قايد، وجماعةٌ من ذو غيلانَ، فوقع الحربُ بينهم في المَوْضعَيْن، حتى أسفرَ الصبحُ لذي عينين، وقُتِلَ مِنَ العجمِ نحوٌ مِنْ مئةٍ على ما قيل، وتكوّنَ الشيخُ عليُّ بنُ عبداللهِ بنِ سعيد، وأخذتِ العجمُ الحصنين، وقصدُوا الشيخَ سعيدَ بنَ غالبٍ الدعيس، فاحرقوا بيوتَه، ولم يَقَعْ بينَهُمْ وبينَهُ حرابة.

وفي هذه المدّةِ قصدَتْ جماعةٌ/ مِنَ العجمِ مدينةَ قَعْطبة، ثمَّ عزَموا من ٢٧ب

من الدنيا وما عليها، وان المؤمن على المؤمن حرام، عرضه وماله ونفسه، حرمة كحرمة هذا اليوم».

(1) الأخطور: قرية على بعد ١٠كم من مدينة إب، فيما بينها وبين القاعدة على الطريق المؤدي إلى نجد الجُماعي، انظر، معجم المقحفي، ٢١.

(2) نقيل المَحْرس: نقيل مشهور ما بين إب وتَعز فوق بلد السَّيَّاني وأعلى وادي نَخْلانَ، انظر، معجم المقحفي، ٥٦٥.

هنالِكَ مخلاف الشعيبي [1]، يريدون تصليحَهُ للشيخِ ناصر بن مثنى البسيس، فالْتَقَتْهُم القبائلُ، ووقعَ بينهم حربٌ هائلٌ، قُتِل فيه مِنَ العجمِ كثيرٌ، وانهزموا حتى وصلوا قَعْطَبةَ.

وفي هذه المدّةِ تقدّمَ الشيخُ محمد بنُ عبدِالله الزبير، من مشائخِ الشِعْرِ [2] ولـه عسكرٌ من العربِ، ومقصدُه يصفّي الرعيةَ للعَجَمِ، فتلقّاهُ أهلُ العَوْد [3] والشعرَ، فوقعَ الحربُ بينَهُمْ وقُتِلَ الزبيرُ، وفتكوا به، وهرَبَ مَنْ معهُ، ونهبَ أهلُ العُودِ والشِعرِ ما جمَعَهُ.

وفي الشهرِ المذكورِ، سارَ الشيخُ عليُّ بنُ حسن الصنعاني، وصحبتَه جماعةٌ من العربِ والعجمِ، حتى وصلوا بَعْدانَ والمنارَ [4]، ووقع الحربُ بينَهُمْ وبينَ أهلِ المحلِّ، فقُتِلَ مِنَ العجمِ نحوُ ستةٍ، وأَسرُوا بنَ أَحمدَ صالح، والشيخَ عليَّ بنَ حسن الصنعاني، فرجعتِ العجمُ إلى أصحابِها في إب فخرجَ إسماعيل باشا والشيخُ عليُّ بنُ عبدِالله بنِ سعيد، ومَنْ معهما، فوقعَ الحربُ فيما بينهم، ووقعَ القتلُ مِنَ الفريقين، واستفاضُوا على المحلّاتِ، وأحرقوا بعضَها وعادُوا إلى إب. وقدْ كان دَخَل الشيخُ محمدُ بنُ سعيد بن

---

(1) مخلاف الشعيبي: مخلاف بني شُعيب في وصاب.

(2) الشِعرِ: ناحية تابعة لقضاء النادرة، انظر، معالم الآثار، ٤٢، معجم المقحفي، ٣٥٧.

(3) العَوْد: بلد في النادرة بالشرق الشمالي من إب انظر، معالم الآثار، ١١٠، الإكليل، ١٤٧/٢، ٣٦٧، صفة جزيرة العرب، ٢٠٠، معجم المقحفي، ٤٧٣.

(4) المنار: عُزلة من بَعْدَان جنوبي يريم، في أعلاها حصن، انظر مع الآثار، ٨٠، ١٠٤ تاريخ اليمن الثقافي، ٩٦/١، اليمن الكبرى، ٤٣.

غالب الدعيس عندَ العجم ِ رُكوناً إلى ما أظهروا وأعلنوا من التأميناتِ التي كتبوا بها إليه، وإلى غيرِه فحبسُوه، وبعدَ مدّةٍ أطلقوه.

وفي جمادى الآخرة، تقدمتِ العجمُ وأعوانُهم على الشيخ قاسم بن صالح الصّبري إلى محلةِ منوز والحاقر، فوقعَ الحربُ بينهم وبينَ العجم ِ، ورمتهُم بالمدافع ِ، فلمّا عرفَ أنه لا طاقةَ له بأنْ يُدافعَ عزمَ بِمن معه القفرَ(1)، وما زال يغزو العجمَ من هنالك.

ثمَّ إنَّ العجمَ أخربوا الدورَ، ووصَلَ الشيخُ صالحُ وجماعتُه إلينا. ومكثوا عندنا في الهجرةِ، رجبَ وشعبانَ ورمضانَ.

وفي شوال، وصلتْ له الأمانـاتُ مِنْ أحمـد فيضي، فرجـعَ بيتَـه هو وجماعتُه، وهو باقٍ إلى الآن قد حَلَّ بالمجد بأعلى مكان.

وفي الشهرِ المذكور، خرجتِ العَجَمُ على الشيخِ ناصربن علي العمري، صحبـةَ القوماندان(١) مصطفى نافذ والشيخ علي البليلي. فلما وصلوا محلَّ الشيخِ ناصرَ بني عمر، وقعَ الحربُ بينهم في الحائطِ مِنَ الصُّبْحِ إلى نصفِ اللّيلْ.

---

(1) القفر: قفر حاشد، أرض واسعة تمتد من جبال يريم شرقاً حتى جبال وصاب العالي غربـاً، ومن مغـرب عنس شمـالاً حتى المخـادر جنوبـاً، وهـو القفر الذي يسميه الهمداني، الوحش بلد حاشد، وقد أصبح الآن ناحية مستقلة تتبع قضاء يَرِيْم، ناحية القفـر، ومـركزها قرون، انظر، اليمن الكبرى، ١٤٣، الاكليل، ١٩٤/٢، معجم المقحفي، ٥٢١.

---

(١) في أ، م الكمندار.

ثمَّ إنَّ الشيخَ ناصر عَزَمَ القفرَ، ورتَّبَ حصنَه قرون[1]، ثمَّ إنَّ الشيخَ علي البليلي كاتَبَه، ووقَعَ الاتفاقُ بينهم إلى بعضِ القفرِ.

وفي خلالِ ذلك، أرسلَ القوماندانُ(٢) مصطفى نافذ بُلك[2] عسكر لقبضِ الحصنِ خديعةً(٣). فلمّا وصلوا إلى بابِ الحصن قبلَ طلوعِ الشمسِ، خرجَ بعضُ العسكرِ من الحصنِ يُصلّي، وهمْ دخلوا الحصنَ فصلّى، ورجعَ آنية النيام، وأعلقوا البنادق وعشّروا في البُلكِ، فصادفت البنادقَ جميعهَا، فهلكُوا عنْ آخرهم، ما عدا شريفٍ من بني الضُمَين[3]، فإنه نزلَ مِنْ فوقِ الحصنِ إلى مزبلةٍ فَسَلِمَ، وكـانَ الذي مِنْ أصحابِ الشيخ ناصر بعدَ دخوله أغلقَ بابَ الحصنِ لئلا يخرجُوا من الحصنِ، فلما أهلَكَ الله البُلُـكَّ سلبوهم البنادق، وما معهم من المونةِ، وخرجوا وجلينَ مِنْ بعضِ عرضِ الحصنِ، فلمّا وصلوا إلى بعضِ الطريقِ، لقوا الشيخَ عليَّ البليلي فأرجعوه أسيراً إلى الشيخِ ناصر، ولوَّموا عليه بما وقعَ من العيبِ.

---

(1) قرون، انظر، صفة جزيرة العرب، ٢٩٧، معجم المقحفي، ٥٢١.
(2) بُلك: كلمة تركية معناها فرقة من الجند.
(3) بنو الضُمَين: أسرة من الأشراف تعيش في الجوف، ينتهي نسبهم إلى عبدالله بن حمزة، ولذا عرفوا باسم الأشراف الحمزاوات، حتى اشتهر أحد أجدادهم وهو الشريف عبدالـوهـاب بن محمد ويلقب بالضمين، لأنه كان يضمن بين الناس انظر، معجم المقحفي، ٣٩٨، وثائق يمنية، ٢١٣.

---

(١) في أ، م الكمندار.
(٢) سقطت من أ.
(٣) في ع، م، خدعة.
(٤) في أ، م، الضميم.

وقالَ له الشيخُ ناصر أنت مؤمَّنٌ في نفسِكَ بشرط سلامةِ الحصن والبلادِ، فكتبَ علي البليلي إلى مصطفى نافذ: «إني قد أُسِرْتُ بسببِ العَيْبِ الذي أعبتوا بالشيخ ناصر. وإنكم ما قصدتوا بهذا إلّا إلى جنابي، ولكن أسلموا البلادَ والحصن والا فأنا مقتولٌ». فحينئذٍ أُسقِطَ في أيديهم، وخافوا من المسئولية، فكفّوا أيديهَم، وبعدُ، حضر(١) الواسطة فيما بينهم بأنَّ الشيخَ ناصرَ يفُكُّ البليلي، وتعزمُ العجمُ من البلادِ، فأبى الشيخُ ناصر أن يفكَّهُ حتى تعزمَ العسكرُ ذمارَ. وبعدَ أنْ وصلوا ذمارَ فكَّهُ. وكانتْ تعدُّ هذه من كراماتِ الإمامِ، ـ عليه السلامُ ـ / لأن الشيخَ ناصر من الصادقين في المحبة. ١٢٨أ

ثم (٢لم يزالوا٢) يحاذرون من البغضِ للشيخِ المذكور، إلى الآن؛ خوفاً من تلك القضيةِ، وفي اليوم الخامسِ عشرَ من شهر ربيع الآخر، وصل كتابٌ من الياور على مثنى الحسيني (1) إلى الحضرةِ الشريفة، وهذا الرجلُ أصلُه من السرّ(2)، تعلَّمَ لغةَ العَجَمِ، ودخلَ استانبول، فصارَ ياوراً والياوَرُ بلغتِهم

---

(1) على مثنى الحسيني الرجامي اليمني، انظر، أئمة اليمن (سيرة المنصور بالله)، ٦٣، حوليات يمانية، ٥٢٩.

(2) السِرّ: وادي مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء: بمسافة ٢٣كم، وهو من ناحية بني حشيش ويطل عليه حصن ذي مَرْمَر الأثري، وحصن ذَباب وجبل صَرَع، وكان يُقال له قديماً سر ابن الرويّة نسبة إلى محمد بن أُحمد الرويَّة، وهو وادٍ خصب ذو خضرة دائمة انظر، اليمن الكبرى، ٧١، تاريخ الواسعي، ٣٠، معالم الآثار، ١١٣، صفة جزيرة العرب، ١٧٦، الاكليل، ١٠/١٨١، نشر العرف، ٢/٩٥.

---

(١) في أ، م حضرت.

(٢ ٢) في ع، لا زالوا.

خادمُ السلطانِ، وصارتْ خِدمةُ السلطانِ عندَهم من أرفعِ الأمورِ، لا تُعَدُّ من النقصان.

ولقد فكَّرْتُ في بعضِ الليالي، أن هذا الشرفَ حصلَ لمن خدمَ رجلاً من بني آدم، لا يملكُ ضراً ولا نفعاً، مع أنَّ الخدمةَ من أرذلِ الحِرَفِ، فكيف بمن خدم مولاه وخالقه، الذي يعلمُ سرَّهُ وما أخفاه، ويجيبُ المضطرَّ إذا دعاه، ويكشفُ الكُروبَ، ويقبلُ التَّوْبَ مِمَّنْ يتوبُ، فيغفرُ الذنوبَ، ويسترُ العيوبَ، ويُظهِرُ الجميلَ ويسترُ القبيحَ، ويتحبَّبُ إلى عبدِه بالنِّعمِ، ويَشفيهِ من الألم، وهوَ مع ذلك يتبغَّضُ إلى مولاه بالعصيانِ، ويبارزُه بالذنوبِ في السرِّ والإعلانِ، ثم يحلُمُ عنه ويصفحُ، عسى أنْ يرجعَ إلى التوبة والإذعان، لا إله إلا الله، ما أعظمَ هذا الربَّ! وأحلَمَهُ عنْ عبدِهِ إذا أذنَبَ! اللهمَّ ألهِمْني رُشْدِي وقدْ جرَى القلمُ بما ليسَ بمقصودٍ، والشيءُ بالشيءَ يُذكرُ، وصورةُ كتابِ الحسيني ما لفظه(1):

بسم الله الرحمن الرحيم

الجنـابَ العالي المنيفَ، جنابَ مولانا الإمام الشريفِ، العلّامةِ، عينِ أعيانِ أهلِ البيتِ المطهرين، الإمامِ المنصورِ بالله ربِّ العالمين، حفِظَهُ الله وتولّاهُ، وأمتعني بحياتِهِ، (۱ وشريفُ السَّلام۱) يخصُّكم، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، وصلاتُه وسلامُه على محمدٍ وآلِهِ.

---

(1) انظر، أئمة اليمن، ٦٣ ـ ٦٤.

(۱ ۱) في أئمة اليمن، ٦٣ «وشريف سلام الله يخصكم».

صُدورُها بعدَ وصولِنا مِنْ حضرةِ مولانا السلطانِ ـ دام عزُّه ـ بأمرِ مَنْ لديهِ لمعـرفـةِ ما حصـلَ في أرضِ اليمنِ مِنَ القتـلِ والقِتـالِ، وما سببُ ذلك المــوجب[1]، وكشفُ حقيقـةِ الأميرِ والمـأمـورِ، وأمـورٌ معنـا ما يَسَعُهـا إلاَّ المشافهةُ، والمقصدُ صلاحُ الإسلام والمسلمين، وإخمادُ الفتنِ. فقدْ جَعَلْنا هذه الإشارة إليكم صحبةَ العازمين إلى حضرتِكم الشريفةِ من طَرَفِنا لاستمدادِ الجوابِ، والإذنِ منكم في الوصولِ إليكم بصحٍّ صحيح يكونُ به الآمانُ في الطريق، وعندَ الوُصولِ الحديثُ شفاه، ومعَ صلاحِ النِّياتِ، الرجوّ[2] مِنَ اللهِ صلاحُ الشأن. والعازمُ مِنْ لدينا الوالدُ الشيخُ أَحمدُ بنُ عبد الله الحسيني، وكمالُ التحقيقِ مِنْ لسنِهِ(1)، والسلامُ عليكم.

حُرِّر يومَ ١٥ شهر ربيعِ آخر(2) سنة ١٣٠٩.

وهذا جوابُ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ، وأطال مدَّتَهُ(3):

بسم الله الرحمن الرحيم

[3] إلى مَنْ جعلَ مودَّةَ أهْلِ بيتِ النبوَّةِ لدينِهِ شعاراً، ومحبةَ المنصبِ العلويِّ

---

(1) في أئمة اليمن، من لدنه.

(2) في أئمة اليمن، ربيع أول.

(3) انظر أئمة اليمن، ٦٤ ـ ٦٦، هناك بعض اختلاف بينهما.

---

(١) في أئمة اليمن، ٦٣ «وموجبه».

(٢) المقصود الرجاء.

(٣) ورد في أئمة اليمن، ٦٤ «ننهي كتابنا».

لما يرومُهُ من خيَريْ الدارين دثاراً، فطابَ لذلك نفْساً وأقوالاً وأفعالاً وخبراً وأخباراً، الياورِ الأكبر، والمقامِ العالي الأشْهَرِ، الآخِذِ مِنْ رياسةِ الكمالِ بالخطِّ الأوْفرِ، علي بن مثنى الحسيني، أسبغَ الله عليه النِعَم، ورفعَ له إلى مطلبِ[1] رضاه عاليَ الهمم، وأرشدَهُ من التقوى إلى شامخِ القِمم [وجعَلَهُ ممن تمسك بسفينةِ النجاة واعتصم)[2]، وأهدى إليه سلاماً يُنيرُ به الأرجاءَ، ويتضـوَّعُ بالمسـكِ الـذكيِّ أرَجَا[3]. ورحمةُ اللهِ الموصولةُ إلى غايتِهِ الأملُ والرَّجا. وبعد،

فإنّا (٤نحمدُ إليكم الله٤) الذي لا إله إلا هو، ونُعلِمُكم أنَّ أحقَّ الناسِ بالسّعادة، وأقرَبَهُمْ لنيلِ ما فيه الحُسنى وزيادةٌ، مَنْ منحَهُ اللهُ مِنَ العقلِ ما يبلغُ به غايةَ مُراضيه، ويتجنبُ به موبقاتِ معاصيهِ، وأنه وصـلَ كتـابُكُمْ الكريمُ، وخطابُك الفخيمُ، الذي لمحتُ فيه إلى استطلاعِ حقيقةِ الأسباب ٢٨ب / الباعثةِ لما جرى من القتلِ والمحاربة، وعدمِ التوافقِ والمقاربةِ بيننا وبينَ المـأمـورين مِنْ حضرةِ السلطنة القاهرة، أدامَ الله عزَّها، على الملحدين، وشتَّتَ بقوَّتِها شملَ المعتدين. فاعلم ـ أسعدَكَ الله ـ أنَّ أهلَ الكتبِ المُنْزَلَةِ يحافظون على كتابِهِم، وأوامرِ رسولِهِم، ولا يَدَعُونها مُعَطَّلةً، فاليهودُ يحافظون على أحكامِ توارتِهم وكلامِ نبيِّهم موسى، والنصارى يحافظون على إنجيلهم

---

(١) في أئمة اليمن، طلب.

(٢) الإضافة من أئمة اليمن.

(٣) في ع، أرجوا.

(٤ ٤) في أئمة اليمن «نحمد الله إليك».

وكلام نبيِّهم عيسى، ونحن أمةُ خاتِمَ النبيين، الذي وصَفَنَا اللهُ بقولِهِ: «كنتم خيرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ تأمرون بالمعروفِ، وتَنْهَوْنَ عن المنكر[1]». ويقوله «وكذلك جعلناكُمْ أمّةً وسَطا، لتكونوا شهداءَ على الناسِ، ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً»[2]. وكتابُنا القرآنُ المهيمنُ على جميعِ الكتبِ المُنْزَلَةِ الذي «لا يأتيه الباطلُ مِنْ بين يديه ولا مِنْ خَلْفِهِ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد»[3]. ومع ذلك فاللائقُ بحالِنا أنْ نرعى كتابَ ربِّنا حقَّ رعايتِه، ونعملَ ببيِّناتِهِ ومُحْكَماتِه، ونعملَ لسنَّةِ نبيِّنا كما أمرَ ربُّنا بقولِهِ: «وما أتاكم الرسولُ فخذوه، وما نهاكُمْ عنه فانتهوا»[4].

وإنّكَ تعلمُ أيُّها الرئيسُ: أنَّ اليمنَ الميمونَ محلُّ الإيمان، كما أخبرَ بهِ سيِّدُ الأنام.

ولما وصلت عساكـرُ السَّلْطنةِ القاهرةِ لم يَخْطرْ علـى بال أحدٍ أنهم يعملون بغيرِ مـا أنزلَ الله، ولا يرتكبون ما حـرَّم الله، ويتجاوزون في ظلم عبادِ اللهِ، ولمّـا تمكنوا في اليمـنِ ارتكبوا جميعَ المُحـرَّمات، من الـزِّنا واللَّواط وشُـرب الخُمورِ، وظُهورِها في بـلادِ الإسلام كأنها المـاءُ الزلال، وعطّلوا الشرائع[5] وأن مذاهبهم فـي المسائل الأصولية أعـدل المذاهب

(1) سورة، آل عمران، ١١٠.

(2) سورة، البقرة، ١٤٣.

(3) سورة فصلت، ٤٢.

(4) سورة، الحشر، ٧.

(5) هناك فرق بين ما ورد في كتابنا وما جاء في أئمة اليمن، ٦٥/٢ بقوله «الإيمان يمانٍ» وان مذهب

فـي مسـائل العـدل. والأحكـام والـوعـد والـوعيـد يستنـدون فيهـا إلـى ضروريـات المعقول، وقطعيـات المنقول، وكذلـك في المعرفـةِ بحقوقِ الصحابـةِ ومن بينهم من السَلَف. وكذلـك في المسائلِ الفروعيـة صار مذهبم فيها النصف. [لا يفترق][1] أئمة المذاهب الأربعـة إلا من بحار علمهم، ولا حكمـوا فـي كل مسألـةٍ إلا بحكمهم، حتـى نشأ الخـلاف بين المخـرجيـن للمـذاهـب، ففـرقـوا بين الأئمـة، وصـارَ المسلمـون في ظلمة، ومـا اختلفوا إلا من بعد مـا جاءهم العلم بغياً بينهم. فهدى الله الذيـن أمنوا لما اختلفـوا فيه من الحق بـإذنه، والله يهدي مَنْ يشـاءُ إلى صراطٍ مستقيم.

وإنك تعلمُ أنَّ ولايـةَ اليمنِ كانت بأيدي أسـلافِنا مِنَ العترةِ الـزكيةِ التي هي بضعـةٌ من الذاتِ النبويةِ، وكـانوا يعملونَ فيه بكتـابِ اللهِ وسنةِ رسـولِ الله، ويأمُرونَ بـالمعروف ويَنْهَـوْن عن المنكـر، ويُقيمونَ الحـدود، ولا يأخـذون من أرباب الأمـوال إلا ما قـررهم عليـه رسول الله ﷺ، لأن أهلَ اليمـن أسلموا فـي عهد رسـول الله، ﷺ طـوعاً. فـلا عليهم غيـر

أهلِ اليمن في المسائلِ الأُصولية أعْدَلُ المذاهب في التوحيدِ والعدلِ والوعدِ والوعيدِ، لا يعتمدون فيه إلّا على ضروريات المعقولِ، أو قطعياتِ المنقولِ، وكذلك في المسائلِ الفرعيةِ، لم يغترفْ أهلُ المذاهبِ الأربعةِ إلّا مِنْ بحار علوم العترةِ الزكيّةِ، حتى نشأ الخلافُ منْ مخرجي مذهبِهِمْ، وندبِهِمُ البعيرَ لسوءِ مراكبِهِمْ، ففرّقوا بينَ الأمة، وصارَ المسلمونَ في ظُلْمةٍ، وما اختلفوا إلّا مِنْ بعدِ أنْ جاءَهُم العلمُ بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنهِ، والله يَهْدِي مَنْ يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم»

الزكاة والفطرة[١].

«ولما وصلت عساكر السلطنة القاهرة، عطلوا الشرائع ورفضوا القصاص والحدودَ التي نصوصُها قطعيّةٌ ثم أسرعوا إلى استيعابِ أموالِ الناسِ بالقوانين الموضوعةِ التي لم يرِدْ عليها إشارةٌ من عِلْمٍ.

وصارَ التاجرُ والزارعُ في كلِّ أسبوعٍ يُسلِّمُ فلوساً من العَدَمِ، ويتقي الإهانات على أنواعِها حتى أنَّ بعضَهم يؤجِّر نفسَهُ، ويُسَلِّمُ أُجْرَتَهُ لأعوانِ الدولةِ ويبيتُ طاوياً مع أهلِهِ وأولادِهِ[١]، وساعَدوا النصارى في الكرنتينةِ حتى صدُّوا أهلَ اليمنِ عن حجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، وردُّوهم مِنْ طريقِ مكةَ مراراً. وكذلك أخربوا مقابرَ المسلمين، وعمَّروا بأحجارِها، وحفَروا محلاتِ القبورِ وغَرسوا فيها أشجاراً، وكانوا يُخْرِجون الميِّتَ ويَرْمُون به وراءَ الحائطِ، وبالَغوا في طلبِ الرَّسْمِ وقيمةِ الأوراقِ، وصاروا يأخذون من الحكّامِ الجهّالِ الذين لا يعرفون أحكامَ الصلاةِ، وكذلك من المأمورين، الفلوسَ المتكاثرةَ، ويصيرُ متهوراً في أخذ الرشوةِ / على أيِّ وجهٍ متعمداً على أنَّ ما دفعَهُ مِنَ الفُلوسِ ٢٩أ يدفعُ عنه القيلَ والقالَ وغيرَ ذلك، ممّا لا يرضاهُ ذو الجلالِ، ولا يفعلُهُ إلاّ أهلُ الضلالِ. فقدْ أوضحنا لك أيها الرئيسُ بالأسبابِ الباعثةِ، والأفعالِ

---

(٢) الإضافة من م.

(١) الاضافة من أئمة اليمن ٢/ ٦٥.

(٢) في م، وأطفاله.

العابثة، وأنَّك تعلمُ أنَّ السلطانَ الأعظمَ قد قرَّرَ الكُفَّار على ممالِكَ من بلادِ الإسلام، ولم يُقرِّرْ أولادَ رسولِ اللهِ على هذه الخطةِ اليمانيةِ، ويُوفي أجرَ رسولِ اللهِ ﷺ على التبليغِ المشار إليه بقولِه تعالى: «قُلْ لا أسألُكُم عليه أجراً إلَّا المودةَ في القُربى». فنعيذُه باللهِ أنْ يَدْخلَ في الدعوةِ النبوية التي قالَ فيهـا رسـولُ اللهِ، ﷺ لأهلِ بيتِهِ: أنا حربٌ لمن حاربتُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سالمتُمْ». وبقولِه: «من قاتَلَنا آخر الزَّمانِ، فكأنما قاتلَ مع الدَّجّال»، وأما حقنُ الدّماءِ وتسكينُ الدَّهْماءِ، فنحن أقربُ إلى ذلك من السيلِ إلى منحدرِهِ، مهماً وجدْنا مجالاً للعملِ بكتابِ الله وسنةِ رسولِ الله، ﷺ، ومَهْما وجدْنا أُناساً يعملون بقولِهِ تعالى: «وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينَهُما، فإنْ بَغَتْ إحداهُما على الأُخرى، فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمرِ الله».. وفَّقَنا الله جميعاً إلى ما فيه رضاه، وسلَكَ بنا سبيلَ النّجاةِ، وإنّهُ قَدْ وصلَ مكتـوبٌ منَ السيِّدِ محمـد الـرفـاعي الحموي(1)، وأجبْنا عليه بما صدَرَتْ صورتُهُ، نرجو إبلاغَ ذلك إلى السلطنةِ القاهرة، أعزَّ الله بها الإسلام.

[تاريخه ٢٥ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ](1).

وفي هذه المدةِ وصلَ إلى الإمام، عليه السلام، كتابٌ من السيدِ محمد

---

(1) محمـد الرفاعي الحسيني الحموي: هو السيد محمد بن عمربن حسن الحريري الرفاعي، ولد بحماة سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م، ونشأ في بلده ثم انتقل إلى استانبول، ورأس الطريقة الرفاعية، عاد إلى حماة شيخاً للزاوية الحريرية ت ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، انظر، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١١٨٩/٣.

---

(١) الإضافة من أئمة اليمن، ٦٦/٢.

الرفاعي الحسيني الحموي، الذي يزعُمُ أنه (١ خرَجَ من السلطنةِ١) لافتقادِ أحوالِ اليمنِ، وكانَ وصولُ ذلك المكتوبِ مصحوباً بمكتوبٍ من القاضي أحمدَ بنِ يحيى الردمي(1)، وهو رجلٌ مشؤومٌ، لا يعرفُ من العلمِ إلاّ رسوماً، ومعَ ذلك فهوَ قاضٍ بالدعوى(2)، عارٍ بقلبهِ عن التّقوى، فلا يستاهِلُ أنْ يسوَّد بهِ وجهُ القرطاسِ، لأنه مبنيٌّ على غيرِ أساسٍ، ولا ريبَ إنما ألقاه في فكره الوسواسُ الخنّاسُ، فلوْ أرادَ الله به خيراً لدَفَن خَطَلَهُ، وكان كالهـرِّ (٢ يُخرِجُ خَطَلَه٢) ثم ليستَرهُ، ولو أنه عَرِفَ مِنَ الكتابِ والسُنَّةِ مثقالَ ذرّةٍ لما استدلَّ بذلك الكلام الساقطِ بالمرةِ. على نجمِ العترة، ولقولِهِ ﷺ: لا تعلّموهم فإنهم أعلمُ منكم، ولكنّه من شدةِ شؤمِهِ وبخسِهِ ما عَرَفَ قَدْرَ نفْسهِ، فَضَلَّ بجهلِهِ المركَّبِ، بأنـه قد استدلَّ بقولٍ صحيحٍ موجبٍ، ولو سلكَ طريقَ التوفيقِ لَعَلِمَ أنه قدْ زاغَ عَنِ الطّريقِ، وصارَ من شرِّ فريق. وقدْ خبرتُ هذا

---

(1) أحمد بن يحيى الردمي: أديب، تولى القضاء في أيام الدولة العثمانية في يَرِيْم وحراز وحجة والعدين وناحية البستان وسنحان والحيمة وبني الحارث وهَمْدان، ينسب إلى بيت ردم من قرى البستان، ت ١٣٢٠هـ / ١٩٢٠م، انظر، أئمة اليمن، ٢/٣٨٦، لامية نبلاء اليمن، ٣٨.

(2) قاضي الـدعـوى: تعينه الدولة بوظيفة قاضٍ، أما القاضي بالتراضي فهو، القاضي الشرعي الذي يقبل أو يرتضي الأهالي الرجوع إليه ليفصل بينهم فيما يثار من قضايا، لذلك يطلق عليه حاكم التراضي، والأهالي والحكومة تكون ملزمة بتنفيذ مايحكم به، والغرماء الذين يتقاضون أمامه يدفعون أجره، وهم يقبلون بحكمه انظر، وثائق يمنية ٤٠٢.

(١ ١) في م، من عند السلطان.

(٢ ٢) في ع، زبله.

الرجلَ فوجدتُهُ أضلَّ مِنْ راعي ضانٍ ثمانين، وأجهَلَ من ابنِ تسعين. وأعيا مِنْ باقلٍ بيقين، ولله حكمةٌ في إيجادِهِ، وعجيبةٌ تقضي بإنفرادِهِ حيث أوجدَ دابّـةً تقضي بينَ عبـادِهِ. ولم أُطْلِقْ عِنانَ القلمِ استنقاصاً لهذاَ الرجلِ إلاّ تحذيراً منه، لأنّه ربما يظنُّ مَنْ رأى كِبرَ عمامتِهِ وطولَ أكمامِهِ، أنّهُ من أفرادِ الزمانِ وأعلامهِ، فخرَّ بذلك الظنِّ الفاسدِ إلى أسفلِ سافلين، وأبعدَ ممّا بين السماءِ والأرضين، ليصبحَ ضحكةً للمجانين.

اللهمَّ اغفرْ لنا، يا خيرَ الغافرين، ولكنّا نذكُرُه لتعرِفَ صدقَ ما قلناه، وأنا لم نكنْ بالغيبِ رَجَمْناهُ. وهذه صورةُ الكتابِ ولفظُه:

بعد الحمد لله، (1)

حفِـظَ الله ذاتَ سيـــدي وسَنَـــدي، واسطـــةَ عقــدِ الآلِ الفريدِ، من عزَّ عن مباراته النظيرُ والنّديدُ، مَنْ هو / في عينِ اليمنِ إنسانٌ، المشارُ إليه بالبنانِ، قُرّةُ عينِ، أهلِ اليقين، محمدُ بن يحيى حميد الدين، وفّقـهُ الله السَّدادَ، وأرْشَدَهُ لِما فيه صلاحُ العبادِ، وخصَّهُ مَنْ تحيّتُهُ بأشرفِ السلامِ، وأسنى التحياتِ وأنواعِ الإكرامِ، والصلاةُ والسلامُ على محمّدٍ وآلهِ الكرامِ، والله يحفظَ مولانا سلطانَ الإسلامِ والمسلمين، ويُقيمُ بهِ الدينَ، ويُنيرُ شريعةَ سيِّد المرسلين، وبعد، فإنه لا يخفى على شريفِ ذهنِكُم، أنَّ هذا الأمرَ الذي تحمّلتموه والعبءَ الجسيمَ الذي ارتكبتموه، قدْ سبقَ في علمِ اللهِ وقـوعُـه، وللهِ في ذلـك حكمةٌ، لتوقفِ أفعالِهِ عليها، وأيُّ حكمةٍ مثلُ استيقـاظِ مولانـا سلطانِ المسلمين، فإنَّهُ بهذه الفضيلة العظمى، والداهية الدهماءِ، تحقّقَ لديه، وصحَّ له صدقُ الأخبارِ المرفوعةِ إلى مسامِعِهِ الشريفة،

٢٩ب

(1) انظر أئمة اليمن، ٥٩، ٦١.

مِنْ أنَّ المأمورين في اليمنِ غيرُ مستقيمين، ولا لرعيَّتِهِ راعين،بل ظالمين. وأنَّ الشـريفَ القـائمَ في اليمنِ، لم يكنْ قيامُهُ خروجاً عن الطاعةِ، ولا تفريقاً للجماعةِ، بلْ ليسَ الحاملُ إلا ظلمَ المأمورين، وجورَ الجائرين، معَ حُسْنِ ظنِّه بالسلالةِ النبويةِ، والدوحة العلوية، الذي أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ، الموجبُ له حُبُّهم، المتمكّنُ في قلبِهِ وعلمِهِ، «بأنّهم أمانٌ لأهلِ الأرض»، فيالَها من خصلةٍ شريفةٍ، ومنحةٍ عظيمةٍ لطيفةٍ! لكنْ مع هذا صارتِ المعارضة والمغالطةُ بأنَّ هذا الشريفَ القائمَ في اليمنِ، لو تحصَّلَ مِنْ مولانا السلطانِ عدالةُ عمرَبنِ عبدالعزيز مالَه عليه طاعةٌ، بلْ شقَّ العصا، وخلَعَ الطاعةَ، لهُ للهِ طاعةٌ، فاستثار غيظُ مولانا السلطانِ، ولم يَقرَّ به قرار، لولا دفعُ اللهِ ببعضِ أولى الفضـلِ من جُلسائِهِ، وهو السيّدُ الناسكُ، إمامُ الطريقةِ، أبو الهدى محمد الرفاعي ـ حمى الله ذَكرَه بحقِّ القرابةِ ـ، وما يجبُ لهم من حبِّهم عليه، وبحقِّ أهلِ اليمنِ مِنْ أنَّ الإيمان يمان، إلى غير ذلك. ولا تظن بالشريفِ المُوْمى إليه الا خيراً، ولا اعتزتْ إليه قبائلُ اليمنِ إلاّ فراراً بسببِ الظلم والجورِ، فزال عن مولانا السلطانِ ما كانَ به، وبناءً على ذلك انتخب السيدُ المـذكـورُ بأمـرِ مولانـا السلطانِ بعضَ أقاربِهِ السيدَ محمد الحريري الرفاعي لعلمِهِ بديانتِهِ وفضلِهِ، ورجحانِ عقلِهِ، ورجلاً (1)الفَّ عرقهُ وعرقَك(1)، سيِّدَ الناسَ محمد وعلي، لأجلِ أخذِ الحقيقةِ، واستدراكِ الأمرِ والتلافي له قبلَ التلافِ، ومرادُه الرجوعُ إلى الطاعةِ، قبلَ الاستئصالِ واستدراكِكُم [الأمر](2) قبل الزوال، فإذا حصلَ منكمُ الإسعادُ،وجاوبتم عليه بالإنابة والانقياد، جدَّ

(1 1) في ع. لم عرقه، وعرقه سيد الناس.

(2) الإضافة من م.

في الإسراعِ، وضربَ في التلغرافِ مضمونَ جوابِكُم إلى الأبوابِ العاليةِ، وصِرْتُم في أمانٍ وعافيةٍ، ونِلْتُم المرادَ، أنتم وأهلُ اليمنِ مِنَ الحاضرِ والبادِ، وإن صَمَّمْتُمْ على ما أنتمْ عليه، فذلك وبالٌ لا مزيدَ عليه، فقد شاهدْنا من العساكرِ والسِّلاحِ، مالا قدرةَ لأحدٍ به، ولا له فلاحٌ، وليست التي قدْ وصَلَتْ من العساكر إلاّ عُجالةً، ومقدمة لا يَسَعُ المقّلدُ جهلُها، فأرجو من اللهِ أن يكونَ منكم الإسعادُ إلى ما فيه الوفاقُ، وصلاحُ حالِكُمْ، وأحوالِ العباد.

وفي ذلك صلاحُ الدنيا والأُخرى، وقدْ علِمْتُم قولَ النبيِّ ﷺ لولده الحسنِ رضي الله عنه «إن ابني هذا سيّد» الحديث، فكُنْ في هذا الزمنِ، مقتدياً بالحسنِ كما قال الإمامُ الكبير محمدُ بن إبراهيم الوزير[1]،

ـ المتقارب ـ

خليلي دَعَنّي أرى مُهْجَتي ... أزوفَ الرَّحيلِ وليسَ الكَفَنْ

فإنْ كنتُ مقتدياً بالحسينِ ... فلي قدوةٌ بأخيهِ الحسن

١٣٠أ / وظنُّ التأثيرِ شرطٌ عندَ من يقولُ بوجوبِ الخروجِ، بلْ هو مذهبٌ واحدٌ كما لا يخفى، وكيفَ يحصلُ لأحدٍ ظنٌّ، وقد أوْدعَ اللهُ سراً عظيماً في الدولةِ العثمانيةِ، المثاغرة للكفرة، وملوكِ النصارى، أمْ كيفَ يخالجُ الانسان شكٌّ،

---

(1) محمد بن إبراهيم الوزير، ولد سنة ٧٧٥هـ في هجرة الظهراوين، قرأ على أكابر مشائخ صنعاء وصعدة، وسائر المدائن اليمنية ومكة، اشتهر صيته في الآفاق، مجتهد وباحث له عدة مؤلفات منها ديوان شعر، انظر، البدر الطالع، ٢/٨١ ـ ٩٣، الضوء اللامع، ٦/٢٧٢، الاعلام للزركلي، ٥/٣٠٠، الإمام محمد بن إبراهيم الوزير للقاضي إسماعيل الأكوع، ١١ـ ٤٠.

وقد ثبتَ عن الصّادقِ الأمينِ «اتركوا التُّركَ ما تركوكم»، ولَعَمْري! إنّ هذا الحديثَ ترياقٌ نافعٌ، وطريقٌ واسعٌ، ومخصَّصٌ لتلك العموماتِ رافعٌ، وعذرٌ عندالله شافع. فاللهَ اللهَ سيدي محمد! لا تصدِّقْ مَنْ لا خيرَ فيه، فأنتَ عارفٌ به وبأبيه. هذا وصَدَرَ مكتوبُ سيدي الفاضل، وإذا مرادُكم في مواجهته أفدْتُم في جوابِكم، وسيصلُ إلى حضرتكم، وما مقصودُه في هذا السعي الا الله، اللهُ يجعلُ الأعمالَ خالصةً لوجههِ الكريم، وأرجو من اللهِ تعالى ألّا يعودَ الرسولُ إلا بإفادةٍ تسرُّ مُرْسِلَهُ كما هو مؤمَّل فيكم، والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

وحرر ٢٩ شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٩.

هذا لفظُ المكتوبِ، وهذا جوابُ الإمامِ، عليه السلام، ولفظه(1):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ، مستحقِّ الحمدِ ووليِّه، وصلاةً وسلاماً على حبيبه وصفيّه، المبعوث بالشريعةِ الحنفيّةِ، وعلى آله القائمين إثرَه في إحياءِ السُنَّةِ النبويةِ، البـاذلين نفـوسَهم في الـذَّبِّ عن الأمـةِ المحمـديةِ.

صُدورُها بعدَ وصولِ المشَرّفِ الكريم، والمسطورِ الفخيم من جنابِ القاضي العلامةِ، والقدوةِ الأجلِّ الفهّامةِ، صفيٍّ الدين، وزينة المسلمين، أَحمدَ ابن يحيى الردمي، وفّقه الله لصالحِ العملِ، وحرسَهُ عن الخطإِ والزّللِ، وأتْحَفَهُ بأسنى التحيّاتِ ونوامي البركاتِ، مؤْذِناً باستعمالِ القريحةِ، ومتضمناً لإبداءِ

(1) انظر أئمة اليمن، ٦٢ - ٦٣.

النصيحةِ، ومصرِّحاً بعدم تيقظِ سلطانِ الإسلام بما أُصيبَ بِهِ الخاصُّ والعام، من ظلمِ عُمّالِهِ لجميعِ الرّعية، وعدمِ سيرتِهم الطريقَ المرضيةَ، ولا يخفى على كلِّ مَنْ له عقلٌ سليمٌ، وفهم غيرُ سقيم.

إنّ ما أشرتُمْ إليه وأمثالِهِ ممّا يؤدّي إلى هدمِ الدينِ ونكالِهِ، كارتكابِ المعاصي في السرِّ والعَلَن، وانتهاكِ محارمِ اللهِ قطعاً بغيرِ ظنٍّ مع إضاعةِ الحدود وإبطالها، وتركِ الشّريعة الغرّاء [وإهمالها](١)، فكم شاهدْتَ وشاهدْنا مِنْ دمٍ ضلَّ، وحقٍّ ضاعَ وضلَّ، مع ما عَلِمَهُ كلُّ أحدٍ من الصدِّ عن البيتِ المعظَّمِ، فتحتَّم علينا القيامُ غَيْرةً لدينِ اللهِ، وامتثالاً لأوامرِ اللهِ، وطَمَعاً في إزالةِ أو تقليلِ ما حرّمَ الله، لمّا لم نجدْ من نَعَشَتْهُ همّتُهُ إلى هذا الشانِ، أو قادتْهُ عزيمتُهُ إلى دفعِ ما يُغضِبُ الملكَ الديّان، مع طولِ المدةِ المُشْعِرَةِ بغفلةٍ(٢) لا يصدرُ مثلُها الا من غافلٍ أو متغافلٍ. والواجبُ عليكم إذا تصَدَّيْتُم لنصيحةِ المسلمين، أن توجّهوها إلى مَنْ ناوَءُوا أهلَ بيتِ سيِّدِ المُرْسَلين، ﷺ وتذكيرُه بما أوجَبَهُ الله عليه من اتّباعِهم والإخلاص في مودّتهِم، كما صرَّحَتْ به آيةُ المَودَّةِ، وأحاديثُ مَنْ لا نبيَّ بعدَه، فنحن نرجو من اللهِ إصلاحَ العبادِ، وإبانةَ مَنْ خالفَ الحقَّ وجادَ. وما ذكرتُمْ من الإرعادِ والإبراقِ، فلا يصدُّنا ذلك عما فيه إرضاءُ المَلِكِ الخلّاقِ، وإنَّ لنا قدوةً فيمن فازَ من آبائِنا بالسعادةِ، وختمَ الله له بما يُرضي من الشهادةِ، وأنالَهُ الله من الحسنى وزيادة، وما ذكرتَ من ظنِّ التأثير المنادي في كلامِك بأعلى صوتٍ بانهماكِهم في عصيانِ

---

(١) الإضافة من م.

(٢) في ع، التي.

السميعِ البصيرِ، فقد رأينا بحمدِ اللهِ النصرَ والزيادةَ والمعونة، التي قابَلَتْنا منه بجـديرِ الإفادة، ما تقرُّ به العيونُ، ويطمئنُّ به المؤمنون، وما اعتصامُنا إلّا بقـدرةِ مَنْ يقولُ للشيء كُنْ فيكون / وكفانا قولُ ربِّنا: «حَتَّى إذا استَيْأسَ الرُسُلُ، وظَنّوا أنهم قد كُذِّبُوا، جاءَهُم نَصْرُنا، فَنُنَجّي مَنْ نَشَاءُ، ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القومِ المُجرِمينَ»[1]، وما دعَونا إلّا لله، إلى ما دعا إليه جدُّنا، ولا سِرْنا إلا سيرةَ الحقِّ التي سارها أسلافُنا وآباؤنا. وما أشَرْتُم إليهِ مِنْ حديثٍ: «اتركوا التُّرْكَ ما تركوكم» فذلك حجّةٌ على المُسْتَدَلِّ به، ومتى تركونا، وقَدْ قَصَدُونا! والسلام. ٣٠ب

وهذه صورةُ مكتوبِ السيدِ محمد الحريري[2]:

الحمدُ للهِ وحدَه، وصلّى الله على مَنْ لا نبيَّ بعدَه، وسلامُ اللهِ على أهلِ البيتِ الكرامِ وأتباعِهِم ومُحبيهم على الدّوامِ، أما بعد،

فالتحيةُ الـزكيّةُ، والتسليماتُ العطريةُ، تُهدىٰ لحضرةِ السيّدِ الشريفِ، والعالمِ العَلَمِ الغِطْريفِ، بقيةِ السلفِ، وبَرَكَةِ الخلفِ، المتحلّي بالفضلِ والكمالِ، كريمِ السجايا والخصالِ، سليلِ السادةِ الأماجدِ المُكَرّمين السيدِ الفاضلِ محمدِ بنِ يحيى حميدِ الدين، كان الله لنا وله وللمسلمين، أخبرُكم ـ أخبرَكُم الله بالخيرـ أن جدّكم عليه الصلاةُ والسلام قال: «الحكمةُ ضالّةُ المؤمنِ أينما وجدَها التقطها»، وأنتم أهلُ الحكمةِ إنْ شاءَ اللهُ. فكيف فاتكُم

---

(1) سورة يوسف، ١١٠.

(2) أئمة اليمن، ٥٢ ـ ٥٥.

شرفُها، وقد علمتُمْ أنَّ الزمانَ ما سمحَ لأسلافِكم العظامِ، من الدنيا بمرامٍ، كيف والأحـاديثُ كثيرةٌ بأنَّ الدنيا تبقى لمحمدٍ وآلهِ، وقَدْ قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اللهمَّ اجعلْ رزقَ آلِ محمدٍ كفافاً، وقوتَهم عَفافاً»، إلى غير ذلك من الأحـاديثِ الصحيحـةِ، وأنَّ مذاهبَ الأئمةِ على اختلافِها قائلةٌ بوجوبِ جمعِ الكلمةِ، وعدمِ التفرقةِ. وقدْ قالَ النبيُّ ﷺ:

عليكُم بالسوادِ الأعظمِ الحديث. وصَرَّح بهذا النصّ النبوي «بأنه من شذَّ شذَّ في النار» وهل السوادُ الأعظمُ إلّا جماعةُ المسلمين، وطوائفُ الموحّدين منَ العـربِ والعجمِ، المجتمعين تحتَ لواء الخليفـةِ الأعـظمِ، ظلِّ اللهِ في العالم، الصالحِ المباركِ التقيّ، والملكِ المؤيدِ الرضي، سلطانِ المسلمين وابنِ سلطانِ المسلمين، مولانا السلطانِ الغازي عبدِالحميد خان. أيّدَ اللهُ مُلْكَهُ إلى انتهاءِ الدورانِ.

وإنك تعلمُ أيّها السيدُ أنَّ الإمامةَ التي تطلبُها الآنَ، نَزَل عنها حضرةُ سيدِّنـا الإمـامِ الحسنِ، رضـوانُ اللهِ وسـلامُه عليه، واستعوضَ عنها غُرَفَ الجِنانِ، وما طَلَبها أحدٌ من أهلِ البيتِ الكرامِ إلّا وأصبحَ دونَها قتيلاً، وما بَلَغَ المَرامَ، وقد توطَّنَتْ أحكامُ الخلافةِ المُرْضيةِ في العائلةِ الطاهرةِ العبّاسيّة زَمَناً من الأزمان، فصَدَمها القَدَرُ بانطماسِ شأنِها، وانقضاءِ زمانِها. وآلَ أمرُ الخلافةِ الشرعيةِ بإجماعِ المسلمين، واتّفاقِ المؤمنين، إلى الملكِ الغازي المجاهدِ، مشيِّد بُنيانِ الشرعِ والفُرْقانِ، هادمِ أركانِ الكفرِ بكلِّ مكان، مولانا المرحوم السلطانِ الغازي سليم خان، عليه الرحمةُ والرضوان، وسليلِ هذا العقد الفريدِ الذي لا يجحد، إلى الخلفاء العثمانيين يداً بعد يد، مِنْ خليفةٍ إلى خليفـةٍ مؤيَّد، إلى أن انتهى بالعـزِّ والإقبـال والمجدِ والإجلالِ بالعقد

الصَّحيح، والإجماع الصَّريحِ، إلى سيدِنا ومولانا خليفةِ الإسلام، مؤيِّد شريعةِ المصطفى عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامُ، أعني به إمامَنا الغازي المنصورَ عبدَالحميدِ خان ابنَ السلطانِ الغازي عبدالمجيد خان. الذي سبقَ ذكرُ اسمِهِ الجليلِ، لا زالَ للإسلام ظلًّا ظليلاً آمين.

وها هو بحمدِ اللهِ تعالى حافظٌ بالجنودِ المنصورةِ، بلادَ المسلمين، حارسٌ بالأعمالِ المَبْرُورةِ، بيتَ اللهِ الحرامَ، ومسجدَ سيّد المُرْسلين عليه، وعلى آلِهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ، معزٌّ للسّادةِ الأشرافِ، حافلٌ مجلسُه / ٣١أ بالعلماء العاملين، العالمين بأحكام الخلاف، مواظِبٌ على الفروض والسنن، متمسكٌ بما جاء به جدُّ الحسن، انتشرت خيراتُه وعمَّتْ مَبَرّاتُه[1]، وإنَّ اللسانَ واللهِ قاصرٌ عن أداءِ حقوقِ الثّناءِ عليه، قاصِرٌ عن إيضاحِ ما أحسنَ الله به في الأخلاقِ المحمّديةِ إليه. فطاعتُه مفروضة، وخدمتُهُ مشروعةٌ، ومحبَّتُهُ للهِ ولرسولِهِ واجبةٌ، والخروجُ عليه بغيٌ وعدوانٌ. وقد بلغَهُ عنكَ: أنك تُكَفِّر المسلمين، وتُحَرِّضُ القومَ على قتالِهم، ورأى مِنْ كُتُبِكَ جُمْلَةَ رسائلَ أرسلتَ بها بخطِّكَ وخِتْمِكَ إلى أكثرِ القبائلِ، وبها تقيمُ على كفرِ الترك دلائلَ، حتى نشرْتَ[2] نارَ الحربِ بين المسلمين، وشقَقْتَ العصا في زمانٍ يجبُ فيه الكفُّ عن هذا، فإنما تشفي بها صدورَ الكافرين، فأوجبَ ذلكَ غَضَبَ السلطانِ المعظّمِ عليك، وجهّز العسكَرَ لجهادِ العسكرِ المجتمعةِ لديك، وأقسمَ: إنّهُ لابدَّ إنْ لم تقِفْ عندَ حدِّكَ، قتلَكَ ومَنْ اتّبعَكَ بسيفِ جدِّكَ، على أنك جئتَ بأمرٍ يهدِمُ مِنَ الدين الأركانَ، وهيَّجْتَ بسببك أهلَ الفسادِ والطغيان. ولما كانَ

(١) في م، مثرايه.

(٢) في ع، أثرت.

أمدَّ الله بحياتِـهِ ونصرِهِ، حريصاً على حفظِ دماءِ المسلمين، تأخذُهُ الرّقّةُ والشّفقةُ على الموحِّدين. أَحَبَّ نُصْحَكَ قبل أنْ يقعَ بك الرّدى، فانتخَبَني من حماة الشام، وأرسَلَني لنُصحِك مأموراً مخصوصاً موجزاً بالكلام، على أنها تجمعُني وإيّاكَ الأعراقُ الهاشميةُ والحميّةُ العربيّة. وقد أتيتُ اليمنَ من أوطاني امتثالاً لأمرِهِ الكريمِ الواجبِ الامتثال، مُتّكِلاً على الكريمِ المتعالِ، فبادرتُ بهذا الكتابِ لحضرتِكُمْ مع المذاكرةِ مع جنابِ أخيكم الفاضلِ أحمدَ بن يحيى الـردمي، ولم يكنْ ذلـك إلاّ إنـذاراً وتفهيماً لا إرشاداً وتعليماً، فإنَّ فضلَكُمْ معلومٌ، لكنَّ الأقدارَ إذا تقدَّرتْ، قدَّمتْ وأخَّرَتْ. فإنْ تكنْ أيُّها السيدُ تجمعُ وتجيبُ، فلكَ مِنْ عَواطِفِ السلطانِ أوفرُ نصيبٍ، حُرْمَتُك محفوظةٌ، ومنزلُتك مصونةٌ، وشأنُك مزيدٌ، ومقامُكَ جليلٌ، والله على ما أقولُ لك وكيل.
وإذا أبيتَ فلا تلومَنَّ غيرَ نفسِكَ، وإني راغبٌ للاجتماعِ بكَ لبعضِ أمورٍ لا يسوغُ تصدُّرُها، قدْ بلغْتُ بعضَها مُشافِهاً لحاملِ هذا التحرير، فإنْ أحبَبْتَ أتينـا، وعلى اللهِ العسيرُ يسيرٌ. وإن كنتَ لا تشتهي ذلـك، فاكتب جواباً بالسَّمْعِ والطاعةِ لحضرةِ سلطانِ المسلمين، متضّمناً الكلامَ الشفاهيَّ الذي أُوْدِعَ عندَ حاملِ هذا، وأنا أقومُ - إنْ شاءَ اللهُ - بخدمتِكُم فيه لدى الحضرةِ السلطانية طِبْقَ المرغوبِ، واشعرُ بما يُسَرُّ بهِ أبو البتولِ التّقيةِ، وقدْ عَرفتُمْ المقصودَ، وكفى ما وقعَ مِنْ قتلٍ وقتالٍ، وضياعِ أنفسٍ وأموالٍ. ولعمري، إنّ العربَ لا تقدِرُ على قتالِ الدولـةِ العليّةِ بحالٍ من الأحوال، بل جرّوا إلى نفـوسِهـم آثارَ الـدَّمـارِ والنّكـال، وهـذه جنـودُ الدَّولـةِ العليَّـةِ، قـد وَرَدَتْ على اليمنِ كالـرّمـال، والباغي عليه من اللهِ الوَبَال، فليتّقوا الله في أنفُسِهِم إن كانوا مؤمنين، وليحقِنُوا دماء اخوانهم المسلمين، ولينقادوا لطاعةِ

اللهِ ورســولِـهِ بانقيادِهم لطاعـةِ مولانـا أمير المؤمنين، ولا عدوانَ إلّا على الظالمين، والعاقبةُ للمتّقين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

[وكـان رَقْمُـهُ بمحـروس صنعاءَ في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩ تسع وثلثمائة وألف](١).

وهذا الجواب من أميرِ المؤمنين الإمام، عليه السلام(1):

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ أيِّدْ دينَـكَ القـويمَ بالعلمـاءِ العـاملين، واكشِفْ ببـركَتِهِمْ جهـلَ الجاهلين، وارفَعْ بحميدِ سَعْيِهِمْ غفلةَ الغافلين / فهم بحارُ العلمِ الزاخرة، ٣١ب ونجومُ الهدى الزاهرة، وزينةُ الدنيا والآخرة، وأهلُ الفضائلِ المتكاثرةُ، دَعْ عنكَ من أثارَ الجهلَ عُجاجَهُ وفارق طريقَ الحقِّ ومنهاجَه، وجعلَ الراحةَ بُراقَهُ ومِعْـراجَه، منهم، ذو المجدِ الشامخِ المنيفِ، والحَسَبِ الباذخ الشريفِ، والأدبِ المثمرِ روضُهُ الوريفـ، السيّدُ محمد الحريري الحسيني(٢) الحموي، ألبَسَهُ الله جلبابَ التّقوى، وقادَهُ إلى التمسُّكِ بالحبلِ الأقوى، وأعادَ على مُحَيَّاهُ السّلامَ الأسنى والإكرامَ الأهنى، وصلّى الله وسلمَ على خاتمِ أنبيائهِ، وعلى آلِهِ سفينةِ النجاةِ وتراجمةِ الكتابِ وقُرناه، وعلى أصحابِهِ الذين اتّبعوه بعد مماته وفي محياه، وبعد؛

فإنا نحمدُ الله إليكُم الذي لا نرجو ونخشى سواه. ولا نعبدُ إلّا إيّاهُ، وإنَّهُ

---

(1) أئمة اليمن ٢/ ٥٥- ٥٩.

---

(١) الإضافة من أئمة اليمن، ٥٩/٢.

(٢) في أ، الحسني.

أتانا أيها السيد منك كتابٌ كريمٌ، ومسطورٌ رائقٌ فخيم، أفادَ معرفتَك بحقوقِ العترةِ النبويةِ والسّلالةِ العَلَوّيةِ، بما ورد فيهم من الآياتِ القرآنيةِ، والأحاديثِ الصحيحةِ المروية، وإن دواعي المحبةِ اقتضتِ المراسلةَ، وبواعثَ المودةِ حَدَتْكَ إلى المكاتبةِ والمواصلةِ، وإنَّ مِنْ لوازم المحبةِ والإيمانِ بَذْلَ النصيحةِ للاخوانِ، لاسيما ولاةَ الأمور الذين أناطَ الله بهم صلاحَ الجمهورِ، وأفادَ ـ أسعده الله ـ أنه مستنكرٌ لما جرى بينَنا وبينَ الولاةِ المُرْسَلين، من حضرةِ الدولةِ العثمانية، والسُّدّةِ الخاقانيةِ من الحربِ والاختلافِ، وعدمِ التوافقِ والائتلافِ، وأنه يرى الخيرَ في صلاحِ ذاتِ البينِ، ورفعِ الفتنةِ المؤديةِ إلى الهلاكِ والحَيْن. وأنّهُ قد وردَ الحثُّ عليه في السُّنَّةِ والكتاب، وأنّهُ مناطُ رضاءِ ربِّ الأرباب، وأنّ السلطانَ الأعظمَ مِمَّن أقامَ الله بهِ الدينَ، وانتظمتْ به أحوالُ المسلمين، وتشرَّف بخدمةِ الحَرَمَيْنِ الشريفين، وقام بجهادِ الكُفّارِ، وجهابذةِ الأشرارِ، وأن رغبَتَهُ في صلاحِ الدنيا والدين، وقمعِ الفجّارِ المُعتدين، وأنَّ القُطرَ اليمانيَّ المحروسَ باللهِ محلُّ الإيمان كما ورد عن سيّدِ ولدِ عدنان، وأنَّ سعيَهُ في ذلك مصلحةٌ دينيةٌ ومحبةٌ إيمانيةٌ، فنقول: نِعْمَ الأمرُ كما ذكرتُمْ مما وقَعَ بيننا وبينَ من تعلَّقَ بالسلطنةِ القاهرةِ، أعزَّ الله بها الإسلامَ، وقمعَ بها ذوي الإلحادِ الطغام، ولمْ يكنْ لنا في الرئاسةِ الدّنيويةِ طلبٌ، ولا في الراحةِ البدنيةِ أربٌ، ولا نعوِّلُ على جَمْعِ المالِ ووفرةِ المكْتَسبِ، ولا مزيد على ما نحنُ فيه مِنَ الحَسَبِ والنسبِ، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوقَ اللهِ، ولا رَعَوْا حُرْمَةَ ما حرَّم الله، ولا غضِبوا يوماً على معاصي اللهِ، ولمْ يعملوا بشيءٍ في كتابِ الله، ولا بسنةِ رسولِ اللهِ،

---

(١) في أئمة اليمن، وافانا.

وشرَعوا من الدينِ ما لمْ يأذَنْ بهِ الله، وارتكبوا المعاصيَ، وزَمّوا إليها الناسَ بأطرافِ النّواصي، وجاهَروا بشربِ الخمورِ، ونكاحِ الذكور، وارتكابِ الفجور، وظلموا كلَّ ضعيف، وأهانوا كلَّ شريفٍ، حتى ضعفت[1] الذريّةُ، وارتفعت كلمةُ اليهوديةِ والنصرانيةِ، وصارت الأكرادُ والحبوشُ تحكمُ في البريةِ، ولا يرقبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذمة، ولا يأخذُهم في المسلمين رأفةٌ ولا رحمةٌ. فلمّا لمْ نجدْ عَنْ أمرِ اللهِ بُدّاً، استَعَنّا به وتوكَّلْنا عليه، وبذَلْنا في الجهادِ جهداً، امتثالاً لقولِ اللهِ عزَّوجل: «وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ»، وقولِهِ تعالى: «ولتكنْ منكم أُمّةٌ يدعون إلى الخيرِ، ويأمرون بالمعروفِ، وينهَوْن عن المنكرِ، وأولئكَ هم المفلحون». وقولِهِ تعالى: «كنتم خيرَ أُمّةٍ أخرجَتْ للنّاسِ تأمُرونَ بالمعروفِ، وتَنْهَوْنَ عن المنكر» وخوْفاً ممّا خوَّفنا الله به، في قولِهِ تعالى: «لُعِنَ الذين كفروا مِنْ بني إسرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريم، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتَدُون، كانوا لا يتناهَوْن عَنْ مُنْكرٍ فعلوه لبئسَ ما كانوا يفعلون». ونحوَ قولِهِ ﷺ: «لتأمُرُنَّ / بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكرِ. أو لَيُسَلِّطَنَّ الله عليكم شِرارَكُمْ، فيدعو خِيارَكُمْ فلا يُسْتَجابُ لهم حتى إذا بلغَ الكتابُ أَجلَهُ، كانَ الله هو المنتصرَ لنفسِهِ» ولم نزلْ نتوخّى أنَّ السلطنةَ القاهرةَ، أعزَّ الله بها أركانَ الإسلام، إذا رُفِعَتْ إليها تلك القبائحُ التي لا يختلِفُ في وقوعِها اثنان، أنْ تأخُذَها حميّةُ الدينِ والإيمان فلا يلامسها فرط من الإضاعة عمّا تلافى وخاف من الإضاعة، ويُسْتَدْرَكُ ما فات من حقِّ عترةِ رسولِ اللهِ، ﷺ، الذين لا يُسْتَحَقُّ بدون أتّباعِهِم الشفاعةُ، فلم

٣٢أ

(١) في أئمة اليمن، فسدت.

يزدادوا مع طولِ المـدّةِ إلاّ انسـلاخـاً من الدينِ، وتوسُّعاً من تأميرِ الفَجَرةِ المعتدين. فإنْ قلتَ أيُّها السيدُ: إنّ تلك القبائحَ مُباحةٌ في الإسلام، وإنَّ فاعلَها مستحِلٌّ من اتباعِ شريعةِ سيدِ الأنامِ، فهلمَّ الدليل! ولا يقولُ ذلك إلاّ ضليلٌ. وأنكـرتَ أيّهـا السيدُ أنَّ ورَثـةَ الـرسـولِ الحجَّـةُ في الفـروعِ والأصـولِ، صاحَ بك قولُـه تعـالى: «ثم أوْرثنـا الكتابَ الذين اصطفَيْنا من عبادِنا، فمنهم ظالمٌ لنفسِهِ ومنهمْ مُقْتَصِدٌ، ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذنِ اللهِ ذلكَ هو الفضلُ الكبير» وقولُه تعالى: «قلْ لا أسألُكُمْ عليه أجراً إلاّ المودة في القربى». وقولُه ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكْتُمْ به لَنْ تَضِلّوا: كتابَ اللهِ، وعترتي أهلَ بيتي»، «إنَّ اللطيفَ الخبيرَ نبَّأني أنهما لنْ يفترقا حتى يَرِدا على الحـوضِ». وقولُه صلّى الله عليه وسلم: «إنَّ عندَ كلِّ بدعةٍ يكونُ من بعدي وليٌّ من ذرّيتي إلخ، وقولُه ﷺ: «أهلُ بيتي أمانٌ لأهلِ الأرضِ» الخ وقولُه ﷺ: «أهلُ بيتي كسفينةِ نوحٍ» الخ، وغيرُ ذلك مما لا يحتملُه المقام، فانظر ببيانِ الحجةِ أوضحَ المحجَّةِ، لا ما خوَّفْتَنا بهِ من القتلِ والنّكالِ، وإنَّا أهلُ بيتٍ لا تُزَعْزِعُنا كواذبُ الآمال، ولا نَعُدُّ بذلَ نفوسِنا في سبيلِ اللهِ الا مِنْ أشرفِ الخصالِ، ولا نفزعُ إلى غيرِ ذي الجلالِ، ولا ندعو سواه في البكرِ والآصالِ. [الطويـــل]

على أن قومي يحسبُ المـوتَ مغنمـاً   وان (١ فراراً من١) الـزحف عارٌ ومغرمُ

أمِنْ هذا الذي هو جُنْدٌ لكم ينصرُكُم من دونِ الرحمنِ (إنَّ الكافرين)(٢)

(١ ١) في أ، فرار الزحف.

(٢) الاضافة من م.

إلا في غرور: «إنْ ينصرْكم الله فلا غالبَ لكم، وإنْ يخذْلكم فمَنْ ذا الذي ينصُرُكُم من بعدِه»[1] «ان تنصروا الله ينصرْكُمْ ويثبِّتْ أقدامَكُمْ»[2]، و«نريدُ أنْ نَمُنَّ على الذين استضعِفوا في الأرضِ، ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين، الذين إن مكّناهُم في الأرضِ أقاموا الصلاة وأتَوْا الزكاةَ، وأمروا بالمعروفِ، ونَهوْا عن المُنْكَرِ، وللهِ عاقبةُ الأمور»[3] فنحن مَنْ وعَدَ ربُّنا على يقين، والعاقبةُ للمتقين. وإنَّك لا تجدُ في محطَّتِنا المنصورةِ إلّا قائماً بعبادةِ ربِّهِ، إذا أسْدَلَ الليلُ جناحَه، أو تالياً لكتابِ الله، أو ذاكراً لربِّهِ إذا طلع الفجرُ صباحُه. ومساجدُنا معمورةٌ بالعلمِ والعملِ، وقلوبُنا خاليةٌ عن الجبنِ والفشلِ. هذا ولا نفتخِرُ كغيرِنا بآلاتِ الحربِ الفاخرةِ، ولا بالجيوشِ المتكاثرةِ التي هي تحتَ أمرِنا عاثرة، بل نبرأ من الحَوْلِ والقوّةِ ونتمسَّكُ بأذيالِ سيرةِ الإمامةِ والنبوّةِ.

[الطويل]

مغارسُ طالتْ في ربا الفَضْلِ فالتقَتْ ... على أنبياءِ اللهِ والخلفاءِ
إذا حَمَلَ النّاسُ اللواءَ علامةً ... كفاهم مثارُ النقعِ كلَّ لواءِ

فقدْ أوْضَحْنا لكَ، أيُّها السيِّدُ، طريقَتَنا، وأسلَفْنا إليكَ حقيقةَ أفعالِ أعادينا، فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمنِ إن كنتم تعلمون؟! «الذين آمنوا ولم يُلْبِسُوا

---

(1) آل عمران، ١٦٠.
(2) سورة محمد: ٧.
(3) القصص: ٥.

إيمانَهُمْ بظلمٍ، أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون». ولو يعلمُ السلطانُ الأعظمُ بحقيقةِ الحالِ لسَارَعَ إلى معاونتِنا بالحالِ والمالِ، ولرَفَعَ[1] المأمورين عن الخطةِ اليمانية، ولأمَرَهُمْ بمحاربةِ الفرقةِ الكفريَّةِ، ومنعَهُم عن محاربةِ العترةِ الزكيّةِ التي هي بضعةُ الذّاتِ الشريفةِ النبوية، ولأوفى جدَّنا رسولَ اللهِ ﷺ أجرَ تبليغِ الأبناءِ المشار إليه، بقولِهِ تعالى: «قلْ لا اسألُكُم عليه أجراً إلّا المودَّةَ في القربى» ولتباعَدَ عنْ مقاتلةِ[2] مَنْ قالَ فيهم خاتمُ النبيين: «مَنْ قاتَلَهُمْ آخرَ الزمانِ، فكأنما قاتَلَ مع الدّجَّالِ». وعن الدعوةِ النبويةِ في قولِهِ لأهلِ بيتِهِ: أنا حربٌ لِمَنْ حاربتم، سِلْمٌ لمن سالَمْتُم»، وقد أَمَرَنا اللهُ بالكَوْنِ مع الصادقين. بقولِهِ تعالى: «يا أيُّهَا الذينَ آمنوا، اتّقوا اللهَ وكونوا مع الصادقين». وتَبْيينهم بقولِهِ تعالى: «إنما المؤمنون الذين آمنوا باللهِ ورسولِهِ، ثمَّ لمْ يرتابوا وجاهَدوا بأموالِهِم وأنفُسِهِم في سبيلِ اللهِ، أولئك هُمُ الصادقون(1)»: «قلْ(2) هذه سبيلي، أدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ، أنا، ومن اتّبعني وسبحانَ اللهِ، وما أنا من المشركين».

يا قومَنا، أجيبوا داعيَ اللهِ وآمنوا به يغفرْ لكُم من ذنوبِكم ويُجِرْكم منْ عذابٍ أليم، ومَنْ لا يُجِبْ داعيَ اللهِ، فليس بمعجزٍ في الأرضِ، وليسَ له من دونِهِ أولياءَ.

ويا قوم، مالي أدْعوكُم إلى النجاةِ، وتدعونني إلى النار؟ فإذا وجدتَ أيُّها

(1) سورة الحجرات ١٥.

(2) سورة يوسف، ١٠٨.

(١) في ع، ويدفع.

(٢) في أئمة اليمن، مشابهة.

السيِّدُ لنا خلاصاً من أوامرِ اللهِ، أفدْتنا مِنْ كِتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِ اللهِ ﷺ ودَعْ عنكَ التخويفَ بالمخلوقين، والحالُ كما قيل: [السريــع]

جاء شقــيقٌ عارضــاً رُمْــحَــهُ إنَّ بنــي عمِّــكَ فيهــم رمــاح

وأمّـا اجتمـاعُ الكلمـةِ، فمِنْ أينَ لنـا ذلك، والا فهو عندَنا من أجلِ المسـالـكِ، حَقْنـاً للدمـاءِ، ورَفعاً للدُّهماء، ونسألُ الله أنْ يرفعَ عن الأمةِ المحمديةِ الضيقَ والمِحَنَ، ويجمعَها على اتباعِ الكتابِ وقرنائِهِ، أهلِ بيتِ نبيِّهِ المؤتَمن، وأن يُعيذَنا من الشيطانِ الرجيمِ، ومِنْ مُضلّاتِ الفتنِ، وحسبُنا الله ونعمَ الوكيل، وصلّى الله على سيدِنا محمدٍ وآله.

التاريخ ٦ شهر صفر سنة ١٣٠٩[١].

وفي هذه المدةِ كانتْ وقعةُ المحويت[1].

وصفتُها: أنّها تقدَّمَتْ طائفةٌ مِنَ العجمِ الذين في الطويلة إلى المحويت وما حولَهُ، ومعهم جماعةٌ مِنْ أعوانِهم، فلمّا وصلوا هنالك رتَّبوا المحويت. وكانَ السيدُ النبراسُ محمدُ بنُ حسين عباس، قدْ توجَّهَ إلى تلكَ البلادِ في

---

(1) المحويت: مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٠٠كم، انظر، اليمن الكبرى، ٦٠، معجم المقحفي، ٥٦٨، طبق الحلوى، ١٢٩، صفة جزيرة العرب، ١١٢.

---

(١) في أئمة اليمن «وحرر في سادس ربيع الآخر سنة ١٣٠٩هـ»، ونشر الكتاب في مجلة المنار، شهر ربيع الأول ١٣٢٦هـ، وعلق محمد رشيد رضا «تسمع الدولة هذه الأخبار، وتقرأ مثل هذا الجواب، ثم هي توالي إرسال الجيوش إلى اليمن، انظر أئمة اليمن، ٥٩/٢.

جماعةٍ قليلةٍ من أهلِ الجهادِ، فلما بلَغَهُ قبضُ المحويت، غارَ بِمَنْ معه مِنَ المجاهدين، وعضَدَهُ النقيبُ أحمدُ بنُ يحيى حُبيش في رجالٍ كثيرين، فحاصروا العَجَم حصاراً شديداً. واتّفقَ في بعضِ ليالي الحصارِ أنَّ بعضَ الأنصارِ رأى جماعةً مِنَ العَجَمِ في بيتٍ، فأدخلَ فيه شيئاً من البارودِ، وأشعَلَ فيه النارَ، فانهدمَ البيتُ فوقَهم، فهلكوا جميعاً، وهم ثمانون رجلًا، فلما اشتدَّ الحصارُ على أولئك الأشرارِ، وردَ إليهم المَدَدُ والزيادةُ من العجمِ الذين بالطويلةِ وكوكبان حتّى بلغوا بيتَ رَدْمَان[1]، فتلقَّتهم الأبطالُ واشتدَّ القتالُ وعظُمَ النِّزالُ، فانهزمت العربُ إلى بيت السروي، وباتوا هنالك، وباتت العجمُ في الركنِ الأعلى، وقُتِلَ من العجمِ ثمانيةَ عشرَ، ومن العربِ واحدٌ. وكان هذا في يومِ الجمعةِ ١٢ شهر ربيعِ الآخر.

وفي يومِ السبت، تقدَّمَت العجمُ، فأفرجت لها العربُ، فدخلت المحويت بذلك الجيش، وتقدَّمتْ من حينها على النقيب أحمدَ بنِ يحيى حُبيش، وهو في حصنِهِ المعروف بنعمان[2]، ومعه فيه مئةٌ وخمسون رجلًا مِنْ أهلِ البلادِ، ومِنْ جماعتِهِ سفيانُ، فرمتِ العجمُ إلى الحصنِ بالمدافعِ حتّى وقعَ فيه بعضُ هدمٍ، وصبرَ مَنْ في الحصنِ، فلم يرموا العَجَم بشيءٍ، فظنّوا أنّهُ لم يبقَ فيه أحدٌ، فهجموا عليه، فلما قربوا منه رماهم مَنْ في الحصنِ،

---

(1) بيت رَدْمَان: بلدة شرقي رداع من ناحية السَّوّادية، من حصونها حصن المِغْسال ومن توابعها قرية قَرَن، وحصن رَدْمَان في عُزلة الشرقي بجبل المحويت انظر، معجم المقحفي، ٢٦٦، اليمن الكبرى، ٦٠، مراصد الاطلاع، ٦١٢/٢.

(2) حصن نعمان: حصن من حصون حجة، ونعمان، حصن في سحار من بلاد صعدة، انظر، معجم الحجري، ٧٣٤/٤، معجم المقحفي، ٦٦١.

فقتلوا منهم كثيراً لم يُعْرَفْ قدرُ ذلك. ولم يقعْ في العربِ غيرُ مكاوَيْن(١). ومِنْ بعـدِ ذلـك وقـعَ الفشـلُ، فرجعَ السيدُ عزُّ الإسلام بلادَ لاعة وبني العوام(1)، يجمعُ الناسَ ويحثُّهم وهم نيام.

وأما النقيبُ أحمدُ بنُ يحيى حبيش فصَارَ في قطعتِهِ(٢) المعروفة.

٣٣أ وفي ليلةِ الاثنين / الخامسَ عشر من الشهرِ المذكور خُسِفَ القمرُ من بعدِ نصفِ الليلِ إلى قريبِ الفجرِ خسوفاً أسودَ، فقالَ في ذلك القاضي، شرفُ الإسلام، حسينُ بنُ أحمد العرشي.

الشمسُ آيتُـك المنير ... والعـدو لـه القمـر

أمّا تـراه وقدْ غـدا ... في وجهِـهِ نِيرَ الأثر

وقال أيضاً الفقيهُ المفضالُ، محمدُ بنُ حسن دلال(2): [الطويل]

أُهّنيكُم بالفتـحِ(٣) قدْ حانَ وقتُـهُ ... وإنَّ لِحِـزْبِ اللهِ نورٌ مَعَ الصبـر

فَقَدْ دَلَّنا محقُ المنير لدى المسا ... على مَحْقِ أربابِ الضَّلالِ بِلا نُكْرِ

---

(1) انظر أئمة اليمن، ٥٢/٢.

(2) محمد بن حسن دلال: ولد بالروضة سنة ١٢٨١هـ، أخذ علومه عن جماعة من العلماء، تولى إمامة جامع صنعاء سنة ١٣٠٤هـ، وسار إلى الامام المنصور ولزم مقامه، نفي إلى رودس، وقد بعثه السلطان عبدالحميد ١٣٢٣هـ إلى الإمام، ومن ثم عاد من منفاه إلى اليمن سنة ١٣٣١هـ، وتوفي سنة ١٣٥٢هـ، انظر تحفة الاخوان، ١١٠، أئمة اليمن، ١٠٢/٢.

---

(١) في أ، مكانين، وبياض في ع، والمقصود جرحى اثنان.

(٢) في أ، قعطبة.

(٣) في ع، الفضل.

وإنّكُمُ في الأفْقِ شمسٌ تظاهـرتْ على كلِّ هذا جاءَ في الحيِّ والقفـر

وفي اليومِ السادس عشر من شهر ربيعِ الآخر، طلعتْ من تهامةَ عيرٌ ويغالٌ تحملُ للعجمِ الأثقالَ، مصحوبةً بجماعةٍ من الرجالِ، فتلقّاها الشيخُ ناصـر مبخـوت إلى محجَّة، وكانوا يريدون إيصالَها إلى حجَّةَ، فَنُهِبَ منها ثمانيةُ جمالٍ بما فوقَها من الأحمالِ، وفُعِلَ في الرجالِ الفظيعُ من الأفعالِ، وقُتِلَ منهم القتلُ الذريعِ، وسَلِمَ مَنْ معه الجميع.

وقعةٌ في الشاهل[1]،

وفي يوم الربـوعِ من الشهـرِ المذكور، سابعَ عشر، كانتْ وقعةٌ في الشاهل، وصفُتها: أنَّ العجمَ الذين هنالك، أُمِدُّوا بأمدادٍ من تهامةَ، فاشتدَّ غضَبُهم لذلك، فوجَّهوا المدافعَ إلى بيتِ دحبـاش، فرَمَوْه ذلك اليومَ، واليومَ الثاني. وكلَّ ما هدموا سقفاً، انتقل المجاهدون إلى السقفِ تحتَه حتى إذا انهدمَ الجميعُ، خرجَ المجاهدون إلى ميدانِ الحربِ الوسيعِ، فرموا العجمَ بالبنادقِ حتى أزهقوا منهم سبعةً، أحدُهم طوبجيُّ المدفعِ، فحينئذٍ انهزمت العجمُ، وعـادتْ مطرحَهـا في بني مَذِيْخَـة المعلوم، وقـامَ المجاهدونَ في إصلاحِ ذلك البيتِ المهدومِ. وسيأتي بقيةُ خبرهم إنْ شاءَ اللهُ.

وفي هذه المـدة اشتـدَّ الحصارُ على مَنْ في حصنِ عَفَّار من العجمِ الفُجَّار، حتى أكلوا الحِمارَ، فأمدَّهُم إخوانُهم بِمَدَدٍ من صنعاءَ، فلمْ يشعرِ النـاسُ بهم حتى بلغوا كُحلان، وذلك صحبةَ أحمد فيضي، وكانَ مقدَّمي

---

(1) انظر أئمة اليمن، ٢/٥٢، والشاهل من بلاد الشرف.

الحصارِ السيدَ السيفَ الباترَ العالمَ محمد بن يحيى بن قاسم عامر، فوقعَ الحربُ هنالك فيما بين العربِ والعجمِ يوماً كاملاً، إلى أنْ دجى الليلُ وأظلم. ثم عاودوا الحرب، اليومَ الثاني، وكانَ قد خرجَ بعضُ أهلِ الحصنِ إلى العجمِ، لطلبِ المسالَمَةِ، ثم عادوا إلى المقدَّمي، وبذلوا له دراهمَ ليخرجَ فأبى.

وبعدُ،وقعَ الحربُ وصادَفَ نزولُ المطرِ، فأطفِىءَ فتيلُ العرب، وتقدَّمت العجمُ، فأدركت المـآربَ، ودخلوا عَفّارَ، وصارَ المقدّمي إلى بيتِ وَهْبَان، وانجالت العربُ من كلِّ مكانٍ، ولما استولت العجمُ على ما تقدم، أطاعهم بنو عشب[1] وبنو الطرفي وكُحلان وبيت قدم[2]، وخرّبوا وأحرقوا بعضَ القرى، وانحاز المقدمي إلى قريةِ الراس[3]، وأمدَّ والدَهُ العماد يحيى بن قاسم عامر، وصحبته جماعةٌ من الناسِ من بني عبد[4] وجبل عيال يزيد، وكان عاملاً هنالك من طرفِ الإمام السعيد، فلما بلغَ رحبةً[5] من بلادِ السودة أتاه الخبرُ

---

(1) بنو عَشَب: عزلة من ناحية كُحْلان تاج الدين بالشرق من حجة، كانت تعرف باسم أعشب، انظر، الاكليل، ٢/٨٥، معجم المقحفي، ٤٤٦.

(2) بيت قُدَم: جنوبي حجة، تنسب إلى بطن من هَمْدَان من ولد قُدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جُشم بن حاشد انظر، الاكليل، ١/٣١٨، قرة العيون، ١٧٨، صفة جزيرة العرب، ١٢٥، اليمن الكبرى، ١٨٧، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٥.

(3) الراس: بلدة بالقرب من لؤلؤة من هَمْدَان صنعاء، انظر، البلدان اليمانية، ٨٨.

(4) بنو عَبْد: من قبائل بكيل بجوار عيال يزيد، وأعمال عَمْران، انظر، نشر العرف، ١/٣١٩، معجم المقحفي، ٤٢٤.

(5) رحبة: من بلاد السودة، الواقعة في ذروة جبل حجاج، بالشمال الغربي من عَمْران بمسافة ٤٤كم. انظر، اليمن الكبرى، ٨١، البدر الطالع، ٢/١٠٣، نشر العرف، =

بما وقع من أولئك العسكرِ، فحكَمَ أنَّهُ لا فائدةَ في السفر.

وقعةُ بيت عُلْمَان وسوق الصّميل:

وصفتها: أنَّ العَجَمَ لما استولوا على كُحلان وعَفّار، تقدموا على جبل
٣٣ب / مَسْوَر، وشراقي لاعة، وكان في مَسْوَر جماعةٌ، مقدَّميهم السيد محمد بن عباس الشهاري، وفي شراقي لاعةَ السيد محمدُ بنُ عبدالله الشرفي المعروف بمزيقر. فأتى علي باشا من الطويلةِ ومعه عساكرُ كثيرةٌ، فاتفقَ به أَحمدُ بن علي الصليحي وحزام الصعـر[1]، واجتمعوا في بيت عُلْمَان، وتقدمتْ في يومِ الربوع الثاني والعشرين من ربيعِ الآخر، والتقوا إلى سوقِ الصَّميل[2]، ووقع الحربُ بينهم، وثبَّتَ الله المجاهدين، وانهزمت العجمُ حتى بلغوا طرفَ سوق الصميل، ثم تراجعوا فتوجّهوا إلى الجبلِ المعروفِ بالكلال[(١)] وعاوَدَ القتالَ، فهُزِموا مرةً ثانيةً حتى بلغوا القاعَ، فرماهم أصحابُ المدافعِ ليُعاوِدوا القتالَ حتى قتلوا منهم سبعةَ رجالٍ، فلما رأت العجمُ أنه لا مفرَّ لهم من الموتِ، تقَدّموا ثمَّ انهزموا، عاودوا يريدون الجَبَلَ، وفيه السيدُ محمدُ الحوري وجماعتُه وأناسٌ من بني مهدي وأناسٌ من التّهام[(٢)] فصبروا قليلاً، ثمَّ فرّوا، فدخلت

= ١٧٤/٢.

(1) بيت الصعر بدون ياء: بيت معروف في عَمْران، إليه المشيخة والرئاسة، انظر، صفحات مجهولة، ١٠٠.

(2) سوق الصميل انظر حوليات يمانية، ٤٨٩.

---

(١) في أئمة اليمن، الكلالي.

(٢) في أ، السهام.

العجمُ الجبلَ المذكور، وانتقلتِ العربُ إلى المفتاح[1] وبيت عِذَاقة، فتوجهت العجمُ إليهم، فوقع الحربُ بينهم مِنَ الصَّباح إلى الليلِ. وقُتِلَ مِنَ العجمِ سبعةٌ وخمسون قتيلاً، وستةٌ وثلاثون جريحاً، وبغالٌ كثيرةٌ، ولم يُقْتَلْ من العربِ غيرُ رجلين.

وفي الثالث والعشرين من الشهرِ المذكور، قبضَ المجاهدون عزلة بني مؤمن ومن فيها، ووقعَ الحربُ في شرقيِّ الجبل، وتلقَّاهم هادي سريح، وجماعةٌ من بني عبد[2]، كانوا قد رتَّبوا في مغربةِ بيت الجذيمة رأسَ الجبلِ المذكورِ، فوقعَ الحربُ يومَ الخميس، ودخلت العجمُ المصنعةَ والرميح، وباتوا فيهما ليلةَ الجمعة. وعزمتْ طائفةٌ منهم، فرتَّبوا بيتَ فائز[3] والمضمار[4]، وليسَ بها[1] أحدٌ من الأنصارِ وقبضُهما يمنعُ الغارةَ على مَنْ في مغربة بيت الجذيمةِ، وتبعهم بقيَّةُ العَجَمَ فجراً، فما أصبحتِ العربُ الآ والمدافعُ ترمى إليهم، فاستمرَّ الحربُ إلى اللَّيلِ، ولم يَقْدِرْ أحدٌ من العربِ على الوصولِ اليهم، لما ذكرنا من أنَّ العجَمَ قد رتبوا بيتَ فائز والمضمارَ.

---

(1) المفتاح: ناحية من قضاء الشرفين وأعمال حجة بالشمال منها، ومن توابعها، عزلة عِلْكِمَة، وعزلة الجبر الأعلى، وعزلة الجبر الأسفل، وعزلة الجبر الشرقي. انظر، معجم المقحفي، ٦١٧.

(2) جبل بني عبد: غرب وادعة، انظر أئمة اليمن، ٢/١٠١.

(3) بيت فائز: قرية أعلى جبل مسور واسمها القديم، «بيت فائس» انظر، الاكليل، ٢/٨٢، صفة جزيرة العرب، ٢٣٩.

(4) المضمار: هو القاع الممتد غرب جنوب مدينة صنعاء القديمة، والمضمار بلدة في جبل حراز من عُزلة هَوْزن، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٢.

---

(١) في أ، المهاجرين، وفي م منهما.

فلمّا أظلمَ الليلُ دخلَ عليهم المددُ[فوجدوا البيوت غير مانعةٍ][1]، وقد تهدّمت بيوتُ المغربة، فأخرَجوا مَنْ فيها، واجتمعوا إلى بيتِ هادي سريح، وبيت المعافى، وكان القتلى من العجمِ خمسةَ عشر رجلًا، والعربُ سالمون، وتوجَّهت العجمُ إلى البيتين المذكورين، وقد استولوا على المغربةِ، فأمّا بيتُ المعافى فهُدِمَ بالمدافعِ، وفرَّ مَنْ فيه إلى أسفلِهِ، ولم يمكنْهم الدخولُ إلى البيت الثاني، وأمّا الذين في البيتِ الآخر، فانتهى بينهُمْ وبينَ العجمِ الحربُ إلى الليلِ حتى هُدِمَتْ عليهم طبقتان، ونفَذَ عليهم الماءُ؛ لأنَّهم أمْلوا السطحَ ماءً، وكان مقصفاً[2] فانهدم فلما رأوْا أنه لا طاقةَ لهم بما ألمَّ، خرجوا في اللَّيْلِ إذْ أظلم، وقد قُتِلَ نحوُ ثلاثين من العجمِ، ولم يَسِلْ من المجاهدين[3] دمٌ. وتفرّقوا، فبعضهُم توجّهوا التهام، وبعضهم توجهوا الرغيل، وتوقفَ الحربُ الأحد والاثنين والثلاثاء.

وفي التاسعِ والعشرين من الشهر المذكور، عزَم السيدُ عبدُالرحمن بنُ عباس، ومَنْ معهُ من سادةِ شهارةَ من التهام إلى الرغيل.

وفي الشهرِ المذكورِ، وصلَ أحمد فيضي بعسكرٍ عظيمٍ وحطَّ في بني مهدي.

وفي شهرِ جمادى الأولى، تجمَّع الذين مَعَ علي باشا إلى قارة أَحمد(1)،

(1) قارة أَحمد: القارة اسم مشترك بين جملة قرى منها، قارة مسور المنتب بالشمال الغربي من صنعاء، يسكنها أولاد أحمد بن المطهر بن الإمام شرف الدين، انظر صفة =

(١) الإضافة من م.

(٢) في م، مقضضا.

(٣) في أ، المهاجرين، وفي م، منهما.

وجَدر وبيت قسيم.

وفيه أيضاً تقدَّمَ على مَنْ في الرغيل حتَّى بلغَ طرفَ القارةِ، فرمَتْهُ الأنصارُ من داخلِه وخارجِهِ، فرجَعَ، وقُتِلَ من العجمِ جماعةٌ.

وفي يوم الجمعةِ، تقدمت العجمُ فهُزموا كما تقدم.

وفي يوم السبت، تقدموا من كلِّ مكانٍ، وتقدَّمَ أحمد فيضي بمَنْ معه. من جهةِ بني مهدي، وتفرَّقَتْ، ففرقةٌ جاءت على هداد[1]، وفرقةٌ من أهلِ الشراقي، ومِنْ أهلِ المشرقِ، وخرجَ علي باشا بمَنْ على مَنْ في الرغيل وفي القارةِ، فتقدَّمتْ طائفةٌ من عسكرِهِ إلى شرقيِّ الرغيل، فقُتِلَ بعضُهم وحُوصِرَ البعضُ الآخرُ، فلم يستطع التقدمَ ولا الرجوعَ، ونصبوا في ذلك الحربِ على هداد والرغيل بستةِ مدافعَ صغارٍ، حتى صارتْ أصواتُ المدافعِ والبنادق كالرّعودِ والصواعقِ. ٣٤أ

وفي يومِ الأحدِ دبرت الحيلةَ العجمُ: بأنْ يصدمُوا العربَ جميعاً في يومٍ واحدٍ، لئلا ينتقلوا مِنْ معقلٍ، فأمّا مَنْ في الرغيل وهداد فمن حيث وقفوا، وتقدمت العجمُ الذين في الحُصَيبِ، وقد عجِزَ عنهم مِنْ حولها، فتوجّهوا

= جزيرة العرب، ١٦٨، المدارس الاسلامية، ٣١٠، نيل الوطر، ١/١٠٥ معجم المقحفي، ٥٠٢ وهناك قارة آنس.

(1) حصن هداد: اسم يطلق على حصون في بلاد آنس، وجبل في مخلاف ابن حاتم، جنوب صنعاء، وآخر في جبال حجة بالشرق منها، والثالث في نجران في جبال يام، انظر، الاعتبار، ١/ ٦، معجم المقحفي، ٦٧٥، المفيد، ١٦٣، صفة جزيرة العرب، ١١٥ العقود اللؤلؤية، ٢/ ٧٧، أئمة اليمن، ٣/ ١٢٢.

حصنَ دوَّاس، وفيه السيد محمد الشرفي[1] والسيد محمد بن الحسين بن عباس رحمه الله، وبعدَ خروجِهِ من المحويت ومن بني العوّام والشيخ ناصر مبخوت، أقبلَ من الظُّفير في جماعةٍ للغارةِ على مَنْ في الشراقي فكانَ جملةُ مَنْ في دوَّاس في بيتِ أحمد غالب ثمانين رجلاً، ومثلَها في القريةِ، وفي قرية قُدَم مئتين، وجملةُ العجمِ في مَسْور والشراقي والحُضَيب ستةُ آلاف. فلما كان يومُ الأحدِ نصبوا المدافعَ على دوّاس من شرقٍ وغربٍ، وهجمت العسكرُ من جهةِ العجم، حتى بلغتْ إلى حدّ الحصنِ، واستمرَّ الحربُ إلى الليلِ، ولما وصلَ العجمُ إلى قريةِ الحصنِ عمَّروا مترساً في المغربة، وباتوا ليلةَ الاثنين، وقد تقدَّمتْ منهم جماعةٌ ثم تقدمت منهم طائفةٌ على مَنْ بهداد، ونصبوا عليهم المدافعَ، فتلقاهم المجاهدونَ فهُزموا، ثم ردّوا فرمَوْهُم فرجعوا، ولما رأتهم الأنصارُ، وقد انهزموا، خرجوا إلى خارج الدارِ ليمنعوهُمْ مِنَ الهجومِ، فتصادَموا قليلاً، فخلفَتْ خالفةٌ من العَجَمِ، ولا يعلمُ المجاهدون بما قدْ ألَمَّ، فاستولتِ العجمُ على الدارِ، وفرَّ مَنْ فيهِ مِن الأنصارِ، فرآهمْ مَنْ خارجَ الدارِ، فأسرعُوا بالفِرار، ودخلتِ الأعاجِمُ فأحرقوه بالنّارِ، وقُتِلَ منهم ما ينيف على الأربعين، ومِن المجاهدين ثلاثةٌ.

وفيه أيضاً تقدّم علي باشا على مَنْ في الرُّغيلِ معَ الطائفةِ التي أمدَّهم بها أحمد فيضي، فوقَعَ الحربُ مِنَ الفجرِ إلى الليل، وخرجَ مِنَ المجاهدين جماعةٌ من بني عبد، ومن بيتِ مسعودٍ، قاصدين مدفعاً نَصَبُوه، يرمُون به بيتَ سعيد صلاح المعروف بالرغيل، حتى بلغوا إلى فوقِهِ، فاقتتلوا قتالاً شديداً،

---

(1) المقصود محمد بن عبدالله مزيقر الشرفي.

فانهزمتِ العجمُ بمدفَعِها، وتبعَهُم المجاهدون، وكلّما قاربوهم رَمَوْا إليهم مِنْ أسلِحتِهم ليأخـذوه ويشتغلوا به فصاروا يأخذونه ويتبعونَهم، فخرجتْ سدّادةُ المِـدفعِ التي لا يستقيمُ إلاّ بها، فأخذَها المجاهدون، ولمّا عَرَفَ العجمُ الذي في الوهزة ما وقع، رمَوْا بالمدافعِ إلى العربِ، فوقعَ في العجمِ، فقَتَلوا منهم كثيراً، ونجا أصحابُ المدفعِ به، بعد أن انهزموا من قارة الذيب إلى الرأس[1] حدراً في جبلٍ وعرٍ.

وقُتِلَ من المجاهدين مسعود بنُ أحمد بن محسن من بيت مسعود(1). وقُتِلَ من العجمِ في هذين اليومين مئةٌ وخمسون رجلاً.

وفي الشهرِ المذكورِ تقدَّمت العجمُ على مَنْ بقيَ في الرغيلِ صبْحاً، وقد تعطلت الجبالُ عن الرجالِ، فرتَّبَتْها العجمُ، وهي جبالٌ مانعةٌ. فلما اشتدَّ الحـربُ هَمَّ المجـاهـدون بالفـرار، وفي المحـل نساءٌ وصبيانٌ، فخافوا أن يلحَقَهُم العـارُ فثبتَ السيدُ الأجـل عبـدُالرحمن بنُ عباس، حتى خرجَ من المحلِّ النساءُ والأطفالُ، وختم الله له بالشهادةِ حينئذٍ، ففاز بالحسنى وزيادة، أصابَتْهُ رصاصةُ مدفعٍ، وحُمِلَ إلى بيت عقب فدُفِنَ فيه، رحمةُ اللهِ تغشاه، وقُتِلَ معه / رجلان وامرأةٌ، ولم يُصبِ العجمَ غيرُ جراحةٍ واحدة، واستولوا ٣٤ب على المحل.

---

(1) مسعـود: قرية وسـوق في ناحية سنحـان من نواحي صنعـاء، انظر، أئمة اليمن، ٥٣٦/٢، معجم المقحفي، ٥٩٢.

---

(١) في ع، م الماس.

وفي هذه المدةِ عَزَمتْ رجالٌ من بني عُكاب[1] ليلاً، وقَصَدوا من بقيَ في الحُصَيْبِ من العجمِ، فلما بلغوا طرفَ المطرح، مالوا على العجم، وأخذوا نحوَ ثلاثِ مئةِ كيسِ دقيقٍ. في كلِّ كيسٍ قدحان، وألقوا باقيه على الأرض، حتى انتهبتْ منه نساءُ بني عُكاب. وأخذوا من حَسَك المدافعِ شيئاً كثيراً، ولم يجدوا لهم من دونِ اللهِ من وليٍّ ولا نصير.

وفي المـدَّةِ المـذكـورةِ، تقـدَّمت العجمُ على مَنْ في دوَّاس[2]، فوقع الحربُ بينهم وبين المجاهدين، وصاروا كلَّ ما هجموا، ردَّهُم المجاهدون، وقُتِلَ منهم قتلى كثيرون.

وفي يوم الثلوثِ السابعِ من الشهرِ المذكور، انهزم مَنْ في قُدم، فما شعرَ من في دوَّاس الا بكتابٍ من حسين النوفي مخبرٍ بفرارِ مَنْ في قُدم، ولم يبقَ منهم الا عشـرةُ أنفـارٍ، فبينمـا هم كذلـك، إذْ طَلَعَ دخـانٌ من قلعـةِ العمري[3]، وهي حصينةٌ لا تؤثِّرُ فيها المدافعُ، وكان بها الحاج زيدُ بنُ صالح الرضي، ورجالٌ من الصَّيدِ[4]، وقد شَحَنُوها بالمونةِ والزادِ، فَوَهَن لذلك مَنْ

---

(1) بنو عُكاب: من قبائل بلاد حجة بغرب مَبْيَن انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥، معجم المقحفي، ٤٥٦.

(2) حصن دوَّاس: في الشاهل، ودوسان، حصن يطل على مدينة المَهْجَم انظر اليمن الكبرى، ٦.

(3) قلعة العمري: في بلاد يريم، انظر، حوليات يمانية، ٥١٥ اسمه «ناصر بن علي العمري» انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٧٦. وما ورد في الأصل المعمري.

(4) الصَّيَد: بطن من خارف من حاشد، وبلاد الصَّيَد متصلة بالبون ومن قراها المشهورة كانط وناعط، انظر، معجم الحجري، ٢١٧/١، ٥٤٨/٣، اليمن الكبرى، ١٧٩ صفة جزيرة العرب، ١٢٣، ١٨٤، الاكليل، ١٩٩/٢، صفحات مجهولة، ٩٩.

في دوَّاس، وظنّوا أنَّ العجمَ قد أَخَذَتْها من جهةِ مَسْوَر، فوَقَعَ الحربُ بينهم إلى الليلِ، وعَزَموا على الخروجِ من الحصنِ المذكور، ولم يبقَ لهم إلا طريقٌ واحدٌ من جهةِ الغرب، وقُتِلَ من العجمِ في هذا الحربِ ما يزيدُ على المئة.

وحُكي عن سيدي، سيفِ الإسلام، محمد بن الحسين بن عباس، رحمه الله، أنّهُ رمى يوماً ثلاثاً(١) وخمسين ضربةً حتى انصبَّتْ عيناه دماً من الرمي، وكان إحراقُ قلعةِ المعمري رأياً من الحاج زيدِ بنِ صالح الرضي خشيةَ أنْ يستولى عليها العربُ، فيرتّبوها. هذا، وأما من في جَبَلِ مَسْوَر، فإنّ العجمَ لما استولتْ على الرغيل، وفرَّ مَنْ فرَّ عَزَمَ السيّدُ عزُّ الإسلام محمدُ بنُ الحسين بنِ عباس إلى بيتِ مسعود، فاجتمع إليه مَنْ بقيَ مِنْ بني عبد وغيرِهم، واجتَمعَ رأيُهم أنْ يكونوا زيادةً لمن في قلعةِ المعمري، فلم يشعروا الا بطلوع دخانها، فلم يَسَعْهُمْ في الحالِ الا التفرّق. فتفرقوا أيدي سبا، ورجعَ المقدمي إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلامُ - وأما مَنْ في دَوَّاس، فإنّهُ لمّا أظْلَمَ الليلُ خرجوا من مطرح العجمِ في الحُصَيْبِ، فتغاضى عنهم العجمُ كأنّهم لم يسمعُوا ولم يُبْصِروا حتى دخلوا الظفير، وسار السيدُ محمد مزيقر يريدُ حصنَ حقيل(1)، فمنعَهُ أهلُها، فقصدَ عُولي(2)، فمُنِعَ أيضاً، فدخل الظفير، ولما استَوْلَتِ العجمُ على ما ذُكِر، أحرقوا البيوتَ بالنارِ، وتحصّنَ كثيرٌ

---

(1) حصن حقيل: حقيل من أرض عيّان في مغرب هَمْدَان انظر، السيرة المنصورية لابن دِعثم، ٢/٤٨٨.

(2) عُولي: وطن وجبل جنوبي حجة انظر، صفة جزيرة العرب ١٢٥.

---

(١) في ع، م، ثلاث مئة وخمسين.

من أهلِها بالفرارِ.

ذكرُ وقعاتِ الحَيْمَة الداخلية:

وفي هذه المدةِ، كان الحربُ في الحيمةِ الداخلية، والسببُ في ذلك: أنَّ أَحمد فيضي لما دخل صنعاءَ، ووقعَ ما قد ذكرنا من الحروبِ، لم يدخلْ أهلُ الحيمةِ في الطاعةِ، وبقيَ لديهم مقدَّمُهم السيد الهُمام محمدُ بنُ أحمد الشامي[1] بحصن العرّ[2]، فأتى إلى الإمام - عليه السلام - الشيخُ مقبلُ بنُ يحيى قطيع، فجهَّزَ معه عساكرَ مِنْ حاشد ومن الغولة، وعَزَمَ بهم، ونفذَ السيِّدُ الهمام، صفيُّ الإسلام، أَحمدُبن قاسم بمن عنده من قبائل أرحب، وتوجَّهَ السيدِ الجمالي، علي بن صلاح بمن معه من قبائلِ نِهم وبني حِشيش، حتى بلغت العسكَرُ في الحَيِّمَة إلى الخمسِ مئة، وعزَمَتْ جماعةٌ من أهلِ الحَيْمَة ليلًا إلى السِّلكِ، فقطعوه، فتوَجَّه من جهةِ العجم القاضي أحمد الردمي، ٣٥أ وعياش والأسد إلى الحَيِّمَة يريدون الصُّلح / والمسالمة، ودخول أهل الحَيْمَة في الطاعةِ، فأَبَوْا عن ذلك الا الشيخ محمد بن محمد الشَقَّاقي، شيخ عزلة الأحبوب[3] وحزام اليعري، شيخُ عزلة بني السَيَّاغ[4]، فإنّهما بذلا الطاعةَ في

(1) محمد بن أحمد الشامي: ولد سنة ١٢٨٨ في محلة المسقاة من بلاد خبان، ولي القضاء في بلاد السود من عيال يزيد ت سنة ١٣٢٧هـ، نزهة النظر، ٥٠١.

(2) العِرّ: حصن في جبل العر في الحَيْمَة الداخلية، متصل بجبل النبي شعيب من ناحية الشرق، انظر، معالم الآثار ٣٧، صفة جزيرة، ١٢٥، ١٧٧، والعِرُّ اسم مشترك بين عدد من المواضع في اليمن.

(3) الأَحْبُوب: عزلة من ناحية الحَيْمَة الداخلية فيها القرى، جَدِر وبيت سلم وبيت يريس وبيت الشَقَّاقي انظر، المفيد، ٩٤، معجم المقحفي، ١٥.

(4) بنو السَيَّاغ: عزلة كبيرة من الحَيِّمَة الداخلية محاذية لبني مطر من جهة الشرق فيها=

الخفية، فلما أبَوا، توجَّهَ الشريفُ محمد بن علي الشويع، وصحبته خمسةٌ وعشرون رجلًا حتى بلغوا المسجدين بيت محمد بن محسن، وهو من أعوانِ العجم، فلما وصل الشريفُ الشويعِ هنالك، كاتَبَ مشايخ الحَيْمَةِ وطلبَ منهم الوفقةَ، فاتفقوا إلى الذيلة[1]، فأبى عن الصلح مشائخُ الحَيْمَة، إلا الشيخين المذكورين. فلما بلغَ السيدَ محمد بن أحمد الشامي، أرسلَ إلى أعيان الأحبوب، فقَبَضَ عليهم وحبَسَهم، ثم توجَّهَ السيدُ حسين[1] بن قاسم عامر وعسكر زهاءَ مئتين وخمسين من أرحب ونِهم والغولة وذيفان، فبلغ السيدَ المذكورَ فرمى مَنْ معه ببنادِقهم ضربةً واحدةً، فشمَّرتْ رجالُ الأحبوب، فدخلتْ بيتَ البئر[2]، فرتَّبوه بنية الإمام، وقد بلَغَ من أهلِ المداهنةِ، وخرج السيد المذكور من الذيلة فدخل بيت يَفْع[2][3] ومعه خمسةٌ وأربعون رجلًا، وعزَمَ الشيخُ مقبل قطيع، والحاجُّ راجح بِمَنْ معهم، فدخلوا بيت معدن[3]

= قرى كثيرة أهمها: هجرة العين انظر، معجم المقحفي، ٣٣٥، رياض الرياحين ١٣٠.

(1) الزيلة: جنوب صنعاء من بلاد ضُريم بالقرب من اثافت انظر، صفة جزيرة العرب، ١٤٥، والزيلتين، من بلاد ضُريم بالقرب من اثافت، انظر السيرة المنصورية، ٣٤٤، اللآلي المضيئة، ٢/٢٩٩ وجاءت في معجم المقحفي، الزيلة، قرية في الحَيْمَة الداخلية من عزلة الأحيوب، وهي المقصودة هنا، انظر، معجم المقحفي، ٢٩٦.

(2) بيت يَفْع: قرية في أعلى بني السَّيَّاغ، هي الحد بين الحَيْمة وبلاد البستان، انظر، صفحات مجهولة ٩٢، التعداد في صنعاء، ١/١٢٢، معجم المقحفي، ٧١٥.

(3) بيت معدن: بلدة عامرة من حضور، انظر، المفيد، ٩٢، معجم المقحفي، ٦٠٩.

(١) في أ، حسن.

(٢) في م، بيت النش.

(٣) في أ، نفع، م، بيت نقع.

بغيرِ رضى أهلهِ بسعايةِ الحاج محمد بنِ أحمدَ العبدلي، ومالَ أهلُ معدن إلى مخادَعَةِ الشويع.

وفي شهرِ جمادى الأولى خرجت العجمُ من صنعاءَ متوجهين إلى الحَيْمَة نحو ستِ مئةٍ بما معهم من السلاح والمدافعِ فباتوا بمتنه [1] وداعر [2].

وفي يومِ الجمعة، ساروا حتى بلغوا القلَيس [3] ظهراً، وتقدَّموا من وقتِهم، فتلقَّتْهم الأنصارُ، والسيّدُ المذكور، ومن انضمّ إليهم من أهلِ البلادِ، وقد افترقت العجمُ فرقتين: فرقةً نحوَ بيت معدن من قاع الوسط فما فوقه، جاءوا معدن من عدينه، وفرقةً بقيت بقاعِ الوسط، ونصبوا المدافعَ من هنالك، ولم يزلَ الحربُ بينهَم وبينَ من في بيت معدن إلى الليلِ، وأما من في جهةِ الغربِ، فإن السيد ومن معه تقدَّم إلى أكمة بقاعِ الوسطِ، واتصل الحربُ إلى الليل، وقُتِلَ من العجمِ في هذا الحربِ كثيرٌ ومن المجاهدين اثنان.

وفي يومِ السبتِ، عاوَدُوا الحربَ من قُبَيْلِ الشروقِ، وتقدَّم مَنْ في الوسطِ يقصِدونَ بيتَ محمد بن محسن ليتمكّنوا من الارتقاء على من في جبل الشبه، فدخلوه بعد الحرب الشديد، وذلك في وقتِ الضحى، وسائرُ أهلِ البلاد اذْ

---

(1) مَتْنَة: قرية غربي صنعاء في حقل سُهْمَان من ناحية بني مطر انظر، صفحات مجهولة، ٥٤، معجم المقحفي، ٥٥٧.

(2) داعر: جنوب غرب صنعاء، من قرى ناحية بني مطر (البستان سابقاً)، انظر، معجم المقحفي، ٢٣٠، الاكليل، ٢/٣٠٢.

(3) القُلَيس: بلدة في جبل النبي شعيب، بناحية مطر، انظر، معجم المقحفي، ٥٢٢.

ذاك لم تبلغ غارتُهم إلى السيد المذكور، ولا وصلتْ زيادتُهم الا جماعةً من بني السَيَّاغ.

ولما دخلت العجمُ هنالك، تقدّموا من ساعتِهم على من في جبل الشُّبه، وصعدوا إليه، فثبتَ لهم العربُ قليلاً، ثم فرّوا، وقد قُتِلَ منهم قتيلٌ، فلم يَشْعُر المقدمي الاّ وقد تخلت المراتبُ الغربيةُ، فانتقل المقدمي إلى أكمةِ هنالك تحمي على من هربَ من العرب، واستمرَّ القتالُ إلى الليلِ، ولم يبقَ مع المقدمي غيرُ أصحابهِ الذين من المشرق، وأمّا مَنْ في بيت معدن، فإنه استمرَّ الحربُ بينهم إلى الليلِ، وخرجوا منه، فلما بلغَ خروجُ من فيه، انتقل إلى بني السَيَّاغ حتى بلغَ إلى المحطةِ، فجعلوا يتلطّفون له بأنها ستهلك العَزلة إذا بقي فيها، فتركهم وسارَ إلى بيتِ الحومري، فمنعه أهلُه من الدخولِ فسارَ إلى هجرةِ بني السَيَّاغ ولم يبِتْ إلاّ بحصن العر، وقُتِلَ من العجمِ في هذا الحربِ ثمانون رجلاً، ومن العربِ أربعةٌ.

وفي اليوم الثاني، يومَ الاثنين، دخلت العجمُ بيتَ معدن فأحرقوه، وتقدم الشريفُ الشويع بأصحابهِ، قرية الزيلة برضى أهلِها، ونزلت العجمُ خلفه الزيلة وبيت النش[1].

وفي الشهرِ المذكورِ أيضاً، تقدّم المقدمي السيد/ الجمالي عليُّ بنُ صلاح، وصحبته نحوٌ من ثلاثِ مئةٍ وخمسين رجلاً من أهلِ المشرقِ، وأَمَرَهُ أنْ يقبضَ حصنَ ظفار المتوسط في النقيل، وهو حصنٌ مانعٌ خرابٌ، فيه بقيةٌ من العمارةِ التي عمَّرها الإمامُ مع المتوكِّل على اللهِ، المحسن بن أحمد، ٣٥ب

---

(1) هو المفضل النش، انظر حوليات يمانية، ٥١٤.

ورتب مع ذلك بيتَ يريس[1] وبيتَ السنحاني وغيرهما.

ووصلتْ إلى العجمِ زيادةٌ من الذي في بلادِ لاعةَ وحجَّةَ، نحو أربعِ مئةٍ، ولم تقعْ حربٌ بعدَ وصولِهِم، ولما كانَ يومُ الجمعةِ، افتشل مَنْ في ظفار، وعزموا على الفرارِ، لا لسببٍ واضطرار، فرتَّبه المقدمي بسبعين رامياً، وأبقى هنالك الحاجَّ أحمدَ العبدلي، والحاجَّ سعيدَ الدربي[1].

وفي ليلةِ الأحدِ، ثاني عشر الشهرِ المذكور، فرَّت الرتبةُ من حصنِ ظفار، وارتكبوا العارَ، ولم يبقَ غيرُ عشرةٍ، فأمرَ المقدَّمي بترتيبه مرَّةً ثانيةً في الليل. فبلغت القومُ إليه فجراً، وقدرُهم أربعُ مئةٍ، رئيسُهم السيدُ الجمالي علي بن أحمد صلاح.

وفي اليومِ المذكورِ، توجّـه القومُ على مَنْ في ظفار، وكان الذين فيه قد رتبوا كلَّ قبيلة بجهةٍ، فالشيخ فرحان الغولي ثم السريحي بأصحابِهِ عيال[2] سريح في الجهـةِ العـدنيَّة، وراجح الهجام، ومن معه في الجهةِ الشرقية، والنقيبُ يحيى وعيل بمن معه في عطف الجبل، والنقيبُ محمد بن حسين العذري بمن معه جهة الغرب، والسيدُ علي بن صلاح في رأس الحصنِ.

---

(1) عزلة يَريس: حصن متهدم الآن، وعزلة يَريس، سافلة جبل حُبيش، وبيت يريس، قرية في أسفـل حضـور ابن عدي، وهي من عداد عزلـة الأحبـوب بناحية الحَيْمَة الداخلية، انظر، الاكليل، ٢/ ٢٠، صفة جزيرة العرب، ٢١٠، المفيد، ٨٠ (ط ثانية).

---

(١) في م، الدرلي.

(٢) في أ، بني.

فأثـارت العجمُ الحـربَ ورَمَتْ بالمدافعِ، وهجمتْ العساكرُ، وجرى بينهم حربٌ شديدٌ متكاثر، فرمت العجمُ نحوَ العدنِ، ففرَّ من فيه، فما شعرَ الذي في الجهاتِ الأخرى إلّا وقَدْ اقتحمت العجمُ، فثبت النقيبُ محمد بن حسين العذري، وقتلوا كثيراً من العجم، وأغار المجاهدون من كلِّ جانبٍ، وصار الحربُ سجالاً: تارةً ينهزمُ العجمُ، وتارةً ينهزمُ العرب، حتى تَرامَوْا بالحجارةِ، واستمرَّ ذلك إلى الليل، وحينئذٍ فرَّت العرب، وقد استُشهِدَ منهم ستةُ أنفارٍ، منهم: النقيبُ محمد بن حسين العذري، وقُتِلَ من العجم ثلاثون، وسبعةٌ وعشرون مجاريح.

وفي يومِ الاثنين، أرادت العـربُ دخـولَ العِـرّ، وقـد داخَلَهم الفَشَـلُ والوَهَنُ، فنهاهم المُقدَّميُّ عن ذلك، فلما رأى أهلُ الخربةِ ذلك، استدعوا العجمَ فرتبوها، ورتّبوا حصنَ سودان المشرف على العر، وقرية نفيد والصبار والجبل الذي تحتَ القدوم، وانضمَّ المجاهدون إلى المقدّمي، فدخلوا حصنَ العِرّ، وكانوا نحوَ الخمسِ مئة. وقد تتابع أهلُ البلادِ على طاعةِ العجمِ، ورتبوا جبلَ المنصورةِ الحاكم على العِرّ، وكان طلوعُهم من شرطةِ القدوم ولم تكن مرتبةً، فلما أحسَّ بهم من في العِرّ، أجمعوا أن يخرجوا من الحصنِ خوفاً من أن يحاصَرُوا فيه، فلم يَسَعْ المقدَّميَّ بعدَ هذا إلّا العزمُ والعَوْدُ إلى شريفِ المقام والسلام.

ذكرُ انتقالِ الإمام، عليه السلام، من جبلِ الأهنوم إلى قَفْلَة عُذَر، وما يتصل بذلك من الخَبَر

وأنه لما رأى الإمامُ عليه السلامُ تخاذلَ الناسِ وفشَلَهُمْ، وما نزلَ بهم من الوَهَنِ والكَدَرِ، رأى الانتقالَ إلى قَفْلَة عُذَر لمآربَ له لا تُحْصَرُ. وجعلَ على الجبلِ السيدَ العلّامة الصفي أحمدَ بنَ يحيى بن قاسم [1] لإقامة الشريعة، وإنصاف المظلومِ من الظالم. وكان،عليه السلامُ، قد نقَلَ أهلَهُ قبلَ ذلك من المَدَان إلى هجرة عَيَّان [2] من بلاد سفيان، لما رأى ما الناسُ عليه / من الخذلانِ، ولما استقرَّ عليه السلامُ في القُفْلَة، جمعَ عقال عِذَر والعُصَيْمَات، وافتقدَ ما بينهم من الإحَنِ، فأصلحَ ما بينهم، فجمع الله شملَهُمِ ببَركةِ هذا الإمام المؤتمن.

٣٦أ

ومن كراماتِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ أنَّ هذه القريةَ ـ أعني قريةَ عُذَرـ كانت من أوبإِ أرضِ اللهِ، كما وصفَ لنا غيرُ واحد، حتى وصفوا لنا أن الغريبَ إذا بات فيها ليلةً لابدَّ أنْ يمرَضَ، ولما استوطنها الإمامُ ـ عليه السلام ـ، رفعَ الله منها ذلك الوباءَ ببركةِ الإمام ـ عليه السلام ـ وأصلَحَ عليه السلام، أوعيةَ مائها المسمى ببئر الغارب، وانها من أعذب المياه بإجماع أهلِ المعرفة.

---

(1) أحمد بن يحيى بن قاسم بن عامر: ولد بالأهنوم سنة ١٢٨٢هـ، لازم علماء الأهنوم وأخذ عنهم، كان عامل مُسْتَبا الواقعة ضمن جبال وشمة من الجهة الغربية ت سنة ١٣٥٦هـ، انظر، نزهة النظر، ١٦١.

(2) هجرة عِيَّان: قرية في سُفْيَان بن أرحب بن بكيل بالقُرب من خيوان إليها ينسب طائفة من بني العَيَّاني انظر، نشر العرف، ١/٢٨٥، قرة العيون، ٢٢٩ اليمن الكبرى، ٨٦، ١٠٥، معجم المقحفي، ٤٧٥، السيرة المنصورية ٥١٦.

وقعة حصن الظفير(1):

وصفتها: أنَّ العجمَ تقدّموا في يوم الأحد، حادي وعشرين شعبان إلى الكهـوف التي تحت حصنِ الظفير، ووقفوا هناك ساكنين إلى وقتِ الفجر، وكان عددهم خمسةً وعشرين مئةً، وقد صنعوا من السلاليم الطوال، في السُّلَّم الواحدِ أربعون درجةً، أعدّوا ذلك من البلادِ الرُّوميةِ، فلما كان وقتُ الفجر، صاحوا بالنفير من جميعِ المراتبِ، ورموا بثمانيةِ مدافعَ، وبنادقَ لا تُحصى كثرةً، وتقدّم الذين في الكهوفِ ونصبوا المراقي والسلاليم وصعدوا، ولم يَعْلَمِ القـومُ بطلوعِهم في تلك الحال. فلما كادوا أن يصلوا انتبه الناسُ، فخرجَ جميعُ مَنْ في المدينةِ، وجعلوا يرمونهم بالأحجار حتى كسروا تلك المراقي، وامتنع الطلوعُ، وجعل الضّباطُ يسوقونهم نحو الباب، واجتمع من العربِ إلى جهةِ الباب شيء كثير، وجعلوا يرمون العجمَ بالبنادقِ والحجارةِ حتى هزموهم عن البابِ، وقُتِلَ من العجمِ مئةُ قتيلٍ، الذين ظهروا كما قيل، ولم يقعْ في العرب غيرُ مكانٍ(1)، الشيخِ محمد بن مبخوت الأحمر، فلما انهزمت العجمُ أخـذت العربُ بنادقَ المقاتيلِ، وسلبوهم سيوفاً وذهباً كان في ثيابهم لأنها انجلت المعركة، ولم يقدر العجمُ على دفنِ قتلاهم.

---

(1) أئمة اليمن، ٧٧، والمقصود ظَفير حجة، وحصن الظَفير: هو ظفير حجة في عزلة بني حَجّاج، وهو من المعاقل الشهيرة، كان هجرة لطلب العلم، والظَفير في اليمن كثير، فالظفير، حصن وقرية من بني مطر مقابل لكَوكبان، والظفير، حصن وقرية جنوب ماوية من أعمال تعز، والظفير، قرية في آنس مقابل ضَوْرَان من جهة الشرق، انظر، البلدان اليمانية، ١٨١.

---

(١) أي جريح.

وفي تلك الليلةِ غزت العجمُ على موضعٍ خرابٍ قربَ بيت ماطر[1]، وكان فيه جماعةٌ قليلون، فخرجوا ودخلت العجمُ، ثم إنها ـ أعني العجمَ ـ غزتْ إلى بيت ماطر، وكان فيه نحو خمسين، فناموا خلا ثلاثةَ حُراسٍ، فلم يفطنوا الا وقدْ أحاطَ بهم العجمُ، فوقع الحربُ، وقُتِلَ من العجمِ جماعةٌ، ومن المجاهدين رجلان لا غير، وانهزمت العربُ وقبضت العجمُ بيتَ ماطر، فقبضوا طريقَهُ، وكان ذلك أعظمَ شاغلٍ على من في الظفير، وكان ثمةَ طريقٌ شغار إلى السوقِ، فاتّفقَ أنَّ جماعةً خرجوا إلى السوقِ، ففطِنَ لهم العجمُ، فخرجوا على أثرِهم، فطَرحوا في الطريقِ والأكام. فلما كان الليلُ طلع الذين كانوا في السوقِ ولم يعلموا بالكمين فوقعوا بالقربِ من العجمِ، فأرسلوا عيوناً، ففطِنَ لهم العجمُ، فتبعوهم، ففرَّ بعضُهم إلى الظفير، وبعضُهم رجع إلى القومِ، فأنذروهم، فرجعوا، وخرجَ القومُ الذين في الظفير للقائهم.

وفيه أيضاً: قبضت العجمُ بيتاً يُقال له بيت الحسيني قريباً من الظفير، فكلَّم الشيخُ ناصر مبخوت أهلَ ذلك البيتِ أن يحرقوه بالبارود، وتواعدوا إلى وقتٍ في الليلِ، وكان آلُ الحسيني ثلاثةَ نفرٍ، فأدخلوا الباروذَ وصعد اثنان منهم عند الأتراك، ونزل واحدٌ لإصلاحِ البارود، والذريرةُ فجرَّت الفتيلةَ، وصعقَ دخانُ الفتيلة / والبارودِ، فانتبه بعضُ العجمِ، فنزلَ ولحِقَهُ الأخوان، فقال: ما هذا الذي فاح ريحُه، فقتلوه، وأشعلوا الباروذَ وهربوا فقرَحَ البارودُ قارحاً عظيماً قبل الوقتِ الذي واعدوا فيه الشيخ ناصر، فنزل أهلُ الظفير،

٣٦ب

---

(1) بيت ماطر: من بلدان جبل الظفير في محافظة حجة، انظر، معجم المقحفي، ٥٥٥.

وبقي من البيت موضع سلم فيه بعضُ الترك، فرموا ببنادِقهم حتى غارت عليهم العرب من المراتب الأخرى. وهلك من العجمِ هنالك خمسةٌ وثلاثون، فوهنت العجمُ لذلك. ولمّا اتصلَ الخبر بأحمد فيضي حزن حزناً شديداً وقال: إنّا مسلمون، وأنتم مسلمون، كيف تصنعون يا معشر العرب!

فقيل له: إن مدافعكم هذه لا يجوزُ أن يُقاتَل بها المسلمون، وإن العَرَبَ لما رأوا مدافعَكُم قابلوها بهذه المكيدة جزاءً وفاقاً.

ثم إن العجمَ شدّدوا الحصارَ على مَنْ في الظفيرِ، حتى إنّه لم يقدرْ أن يدخلَ عليهم أحدٌ.

وقعة كُحْلَان من بلاد خُبَان[1]:

وصفتها: وفي يوم الثلوث، الخامسَ عشرَ من شهرِ رمضانَ في السنة المذكورة، كان وصولُ سيدي محمدِ بنِ الحسينِ بن عباس حصنَ كُحْلانَ[2] من بلادِ خُبَان، قريب من مدينة يَرِيْم، وهو حصنٌ منيع، فيه من المآثر الحميرية، من العمارات والبرك الوسيعة، وكان السببُ في هذه الوقعةِ، أن

---

(1) خُبَان: ناحية واسعة بذي رُعين، شرقي ظفار وجنوبه، وهي ما تعرف اليوم باسم «السَّدَّة انظر، نيل الوطر، ١/٤٢١، صفة جزيرة العرب، ٢٨١، تاريخ اليمن الثقافي، ١/١٠٤.

(2) هي كُحْلَان حَضور: قرية من عزلة الثُلث، التابعة لناحية الرضَمَة بالشرق من يريم بمسافة ٢٣كم، وتسمى كحُلان الحداد انظر، الاكليل، ٢/٢٤٥، صفة جزيرة العرب، ٢٠١، معالم الآثار، ٧٥، نشر العرف، ١/٧٩٧، معجم المقحفي، ٥٣٤ أئمة اليمن، ٧٧.

بعضَ الشيعة كتبَ إلى حضرةِ الإمام - عليـه السلام - يستمدُّ منه النصرَ لمَّا حصلَ من النكايةِ له وتشريدِه، فـأرسلَ الإمامُ - عليه السلامُ - السيد الهمامَ واللَّيْثُ الضرغـــامَ، محمّـــدَ بـنَ الحسين بن عبـــاس، من أكــــابــــرِ الناسِ ، فلما وصلَ إلى بلادِ الحدا، انضاف إليه منهم قومٌ كثيرٌ، وكتبَ إليه رجلٌ من الشيعة[1] غيرَ الأول، أن العجمَ قاصدون إليه لأخذهِ وتنكيلِهِ، فالغارةَ الغـارةَ! وكـان الـرجـلُ في كُحْـلاَنَ. فلمـا وصل المكتوبُ إلى سيدي عزِّ الإسـلام، حثَّ السيرَ إليه ليدخـلَ حصنَ كُحْلاَن قبلَ دخولِ العجم فيه، وكـانت العجمُ إذ ذاك في مدينـة يَـريم، فتسابقوا إلى الحصنِ المذكورِ، فدخـل المجـاهـدون قبـلَ وصـولِ العجمِ ، وكـان مطرحُ المجـاهدين في الحصن، وفي القرى التي تحتَهُ. ولما وصلوا هنالك أطلعوا ما قدروا عليه من الحبـوب، وشحنـوا الحصنَ ممـا يحتـاجُ إليه، وكان قدْرُ القومِ ثماني مئة وأكثرُهم من الحدا، وحين وصلت العجمُ، ووجدوهم قد قبضوا أُسقط في أيديهم، فتقدمت العجمُ على من في القرى، فوقع الحربُ بينهم، وأخرجهم العجمُ من القُرى وفرَّ من هنالك أكثرُ القومِ الذين لا يُعْبَأ بهم من الحدا، وغـوغاءِ الناس، ولم يبقَ في الحصنِ إلا مَنْ يُلام، وقبضت العجمُ جميعَ القرى الذي تحتَ الحصن، وشرعوا في محاصرةِ من في الحصنِ من جميعِ الجهات محاصرةً شديدةً، ولم يزالوا في كلِّ يومٍ يترامَوْن بالبنادِقِ والمدافعِ ، ويقعُ في العجمِ من رَمْي المجاهدين القتلُ الذريع. ومن أراد الدخولَ إلى الحصنِ فلا يمكنُه الدخولُ إلاّ ليلاً، وكذلك الخروجُ. وكتبَ إليَّ سيدي عزُّ

---

(١) في م، آخر غير.

الإسلام بتحقيقِ ما وقع، وأرسل فَرَسَهُ إلينا صحبةَ القاضي محسن العكام لعدم العَلفِ في الحصن. ثم عظُمَ الحصارُ من العجمِ الفُجّار، وأعوانهِم الأشرار، ووقعَ بينهم حروبٌ كبار، وأدركهم عيدُ الإفطار في تلك الدار.

ثم إنَّ عزَّ الإسلام كتبَ إلى أهلِ البلاد أعني بلاد يريم وخُبَّان والعَوْدِ وعَمَّار / وقَعْطَبة يحثُّهم على الجهادِ بالمالِ والرجالِ، فلم يُجِبْهُ إلاّ قليلٌ ممن يعرفُ الآلَ، وآخرون متربصون لما يقعُ في المآل. ٣٧أ

ثم إن مصطفى نافذ رئيسَ العجمِ المحاصرين، لمّا كادَ أن يعجزَ عن المحاصرةِ، كتَبَ إلى أحمد فيضي باشا أنه لا يمكنُ إخراجَ مَنْ في الحصنِ إلاّ بدراهمَ، فأرسلَ أحمد فيضي أركانَ حرب مأموراً لكشفِ الحقيقةِ، فلما وصل إلى هنالك أظهرَ الكبرياءَ والاستحقارَ، وأرسلَ إلى مَنْ في الحصنِ أن اخرجوا، والا فأذنوا بحربٍ، والمقصودُ مخادعةُ المجاهدين، فلما وصلَ إلى المجاهدين أرْهَبَ فأطنَبَ وخذَّل، فلما وجدهم في غايةِ ما يكونُ من الشدّ، وأبوا أن يخرجوا، أسرَّ إلى بعضِهم على جهةِ الكتمانِ كالنقيبِ عسكر بن عقلان الشعبي، ورجعَ إلى العجمِ، فخبَّرهم بما وقع ووجدَ من الشدَّة والإباء، فاغتاظ حينئذٍ أركانُ حرب، وعلاه الحزنُ والكرْب، وقال لابن ثوابَة[1]: نادِهم إنَّ الحربَ يومَ السبت. ومِنْ صُنْعِ اللهِ العلاّمِ، الذي أكرمَ به هذا الإمامَ ـ عليه السلام ـ أنَّ المجاهدين كانوا قد عطّلوا عن المؤونة، فلم يشعروا ليلةَ السبتِ نصفَ الليل الا بنحو عشرين رجلاً يحملون مونة عربي وشاشُخان من بعضِ أهلِ الإيمان في العَوْد، ففرحَ يومئذٍ المجاهدون وتفاءَلوا

(1) المقصود النقيب علي بن عبدالله ثوابه.

بأنّهم المنصورون. وكانت العجمُ قد أعدَّت لهذا الحرب ما لا يُوصف كثرةً من المدافعِ والبنادِقِ والعسكر الجرار، وكانوا أكثرَ من ألفَيْ رجلٍ، ثم تقدّموا فجرَ يومِ السبتِ، وحرّكوا المدافعَ تحريكاً يُذْهِلُ السامعَ ويصُكُّ المَسامعَ، وهجمت العجمُ أشدَّ الهجومَ حتى صار دخانُ الرمي كالغيومِ، ومرامُهم بذلك إرهابُ المجاهدين. فلمّا وصلوا إلى قربِ الحصنِ أطلقَ المجاهدون البنادقَ عليهم كالصواعقِ، وكان المجاهدون قد حفروا بالأمسِ لهم في الأرضِ وقايرَ. ومن حسن تدبيرِ المقدّمي عزِّ الإسلام، أنّهُ لم يُعْطِهم من المونةِ إلاّ كلَّ واحدٍ حبةً واحدةً لا غير، فَسُئِلَ عن ذلك، فقال: إنَّ العسكرَ إذا رأوا المونةَ قِبَلَهُمْ كثيراً عاجَلُوا بالرمي قبلَ اقترابِ العدوِّ، وحيث لم يُعطَ إلا واحدةً فيكون حريصاً عليها، فلا يضعُها إلا في موضعِها.

ثم إن عسكرَ العجمِ، بعدَ أن كثُر عليهم القتلُ انهزموا، فردَّتْهم الضباطُ بالسيوفِ القواطعِ والطوبجية بالمدافعِ، فهجموا مرةً أخرى، ثم انهزموا مرةً ثانيةً، وهكذا وفي كلِّ جملةٍ يُقْتَلُ منهم الجمُّ الغفيرُ، حتى أظلمَ الليلُ، فانهزمت العجمُ، راجعةً إلى مطارِحِها، وقد أُسقطِ في أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلُّوا، ورأى عدوُّ اللهِ أركانُ حرب ما أذهلَ عقلَهُ، فعزَمَ على الرحلةِ، وفوَّضَ الأمرَ إلى مصطفى نافذ، فأرسلَ مصطفى نافذ إلى النقيب عليّ بن عبدالله ثوابه بأن يعاوِدَ الصُّلْحَ، ويعرضَهُ على المجاهدين، ويكونَ من المُرْجفين ويخوِّفَهم ويرغِّبَهم، فاتفق بهم وبذلَ ما يقدرُ عليه من الترغيبِ والترهيبِ، ووسوسَ وسوَّلَ بأنْ يُعطيَ كلَّ واحدٍ من الدراهمِ ما أمَّل، فتمَّ له ذلك المُؤَمَّلُ، فرجعَ إلى العجمِ بصلحٍ متمّم بأن يسلموا للمجاهدين دراهم معدودةً بشروطٍ مشهودة، وبعدُ، وقعَ الاتفاق فيما بين مصطفى نافذ وسيدي

عزّ الإسلام لتمامِ الصلحِ. وكنتُ أرسلتُ رسولاً إلى حضرةِ سيدي عزّ الإسلام بمحتاج، فوصفَ لنا الرسولُ أنه دخلَ الحِصْنَ من ظهرِهِ لمّا كانت المدافعُ قد هَدَمَتْ الدوائرَ / ووصفَ أيضاً أنه رأى النسورَ [تحت الحصن][1] تأكلُ القتولَ، وذلك ثاني يومِ الحرب، وعرّفني سيدي عزُّ الإسلام ـ رحمه الله ـ أنّا لم نرضَ بالصلحِ إلّا بسببِ عدمِ أشياءَ محتاجاتٍ للعسكرِ وقلّة المؤونة، وصرتُ حائرَ الفكر، هكذا لفظُ مكتوبِهِ ـ رحمه الله ـ. ثم ذكرَ في حاوي بأنه بعدَ رقم هذا، وصلتْ مكاتيبُ من حضرةِ سيدي المولى، حفظه الله، بإرسال مدَدٍ صحبة القاضي أحمد بن محمد الشرعي، وقد وصلت المكاتيبُ بوصولِ المذكورِ ومن صحبته بلاد أرحب، ولابدَّ تستخيرُ الله تعالى بالبقاء وعدمِهِ، هكذا مضمونُ كتابهِ، وأرسل حينئذٍ للفرسِ المودَعةِ لدينا، وقُتِلَ في هذا الحربِ النقيبُ عسكر بن عقلان، ووقعتْ فيه رصاصةُ عربٍ، دخلت إليه من محلٍّ لا يمكن الدخولُ فيه. وكان المجاهدون يتهمون فيه بأنه يريدُ المخادعةَ. فلما قُتِلَ وجدوا في جيبِهِ مكتوباً يقضي بذلك، وكان أوّلَ هالك.

واستُشْهِدَ أيضاً في هذه الحروبِ الشيخُ الحاجُّ عليُّ بنُ أحمد القوسي، من مشائخِ الحدا وصالحيها، وصحَّ لدينا أن المقاتيلَ من الحدا في هذه الحروبِ أكثرُ من أربعِ مئةٍ، وأما المكاوين فلا يُحْصَوْنَ كثرةً.

وحين تمَّ الصلحُ، وقبضوا الدراهمَ المعلومةَ، عزموا على الارتحالِ بعدَ أنْ توثّقوا بأخذِ الرهائنِ خوفاً من الغدرِ، الذي هو طبعُ العجمِ الانذال. فهذا

٣٧ب

(١) الإضافة من م.

ما كان من خبرهم المأخوذِ على وجه الصّحة، العَريُّ عن الكذبِ في المقال.

ويعدَ أنْ عَزَمَ من كُحْلان توجَّهَ بمن بقيَ معه من العسكرِ نحوَ ثلاثين لا غيرَ إلى العَـوْدِ، واجتمعتْ معه رجالُ العَوْد، وتوجَّهَ بهم الى الشِعِرِ، وبعدَ وصـولِهم الشِعِـرَ هجمتْ عليهم العجمُ، الـذين كانوا في المنارِ، وقد وقعَ الحربُ بينهم، وكانت الغلبةُ في أوّلِ يومٍ للمجاهدين، وانهزمت العجمُ، فلَحِقَهم المجاهدونَ، وغَزَوْهم إلى المطرحِ ، وأحاطوا بهم في كلِّ جهةٍ، وكادوا أن يستسلموا وكانوا نحوَ طابورين، وبعدَ أن مدَّهم مصطفى نافذ بمن معـه ، فافتشلوا ـ أعني المجـاهـدين ـ ومن اجتمعَ إليهم من أهلِ الشِعِرِ والعَوْد، وانحاز السيدُ عزُّ الإسلام بِمن معه من أهلِ المشرقِ، وتوجّهوا بلادَ قَيْفَة [1] وبلادَ رداع حتى بلغوا إلى بني ضبيان [2]، وكان من أمرِهم ما كان مّما سيأتي ذكرُهُ ـ إن شاء الله ـ قريباً.

وفي شهر شوّال أطلقَ الإمامُ، عليه السلامُ، من الأسرى محمد بك، ومحمد أمين قائمي مقام بغداء.

وفي هذا الشهرِ، كان خروجُ جماعةٍ من العجمِ إلى حصن اللوّمي [3]

---

(1) قَيْفَة: من قبائل رداع، وهي بطن من مراد انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٢، معجم المقحفي، ٥٢٨.

(2) بنو ضبيان: ضبان قبيلة كبيرة من قبائل خولان في مشارق صنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٦٠.

(3) حصن اللومي: قرية من عزلـة عيال يحيى، ناحية جبال عيال يزيد، على مسافة ١٥كم غربي ريدة، انظر، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، ٣٠٧/٢، السيرة

قدرُهم اثنتا عشرة مئة، فطرحوا هنالك خارجَ القريةِ، فغزتْهم طائفةٌ من القبائلِ ليلًا، فبسببِ ذلك دخلوا البيوت.

ومن الغرائبِ، أنَّ بعضَ القبائلِ أقسم ألَّا يرجعَ حتى يغنم، وذلك لمّا فاته الغزوُ الذي تقدَّم، فقَعَدَ في موضع قريبٍ من العجمِ، فاتفقَ أنَّ ثلاثةَ نفرٍ من العجمِ، خرجوا لقضاءِ الحاجةِ قريباً منه فطعنَهُ، وأخذَ البندقَ، ولم يعلمْ به العجمُ إلّا بعدَ أن أخذَها وعَزَمَ، وأبرَّ الله القسم.

وفي اليومِ الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٠٩، خرجَ أحمد فيضي متوجهاً نحوَ القبلةِ، وقد استكثرَ خيلَه ورَجْلَه، وقبلَ خروجِه عقد مجلساً في صنعاءَ، لتدبير المسير والرُّجعا، كما هي عادةُ العجمِ في مشاورةِ أولي الأمر، فلما اجتمعوا سألَ ما الأولى؟ الابتداءُ بالشرفِ / أو قصدُ الإمام؟ ١٣٨أ فكلٌّ واحدٍ حضرَ ما عنده من الرأي، فقال أحمد فيضي: من أين ابتداءُ الفتنةِ واشتعالُ نارِ المحنة؟ فقيل له: من الإمام، فقال: هو المادةُ، والطبيبُ إنما يُداوى أولاً بقطعِ المادة، فأجمعوا على الابتداءِ بجهةِ الإمام. ولمّا وصَلَ إلى جَدِرٍ عثَرَ به فرسُه فشجَّه حتى تقيأ دماً. وكادَ الفرسُ يهلك فنُقِلَ سرجُه إلى آخر، فأخذَ من ذلك فالاً، أنَّهُ لابدَّ أن ينكسرَ، ويصدَّ عن مطلبِهِ ويتغيَّرَ، ولا يبلغَ بحولِ اللهِ سبحانه شيئاً من الوطر.

فصل

وأمّا الإمامُ - عليه السلامُ - فإنّهُ كتَبَ إلى عُقَّال حاشد، وحثَّهم على الجهادِ، وعرَّفهم ما أعدَّ الله للمجاهدين، فأجابوه بالسَّمْعِ والطاعةِ، وكتبَ

= المنصورية، ٢/٤٨٠، هامش ٤.

ـ عليه السلامُ ـ قاعدةً فيما بين حاشد وبكيل، وكلّ قبيل، بأنّهم يدٌ واحدةٌ على العدوِّ الأكبرِ، وأنَّ الصوتَ يجمعهُم، إلّا أنهم ما وفوا بل خادعوا، واختلفوا.

وفي الخامس والعشرين من الشهرِ المذكور، وصَلَ عدوُّ اللهِ بمن معه رَيْدة[1]، وأخرجَ أهلَها من البيوتِ، ودخل هو وعسكرُهُ.

وقعةٌ في حصن الظفير:

وفي هذه المدةِ، وقعَ حَربٌ في حصنِ الظفير، غزا العجمَ جمعٌ كثيرٌ من جبل نيسا، وقتلوا منهم جماعةً، واثني عشر مكاناً.

وفي اليوم الثاني من شهرِ القعدة دخل السنتين[2] في طاعةِ العجمِ، بعد أن اجتمعَ العسكر الذين كانوا في اللومي بالعسكرِ، الذين وصلَ بهم أحمد فيضي، ودخلوا السنتين وأخذوا منهم الرهائن، ثم بدا لأهلِ السنتين، فهربُوا وهـربتْ رهـائِنُهُمْ، وأرسلَ إلى خَمِر فوجدَ أهلَها قد فرّوا وغيرّوا الماءَ بأمرِ الإمام ـ عليه السلامُ ـ ولما بلغ أحمد فيضي أنَّ أكثرَ حاشد قد تركوا بيوتَهم وفروا، آيَسَ من طاعتِهم، وتقدّم على بني عبد.

---

(1) رَيْدة: شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٩كم، وهناك ريدة الصَيْعَر، ورَيْدَة الدين، وجبل رَيْدة، انظر، الاكليل، ١/٢٧٠، اليمن الكبرى، ٨١، ١٧٠، صفحات مجهولة، ١٩٠، قرة العيون، ٢٢٢، معالم الآثار، ٦٤، معجم المقحفي، ٢٨٠.

(2) السِنّتين: من قرى خَمِـرَ وهي السنتين العليا والسنتين السفلى، انـظر، معجم المقحفي، ٣٢٧.

وقعةُ بني عَبْد[1]:

وصفتها: أنَّ أحمد فيضي بِمَنْ معه من العساكِر، تقدّموا على بني عَبْد، وكان قَدْرُ الذين في القَرْيةِ ثلاثَ مئةٍ وخمسين، بعضُهم مبندقةٌ، وبعضهم عوَّادة، ومئتين من السُـودة[2] وبيت رطاس، وبيت ابن علا والأتهون. فلما تقدَّمت العجمُ، رمَتْ بالمدافعِ حتى أخربوا من البيوتِ الجدارات المواجهة لهم، ولم يَزَل العجمُ يزحفون ولا يبالون بمن قُتِل، وكان ابنُ علا في نوبةٍ، فوقعت رصاصةٌ في جدارِ النوبة[3]، فانهدم فوقَه، فاستُشهِدَ، رحمه اللهِ، وكان من الرؤساءِ فأخرجوه من تحتِ الهَدْمِ، واستمرَّ الحربُ إلى غروبِ الشمس، وبعدَ الغروبِ انسلّت العربُ قليلاً قليلاً، والعجمُ يزحفون. وكان قدرُ العجمِ خمسَ عشرةَ مئة ومدفعين كبار، ومدفعين صغار، واستمرَّ الحربُ إلى طلوعِ الفجرِ، إلّا أنّهُ لم يبقَ غيرُ عشرين رجلًا، فعندَ ذلك تيّقنوا أنّه لا طاقةَ لهم، فخـرجوا، وقد حصلت النكايةُ العظيمةُ في العجمِ، وانجلتِ المعركةُ عن ستين قتيلاً من العجمِ. ومن المجاهدين اثنان.

---

(1) بنو عَبْد: من قبائل بكيل، بجوار جبل عيال يزيد وأعمال عَمْران، انظر نشر العَرْف، ١/٣١٩، البدر الطالع، ١/١٣٣، معجم المقحفي، ٤٢٣.

(2) السُودة: في ذروة جبل حجاج من متوسط جبال السراة في بلاد حاشد، وبالشمال الغربي من عَمْرَان بمسافة ٤٤ كم، سميت بذلك لأنها كانت مكاناً للسُّوْد أي الفحم، والسُودة من خارف من بلاد خَمِر، انظر، نشر العرف، ٢/١٧٤ فرجة الهموم، ٣٦، اليمن الكبرى، ٨١، البدر الطالع، ٢/١٠٣.

(3) النوبة: البرج.

فلما طلعت الشمسُ، وتيقنت العجمُ أنه لم يبقَ أحدٌ في القريةِ، دخلوها، وأحرقوا فيها بعضاً من البيوت.

وفي اليومِ الثالث من شهرِ القعدة، دخلت العجمُ يشيع[1]، وبيت هراش، والمطرد[2] والعقيلي.

وفي رابعِ الشهر، توجّه سيفُ الإسلام، محمد بنُ الإمام المتوكل في قريبٍ من ستِّ مئةِ مقاتل، فلما وصلوا بيت غُثَيْمَة[3]، امتنعَ أهلُها/ أن يفتحوا لهم. وكانوا قد رهنوا العجمَ، فدخلها سيفُ الإسلام بِمن معه كُرْهاً وطَرَحُوا فيها.

٣٨ب

وفي هذه المدةِ وصلت الأخبارُ إلى الحضرةِ الشريفةِ أنَّ حاشداً قد نافقوا وأطاعوا العجمَ، ونقضوا العهودَ التي حكيناها فيما تقدَّمَ، وقبضوا منهم رشوةً.

وفي ذلك قال القاضي العلّامةُ الرباني، شيخُ الإسلام علي بن علي اليماني، هذه الأبيات[4]:

---

(1) يَشِيع: شمال غرب رَيْدَة، وهي من بني عبد، انظر، الاكليل، ١٦٤/٨، معجم المقحفي، ٧١٢.

(2) المَطْرَد: من قرى عيال سَريح في ناحية رَيْدَة البون، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٤.

(3) بنو غُثَيْمة: من بني صُريم من حاشد ومنهم: العفيرة ومجدان، والدرب، وبنو وهاس، انظر، المقحفي، ١٤٣، بيت غُثَيْمة، عزلة بناحية خَمِر، تشكل تُسيع من بني صُريم، معجم الحجري، ٢١٧/٢، التعداد السكاني لمحافظة صنعاء، ٣٩٦/٢.

(4) علي بن علي اليماني الصنعاني، ولد ١٢٧٢هـ، هاجر طرف الامام محمد المنصور سنة ١٣٠٩هـ، لقب بشيخ الاسلام، ت ١٣٥٠هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٤١. انظر القصيدة في أئمة اليمن، ٧٩/٢ - ٨٠.

[البسيط]

تأسَّ يا ابنَ رسولِ اللهِ بالرُّسلِ ... وبالوَصيِّ أمير المؤمنين علي

مدمِّرِ الصيدِ كشَّاف الكروبِ عن المختارِ إن صالَ أهلُ الغي والخَطَلِ

كم وقعةٍ تَرَكَ الأبطالَ خاويةً ... صرعى من القتلِ لا صرعى من الثَّمَلِ

وبالأئمةِ من أبناءِ حيدرةٍ ... شُمٌّ العَرَانين ضرّابين للقُلَلِ

بدورِ أفقِ سماءِ المجدِ متّبعي ... آثارِ سُنَّةِ خيرِ الرُّسْلِ (1) عن كُمُلِ

وفيهمُ القاسمُ المنصورُ من خَضَعَتْ ... لهُ الأعاجمُ في سَهْلٍ وفي جَبَلِ

فأغْمدَ السَّيْفَ في أعناقِهم وحَمىٰ ... دينَ المهيمنِ بالعسَّالةِ الذُّبلِ

سَلْ عنه أَثْلَةَ لما سَدَّ غارِبَها ... وسالَ فيه نجيعُ العارضِ الهطلِ

إذ جالَتِ الأُسْدُ مِنْ أبناءِ حاشدَ منْ ... لَهُمْ مِنَ المجدِ ما يربُو على زُحَلِ

يقودُهم سادةٌ غرٌّ لَهُمْ هِمَمٌ ... أبيّةٌ قُرِنَتْ في دَارَةِ الحَمَلَ

فطهّروا اليَمَنَ المَيْمُونَ من دَنَس الأ ... رجاسِ حَتّى مَشَوْا في أوْضَح السُّبُلِ

وقُمْتَ يا ابنَ أميرِ النحلِ معتصماً ... باللهِ لا طالباً للمالِ والخَوَلِ

ترجو النَّجاةَ بمرضاةِ الإله بتكلـ ... ـيلِ البغاةِ بلا عيٍّ ولا كَسَلِ

أقْرَيْتَهُمْ لَهْذَميَّاتٍ مهنَّدَةً ... وشيشخانَ ومرتا محكم العَمَلِ

تركْتَهُمْ جُزُراً في كلِّ معركةٍ ... للوَحْشِ والطَّيْرِ والنَّبّاح والثَعَلِ

لكنَّهمْ أيْقنوا أنْ لا بقاءَ لَهُمْ ... ما دامَ أسلحةُ الأنصارِ في كَفَلِ

فأعْمَلُوا الفِكْرَ لمَّا ضَاق مسْلُكُهمْ ... عنِ الكفاحِ أتَوْا بالمَكْرِ والحيلِ

جاءوا بأكْذَبِ تأمينٍ مخادَعةً ... كي يأخذوهُ نظاماً لا على عَجَلَ

فاجْمَعْ كتائِبَ أُسْدِ الغابِ قاطبةً ... مِنْ حاشدٍ وبكيل غيرَ ذي مَلَلِ

همُ هُمُ آلُ هَمْدان ابنِ زيدٍ لهُمْ ... تجاربٌ بِضِرابِ البيضِ والأسَلِ

---

(1) في أئمة اليمن، ٧٩، «الخلق».

هُمْ[1] جرَّعوا التُّرْكَ كاساتِ المنونِ وَسَلْ حِصْنَ الـظفيرِ ومـا لا قوْهُ من جَلَلِ

وفـيهـمُ الـضَّيْغَمُ الفتّـاكُ ناصِـرُهُمْ أعني ابنَ مبخوت نجلَ الدارعِ البطلِ

وبـارقٌ لاحَ فانـصبَّـتْ سحـائِبُـهُ بنـاقـعِ السُّمِّ في رغْـدٍ وفي زَحَـلِ

فثِقْ بمولاكَ مُعْطي النصرَ مَنْ نَصرَ الدِّ ين الـحنيفَ وهــذا النصــرُ فيه جلي

واثـبُـتْ ودُمْ في سُرورٍ ما حَييتَ على رغـمِ الأعــادي مِنْ حافٍ ومُنْتَعِـلِ

صلّى عليكَ إلــهُ العـرشِ ما طَلَعَتْ شمسُ الضُّحى بعدَ طه والإمامِ علي

والآلِ ما سارَتِ الـرُّكْـبـانُ قائـلةً تأسَّ يا ابنَ رسـولِ اللهِ بالـرُّسُـلِ

١٣٩أ / وفي هذه المدةِ كان دخولُ أحمد فيضي خَمِر، وكان قدْ سبقَه مقبل بن يحيى فارع، وكان أعظمَ مُتابعٍ، فَنَزَعَ الماءَ الذي قد تغيَّرَ، وأظهرَ أنه قد سعى بين الإمامِ وبين الأعاجِمِ بصلحٍ، مخادعةً منه لأجلِ تخذيلِ الصادق.

وفي ليلةِ دخـولِهم سَرَى مسعـودُ البارق، ومعه جماعةٌ، فَعَشَروا، إلى مطرحِ العجمِ، فقتلوا ثلاثةَ رجالٍ وبغلة.

وفيهـا غزا جمـاعةٌ من لدى سيفِ الإسلام إلى مطرحِ العجمِ، ودام الحـربُ إلى الصبـاحِ. هذا، وأما بنـو صُريم فتسلطن[1] أكثرُهم، فهم لا يُفلحون، ورهنوا عند العجم، وكان لهم رهائن لدى الإمام فأطلقها.

ثم إنَّ فيضي لمّا تمكَّنَ من بني صُريم، ثم بقبضِ الرهائنِ، فرَّقَ عليهم

---

(1) تسلطن: أي اتبع وأطاع السلطان، أي مالَ إلى العثمانيين.

---

(١) في أئمة اليمن، ٢/٨٠ «كم جرَّعوا».

مئتي بقرةٍ، ومئتي رأسِ غنم، ومئتي قدح طعام، وهكذا من أذعن للعجم اللئام.

وفي هذه المدةِ، وصلت الكتُب من سيفِ الإسلام إلى حضرةِ الإمام، عليه السلامُ، ومن حاشدٍ أيضاً: أنَّ أحمد فيضي أرسلَ مَنْ يسعىٰ بالصُّلحِ، فأجابَ الإمامُ، عليه السلامْ، أنَّ ذلك من الحيَل والخداعات التي يقصِدون بها تفريقَ الجماعاتِ، وأراد الشريفُ محمد الشويع، ومقبل بن يحيى[1] وغيرُهما من أعوانِ الظَّلمةِ الوصولَ إلى حضرةِ الإمامِ عليه السلامُ، لطلبِ الصُّلحِ، فكتَبَ الإمامُ عليه السلامُ، أنَّ الذِّمَّةَ بريئةٌ ممن وصلَ فلقِيتْهُمُ[1] المكاتيبُ قربَ وادعة، وقد كانوا وأصلين، فرجعوا خائبين، وأعلنَ الإمامُ عليه السلامُ أنه بريءٌ من الصُّلحِ وأهله.

وفي هذه المدةِ وصلت الحرفَ جماعةٌ من ذو غيلان. هذا، ولم يزلْ أحمد فيضي في خَمِر، والحربُ كلَّ ليلةٍ مستمر.

وفي هذه المدةِ أرسلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ من المقامِ عسكراً لغزوِ العجمِ إلى خَمِر، وكانوا نحوَ الثلاثِ مئةٍ، فوقعَ الحربُ بينهم وبينَ العجمِ هنالك إلى الصُّبْحِ، وبعد أن غزا المجاهدون إلى خَمِر، رجعتْ رجالُ خَارِف بلادَها، كذلك آلُ أبي الحسين وبني قيس، وبقيةُ المجاهدين عزموا وادعةَ وخيار وسفيان وعُصَيْمَات العلو والوطي، تحيزوا إلى سوق الغيل، وطَرَحوا

---

(1) هو مقبل بن يحيى، أبو فارع الحاشدي، انظر، أئمة اليمن، ٨٢.

---

(١) في أ، ع، فالقتهم.

هنالك حتى غزوا على العجمِ إلى الجِرَاف، وبينَ ما هم في الطريقَ إذ وجدوا السيّدَ حسينَ بنَ عبدالله، وعليَّ بنَ عزالدين، وهما من أعوانِ العجم، فامسكوهُما، وأنزلوهما، مدينةَ حُوث، ثم غزوا إلى بني غُثَيْمة، فخرجتْ قبائلُ من بني غُثَيْمة فرموهُمْ فاحتربوا، فقتلوا من بني غُثَيْمَة رجلين، وقُتِلَ من العُصَيْمات رجلٌ يُقال له أبو شوصى. ورجعتْ العُصَيْمَات ومن صحبتهم، وذلك القومُ الذين تحيّزوا إلى سوق الغيل، وكانوا طائفتين: طائفةٌ توجهتْ حوث وطائفةٌ وادعة. وبعد ذلك توجهت العجمُ إلى العَفّيرة[1]، وكتبَ فيضي إلى وادعةَ يرغّبُهم حتى أطاعوا، فنزلت العجمُ وادعةَ، وما زال المجاهدون المذكورون يناوشونهم الحربَ ليلاً ونهاراً، فتقدَّمت العجمُ إلى النجيد، وبعد ذلك رجعوا إلى وادعة، وتوجّهوا حُوث، والمجاهدون طرحوا في الباعرة، فلما رجعت العجمُ من حوث تلقاهم المجاهدون بالحرب في الباعرة، ونهضت العجمُ إلى خيار فلم يجدوا فيها أحداً. وكان جماعةٌ من المجاهدين بجبل عَجْمَر، فتقاتلوا هم وإياهم، وتقدّموا إلى مدينةِ حُوث، وفيها سيفُ الإسلام وجماعةٌ ففروا منها، وجعلوا يرمون العجمَ من جهتِهم، والذي في جبل عَجْمَر من جهتِهم، فدخلت العجمُ حوث وباتوا فيها/ وأحرقوا ثلاثةَ بيوتٍ وأخذوا فراشَ المسجدِ، وارتحلوا صبحَ تلك الليلة، فتلقاهم المجاهدون، ووقع حربٌ عظيم في وادعة حتى أدخلوهم القاسم[2]، وكان المجاهدون حينئذٍ على ثلاثةِ مقادمة: سيفُ الإسلام، محمدُ بنُ الإمام المتوكلِ، ومن معه في حوث، وسيدي أحمدُ بنُ عبدالله المطاع ومَنْ معه في جبل عَجْمَر، والقاضي عبدُالرحمنِ الجُماعي ومن معه في بركةِ القحّاز في جبل بني عبد. وبعد ذلك

٣٩ب

(1) العَفّيرة: عُزلة في جبل حَبَشي بالحجُرية، انظر، معجم المقحفي، ٤٥١.

(2) القاسم: من قبائل عِذر حاشد انظر، معجم المقحفي، ٥٠٢.

انتقلَ إلى الباعرة وفي بيتِ الحبشي، وما يليه، رجالٌ من العُصَيْمَات، ودارَ الحربُ بين المجاهدينَ والعجمِ من العصرِ إلى بعدِ العشاء، وكان ممتداً من بيت القحيم[1] إلى غيلة، وبات كل واحد مكانه.

وفي اليوم الثاني، فرَّت العربُ جميعاً، ولم يبقَ الا القاضي عبدُالرحمن الجُماعي ومسعود البارق، ونفرٌ يسير، فاحتربوا هُمْ والعجم حتى وصلوا وادي صلاح.

وفي هذه المحارب وقع في العجمِ قتولٌ نحوَ الثلاثين.

وفي هذه المدةِ وصلتْ إلى الإمامِ - عليه السلام - كتبٌ أُخِذَتْ من بعضِ ضبطية[2] العجمِ، اتفق به المجاهدون فقتلوه، وأخذوا ما معه، فإذا في ذلك مكاتيبُ إلى الإمامِ من بعضِ الشيعةِ من الشِعرِ والعَوْد. وقد أخذَها بعضُ أعوانِ العجمِ من الرسول، وأراد التقرُّبَ بها إلى أُحمد فيضي ليؤدبَ المكاتبين، فكفى الله المؤمنين.

وفي هذه المدة خرجَ المجاهدون من حصن الظفير، وياله من خذلانٍ كبير، وشرٍّ مستطيرٍ.

---

(1) القحيم: بلدة في شرعب من عزلة الشرقي من الرونة انظر، ترجيح الأطيار، ٣٩٩، معجم المقحفي، ٥٠٩.

(2) ضبطية: جنود الجندرمة اليمنيون أو ما كانوا يسمون الضبطية، انظر، التاريخ العسكري لليمن ٧٣/٢٥٢ (وهي قوات محلية تستخدم في قمع الحركات الوطنية بدلاً من القوات العثمانية الأصلية، يحملون الأوامر الادارية إلى الأهالي، وتذليل مشاكل جمع الضرائب، وجمع المعلومات للمباحث العامة، ويحفظون أمن الأسواق، وينقلون الرسائل، ويرافقون ويحرسون المسافرين الرسميين والحملات الحكومية.

وصفةُ خروجهم: أنه كان بعضُ رجالِ حاشدٍ يسيرون بالخديعةِ والمكرِ، فتوسَّطوا بينَ العجمِ وبينَ الشيخ ناصربن مبخوت الأحمر، وكان زعيمَ القوم، بأنْ يُسَلِّمَ العجمَ أحدَ عشر ألفَ ريالٍ ويخرجوا منه، فسُلِّمت العجمُ ذلك، وتمَّ لهمْ ما يقصدون، وخرجَ المجاهدون ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ. وأما من زعم أنَّ السببَ في الخروجِ، أنَّ العجمَ كانوا يتهدَّدون الشيخَ ناصربن مبخوت، بإخراب البيوت التي في الخمري في بلاد حاشد، فذلك عذرٌ كاذبٌ فاسد.

وإنما السببُ في ذلك حبُّ الفلوس، ورغبةٌ في حُطامِ الدنيا المنحوس. وكان ذلك أعظمَ شاغلٍ على العجمِ، فلما تمَّ لهم ذلك وانبرم، فرِح طاغيتُهُمْ أحمد فيضي فرحاً شديداً.

ثم إنَّ أحمد فيضي طغى بهِ كِبْرُه، واستولَتْ عليه الغفْلَةُ، وأبى إلاّ الوصولَ إلى القَفْلَة، ولما أراد ذلك، وخافَ من بني صُريم وخارف وخيار أن يأتوا من ورائِهِ أمرَ جبران الغشمي، ومقبل بن يحيى هادي ـ وكانا من ذوي الظُّلْمِ والتمادي ـ بأنْ يكتُبا إلى المذكورين، أنكم إنْ لم تصِلوا بالرهائنِ أولاً، فلا بدَّ من وصولِ العسكرِ إليكم، فافتشلوا، وهرَبَ كلُّ واحدٍ من بيته خوفاً من الغيلة، وتمَّتْ للشياطين الحيلةُ، وحينئذٍ عَزَمَ عدوُّ اللهِ متوجهاً نحوَ القَفْلَة. فلما وصلوا النجيد، تلقَّاهم القاضي عبدُالرحمن بمن معه من أهلِ الإيمان، وهم نحوُ خمسين إنسانٍ، فقاتَلوا قتالاً شديداً وقَتَلُوا جماعةً، وأتوا إلى حضرةِ الإمام برأسٍ من رؤوس العجمِ، واستُشْهِدَ من العربِ اثنان، وباتت العجمُ في الباعرة، والعربُ في الشَّطِّ[1]، فلما أصبحوا رَأَوا العجمَ قد

(1) الشط: عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار، انظر، معجم المقحفي، ٣٥٥.

نزلـوا بالليْلِ ، وأخـذوا الجبـالَ يميناً وشمالاً والخيلَ الوسط فتفرَّقت/العربُ ١٤٠أ
كعادتِهم ، وكان الإمامُ ـ عليه السلام ـ قد ارتحلَ من القَفْلَة ببعضِ أثقالِهِ ونيَّتُه الرجوعُ إلى القَفْلَة، وبعدَ عزمِهِ، لحقَهُ الخبرُ، أنَّ العربَ قد تفرقوا، فبـاتَ ـ عليه السـلامُ ـ في قريةٍ قريبةٍ من القَفْلَة يُقال لها قطبين [1]. وأما العجمُ فإنّهم وصلوا إلى الشَّط، فوقع بينهم وبين القاضي عبدالرحمن، ومن بقيَ معه حربٌ يسير، ثم فرُّوا وأحرقته العجم، وارتحلوا حتى وصلوا إلى قرب القَفْلَةِ، فرماهم جماعةٌ كانوا في جبل عَيْشان [2].

ثم إن العجمَ رموا إلى القَفْلَة؛ ليعلموا أهَلْ بقي فيها أحدٌ أم لا؟

فلما تيقّنوا أنه لم يبقَ أحدٌ دخلوها غيرَ آمنين، بل وَجِلين خوفاً من غدرِ العرب؛ لأنَّ الرَّميَ كلَّ حينٍ من الجبالِ المحيطةِ. وأما الإمامُ ومن معه فإنه ارتحـل إلى الفيش [3]، فبقيَ هنـالـك في أرغدِ عيشٍ ، والبدوُ يصلون إليه بالضّيافات. وأما العجمُ فإنهم لم يمكثُوا في القَفْلَةِ غيرَ ليلةِ الدّخولِ وليلةِ الخروج. وبعدَ إدبارِهم رجعت العلوجُ، وكانوا أحرقوا بعضَ بيوتِ القَفْلَةِ، ولم يبقَ في القَفْلَة غيرُ إخـوانِ القرود ، الملاعين اليهود، وذلك لما انغرز في جِبِلَّتِهم من حُبِّهم، والأرواحُ جنود، ثم رجعوا من طريق الخرطوم [4] لا يلوُون

---

(1) قُطبين: قرية على مسافة تسعة أميال من شُهارة، انظر، أئمة اليمن، ١٠٨.

(2) عَيْشَان: جبل وبلدة بالشمال الشرقي من شهارة وعلى بعد ٣١كم من مدينة حُوث غرباً، انظر، معجم المقحفي، ٤٨٣.

(3) الفيش: قرية غربي صعدة ببلاد الأزقول، انظر، اليمن الكبرى، ١١٩.

(4) الخـرطـوم: قرية من عزلـة البَـطـنـة في ناحية القَفْلَة وقضـاء خَمِرْ، انظر، معجم المقحفي، ٢١٣.

على شيءٍ، متوجهين خَمِر، وكانوا مشفقين من بني قيس، فأرسلوا نحوَ أربعِ مئةٍ. فلما وصلوا بيت حومي، نهبوا منه شيئاً من الحبوب.

وقعة نَمارة [1] في بلاد آنس:

وفي أوائل شهر الحجة الحرام سنة ١٣٠٩، كانت وقعةُ نَمارة من بلاد آنس.

وصفتُها: أنّهُ لما كان رابعَ عشرَ شهرِ شوال من هذه السنةِ، سنةِ ١٣٠٩هـ، أرسلَ الإمامُ،عليه السلام، السيدَ أحمدَ بن يحيى بن المتوكل، وحمّادي بنَ سعد الرَّوضي،وأصحَبَهما بالسيدِ الصفي أحمد بن قاسم حجر إلى حضرةِ سيفِ الإسلام، العماد يحيى بن الإمام ،حفظه الله، إلى العِنانَ [2]، وكان سيفُ الإسلام، هنالِك صحبة الأهلِ، كما سبقت الإشارةُ إلى ذلك، وكتب إليه الإمامُ أن يجمعَ العُقّال، أي عُقّال ذي غيلان ويحثُّهم على الجهاد، فجمعهم سيفُ الإسلام العماد، وعرّفهم بما عرَّفه به والدُه.

ثم أرسلَ سيدي الصفي أحمد بن قاسم حجر إلى الجوف، فاجتمع من أطاعَ من الجوف ومن ذو غيلان، وعزموا صحبة سيفِ الإسلام إلى الحرف [3].

---

(1) نَمارة: قرية من عُزلة الظهر في مخلاف بني قُشيب، التابع لناحية جبل الشرق في آنس، انظر، معجم المقحفي، ٦٦٥.

(2) العِنَان: بلد في بَرَط فيه مركز الناحية، وآل عنان من حاشد انظر، معجم المقحفي، ٤٦٧.

(3) الحرف أي حرف سُفيان: مدينة تابعة إدارياً لقضاء خَمِر، وبها مركز ناحية بلاد سفيان من بكيل انظر التعداد (مجلد صنعاء)، ٦٧/١، ٢٦٥، معجم المقحفي، ١٦٨.

وكان قدرُهم من ذو حسين قدرَ أربعِ مئةٍ وعشرين فارساً، ومن ذو غيلان نحو ثلاث مئة. وقد كان سيفُ الإسلام أرسل رهائِنَهم إلى الحضرةِ الشريفةِ، فأقامَ القـومُ المجتمعـون ثلاثـةَ أيامٍ في الحرف، منتظرين جوابَ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وأمْرَهُ الرشيدَ السَّديد، فوصل إليهم الجوابُ، بأنهم يعزمون للجهاد صُحبة السيدِ الهمامِ، عزِّ الإسلام، محمد بن الحسين بن عباس، فعزموا بعدَ ورودِ الجوابِ بلا توانٍ، وباتوا تلك الليلةَ في خَيْوان[1]، وعزم صحبتهم الفقيه حمـادي الرَّوضي، لتقسيمِ الصـرفةِ والمحتاج. وبعدَ عزمِهم كتبوا من أثناءِ الـطريقِ إلى سيدي عزِّ الإسـلام، وكـان قد كَتَبَ إليه ذلـك الإمامُ، عليه السلام، فوصلت إليه المكاتيبُ، وكان قد عقدَ بابنةِ الحاج صالح الحميدي، ولم يكنْ قد دخل بها، ولعل أنها كالمعيدي.

فلما وصلت إليه الكتبُ ترَكَ الأعراسَ، وتلقى المجاهدين ذوي الباس، وصحبته جماعة من بني ضبيان، وكانوا من أهلِ الصدق في السر والإعلان. فلمـا وصل / المقدمي، والقومُ إلى بعضِ الطريقِ، سألوا الصيرفيَّ الفقيهَ حمـادي الروضي، أين سيكونُ مقصدُهم؟ لأنَّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ، لم يُعَرِّفْهُمْ أينَ سيكونُ توجُّهُهُمْ، ومرادُهُم يعزمون اليمنَ؛ لأنّه محلُّ اختبارِهم، فأجـابَ عليهم الفقيهُ حمادي بأنَّ طريقَ اليمنِ مسدودةٌ، وأن فيها تُركاً، ما

٤٠ب

---

(1) خَيْوان: بلدة مشهـورة في حُوث إلى الجنوب من حرف سُفْيان، وفي الشمال من صنعـاء بمسـافة ١٢٢كم، انظر، الاكليل، ٩١/١، معجم البلدان ٤١٥/٢، نشر العرف، ٦٨٩/١، معالم الآثار، ٦٨، صفة جزيرة العرب، ١١٥، معجم الحجري، ٢١٥/٢، ٢٢٣.

يمكنُ نزولُها، ولكنْ الأولى، نعزمُ من الحدا إلى جَهْران[1] ثم إلى بلاد آنس، ونقاربُ الشيعةَ في الحَيمة وعانز، فإن وجدنا عملاً ينفعُ المسلمين فذاك، وإلاّ فقدرُ الطريق إلى اليمن أقرب،فوقعَ في قلوبِهم ذلك الرأيُ.

ذكرُ ما دهم من الامتحانِ والابتلاءِ الذي عَمَّ أهلَ الإيمان:

وهو ابتداءُ المرضِ في المقدمي مولانا عزِّ الإسلام، فإنه ابتدأ به المرضُ في أطرافِ بلاد خَوْلان، فأَمَرَهم يحملونه على النعشِ، فحملوه حتى وصلوا طرف نقيل المنشية[2]، وأرسلوا عيوناً تأتي لهم بأخبارِ العجمِ من مدينة ضَوْران، فوصلت العيونُ، وأخبروا أنْ ليسَ في مدينةِ ضَوْران غيرُ مئتين فقط، فهَمَّ المجاهدون بالقدوم لِيهجموا عليهم إلى ذلك المكان، فمنعهم عزُّ الإسلام عن ذلك المرام، وخوفاً من كسرِ بيْضَتِهم في أوّلِ الكلام.

ثم عزمَ القومُ أجمع إلى سوقِ أسلع، وكبتوا إلى الشيخ علي المقداد يلقاهم، فلما وصلوا إلى مقابل ضَوْران، وجدَ المقدميّ في نفسِه خفَّةً، فأنزلوه عن النعشِ، وركبَ على الفرسِ، ونَشَر الرايات، وحرَّضَ القومَ على الثباتِ عند الملاقاةِ وظنّوا أنَّ من في ضَوْران سيرمونهم لقربِ المكان. فلم يحصلْ منهم عدوانٌ. وتلقى المقدميُّ أهلُ القرى المحيطة. وبعدَ وصولِ الشيخِ

---

(1) جَهْران: أرض واسعة في الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة ٦٦كم، جنوبي نُقيل يسلح وشمال ذمار تسمى حقل جَهْران، وجهران ناحية من أعمال آنس وتعرف بقاع جهران وهو المقصود هنا، انظر، معجم المقحفي، ١٨٤.

(2) المنشية: من قرى جَهْران جنوبي صنعاء، انظر، المقحفي، ٦٣٣.

علي المقداد أجمعوا على عزمهم [(١)... الجمعة، وحينئذٍ وصلهم الشيخ علي البليلي، قد وصل ضَوْران بجماعة من عُقَّال خَوْلان وضبطية وعجم] (١). وخبر آخر أنها وصلت نحو ثماني مئة عجمٍ من ذمار وزيادة إلى ضَوْران. فلما وصلَ المجاهدون إلى الجمعة(٢) أقبلت العجم على جهةِ السرعة، فرتبوا جبلَ بني قُشيب(1) ويسمى شوحاط(2) وقرية الشُمةُ، فباتَ العجمُ في البيوتِ، ولما رتب المجاهدون الجبلَ غفِلوا عن شرطةٍ واحدةٍ فأهملوها، وعزَم منهم خمسون نفراً في الليل يغزون مطرحَ العجم، فوجدوهم قد تحصَّنوا في البيوتِ، فلمَّا طلَع الفجرُ تقدَّمت العجمُ وحَمي الوطيسُ وهجمت العجمُ حتى اختلطوا هم والعربُ ثلاثَ مراتٍ. ووقعَ من العجمِ قتولٌ كثيرةٌ، واشتدَّ الحربُ إلى الظهرِ.

ثم إن بعضَ أهلِ البلادِ والشيخَ علي بن عبدالله العامري دلَّ العجمَ على تلك الشرطةِ التي أُغْفِلَتْ، ومن حسنِ صنيعِ الله سبحانه، أنَّ المجاهدين كانوا قد تنَّبهوا لها بعد الغفلةِ، فأرسلوا إليها جماعةً، فلم يشعروا بعدَ صلاةِ الفجر الا بالشيخِ علي البليلي طالعاً، وصحبته جماعةُ عجمٍ

(1) القشيب: هم بنو القشيبي من حاشد، والقشيب، حي من حمير، وبنو القشيب من قبائل مأرب، انظر، الاكليل، ٢/١٦٧، ٢٨٣، وقشيب، قبيلة في خولان ابن عامر بصعدة أسافل رازح، وبنو قشيب، عزلة من ناحية السَلْفية وأعمال ريمة، وبنو قشيب، عزلة في آنس انظر أيضاً، اليمن الكبرى، ١٨٨، معجم المقحفي، ٥١٦.

(2) شوحاط: (نقيل شوحاط)، انظر أئمة اليمن، ٨٤.

(١ ١) الإضافة من م.

(٢) جمعة آنس.

وعـرب ، ولم يدرِ المنحـوسُ أنَّ ذلـك لحيْنهِ ، فلما نظرهم مَنْ في الشَرْطةِ، أرسلوا عليهم البنادقَ، فكان على البليلي أوَّلَ قتيلٍ، وحاق به مكرُه الـوبيل. وقُتِـلَ أيضاً جماعةٌ من أصحابهِ، واستولى المجاهدون على رأسِهِ وسَلْبـهِ، وأراحَ الله المسلمين والإسـلامَ منه. ومن غيِّهِ وذربهِ، وكان الشقيُّ المنحوسُ قد جمعَ الحبال في اليوم الأوَّلَ ، وأعدَّها لربطِ الرجالِ والإبانة لابدَّ يربطُ بتلك الحبالِ جميعَ مَنْ في الجبلِ ، وصار يتفوَّه بكلامٍ قبيحٍ في الجانبِ المصون، أعزَّه الله، فإنَّه ما زال ناصباً بعداوةِ هذا الإمام.

فالله يكافيه بقبيحِ عَمَلِهِ في يومِ العَرْضِ والزّحام. ثم إنه التحمَ الحربُ بين العربِ والعجمِ كما تقدم، فدخلت العجمُ الجُمعة / وانتقل المجاهدون إلى قريةٍ يُقـال لهـا قُرُف، وفرَّمَنْ كان في الجانبِ العدني، وأما من جهةِ المقدّمي في نَمارة، وجهةِ الشرق في قريةِ الشُمُةَ فدام الحربُ إلى الليلِ، ثم إن المقدمي نظرَ إلى من بقيَ من المجاهدين، فإذا لم يبقَ الا النِّصْفُ فعزَمَ بهم إلى عدني جبل الشرق[1]، وهـم قدرُ مئتين وخمسين، وأما الذين فرّوا فباتوا ليلَتَهُمْ.

٤أ

وفي اليومِ الثاني عزَم منهم قدرُ مئةِ نفرٍ، أَكْثَرُهُمْ من ذو حسين، فيهم الشيخ صالح بن عبدان، والباقون نزلوا قرية أدمام[2]، ودخلوا مدينةَ العبيد[3]

(1) جبل الشِرْقَ: جبل مشهور بالغرب من ضُوْران ومن أعمال آنس تعرف بجبل الشرِق انظر معجم المقحفي، ٣٥٣.

(2) قرية أدمام، انظر، السيرة المنصورية، ١٤١.

(3) مدينة العبيد: قرية في آنس فيما بين حَمَّام علي ومدينة عُبَال في الطريق إلى الحديدة وهي المعروفة اليوم باسم مدينة الشَرْق، انظر، معجم المقحفي، ٤٢٦.

والتقَوْا هم والمقدمي في بيتِ الجمرة، وذلك في يوم عرفة سنة ١٣٠٩، ونزلـوا جبلَ بني أسعـد[1] وفيه كثيـرٌ من الشيعـة، فتلقَّوْهُمْ بـالعقايـرِ وقابلـوهم بالطاعةِ، وساقوا الكفايات.

ويومَ ثالثَ عشرَ الحجةِ نزلوا قريةَ الأشنوم، ومكثوا هنالك ثلاثة أيامٍ.

ووصلتْ إلى المقدمي عزّ الإسلام، كتبٌ من أهلِ جبل عانز يريدون الوصولَ إليهم، فلم يُسْعِدْهم المقدميُّ بالوصولِ لقلّةِ مَنْ بقيَ معه من الناس.

وفي هذه المدةِ طلعَ من الحَجَيْلة[2] قدرُ ستِ مئةٍ من العجمِ غارة، ونزلَ آخرون من ضَوْرَان إلى سوقِ الجُمعة، فوقع الحربُ بينهم وبين المجاهدين ومكثوا هنالك قدرَ ثمانٍ، وكان قدرُ القتلى من العجمِ مئةً وأربعين، ومثلُهم من المكاوين، وسلبوهم من البنادقِ أربعين، ثمَّ رجعَ العجمُ ضَوْرَان، فلما وصلوا إلى هجرة أحْلَال[3] أحاطوا بها، ووقعَ بينهم وبينَ أهلِ القريةِ حربُ يوم، وبعـد ذلك أخذوها ونهبوها. فلما بلغَ المقدميُّ رجوعُهم، استقرَّ في سوقِ الخميسِ في بني أسعد وطلب منهم الحقوقَ فسلّموها مختارين، ثم

---

(1) جبل بني أسعد: أسعد، جبل شامخ بالشرق من بلدة أريان انظر، معجم المقحفي، ٢٩.

(2) حَجَيْلة: شمال صنعاء، من أرحب، أسفل حصن القاهرة من الغرب انظر، اليمن الكبرى، ٥٩، معالم الآثار، ٥٩.

(3) أحْلال: من قرى آنس ضوران، انظر، معجم الحجري، ١/ ٢٧٩.

طلعَ عزلـة أدمـام. فلمـا وصـلَ تحتَ قرية مصطح(1)، وكان فيها القاضي أحمدُ بنُ حسن الغشم من أعوانِ العجمِ، وكان قد أرسلَ إليه المقدمي عزُّ الإسلام طَلَـب الوصولَ إليه فلم يَسْعَدْ. فعزمَ المقدمي على دخولِ القريةِ فدخل بِمَنْ مَعَهُ بعدَ العصرِ، وكان ذلك في وقتِ نزولِ مطرٍ عظيمٍ، فما شعر أهلُ البيوتِ إلا بالعسكرِ قد دخلوا بيْتَ القاضي، فإنه مرتب، فلما انجلى المطرُ أمرَ المقدمي بالهجومِ على بيتِ القاضي أحمد، فبعضهُم طلَعَ من الـدائر(1)، وبعضُ العسكرِ صارَ يُخَرِّبُ في الدائر، فحضرت الواسطةُ على خروجِ القاضي ودخولِ المقدمي بيتَه هو وعشرة أنفارٍ، وبعدَ ذلك بذَلَ مالاً على أن يبقى في بيتِهِ، فلم يسْعَدْ، وقال: لا بدَّ من إيصالِهِ إلى الإمام، وبقي المقدمي في بيتِ القاضي أحمد يومين، وعزم بعدَ صلاةِ الظهر قرية قُرُف والقاضي صحبتَه، وبقي في قُرُفٍ يومين، ووصلتْ إليه العيونُ - أي إلى المقدمي - أنَّ العجمَ الذين في ضوْرَان لابدَّ أن يقدموا عليه، وكان المقدمي في قرية قُرُف، وهي غيرُ حصينةٍ، فتحيَّرَ بمَنْ معه إلى قريةٍ يُقال لها: بني جابر، فباتَ في تلك القريةِ بمن معه، وهم ستون رجلاً لا غيرَ، ومصطفى نافذ ومعه قدرُ اثنتي عشرة مئة وصلَ إلى قريةِ قُرُف وبين المقدمي وبينَ العجم قدرُ أربعةِ أميال.

فلما لم يجد المقدميُّ نصابَ الحربِ، وافتَسحَ من لديه الشيخ علي

---

(1) مصطح، (مسطح)، هجــرة القضاة بني أحمد بن يحيى الآنسي من ناحية جبل الشرق ببلاد آنس، انظر، أئمة اليمن، ٢٣٧.

---

(١) في ع، الدوائر.

المقـداد، والشيخ أحمـد جهـوان، عزَمَ على السفرِ، وكان حينئذٍ قد اشتدَّ بالمقدمي المرضُ، فسافروا بهِ على النعشِ، وبقوا قدرَ ثمانيةِ أيامٍ في بُراح أسفل جبل بني أسعد، وبعدَ ذلك حملوه على أعناقِ الرجالِ إلى أن أوْصَلوه إلى قريةِ الشنبلي[1] في خَوْلان، والقـاضي أحمـد بن حسن الغشم صحبته أسير، وسيأتي خبرُ وفاتِهِ رحمهُ الله. فهذا ما كان في وقعةِ نَمارة.

فصـــل

وأما أحمد فيضي، فإنّه بعدَ رجوعِهِ من القَفْلَةِ في شهرِ الحجة، بقي في الجراف، ولم يزلْ يُكاتبُ المشايخ بالترغيبِ، ومرامُهُ إطلاقُ الأسارى. فكتبوا بذلك إلى الإمام ـ عليه السلامُ ـ فأجابَ عليهم: أنْ لا بأسَ، لكنْ بشروط، فلم يرضَ بهـا أحمد فيضي، وعزمَ من طريقِ الجِراف، وطرحَ في خَيْوان، وقصدُه دخولُ بَرَط لإخراج الأسارى، /واستصحب جماعةً من مشايخِ حاشدٍ، ٤١ب وغيرهم، وكان أحمد فيضي قد كتبَ إلى النقيب محسن بن قائد أبو راس، وغيره من عُقّال ذو محمد بأن يُسَلّموا الأسارى إليه، ومَنّاهُمْ بالأموالِ الجليلةِ، فأجابوا عليه بأنْ يصلَ إليهم، ويكون أخذهم بصورةِ الغَلَبةِ، لأجلِ يكون لهم عُذر عند الإمام ـ عليه السلام ـ ولما بلغ الإمام عليه السلامُ، عزمُ العجمِ نحو بَرَط، كتَبَ إلى سيفِ الإسلام بأن يُعزّم الاسارى، ولا يبقيهم في بَرَط، فلم يتَّفِقْ له ذلك المرام، لأن الشقيَّ أبا راس وغيره من العُقّالِ الأرجاسِ، قد أرسلُوا رُتْبَةً لحفظِهم، إذا أراد سيفُ الإسلام الارتحال منعوه.

فلما وصلَ أحمد فيضي شِعْبَ النيل، تلقّاه سيفُ الإسلام، ومعه عسكرٌ

---

(1) الشنبلي: قرية من اليمانية العليا في خَوْلان العالية، انظر، أئمة اليمن، ١٠٥.

قليلٌ أكثرُهُمْ من ذو حسين، فوقع الحربُ بينهم وبينَ العجمِ، وقُتِلَ من العجمِ قدرُ عشرةٍ، واستُشْهِدَ من ذو حسين ثلاثةٌ. فلما علم سيفُ الإسلام، حفظه الله، بأن ذو محمد، قد تمالئوا على الغدرِ، وارتدّوا بلباسِ الذَّمِّ إلى آخرِ الدهرِ، سارَ ليأخذَ الأسارى، فوجدَ جماعةً من ذو محمدٍ قد أرصدوا لمنعِهِ منهم، حتى همُّوا بقتلِهِ، قتلهُم الله أنى يؤفكون، فعندَ ذلك ارتحلَ سيفُ الإسلام بأهلِهِ، ووصلَ عدوُّ اللهِ أحمد فيضي إلى بَرَط، فسلَّم إليه ذو محمد الأسارى، فكانَ عاقبة أمرهم خسارى وتبارى.

فأما أحمد فيضي فإنّه قلبَ لهم ظَهْرَ المِجَنِّ، ولم يُعْطِهم شيئاً من ذلك الثمنِ الذي باعوا دينَهم ودنياهم، ولقد صارَ ذلك ختامَ أيّام ذو غيلان، ومبدأ العقوبة والهوانِ والذلِ والخولان، ومما قاله الإمامُ، عليه السلامُ، في هذه القضية، التي اسوَّد لها الملوان، والتخميسُ للفقيهِ العلّامةِ الصفي أحمد بن محمد الجِنْدَاري وهي هذه:

[الوافر]

نسـيمُ الـريحِ أمْ برق الـعَـشيَّه — أمِ الـطَّيْرُ الـخِـفـافُ الأقـدمية
أريدُ لِبَـثِّ ما تحـوي الـطَّوية — على دقـسـاءَ عنـقـا شَدُّقـميَّة
صَلَخْدمَ عَيْدَ هورٍ أعرُبية.

تجـوزُ سريعـةً غبـرُ الـقـتـامِ — وتـطوي غيرَ مُسْـدَلَـةِ الـظَّلامِ
محـرِّكـةُ الـقـوادمِ في الأكـامِ — تجـوبُ الأرضَ مِنْ يُمْـنٍ وشـامِ
وشرقٍ والنواحي المغرِبيَّة

يمـرُّ بهـا على أُمِّ الـرواسـي — جهـاراً في النّهـارِ وفي الغـلاسي

تحمّلتِ العبيرَ وطيبَ آسي   تحيّي بالسّلامِ على أُناسي

تواصَوْا بالجهادِ بحُسنِ نيّة.

سلامُ اللهِ ما هَمَلَ الغَمَامُ   وما ابتسمَ اللينوفرُ والخَزَامُ

على من للجهادِ نَوَوْا وقاموا   وليسَ لَهُمْ من الدُّنيا مَرامُ

بل اتّبعوا نُصوصاتٍ جلية

فمنهم في الجنانِ وفي ظلالٍ   ومنهمْ كَمْ أبادَ مِنَ الضَّلالِ

وما بخَلوا من الدنيا بحالٍ   فأفْنَوْا في الجهادِ نفيسَ مالِ

وباعوا أنفساً منهم رضيّة

/ وهمْ عنْ نهبةِ الأموالِ صَوْمٌ   بل اشهبوا ولا عتبٌ وَلَوْمُ ٤٢

وسامَهُمُ المشارِقُ والخصومُ   وهُمْ في أعينِ الجُهّالِ قَوْمٌ

ضِعافٌ يُنْسَبُون إلى الرعيَّه

تَراهُمْ في الحروبِ وفي الصحارى   يسوقون الحِمامَ لهم جَهارا

فكم أخذوا مِنَ الأعداءِ ثارا   فحازوا الفخرَ واعتقلوا الأسارى

وساقُوهُمْ إلى المدنِ القَصِيَّة

أتوا بالعُجْمِ من فجٍّ ذريعٍ   ولَمْ يردَعْهُمُ قولُ الشَّفيع

لحتى إمتلا رحب الوسيع   فسقناهُمْ إلى جبلٍ منيع

إلى بَرَط إلى قومٍ رديَّه

إلى قوم بنوا للعيبِ حدراً   وقد سَدَلُوا على أعلاه ستراً

فلما نافقوهُ بدوه جَهْراً   فباعُوهم من الأتراك عَذْراً

وعيباً حسْبُهُمْ ربُّ البريه

لمــاذا يا قبــائــلَنــا فَشِــلْتُــم أمِــنْ فيضي والتــركـي فزِعْـتُـمْ
فأين الـعُـســوبُ الــلاتـي لبسْتُمْ ألا يا ذو محــمــد إن غدرتــم
بخالقِكم صَبَرْتُم للبلية.

أيُهْـمَــلُ حقُّنــا والخيلُ تجــري وتُـتْــرَكُ والـهــوادم بيض تفــري
وربُّ العـرشِ بالمـرصادِ يَدْري[1] وإن خنْـتُـم أمــانـتكـم بمـكــرِ
فمكرُ اللهِ يأتي بالجليَّة

أرَدْنــا أنْ نُعـيدَ الـنـجسَ طُهْــراً وأنْ نجعــلْ ظَلامَ الـليلِ فجــرا
ورفــعُ الـهــدمِ ذاك يريدُ فخــرا أمــنّــاكــم على الأهــلين طرا
وكنتم عندنا عَيْناً مضيّة.

ركَـنَّــا في قرابـتِـنــا عليكُــمْ وأنــصــار لنــا وصَـلَتْ إلـيكــم
وهــيَّأنــا لَهُــمْ وطــنــاً لديكُــمْ وسُــقْـنــا كلَّ مأســورٍ إلـيكــم
لنحيي ذِكْرَكُمْ بعدَ الدنية

ومــا سِرْتُــم لخــالـقِكُمْ مسيراً ولا كافَــحْــتُــم الأعــدا سيراً
ولا عمِلَـتْ جمــاعَــتـكُـم نقيراً ومــا أَسَــرَتْ أكُــفُّـكُــم أســيراً
ولكنَّ ذاك من فضلِ الرعيّة

فهَــلْ حيرٌ لكُــمْ حتــى نُرَجّــي فزِعْــتُــم مِنْ حِبــالاتٍ وخــرجِ
رُعِـبْتُـم حين قال الـنــاسُ انجـوا وخِــفْـتَــم منــهُـمُ سطوات عِلْجِ
وسيف الحق أخوف في البليّـة

ضَرَبْتُمْ عن مقــالِ النــاسِ صفحــاً وعـنْ تقــريعـهـم والـلّوْمِ كَشْحــا

(١) في أ، يبري.

وقـلتـمْ تأخـذ الامـر قبـحـا(٢) إذا سالَـمْـتُـمُ الأتـراكَ (1) صُبْـحـا
فَدَوْلَتُهُم تُوَلّي بالعشية

فعـزرائـيلُ كَمْ قدْ حسَّ مَوْتـا وجُـنْـدُ الحـقِّ كَمْ قَدْ حَتَّ حتـاً
ونـحـن الـوارثـون الأرضَ بتّـاً ومـا يبـقـى سوى الـثَّـقَـلِينْ حتّى
ورودِ الحوضِ دولتُهم مضية

تَحَّـمـلْتُم لكـلِّ الـنـاسِ ذمّـاً لَبِـسْـتُـمْ مِنْ ثيابِ الـذُّلِّ هَدْمـا
فتـبّـاً ثمَّ سحُـقـاً ثم هضـمـاً فيبـقـى الـعـارُ في أولادِكـم ما
بقي الثقلانِ إن جَهِلَ الغبية

أَزَلْـتُـمْ ما لكـم فيه نُجـاراً غَسَـلْتُـم نيلَ أوجُـهِـكُـمْ تَبـاراً
يكـونـوا أولَ الـشـاوين ناراً تخـونـوا في خبـيتِـكـم جهـاراً
ويأبى الله أن تخفى الخبية

/فمـا قامَـتْ عزائمكُـم بصـدقٍ وقـد كُنْـتُـم لديهـم مثـلَ رقٍّ ٤٢ب
وأنـتـمْ بَيْنَ محـبـوسٍ ومُـلقـى فلو راقـبـتـم سطواتِ حقٍّ
لما خُنْتُمْ وغَدْرُكُم سجية

فَكَـمْ مِنْ حافـرٍ بئـرٍ تَرّدا بهـا والـغـدرُ شؤمٌ إن تَرّدا
ومـن زَرَعَ الـقبيح يسـوءُ حصْـدا فكـمْ مِنْ خائـنٍ منـكـم تردا
ثيابَ الموتْ وادَّرَعَ المنية

لنـا الـخـيلُ الـتي ما بينَ أدْهـمْ وأشـقـرَ ثمَّ مسـروجٍ ومُـلْجَـمْ

---

(1) البيت فيه خلل عروضي.

---

(١) في م، الأعداء

(٢) في م، تغنى، ع، تنسى

عليهـا الـصَّـيْدكَـمْ منـهـمْ مُسَـوَّمْ عَدِمْنـا الـخيلَ والأنـصـارَ إنْ لَمْ
نؤاخِذْكُم بشأنِ الأغدرية
فأنـتـمْ بالـجـهـادِ بذاكَ أبـدا[1] لأنَّ الـحـدَّ منـكـمْ قد تَعَـدَّا
سنـأخُـذُكـم معـاً زَوْجـاً وفـردا لِيَعْـلَمَ مَنْ يخـونُ الله بَعـدا
بقبحِ الغدرِ والشِّيَمِ الرَّدِيّة[2]
نُريكُـمْ كَيْفَ صادِقَـةُ الـنِّـزالِ وضَـرْبُ البيضِ في صدرِ القتالِ
بأنـصـارٍ تُحِسُّ ولا تُبـالـي ونـأخُـذُكُمْ بأطـرافِ الـعَـوَالـي
وأشطاب السيوفِ المشرفّية
[3]فـلو كُنْـتُـم تَرَوْنَ الـعيبَ عاراً وخَلْفُ الـوعـدِ عنـدكُمُ خسـاراً
لِمـا كُنْـتُـمْ لِذالِـكُـمُـو قراراً ظَنَـنْـتُـمْ أنَّ في بَرَط فخـاراً
وبعدَ الغدرِ أينَ الأفخريه[3]
فهـلْ كُنتُم كمـا القـومِ الـطيالِ فلمّـا تنـكـثـوا عهـداً بحـالِ
ولا لبسـوا المَـذَلَّـة في الرجـالِ فأمّـا ذو حسـينٍ فبـالـمعـالـي[4]
سَمَتْ بهم إلى الرُّتَبِ العليَّة
فَسَـلْ حادي الـرَّحيل يُريكَ عَنْهُمْ مَفـاخِـرَ لا تُعِـد أولاء هُمُ هُمْ
سلامُ الله مُنـهـلٌّ عليهـم فمـا خانـوا أمانَتَهُـمْ ومنْهُمْ
رجالٌ في الحبوسِ وفي الدنيّة

---

(١) في ع، م، اذاً لأبدا

(٢) في ع، السنيه، وفي م، الدنية

(٣ ٣) سقطت من ع

(٤) فيع، م ففي المعالي

فمـا من عامـلٍ إلا سيُجـزى [(1) ....](1)
[(2)](2) جزاهـم ربُّـهـم خيراً وعـزاً
وجنّبهُمْ شرورَ الأزرقية

وبعد، فإنَّ هذه القضيةَ لم تُحَصّل بها ذو غيلان إلاّ كلَّ رزِّيةٍ، وابتلاهم الله بعدَها بكلِّ بلية.

ودخلت سنةُ عشرٍ وثلاثِ مئةٍ وألف

وفي يومِ الرّبوعَ، عاشرِ محرّمِ الحرام، توفي السيّدُ الهمامُ، واللّيْثُ الضِّرغامُ، محمدُ بنُ الحسين بن عباس(1)، رحمه الله، ورفعَ درجَتَهُ في علّيين، وكَتَبَ له أجرَ المرابطين. وقد رثاه القاضي، العلامة، حسينُ بنُ أحمد العرشي. وهذه صورةُ المرثية(2): [الطويـل]

أفـيضي بدمـعٍ وامـزجيه بَعَنْـدَمِ ... عيوني فمـاذا الحـالُ حالُ التكتُّمِ
فقـدْ آنَ للأحْشـاءِ أنْ تُوْقِـدَ الغضـا ... بأنفـاسهـا مِنْ دون نارٍ ومُضْـرَمِ
ومـن اين للعـينـيين ماءٌ وإنـهـا ... لقـد نضبـت غيرُ العلوِّ المضممِ
وفـي الـجسمِ داءٌ لا طبيبَ لدائِـهِ ... فكـلُّ حكيـمٍ محكَمٍ غيرُ محكمِ
ولـلّدهْـرِ والأيامِ أصـوالُـهـا التي ... عَرَفْنـا ومَنْ لَمْ يَعْـرِفِ الحَزمَ يُحزَمِ
وكَمْ كَمْ لدى الـدنيا محا الله رسْمَها ... لدى كلِّ حالٍ مَنْ خلافٍ مُحَـرّمِ

---

(1) محمد بن حسين بن علي بن عباس الكوكباني، أحد قادة الإمام الذين نازلوا الاتراك بشجاعة، قُبِرَ في قرية الشنبلي بعد مرض، انظر، أئمة اليمن، ٢/١٠٥.
(2) انظر أئمة اليمن، ١٠٦-١٠٧

(1 1) بياض في أ، ع، م (2 2) بياض في كل النسخ.

تســوقُ الــرزايا نحوَ أبنـائِها كمـا ... يسـوقُ المطايا حادِيَ العيسَ بالفمِ
وحـينِ يَسُــرُّ الـمـرءَ ما قدّمتْ له ... ولَـمْ يدرِ أنَّ الشّــر نفسُ المُقَــدّمِ
١٤٣أ /كـذا عادةً إذْ ما ابتلانا بأمرها الـ ... سمـيعُ بلاءً مِنْ مليكٍ مُعَـظَّمِ
ومَنْ ينـظر الـدنيا بعقـلٍ وفكـرةٍ ... رآهـا جلياً في سنـانٍ مُقَّـوم
تنـاولَـهُـمْ قومٌ فلمـا تنـاولـوا ... رمـاهم لدى مرمىً رمى فيه من رُمي
لئـن كنـتَ ذَمـامـاً لهـا لا ذمُّهـا ... خَبِيٌّ سوى من خِشـيةٍ أو تكـرُّمِ
وعَنْ عَبَـراتي فاسـألِ الأرضَ إنهـا ... لتـعـرفُـهـا في بَرْدِهـا والـتَّلَهْجُمِ
ولـو وجدتْ عَيْني سوى الدمعِ ثانياً ... لمــا بَخُلَتْ فــي علمِهــا والتعلّمِ
وقد أزعـجني كلُّ هولٍ ومـزعـجٍ ... قديمـاً فأنسـاني الـذي لَمْ أكَتِّمِ
فواجـعُ لو ولّانيَ الـدهـرُ حُكْمَها ... لَقُلْتُ له ذا الـحكمُ نفسُ التحكّمِ
ولا أَنْسَ بل لا إِنْسَ لي في مراكبٍ ... تزايلُنـا عن ظهـرهِـا والـتـعـصّمِ
غداةَ رُزئْــنـا خيرَ من توَّج الـعُـلى ... وكَــلَّلَهُ في تاجِــه والـمُـنَـظَّمِ
لدى كربـةٍ ما لا يرى الخلقُ مثلَهـا ... وقـد أدْهَشَتْ مِنْ هَوْلِهـا كلَّ مُسْلِمِ
لدى فجعـةٍ كانت بسيفٍ مُشَـطَّبٍ ... منِ الله لا منْ فِعْـلِ عُرْبٍ وأعـجُمِ
بسيفِ العُلى والمجـدِ والفخـرِ كلِّه ... ومعـدودهِ إنْ عُدَّ في الـذكر أو سمي
بسيفٍ كأنَّ المـوتَ في عَطْفِ كَفِّـهِ ... مقـيمٌ له يومَ الـهـياج الـمُـتَـمّـمِ
أبي أحمـدَ الراقي إلى مرتقى العُلى ... فجـاوزَهُ فوق الـعـلاء الـمـخيمِ
ونَجْــلُ حسينٍ وابنِ عّباسَ خيرُ مَنْ ... رأتْ كُلُّ عينٍ من غنـيٍّ ومُـعْـدمِ
مضى في سبيلٍ قد مضى في سبيلِهِ ... خيارُ بنـي آلِ الـنبيِّ الـمكـرَّمِ
وشـمَّـر ساقــاً يتـركُ الـعـزْمَ كُلَّه ... دَنِيّا ويومي بالـرفيعِ الـمتـرجمِ
وطَــأْطَــأَ أعـنــاقـاً ومـزَّقَ أكبُـداً ... وقــد فَتَحَـتْ أسيافُــهُ كلَّ مُبْـهَمِ

وزار الأعـادي في عجـاجٍ كأنّـه ... سمـاءٌ وأنـوارُ الحـديدِ كأنجـمِ

وقـد صَرعَ العُجْمَ البُغـاةَ فأصبحَتْ ... رؤوسُهُـمُ نهبـاً لأهـلِ التّقسُّمِ

وأوْرَدَهُمْ في مَسْلَكٍ جَلَّ شُرْبُـهُ ... حميمٍ يُضـاهي حَرُّه من جهنـمِ

وسـاقَهُـمُ سوقَ النّعـام ببلدةٍ ... تُسـاقُ به بَيْنَ الكثيبِ المُلَمْلَمِ

ورَوَّعَـهُـمْ في كلِّ يومٍ مُرَوِّعُ ... وقـد وطئـوا وَطْءَ القـرادِ بميسمِ

وقـدْ رَكَضَتْ أجْنادُه في نحورِهم ... فذلَّ مِنهـمُ أبـيٌّ ومَحْتَـمِ

يُقـاس به شخصٌ ولا غير إنّـه ... كريمٌ لدى ضَرْبِ الخيام المكلمِ

وقـد مَزَّق المُؤذيَّ بالسيف تارةً ... وأخرى بأطرافِ السّنان المُحَطّمِ

ودمَّـر قومـاً قدْ غَدَتْ في فعـالِها ... ودانـوا بأحياءِ العظيمِ المحـرَّمِ

وشـتَّتَهُمْ ما بينَ شرقٍ ومَغْـربِ ... فبـينَ جَريحٍ أو سليخٍ مُدَمَّـمِ(1)

أقـرَّتْ لهُ الأيامُ بالفضلِ وحـدَه ... ومَـنْ مثلُـه في فِعْلِهِ والتكلُّمِ

وأينَ الـورى لو جُمِّعـوا في مجامعٍ ... لوازَنَـهُمْ في خُلْقِـهِ والتَّحَكُّمِ

(2)وفـاقَهُمُ فَضْـلاً وعِـزّاً ومحتِـداً ... كريمـاً وفـي أخـلاقِـهِ والتبسُّمِ

فقـلْ لأميرِ المؤمنين محمّـدٍ ... تعزّ، فَهَوْلُ الأمر رُزْءُ المعَظمِ(2)

وإنْ قُلْتَ لا صبـراً ترانـي فإنمـا ... يُشارِكُني في الحزن حزني ولَوْمي

دعـاه الذي أحياه فانجاب مسرعاً(3) ... إلـيه مطيعـاً عاشـراً من محـرمِ

فيا حبّـذا روحـاً إلى الله قدْ غَدَتْ ... مسـافـرةً في هودَجِ العز(4) تختمِ

ولـو أنّـنـا في مأقطٍ قد تحـدَّرَتْ ... جوانـبُـهُ بالطَّعْـنِ من كلِّ مَعْلَمِ

---

(1) في أئمة اليمن، ١٠٧، مدمدم

(٢ ٢) سقطت من ع، م

(٣) في م، سامعاً

(٤) في ع، العرس

حَمَيْنـاه بالضَّـرْبِ المبيدِ فأصبحتْ أعـاديه قوتـاً للحُسـامِ المُسَمَّمِ

وجُـلْنـا عليهـمْ بالـجِيادِ ولـم نَدَعْ لبـاقيهمِ غيرَ السنـام المُـرَمْـرَمِ

ولـكـنّهـا الآجـالُ تسْعى ومشيُهـا إلينـا على رأي القضـاءِ المحكمِ

وأمـرُ الـذي لا أمرَ من فوقِ أمرِهِ إذا ما دعـا لَبَّـاه مَنْ لم يكلـمِ

لذا ليس يُغنينـا عن المـوتِ رادعٌ ولا فارسٌ مِنْ مُلحَـقٍ أو مُقـدَّمِ

وإنـي وإنْ صَبَّـرْتُ نفسي تعمُّـداً لفي صَدَمـاتٍ مالهـا من مُصـرِّمِ

٤٣ب /أُصَـبِّـرُهـا حتى تفيضَ تأسِّياً بأسـلافِـهِ مِنْ كلِّ شخصٍ مُكَـرَّمِ

وإنْ قلتُ يا لَهَـفـاً فهـلْ كانَ مُغْنياً لنـفسي عليهِ مِنْ لَهـيبٍ مسـمَّـمِ

فيا طولَ حزنـي ثمَّ يا طولَ كُرْبتَـي ويا طولَ فكـري بين سُهْـدٍ ونـوَّمِ

وحمـداً لمـولانـا على الحمـدِ كلِّهِ وشـكـراً له من بِلْيَةٍ أو تَنَـعُّـمِ

ولا زالَ رَيْحـانٌ ورَوْحٌ ورحـمـةٌ على جَدَثٍ في بَلْقـعِ الأرضِ منتمِ

ومـمـدودِ ظلٍّ كلَّ يومٍ ولـيلةٍ وفـي كلِّ حينٍ من كريمٍ مكـرَّمِ

وفي أهلِهِ المـاضين للمـرءِ أسـوةٌ تُبـاعِـدُني من مُضْجـراتٍ فأختمِ

عليهـم صلاةُ الله طهَ وآلـهِ مَدَى الـدّهـرِ في كلِّ الـزّمانِ المؤلِمِ

ويعـضُـدُهم أسنى السـلامِ فإنّهم حُصُـوني لدى يومِ القيامِ وسُلَّمي

فصـل

وأمّا الإمام ـ عليه السلامُ ـ فإنّه صارَ ينتقِلُ في الجبالِ والشِّعابِ متوكِّلاً على ربِّ الأرباب، وهنالك عيَّد عيدَ الأضحى في أرغدِ عيشٍ.

ولقد أخبرني جماعةٌ ممن رافقَهُ هنالك، أنّه كان يُنزِلُ الله تعالى المطرَ في وقتِ الحاجةِ، فتمتلىءُ الكِرْفُ[1] التي تحفظُ الماءَ، حتى إذا نفذتْ

(1) كِرْف: الدلو من الجلد، انظر، لسان العرب ـ مادة كِرْف ـ

أنزلَ الله غيثاً آخر.

ثم ما زال متنقّلاً في تلك البراري، وقد استطابَ العزلةَ ومناجاة الباري. وكان مدةُ البقاءِ في تلك الشعابِ والجبالِ قريباً من ثلاثةِ أشهر. ثم إنّ عُقّالَ حاشدٍ وصلت إلى حضرتهِ الشريفةِ بعَقير، وعَوّلوا عليه بأنْ يرجعَ إلى أيّ القرى أراد: إمّا حوث[1] أو وادعة أو الخمري، فانتقل إلى جبل القَحّار[2]، ثم منه إلى المدينة حُوثْ.

فصـــل:

وأما أحمد فيضي فإنّه رجعَ من بَرَط إلى الجراف، وقدْ أكْثَرَ على الناسِ الإرجافُ، ثم ارتحلَ مِنْ هنالك، قاصداً بلادَ السُّودة، فحبسَ مشائخها وطلبَ منهم دراهمَ معدودةً، ثم أراد النهوضَ إلى بلادِ الشرف، فكتبَ إلى أهلِها وأرْعدَ وأرجفَ. وأراد أنْ يدخلوا تحتَ الطاعةِ، فأبَوْا إلاّ المحاربةَ، ولزومَ سفينةِ النجاةِ أمامَ الجماعةِ، فنهض اليهم بعسكرٍ جَرّارٍ قدرَ ثلاثين مئةً، كما رواه لنا الثقاتُ في الأخبارِ، فلما قاربوا الشاهلَ تفرّقَتْ أهلُ المراتبِ مِنَ القبائلِ، ولم يبقَ هنالك إلاّ قدرُ مئةٍ وخمسين رجلاً، فقاتلوا قتالاً شديداً إلى الليلِ، ونفذت المؤنةُ، فخرجوا لَيْلاً، وقد وقَعَ في العجمِ قتلٌ كثيرٌ، واستُشْهد السيّدُ الهمامُ عبدُ الله بنُ علي الجرب، وتكوّن الشيخُ منصر بن ثابت السنيدار[3]. فلما أصبحت العجمُ رَمَوْا بالمدافعِ حتى

---

(1) حُوْث: بلدة مشهورة في الظاهر الأعلى من بلاد حاشد، بها مركز الناحية، بقضاء خمر انظر، معجم الحجري، ٢/٤٧٤، اليمن الكبرى، ٨٣.

(2) القَحّار: موضع جبل المصباح من وصاب السافل انظر، معجم المقحفي، ٥٠٧.

(3) السنيدار: القائم بأعمال المسجد من تنظيف وغيره، انظر، حوليات يمانية، ٥٠٥.

إذا تيقّنوا أنه لم يبقَ فيه أحدٌ دخلوه ـ اعني الشاهلَ ـ وأحرقوا فيه بعضَ البيوتِ.

ثم إن أحمد فيضي جمع مَنْ أطاعه من المشائخ، وفرَّق عَليهم دارهم فاستمهلوا بتحصيلِها.

وأخبرني مَنْ رافَقَهُ في ذلك السفرِ مِمَّنْ يُوثق بصحةِ ما يقولهُ من الخبر: أنّه لما دَخَلَ الشّاهلَ ارسلَ اللهُ على عسكرِهِ الطاعونَ حتى أنّه هَلَك منهم في ثلاثِ ليالٍ سبعَ عشرة مئةً.

حتى صارَ العسكريُّ يرمي بالبندقِ مِنْ يدِهِ إلى الأرضِ ويموت من حينهِ حتى كادوا يفنون/. فلما رأى ذلك طاغيتُهم أحمد فيضي صار يتأوَّهُ ويقولُ: إيش هذا، ثم لما رأى عدُّو الله، أنَّ الله سبحانَهُ قد تولّى حَزْبَهُ نهضَ مستعجلاً، ولم يتوقفْ إلى أنْ يحصِّلوا الدراهمَ التي فَّرقَها، بل ذهبَ مرعوباً متوجِّهاً نحوَ الحُدَيْدَة، وبعدَ مدّةٍ عاد إلى صنعاءَ. فهذا ما كان من خبرِ أحمـد فيضي، وصفةُ مخرجِهِ إلى الجهاتِ القبليةِ، بعدَ أن ابتُلِيَ المؤمنون، وزُلزِلوا زلزالاً شديداً.

١٤٤أ

فصـــــل

وأما سيفُ الإسلام عمادُ الدين ابنُ الإمام، فإنّه لما وقعت الخيانةُ من ذو غيلان واستفزَّهم الطغيانُ، واستحوذَ عليهم الشيطانُ انتقلَ بمن صحِبَهُ من الأهلِ إلى الجوف، إلى قريةٍ يُقال لها: المنهرة[1]، ثم بعدَ مدّةٍ أرسلَ

(1) المنهرة: موقع في ناحية خب بالجوف، انظر، صفة اجزيرة العرب، ١٦٠، ١٦١، ٢٨٢.

الإمـامُ ـعليه السـلامُ ـ بعسكرٍ إلى سيفِ الإسلام، وأمره بالوصول إلى الحضرةِ، ولما استقرَّ الإمام عليه السلامُ في المدينةِ حُوْث استأذنَهُ سيفُ الإسلام بالطّلوعِ إلى جبل الأهنوم للقراءَةِ وتحصيلِ العلوم، وتدقيقِ النظر في المنطوقِ منها والمفهوم، مع أنّه قد كان حَصَّلَ طرفاً نافعاً قبلَ خروجِ الإمام في مدينةِ صنعاءَ، ولم يزلْ ، حفِظَهُ الله وأمتعَ المسلمين ببقائِه، إلى هذه الغايةِ دأباً في تحصيل الرّوايةِ والدّرايةِ، حتى بلغَ الله في كلِّ فنٍّ إلى النهايةِ.

هذا، وفي مدةِ بقاءِ الإمام ـعليه السلام ـ في مدينةِ حُوْث تزوَّج بإبنة الإمام المتوكل على الله، عليه السلام.

ثم إنها ما زالتْ تُتابِعُ إلى حضرتِهِ عليه السلامُ الوفودُ.

وفي هذه المدةِ، أعني بعدَ عودِ أحمد فيضي إلى صنعاءَ، قبضَ على جماعةٍ من أهلِ صنعاءَ وغيرِهم، بعضهُم من الشيعةِ، وبعضهُم ممنْ ركِبَ القبائحَ الشنيعةَ، وداهنَ العجمَ في كلِّ فظيعة. فلما اجتمعوا في القصرِ قريباً من مئةٍ وخمسين، أرسل بهم إلى الحُديدةِ، ثم منها إلى استنبول. ومن الأعيانِ الذين أُدخلوا بلا ذنبٍ تحمّلُوا، صهرُ الإمام الحاج الفاضل سعدُ الدين بن إسماعيل الزبيري، وهو من الأفاضلِ، والفقيهُ الخطيبُ المُصْقعُ محمدُ بنُ حسن دلال.

وكان الإمامُ، حفظه الله، نهاهما عن مقاربةِ العجمِ اللّئام، وأمرهم بالبعدِ عنهم والانفصال في كلِّ مقام، فتساهلوا ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً،

ثم ما زال الشقيُّ أحمد فيضي وخُدّامه محمدُ بنُ هاشمٍ[1] يصادِرَ الناسَ، ومن توسَّمَ فيه التشيعَ، ويأخذون الجزاءَ والمقصودَ، والمرامُ جمعُ الحطام.

وفي هذه المدةِ شرعَ أحمد فيضي في تحصينِ مدينةِ صنعاءَ بالقلاعِ التي لا تُغني شيئاً عندَ انبرامِ أمرِ مَنْ إليه الدفاعُ، فعمَّرَ قلعةً في ضهر الحمار[2]، وقلعةً في عَصِر، وقلاعاً أخرى في المواضعِ التي كانوا يدْركون منها الضررَ عندَ المحاصرة، وعَمَّرَ بابَ اليمنَ على غيرِ الأسلوب الأوّلِ، وغَرَمَ في ذلك أموالاً واسعة، وأمرَ الناسَ بتسويةِ الطُّرقِ في كلِّ بلاد. كلُّ ذلك لأجلِ أن يُنْسيَهم الفسادَ، ويُشغِلَهم بذلك المُراد، وكان المهندسونَ من العجمِ يأمرون الناسَ في كلِّ بلاد أن يجعلوا الطريقَ حيثُ هندسوا، ولو في مِلْكٍ مُتَسَلَّمٍ، وتمَّ لهم ذلك من بابِ صنعاءَ إلى تعز، وكان في بعضِ ذلك مصلحةٌ للمقوِّين مثل تسويةِ نقيل يَسْلح[3].

فصـــل

ثم إن الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ مكَثَ في حُوْث مدةً، ثم رأى النقلةَ إلى القَفْلَة.

---

(1) المقصود محمد بن هاشم السوري، ياور أحمد فيضي، انظر فرجة الهموم ١٧٥.

(2) ضهر الحمار: هو ضهر حمير، والعامة يسمونه ظهر الحمار، يقع في الجهة الشرقية من صنعاء، انظر حوليات يمانية، ٣٩٩.

(3) نقيل يَسْلح: نقيل مشهور يطل على جهران من الشمال وهو الممر المفضي إلى خِدار فوعـلان فصنعـاء، ويبعد عن صنعاء جنوباً بنحو ٤٥ كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ٣٠٦، طَبق الحلوى، ١٠٢.

وفي هذه المدةِ كاتب الإمام ـ عليه السلامُ ـ سلطانَ لحج فضلَ بنَ علي العبدلي[1]؛ /لإقامةِ الحجةِ عليه وعلى من وُليّ، فكان جوابُه بالاعتذارِ 44ب والمغالطةِ، لأنَّهُمْ ممن يعملون ظاهراً من الحياةِ الدنيا، وهمْ عن الآخرةِ[(1)] غافلون. ولولا مخافةُ التطويلِ فيما لا طائلَ تحتهَ، لذكرتُ الأصلَ والجوابَ.

وفي هذه السنةِ أيضاً، وصلت الكتبُ إلى الإمامِ ـ عليه السلام ـ من الأمير محمدِ بنِ رشيدٍ[2]، وهو كتابٌ حَسَنٌ، وبعد، وصلَ بنفسِه إلى حضرةِ الإمامِ، وفي نفسِهِ تحصيلُ مرام.

وفي أواخرِ شهرِ رمضانَ من هذه السنةِ، طلع الإمامُ إلى جبل المَدَانِ لإصلاحِ بعضِ شانٍ، وكان نيّتُهُ العودَ إلى القَفْلَةِ قبلَ العيدِ، فلم يَتمَّ ذلك، فحضرَ العيدَ وهو باقٍ في المَدَان، فتمَّ لأهلِه عيدان.

وفي شهر شوال أَمرَ الإمامُ ببناءِ منازلَ للمهاجرين، إلى جانبِ جامع المَدَان، فكانَ في ذلك غايةَ الإحسانِ، ولم يزلْ ـ عليه السلامُ ـ يُرغِّبُ

---

(1) فضل بن علي بن محسن بن علي العبدلي، سلطان لحج، تسلطن بعد وفاة أبيه سنة ١٢٧٩هـ، وكان صغيراً، فنزل لعمه فضل بن محسن على يد والي عدن البريطاني، ثم تسلطن سنة ١٢٩١هـ نافسه عمه محمد بن محسن، وقد تنازل عن قرية الشيخ عثمان للانجليز، ت ٢٥ ذي الحجة ١٣١٥هـ انظر أئمة اليمن، ٢٤٣/٢، هدية الزمن، ١٥٥، ١٥٨، ١٩٥.

(2) محمد بن رشيد بن شمعون النجاشي الجبرتي والمرام هو معاوية الإمام، انظر أئمة اليمن، ١٠٠.

---

(١) في م، هم غافلون

الناسَ في طلبِ العلومِ، ويكفي الطلبةَ والمهاجرين جميع ما يحتاجون إليه، حتى كثُرَتْ طلبةُ العلمِ في جبل الأهنوم، وبلغوا فوق المئتين، فجزاه الله خيرَ الدارَيْنْ، ثم لما استقرَّ أحمد فيضي في صنعاءَ، كتبَ إلى الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ ما لفظه:

بعد[1] الحمدِ لله وحدَه،

الجنابَ العالي الرفيع، ذا المجدِ الأصيلِ المنيع، سليلَ الجحاجحةِ الكرامِ، ونسلَ الجهابذةِ الأعلامِ، السيدَ العلامةَ محمدُ بنُ يحيى بنِ محمد بن القاسم بن محمد،

أسـامـياً لم تزِدْه معـرفـةً   وانـمـا لذةٌ ذكـرنـاهـا

سّلمكُم الله وتولاكم، وسلامُهُ الجزيلُ يغشاكم. ورحمةُ الله وبركاتُه، وصلّى الله وسلم على من خُتِمتْ به الرسالةُ، سيدِنا محمدٍ وآلِه وعلى أصحابِه النجومِ الطوالِع، والسيوفِ القواطع.

وبعد،

فصدورُ الصدورِ إلى جنابِك مُجَدِّدةً عهداً ومؤكِّدةً وُدّاً، وأوجَبُها أنه وصَلَ أمرٌ رسمي، وخطابٌ أمري، من جنابِ الذاتِ الشاهانية والحضرةِ السلطانيةِ، حضرةِ مولانا خادمِ الحرمين الشريفين، سلطانِ الإسلام، حامي حمى شريعةِ سيِّدِ الأنام، وحفظه الله على مرِّ الليالي والأيام، وأقامَ به قناةَ شريعةِ سيِّدِ الأنامِ، أنْ أكتبَ إليك تحضرُ إلى دارِ الخلافةِ العليّةِ،

(1) في ائمة اليمن كان ذلك ١٣١٢، ص ١٥٨-١٦٠

وتكونُ آمناً ومطمئناً، وتحصلُ لك النعمةُ العظمى، من طرفِ السلطانِ المعظم، وحيثُ وأنت من أهلِ العقولِ الرصينةِ، والفكرة الرزينةِ، أن المقصودَ من كلِّ مكلّفٍ رضى الرّبِ المعبود، وإن التظاهرَ بين المسلمين أمرٌ واجبٌ، وأنّ التناصرَ والتعاونَ على أمورِ الدنيا أمرٌ لازب، ومثلُك لا يُستغنى عنه في بدوٍ ولا حضرٍ، وأنَّ بك الزيادةَ فيما جلَّ من الأمورِ أو خطر. وحيثُ وأنت كما أنت، فالحمدُ لله على ذلك، وله الشكرُ على ما هنالك، وبقاؤك حيثُ أنتَ لا يليقُ بمثلِك، فالقصدُ: إنْ كنتَ تريدُ الرئاسةَ، فاقترحْ ما تريدُ، وعلينا تنجيزُ ما تريدُ، وإن كنتَ مريداً للأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، فمثلُنا مَنْ يقول أهلٌ مِنْ مزيد!. وإن كان قصدُك المالَ، فنحنُ نعطيكَ فوقَ ما تُؤمِّلُ وتريدُ، وليس المقصودُ الّا جمعَ الكلمةِ، وأن نكونَ يداً واحدةً، وعضداً وساعده، هذا وقد أرشدنا الله تعالى في كتابه الكريم، فقال عز من قائل: «**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم**» أي بركتُكم[1]، وقال تعالى: «**محمدٌ رسولُ الله، والذين معه أشداءُ على الكفار، رُحماءُ بينهم**»[2] .

وقال تعالى في حقِّ المسلمين «**كأنّهم بنيانٌ مرصوصٌ**»[3]. إلى غير ذلك مما لا يَسَعُه المقامُ، ومن السُّنةِ ما ملأ الخافِقَيْنْ، وحمَلَه الجمُّ الغفيرُ من الثَّقَلَيْنَ، مثلُ قولهِ ﷺ: «المؤمنون كالبنان أو كالبنيانِ يشدُّ بعضُهم بعضا»، وقوله ﷺ: «المسلمُ أخو المسلمِ لا يشتمُهُ ولا يلومُه» إلى غير

(1) الأنفال: ٤٦

(2) الفتح: ٢٩

(3) الصف: ٤

ذلك، أنك إنْ تُـرِد الاتصالَ بالذات الشـاهانيةِ واستقرارَك هنـالك، فلك ذلك، على أن تكون أنـت المقدَّمَ الرأي، وجيهـاً مكرّماً وأمينـاً مُعّظماً مجّللاً محتـرماً، رئيسَ الأشرافِ الذين هنالك.

فكمْ مِنْ شريفٍ حواه المقامُ السلطاني، وكَمْ من كريمِ الأصلِ، نالَ الحظَّ الأوفـرَ من السرير الشاهاني. وإن تُرِد البقاءَ في مدينةِ صنعاء، مَنْشئِكَ ومولدِك، ومحلّ آبائِك وأجدادِك، فلكَ ذلك، واقترحتَ مقاصدَك، ومرادَك، على أنْ تكونَ أنتَ الآمرَ بالمعروفِ، والناهيَ عن المُنْكرِ، القوّالَ الفعالَ، منفِّذ اَلأحكامِ الشرعية، ومُبْرِمَ الأمورِ المرعيةِ، مقبولاً في الاقدامِ والإحجام، لا يُغْلَقُ عنكَ بابٌ، ولا يرُخىٰ دونَكَ سترٌ ولا حجابٌ. وعلينا تحصيلُ ما يطمئنُّ بهِ قلبُكَ من أيِّ أمرٍ طلبْتَ من المواثيقِ الخاقانيةِ، والعهودِ السلطانيةِ، على أنّه لا يمكنُ ـ والعياذُ بالله ـ أنْ يحصل على مثلِكَ من الجنابِ العالي أمرٌ مغايرٌ لما أنتَ عليه من العلمِ والدينَ، والصِّدْقِ واليقينِ، هذا ولا شكَّ، أنّه وقعَ مني ما وقعَ من وصولي بالأجنادِ وغيرِها إلى تلك الجهـاتِ الحاشديةِ، وما إليها وبَرِط والشرفين وما يليها، ثم رجعتُ إلى صنعاءَ وتركتُك حيثُ أنتَ، قاصداً بذلك موادَعَتَكَ، والإعراضَ عنك، فلم توادِعْنا، ولا ضربْتَ عنّا صفحاً، ولا طويْتَ دونَنا كشحاً، بل صارَ من التحريكاتِ ما صار، وكان الواجبُ عليك أنْ تُنْزِلَ السلطانَ منزلةَ أحدِ الخلفاءِ الثلاثةِ المرضيين، وتكونَ أنتَ في منزلةِ عليٍّ بن أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ وقدْ علِمْتُ من كتبِ السِّيَر والتواريخِ، أنَّ عليَّ ابنَ أبي طالبٍ، قام بقيامِ الخلفاءِ الثلاثةِ، حتى خرجَ للجهادِ بينَ أيديهم المرَّةَ بعد المرةِ، وصالَ وجالَ معهم، وحضرَ الجمعةَ والجماعةَ مؤتّماً بهم، ونفذَ

أحكامَهم، وقعدَ بين ظهرانيهـم، فلو سَلَكْتَ ذلك المَسْلَكَ كنّا متّحدين، وعلى الطريقةِ تلك غيرَ مختلفين، على أنّك تعلمُ أنتَ وكلُّ عاقلٍ، أنّه لا يقدِرُ أن يقومَ بأمرِ اليمنِ غيرُ سلطانِ الإسلامِ، هَبْه، وافرِضْ ـ محالاً ـ أنّا لو نَتْرِكُ اليمنَ وشأنَه، أنت تقدرُ على رفعِ ذو محمد من اليمنِ الاسفل!؟

أو أنتَ تكفُّ أكفَّ آل جزيلان من الشغادرة إلى اللُّحَيَّة؟(1)، أوْ أنْ تزيلَ بني علي من قطعةِ رَدْمَان، أو ابن ناشر مع جورهِ الذي كان، أو المكرمي من حصونِه الشامخة الأركان. هذا في قبائل أعراب، وأفرادٍ في تلك البلاد أغراب، كيف وقد صاروا ـ والعياذُ بالله ـ القرانات الافرنجية والانجليزية(١) على اليمن، والحالُ أنْ قد صاروا الآنَ في طرَفِه، أو كيفَ وقد تحركتْ قران الطليانية، فهو قيصرُ رومٍ على هذه القطعةِ اليسيرة، وقد بنوا الآن في عملٍ منها على جهةِ الغصب، كما لا يَخفى على ذي بصيرةٍ. فاعمَلْ بفطنتِكَ في هذه القضية القطعية العقليةِ الكُلّية، وارِدُد الأمور بدرايتِكَ الباهرةِ فيها.

/وأجبْ عليَّ جواباً، يحصلُ به إنْ شاءَ الله الاتحادُ، وبينَ ما تريدُ ٤٥ب لأجلِ تحصيلِ المرادِ، وأنتَ حيثُ أنتَ حتى تحصلَ مقصَدَكَ، هذا ما

---

(1) اللُّحَيَّة: ميناء يمني يقع على شاطىء البخر الأحمر إلى الشمال من ميناء الحُدَيْدَة، انظر، المفيد، ٤٢، مراصد الاطلاع، ١٠٠/٣، طبق المن، ٩٠، اليمن الكبرى، ٩٨، اليمن الخضراء، ٩٠/١ معجم المقحفي، ٥٤٨.

---

(١) في ائمة اليمن، ١٦٠، والنصرانية

لَزِمَ عرْفناك بهِ، والله وليُّ التوفيقِ.

والسلامُ ختام.

«١ وحرر، محرم الحرام سنة ١٣١١.١» وفي آخر ختم أحمد فيضي.

وهذه صورةُ جوابِ الإمام -عليه السلامُ-:

نحمدُ الله على السَّرّاءِ والضَّراءِ والشدةِ والرخاءِ، ونصليّ ونسلمُ على محمدٍ الذي طَلَع فجرهُ فأضاءَ، وظَهَر حسامُه حينَ استّله وانتضى، وعلى آلِهِ مصابيحُ الهدايةِ، ومفاتيحُ العلومِ والدّرايةِ، المنزَلِ فيهم من الكتابِ غيرُ آية،

وبعد،

فإنّ من السعـاداتِ الأبـديةِ والارشاداتِ الصّمدَية، رياضةُ العقول في مضمارِ الفكْرِ، وزمُّها بأزّمةِ الانقيادِ، لما أوْجَبه الربُّ وأمرَ، وقَمْعُها بسوط ما نهى عنه وزجَرَ، والاندماجُ في زمرةٍ مَنْ عَقَلَ القرآن وتدبَّر. هنالك تُفْقَأُ بسهامِ المحبةِ عينُ كلِّ بدعةٍ منكئةٍ، وتنجابُ النفوسُ الأبيةُ عن مرتعِ وخيمِ الفتنِ الـوبّيةِ، وتحمدُ كلُّ طائفةٍ آثارَها، وتطغى بنيةِ الاتحاد التهابُ نارِ الخلافِ وشرارها، حين تضعُ الحربُ أوزارَها، كما وَردَ الينا من حضرةِ الوزيرِ المُكَرَّمِ والباشا المفخَّم أحمد فيضي باشا، بلغه الله في رضاهُ ما شاء، كتابٌ كريمٌ وخطابٌ فخيم، جمعَ بين الإيجازِ والإطناب، واحتمل من المعاني ما يمرُّ ذوقُه وما يُستطاب:

(١ ١) في ائمة اليمن «حرر في خامس محرم الحرام سنة ١٣١٢، اثني عشر»

ففـــي كلِّ لفظٍ منـــهُ رمـــزٌ تديرُهُ كُؤوسٌ من الـتَّلْميحِ أَدْهى من المنِّ

يقولُ فيه: إنّه وردَ إليه الأمرُ السلطاني، والرْسمُ الشريفُ الشاهاني، بأنْ يكتبَ إلينا أن نختارَ أحدَ تلك الأطرافِ، الموصوفةِ بمليحِ الأوصافِ. وقد فكّرتُ في مباديها ومنهاها، وقلتُ: قدْ أنصف القارةَ من راماها، ولا تسكنُ الجارياتُ إلا بعدَ حركاتِها، كما لا تُعرفُ الأعلامُ الا بملكاتِها، والمقدِّماتُ للنتائجِ أُمهات، فنقولُ: قد عَرفَ الأخصُّ والأعَمُّ مَن العربِ والعجمِ، أني لا اريدُ غيرَ إمضاءِ الشريعةِ المحمدّيةِ، وإجراءِ الأحكام الإسلاميةِ على طِبْقِ ما نطقتْ بهِ الآياتُ القـرآنية، والسُّنَّـةُ البيضاءُ النبويةُ؛ امتثالاً لأوامرِ الرّبِّ العـظيمِ، المتكرِّرَةُ في القرآنِ العظيمِ، وسنةِ النبيِّ الكريم من نحو قوله تعالى: «ولْتَكُنْ منكمْ أُمّةٌ يدعون إلى الخيرِ ويأمرون بالمعروف، ويَنْهَوْنَ عن المنكر»[1]، وقوله: «وأمُرْ بالمعروفِ وانْهَ عن المنكرِ، واصِبْر على ما أصابَكَ، إنّ ذلك من عزمِ الأمور»[2]، وقوله تعالى: «لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريم، ذلك بما عَصَوْا، وكانوا يعتَدُون، كانوا لا يتناهَوْن عن مُنْكرٍ فعلوه لَبِئْسَ ما كانوا يفعَلُون»[3]، وقولهِ: «فلما نسوُا ما ذُكرُّوا به أنجيّْنا الذين ينهَوْنَ عن السوءِ، وأَخَذْنا الذينَ ظلموا بعذابٍ بئِيسٍ بما كانوا يفْسُقُون»[4] وغير ذلك، ومن السُّنةِ ما لا يُحصى، ولا يتّسعُ له المقامُ.

ورأينا المنكراتِ وقد كَثُرتْ وتعثَّرتْ في أذيالِها، وشاهَدْنا المُحَرمّاتِ وقد

---

(1) آل عمران: ١٠٤.

(2) لقمان: ١٧.

(3) المائدة: ٧٨.

(4) الأعراف: ١٦٥.

استبُيحتَ وأُطلِقَتْ من أَغـلاَلِها، ورأينا القرآن وقد تهافَتَتْ حيطانُ حدائِقِه، وشرعَ الله، وقد تقاصرَتْ أيدي سوابِقِه، والأشرافَ والموحِّدين، وقد تأمرَتْ عليهم النصـارى، والأعيانَ، وذوي الاعتبـار وقـد ارتفعتْ /عليهم الأنـذالُ ١٤٦أ والسّكارى، وتولّى القضاءَ مَنْ لا يُمَيِّزُ بينَ المعقولِ والمنقولِ، ولا يعرفُ رفعَ الفاعلِ ولا نصبَ المفعول، وصُدَّ الحاجُّ عن بيتِ الله باسم الكرنتينة، وتولّى ذلك النصارى ليشككوا على المسلم يقينَه، ويُفسدِوا مناسِكَهُ ودينَهَ.

وانتُهِبَتْ أقوالُ الضعفاءِ بكلِّ حيلةٍ، واختلطتِ الأنسابُ بكلِّ دخيلة، فهذه الأحـوالُ ومـا ضاهـاها من المنكراتِ، هي التي حرّكتِ السواكنَ للجهادِ، ومنعت الأُفّاق لذيذَ الرّقاد، ودعت إلى مؤاخاةِ وحوشِ الفلاة، واتخاذِ الأبطالِ والرماة، وكيف يلقى الراحةَ والسكونَ مَنْ أجرى من الأوامرِ مالا يكون. وأمَّا ما أشرتُمْ إليهِ من المالِ والأوطانِ، وعُلُّو الكلمةِ والسلطان، ومساكنةِ الأحبّةِ والخلانِ، فإنّما يجعلُها بُراقَهُ ومِعْراجَه، منْ أثارَ الجَهْلَ عليه عُجَاجَهُ، وفارقَ طريقَ الحقِّ ومنهاجَهُ، وما ذَكَرْتُمْ من سيرةِ الوصيِّ أميرِ المؤمنينِ، عليٍّ بن أبي طالب ـ كرّمَ الله وجهَهُ ـ مع المشائخِ، فليسَ السَّيْفُ كالعصاَ، ولا الدُّرُّ كالحصى، مع أنَّ أبا بكرٍ كان في الزّهدِ والتقشفِ الغايةَ، وأنَّ عُمَرَ كانَ في التشدُّدِ على أمورِ الدينِ النهاية، حتى أنّه جلدَ ولدَه حداً حتى ماتَ بينَ يديه، وكذلك عثمانُ أظهرَ في ابتداءِ أمرِه من الزهدِ والتدين، ما يزيدُ على وصفِ الواصفِ، حتى انكشفَ حالهُ مع الأمويةِ، فخطفَتْهُ الخواطفُ، فكيفَ قياسُ هؤلاءَ المأمورين بالمشائخ! اللهمّ غفراً.

وأمّا جنابُ السلطانِ الأعظمِ، فهوُ محمولٌ على أنهُ بالحوادِث لا يَعْلَمُ، ولـو يعلمُ بمـا في اليمنِ لرفَـعَ المأمورين والعساكرَ، ولا يَرْضى أن يتحّملَ

ذنوبَهم في الظّلم والمناكرِ، حتى لقد قال بعضُ اليهود، حين سأله سائلٌ عن حُكْمِ هؤلاءِ الأتراك، لا كانوا منكم، وعملوا بالقرآن والتنزيل، ولا مِنْ غيركم وعملوا بالتـوراةِ والانجيل، يأكلون كلَّ ذبيحة، ويرتكبون كلَّ قبيحة. نعم، واشتَمَـل مكتـوبُكُـمْ على الأمـر بـالتخييـر للحقيـرِ ومـا اختـرْتَـه. فعليكـمْ تحصيلُه، فإن أقسنا الليلة بالبارحةِ، قطَعْنا بأنَّ هذه دائرةٌ نازحة، وإن نظرْنا إلى امتثالِ أمرِ الله، فلمْ يسعْني غيرُ الإسعافِ لظاهر المكتوبِ عَمَلاً بقولِ الله: «وإن جنحوا للسَّلْمِ فاجنح لها». فأقول: الذي اختارَه جانباً يسيراً من مملكةِ أبائِنا وأجدادنا، نقيمُ فيه أوامرَ الله ونواهيه، ونُعينُ على حربِ الأجانبِ والسّفيه، ويبقى جُلُّ اليمنِ بأيدي المأمورين، إن أقاموا فيه الفرائضَ والسنن، وعمِلوا بشريعةِ الله فيما ظهر وبطن، حتى لا يُنْسَبَ إلى الذاتِ الشاهانية، والعترةِ[1] الخاقانية، الّا ما يُرضيه من السيرةِ، ثم نختار الإعانةَ منكُم بيسيرٍ من الآلاتِ الحربية، يقومُ بها حِفْظُ ذلك الجانبِ اليسيرِ، وبعد ذلك يحصلُ الاتحادُ، والجامعُ بيننا نصرةُ دينِ ربِّ العباد، والتعاضدُ على منْ رامَ أسبابَ البغيِ و الفسادِ لا الأموالَ والذخائر والمواد.

وحُرّر تاريخه ٢٦ شهر محرم الحرام سنة ١٣١٢.

وفي خلالِ ذلك، دخلت سنةُ ١٣١٢ ، وما زالَ الإمامُ ـ عليه السلام ـ يحـرّضُ النـاسَ على الجهـادِ والكَـرّةِ على العجمِ، ويذكّـرُهُم بالمكاتيبِ والرسائلِ إلى جميعِ القبائلِ بإيضاحِ الحُجَج والدلائلِ، ولكنَّ الناسَ حين زَفَـرتْ نارُ البـاطـلِ، ثقُـلَ عليهم التناضُلُ، فاطمأنّوا، مع أنّه قد وَقَرَ في

---

(1) في ع، العتوة، في ائمة اليمن، ١٦٢، العترة

٤٦ب صدورِهِم وعَرَفوا مما وَقَع، أنَّ الله / مُقْتَدِرُ على إزالةِ دولةِ العجمِ، وأنّه الذي يخفِضُ ويرْفَعُ وُيُعطي ويمنعُ، لا سيّما الرعيةَ، فإنها لما ثَقُلتْ عليهم وطأةُ العجمِ، وأيَسَ اكثَرُهُمْ مِنَ الفَرجِ، عرفوا أنْ مِنَ الله يُرجى حسنُ المخرجِ، فمِنْ بعدِ ما مضى من الوقعاتِ صارت الرعيّةُ تعملُ الحِيلَ، ويسعَوْن في نفاذِ أمرِ الإمام في كلِّ محلّ، والمشائخُ يَنْهونَهم ويأسونَهُمْ من الفرجِ لما انغرزَ في أدمغتهم من الظلمِ والعوج.

وفي شوال هذه السنةِ، وصلَ إلى حضرةِ الإمام ـ عليه السلامُ ـ الشيخُ عبدُ العزيز الشجرة، صاحبُ حصنِ حَب [1] راغباً في نصرةِ الإمامِ، وبادِلاً لفتح حصنِ حب لإدخالِ رتبةٍ من طرَفِ الإمام، والحصنُ المذكورُ معقلٌ من أحصنِ معاقلِ اليمن، قلَّ أنْ يوجدَ له مثلٌ، حتى أنه وَصَفَ لي مَنْ أثِقُ به، أنّه سَمِعَ المتصرِّفَ محمد بيك لما رأى الحصنَ المذكورَ، قال: والله، لو خرجَ السلطانُ لما قدِرَ على إخراجِ مَنْ فيه، من حيثُ أنّه لم يكنْ له الّا طريقٌ واحدةٌ، والطريقُ المذكورةُ أيضاً في غايةٍ ما يكونُ من الإحكامِ والانحدارِ، حتى أنّه لو دَحْرَجَ مَنْ في أعلاه حجراً كبيراً لأخذتْ من تحتِها، بحيثُ لا يبقى منهم أحدٌ، وفيه بِركَتان، يُقال لإحداهما: الطويلة لا تنقذهُما الأيامُ الطويلة، وليس عليه حاسدٌ من الجبالِ حولَه، بل هُوَ العلَمُ الفردُ، وأعلاه مّتسِعٌ، وفيهِ مزارعُ، هذا ما وصَفَ لي مَنْ أثِقُ بهِ من المشاهدين

---

(1) حصن حَب: حصن منيع، يبلغ ارتفاعه ٣٥٠٠م، أقيم في سرة جبل بعدان من أعمال إب انظر، معالم الأثار، ١٠٤، اليمن الخضراء، ٤٤، تاريخ بهرام، ٥، صفة جزيرة العرب، ١٠١، مراصد الاطلاع، ١/ ٣٨٥.

لذلك، بعدَ خروجِ أهلهِ، وفي أعلاه ضريحُ السيدِ عليٍّ بنِ الإمام المتوكل، ويُقالُ إنه محدودٌ، بحيث إنه لأثْبَتُ من أخذه، والظاهرُ ـ والله أعلم ـ أنه من أجـلِ وقوع الركونِ إليه، وتَعلّقِ الاصلِ به والاّ فلا إله إلا الله، الحصنُ الحصينُ، والجنةُ الواقيةُ للمؤمنين، هذا الحصنُ من بلادِ بَعْدَان من اليمن الأسفلِ، مُطِلٌّ على أكثرِ مخاليفِ اليمنِ الأسفلِ، انتهى.

ثم إن الشيخ عبد العزيز لما أراد ما ذُكِرَ وكلّم الامام، اشترط عليه الإمامُ ـ عليه السلام ـ رضى أهله بقيةِ[1] رتبةِ الحصن من بني الشجرة[1]، فطلبَ من الإمام جُعْلاً يكونُ لهم، فأنعمَ له بذلك، واشترطَ عليه الإمام ـ عليه السلام ـ رهينةَ الطاعةِ، فأبلَغَها إلى الإمام على جهةِ الكتمانِ.

ثمَّ إنّ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ كرِهَ أن يَبْعثَ إلى الحصنِ أحداً حتى شحنَه بما يحتاجُ إليه، من الزادِ والمؤونةِ، فأرسلَ الإمامُ الفقيهَ حمادي الروضي، ومعه دراهمُ، والقاضي الجمالي عليَّ بن محمد الخباني، وأمرَهُما بأن يجمعا محتاجَ الحصنِ من الحبِّ والمؤونة، وغيرِ ذلك، فلما وصلا إلى هناك اشتُهرَ الأمرُ وظَهرَ، ونمى إلى العجم الخبرُ فاستيقظوا لذلك، وأغارَ قائمُقامِ قضاءِ مدينة إب بمن معه من العسكر عرب وعجم، وأرادوا معُاجلة مَنْ في الحصن

---

(1) بنو الشجرة من بلاد الحدأ بلدة في عنس شرقي ذمار، ينسب إليها بنو الشجري، وهم في الأصل من بني السحولي، انظر، نشر العرف، ١/١٩٩، معجم المقحفي، ٣٤٥ والعمري يذكر أن نسبة السحولي طارئة، نسبت الأسرة لزيادة قافلة من سحول ليلة مولد أحد أجداد الأسرة في القرن ٩هـ، انظر العمري، مصادر التراث، ٢٦٢.

---

(١) في ع، بقدر

قبلَ أنْ تصِلَ إليهم غارةُ الإمامِ ، فقصدوا الحصنَ المذكور، ولم يكن فيه غير أهله وأكثرهم في القرى حوله، فاجتمعوا إليه، وقد كانَ فيه بعضُ المحتاجِ ، فلما هجمَ عليهم العجمُ وأعوانُهُمْ وصَعدَوا من طريقِهِ التي وَصَفْنا، فألقى عليهم مَنْ فيه حجاراً، فانحدرتْ على مَنْ تحتَها من القومِ ، فانهزموا وَوَلَّوْا راجعين، وعلموا أنّه لا طاقةَ لهمْ بذلك، ورأوا أنَّ التدبيرَ محاصرةُ مَنْ في الحصنِ من جميعِ الجهاتِ، حتى يمتنعَ الداخلُ والخارجُ، وكان مدةُ المحاصرةِ شهراً.

ثم إن الشيخَ الظالمَ عبدَ الواحدِ بنَ محمدِ بنِ قاسمٍ ، صارَ يسعى في مُخادعةِ مَنْ في الحصنِ، وضَمِنَ لهم جُعْلاً من العجمِ ، ورجَفَ عليهم بأنّهم: إنْ لم يفعلوا لا بدَّ يُصيبهُم جميعُ النُّقَم، فصاروا متردّدين متحيرين.

وفي بعضِ الليالي خفقتْ قلوبُهُم ـ أعني أهلَ الحصنِ ـ وكان عندهُم رجلان من العسكرِ المُرْسَلين من طرفِ الإمامِ ، فلما عرفا ما قدْ نزلَ بأولئك من الذُّلِّ والرُّعْبِ خرجا ليلاً على حينِ غفلةٍ من أهلِهِ، فلما انتبَهَ مَنْ في الحصنِ ووجدوا / النفرين قد عزما، أُسقط في أيديهم. فخرجوا من الحصنِ لا بموجبٍ الا مجّرد الجُبْنِ، نسألُ الله السلامةَ، فدخلتْهُ العجمُ، وبادروا في هدمِهِ، وهَدْمِ بركه بما يقدرون عليه، وكانت إحدى البركتين منقورةً في الصخرِ لم يقدروا على هدمِها، فطمّوها والأخرى هُدِمَتْ، وانفجرَ ماؤها حتى بلغَ بابَ مَيْتَم (1).

٤٧أ

(1) مَيْتَم: عزلة من بعدان وأعمال إب، ينسب اليها وادي ميتم الذي يصب إلى لحج، أنظر، صفة جزيرة العرب، ١٤١، ١٧٩، ٢٠٢، اليمن الكبري، ٤٢، الإكليل، ٣٥٥/٢، معجم المقحفي، ٦٤٩، البلدان اليمانية، ٢٦.

وأما الإمام ـ عليه السلامُ ـ فإنه بعدَ وصولِ القاضي الجمالي علي بن محمد الخباني، والفقيه حمادي الرَوْضي إلى الحضرةِ، وأخبراه الخبرَ أرسلَ السيِّدَ الجماليَّ عليَّ بن أحمد صلاح، وصحبتَه جماعةٌ من ذو محمد وذو حسين وهَمْدَان، لقبضِ الحصنِ المذكورِ والغارةِ على من فيه. فلما وصلَ السيدُ المذكوُر بمن معه إلى بني جبر الطيال وصلتْ إليه الأخبارُ بأنَّ الحِصنَ المذكورَ قد أُخِذَ وهُدِمَ، فكتبَ بذلك الخبرِ إلى الإمامِ، وانتقل إلى بلادِ الحدا، وبقي هنالك إلى آخرِ محرم من سنة ١٣١٢.

وفي هذه المدةِ جَمعَ عُقَّالَ الحدا، وطلب منهم الرهائنَ، فرهن بعضهم، فلما بلَغَ العَجم ذلك، خرجوا من مدينة ذِمار قاصدين بلادَ الحدا، فبقوا مدةً في إسْبِيل[1]، فأعلنت بنو زياد[2] بالطاعة للعجمِ، وأما بنو بُخَيْت[3]، فعقَروا عندَ المقدمي بأنّه يرفع المطرح من بلادهم، وعقير عند العجمِ بأنهم لا يصلون إليهم، فحصلَ لهم المقصودُ وتمَّ.

وفي هذه المدةِ أرسلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ جماعةً لقبض حصنِ الدُمْلُوَة[4] في بلادِ الحُجريةِ، بموجبِ استدعاءِ بعضِ العسكرِ، وهو حصنٌ

---

(1) إسْبِيل: جبل كبير في بلاد عنس من أعمال ذمار، وهو بالشرق من جبل اللُسي بمسافة ١٠ كم فيه العديد من القرى، وإليه يُنْسَب بنو الأسبيلي، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٢/ ٦٧، صفة جزيرة العرب، ٢٠٦، معجم المقحفي، ٣٨.

(2) بنو زياد: عُزلة في الحدا، انظر، صفحات مجهولة، ٨٢، معجم المقحفي، ٢٩٤.

(3) بنو بُخَيت: عُزلة مشهورة من ناحية الحدا بالجنوب الشرقي من صنعاء، من ضمنها مدينة هجر فوق بني بدًا انظر، معالم الأثار، ٨٧، معجم المقحفي، ٦٤.

(4) حصن الدُمْلُوَة: حصن في جبل الصلو، على بعد ٤٠كم جنوب شرق تعز، انظر، =

منيعٌ، فلما وصل إليه العسكر المأمورون بقبضه بلغ ذلك مسامعَ العجم، فسارعوا إلى حسمِ مادةِ هذا الامرِ ودواءِ هذا الألمِ ، ووقعَ فيما بينهم قتالٌ ومصادمةٌ ونزالٌ، وآلَ الامرُ إلى الخروجِ.

وفي هذه المـدةِ اتّفَقَ أنَّ بعضَ الشيعةِ الكرامِ احتالَ في إحراقِ(١دارِ حكومةِ صنعاءَ١) بالبارودِ، فتّم له ذلك المقصودُ وكانَ ذلكَ نهاراً، ولم يُضرَّ أحدٌ، لكنْ صارَ له وقعٌ في قلوبِ العجمِ ، وعَلِموا أنَّ عليهم رقيباً لم يَنمْ.

وفي هذه السنةِ وصلَ مكتوبٌ إلى حضرةِ الإمام ـ عليه السلامُ ـ من السيد الأديبِ الأديب جعفر الحلي من ساداتِ النّجفِ المشهورِ في العراقِ، وفي صدرِ المكتوبِ هذه القصيدة الطنانة، ولفظُها(1): [البسيـط]

مُرْ وَانْـهَ واحكمْ فأنتَ اليومَ ممتثِلٌ	والأمـرُ أمـرُكَ لا ما تأمرُ الـدولُ
عنك الملوكُ انثنوا عجزاً وما عَلِموا	أأنــت زدْتَ عُلُوًّا أم هُمُ سفـلوا
خلاصُ ذي التـاجِ أن يعطيك طاعتَهُ	لأمّــةٍ إنْ عصـاك الثُّكْـلُ والرّسلُ
يا سيداً لم يَخَـفْ عَزْلاً لمـنـصِـبِـهِ	والعــزلُ فيه بحـذف الـلاّمِ مُتصِـلُ
من كانَ في دينـهِ بالله منـتـصـراً	فلا تقـابـلُهُ الأنـصـارُ والـخَـوَلُ

= صفة جزيرة العرب، ١٤٢، صفة بلاد اليمن لابن المجاور، ١٥٣، اليمن الكبرى، ٣٩، السلوك للجندي، ١/ ٣٧٩.

(1) وردت الأبيات من القصيدة في حوادث سنة ١٣١٣، وذلك في كتاب أئمة اليمن، ١٧٣-١٧٤ مع بعض الاختـلاف، البيت السـادس، هذا سبيل، أعـطاكـه، البيت الثالث، والهبل، البيت الرابع عشر، بها العطا والدعا.

(١ ١) في م «دار الحكومة حق صنعاء»

هذا سبيلُ رسولِ الله أنتَ بهِ ... أعطاكَهُ أولياءُ الله والرُّسُلُ

الدولةُ اليومَ في أبناءِ فاطمةٍ ... بُشرى فقدْ رَجَعَتْ أيّامُنا الأُوَلُ

محمدُ اليومَ قد أحيا بني حسنٍ ... كأنهم قطُّ ما ماتوا وما قُتِلوا

سيوفُكُمْ لم تَزَلْ يا آلَ فاطمةٍ ... منها نجيعُ الطُّلى المحمرُّ ينهمِلُ

الله أعلاكُمُ قَدْراً وشرَّفَكُمْ ... وإنّكم لَهُداةُ الناسِ لو عَقلوا

والكلُّ منكم شريفُ القَدْرِ ذو كرمٍ ... تُزينُهُ خُصْلتانِ: العلمُ والعَمَلُ

/فمن رآك رأيَ الهادي وعترتهِ ... ففيك منهم صفاتٌ ليس تنفصلُ ٤٧ب

(١يُمْناكَ قد خَصَّها الباري بأربعةٍ ... بها العطا والدعا والسيفُ والقُبَلُ

أقلامكَ السُّمْرُ في الأعداءِ قد فَعَلَتْ ... ما ليسَ يفعَلُهُ العسّالةُ الذُّبلُ

لولاك ذلَّتْ بنو الأشرافِ قاطبةً ... كما تُذَلُّ إلى جزارِها الإبِلُ

مولانا إمامَ الشرفا، وسيدَ الائمةِ الأتقياء، ما زلنا نَتَفَحَّصُ عن أخبارِكم وحسنِ آثارِكُم، ولا زالتْ أخبارُكم تَسُرُّ ساداتِ العراقِ، وتتعطّرُ بنشرِها الأفاقُ، لا سيما خادمُكم، فإنها تحركتْ إليكم الأشواقُ، ولكنْ عاقتني عن الوصولِ عوائقُ، ولا غروَ فإنك غصنُ الشجرةِ النبويةِ، وثمرةُ الدوحةِ النبويةِ، زادَ الله في شرفِكَ، وصدورُها صحبةَ الحاج الأفضل صالح بن يحيى الذماري اليماني، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

صورةُ جواب مولانا الإمام، حفظه الله تعالى[1]:

[البسيط]

---

(1) وردت الأبيات في أئمة اليمن، ١٧٤-١٧٥ مع بعض الاختلاف البيت الثالث، مِن بدل لي، البيت السادس، اهم بدل لأنهم، البيت العاشر، غلى بدل عن.

(١ ١) من «يمناك قد حضها حتى دخلت سنة ١٣١٣، سقطت من م

بيضُ الظُّبا وصَدورُ الخيلِ والأسلُ … يُصْلِحْنَ ما أفْسَدَ الأوغادُ والسفلُ

هّبتْ لنا نسماتُ الشرّقِ من نَجَفٍ … حنَّتْ لها صافناتُ الخيلِ والإبلُ

يا ناظماً من بني الزهرا هيَّجَ لي من … شوقٍ إلى نصرِ ما جاءَتْ بهِ الرسُلُ

نظماً يطاطِىءُ سحبانُ لرقّتِهِ … ويحتذي ما احتذاهُ المسكُ والجعُلُ

وينثني عنهُ عجْزاً أنْ يماثِلَهُ … كما النّعامةُ لا طيرٌ ولا جَمَلُ

أذْكَرْتَني منْ بني الزهراءِ أنَّهُمُ … قومٌ لِهُمْ نُصْرَةُ الإسلامِ والدُّوَلُ

لكنَّهُم قَعَدوا عنها وما اجتهدُوا … وطالما رقَدوا فاعتاقهم دخلُ

وضيّعوا سُنَنَ الأباءِ وادَّرَعُوا … دِرْعَ السّلامةِ وهَو الحتف لو عقلوا

واستأمنوا كلَّ [1] ظُلْمٍ فجَّرعهمْ … كأسَ الهوانِ وفيهِ النارُ تشتعلُ

وشاركوهم على ظلمِ الحقيرِ وطر … دِ المستجيرِ وعنْ حُكْمِ الحِجا غَفِلوا

ما كلُّ ذي مخلبٍ صقرٌ ولا سَبُعٌ … كلّا ولا رجلٌ يعتاضُهُ رجلُ

إنا نهضْنا وللأتراكِ صَلْصَلَةٌ[2] … وشدَّةٌ ضاقَ منها السهلُ والجَبَلُ

وأفسدوا الدينَ والدّنيا وما عَلِموا … أنَّ الأماني يوافي بينَها الأجَلُ

رَدُّوا نصوصَ كتابِ الله واتخذوا … قانونَهُمْ ناسخاً للدينِ وانتحلوا

وأمَّروا عابدَ الصُّلْبانِ حين طغى … وزادَ بَغْياً على الأشرافِ يرتحلُ

لذاكَ واخيتُ وحْشَ الأرضِ منتصراً … باللهِ والجيشِ بعدَ الجيشِ متّصلُ

يا غارةَ الله حِثّي السيَرَ مسرعةً … لحلِّ ما يَعْقِدُ الأوباشُ والسُفلُ

وعنْ قريبٍ وقد زالَ الصداءُ عن ال … قُلوبِ وانبعَثَتْ أيّامُنا الأُوَلُ

واسلمْ ودُمْ في نعيمٍ لا يُعارِضُهُ … شَرٌّ ولا عاقهُ في نحسِهِ زُحلُ

---

(١) في الأصل ظلام.

(٢) في أ، منتضلة

وفي هذه المدةِ كانت:

وقعةُ الحُقَيْبَة[1] في بلاد عُتُمة[2].

وصفتُها: أنَّ الشيخَ صالحَ بن يحيى الأسدي، استدعىَ منَ الإمام ـ عليه السلامُ ـ ترتيبَ القلعةِ المذكورةِ وإرسالَ مقدمي لأقامةِ الحقِّ في بلادِ عُتمةَ، والشيخُ صالحُ وقرابتهُ وأسلافهُ رتبةُ القلعةِ المذكورةِ في الدولةِ القاسمية، ونسبهم يرجعُ إلى سُفيان، فلما رهنَ الشيخُ صالحُ عندَ الإمامِ وطلبَ إتمامَ ذلك المرام، كتبَ الإمامُ إلى السيد علي بن صلاح، وكان في بلادِ الحدا، كما سبقت الإشارةُ إلى ذلك، يتنقّلُ في مشارِقِها، وكان قد وقـعَ فيما بينَه وبينَ أهلِ هجرة إسبيل الحربُ، والسببُ أنهم لم يُضيفوه، وقُتِلَ مَن أهل إسْبيل في ذلك الحرب رجلٌ، ورجَع عنهم بعدَ ذلك إلى الحدا. فلما وصل مكتوبُ الإمام ـ عليه السلام ـ بأن يعزمَ عُتُمةَ لقبضِ الحُقَيْبَةِ، سارَعَ إلى فعلِ ما أُمِر به، وكانت طريقُه من الصميد، وسرى ليلاً من قاع جهرانَ، وانحدرَ من نَقيل المصنعة[3]، فلم يصبحْ عليه

---

(1) الحُقَيْبَة: حصن في عُزْلة السُّمَل من أعمال عُتَمة، يعرف اليوم بحصن بني أسد، انظر، معالم الأثار، ٨١، معجم المقحفي، ١٨٦، نيل الوطر، ٥٢/٢.

(2) عُتُمَة: بلدة مشهورة بالغرب الجنوبي من ذمار بمسافة ٦٢كم، انظر، معالم الأثار ٨١، معجم المقحفي، ٤٢٨، طَبق الحلوى، ٦٩، معجم الحجري، ٥٧٦/٢ من نواحيها، ناحية حمير الوسط، وناحية السُّمَل، كناحية بني بحلأ وناحية سماة.

(3) المصانع: هي السدود والقصور، وهي كثيرة في اليمن، وفيها حصن في الشمال الغـربي من ذمـار بمسـافة ٣٢كم، تمر عليه الطريق إلى حمام علي، تعرف اليوم بمصنعة جهران، واسمه القديم مصنعة أفيق، انظر، معجم المقحفي، ٥٩٩.

الصبحُ إلا في حمام علي[1] في أسفلِ وادي الخيرات[2]، وعزمَ من ساعتهِ حتى حطَّ في الركْنة[3] تحتَ ذي حود على ماءٍ هنالك، وقُدِّرَ منْ معه من العسكرِ أربعَ مئة.

ثم كانت طريقهُ على جبلِ سَمَاة[4]، وانحدرَ منه إلى القفر، وسرى ليلاً حتى بلغ الحُقَيْبَةَ صبحَ الخميسِ، الثاني والعشرين من شهرِ صفر في السنةِ المذكورة، فلما وصلوا هنالك عشروا تعشيرةً عظيمةً حتى أرجفوا على القبائل، وحصلَ معهم الحاصل.

وفي اليومِ الثاني، وقعَ الحربُ بينهم وبينَ أهلِ السُّمَل[5]، وقُتِلَ من أهلِ السُّمَل تسعةٌ، واستولوا على محلّين من محلّاتهم، وقُتِلَ من أصحابِ المقدّمي رجلٌ من الحدا، وخمسةٌ من عيالِ الأسدي، فلما كان ذلك أعلنت الرعيةُ بالطاعةِ، وسياق الكفايات للجماعةِ، ووصلت إلى حضرةِ المقدّمي مشايخُ البلادِ، وأذعنَ بالطاعةِ كلُّ حاضرٍ وباد، وظنَّ المقدمي

(1) حمام علي: وادي حمام علي، من بلاد عُتُمة، جنوب ضَوْران بمسافة ١٠كم، انظر، اليمن الكبرى، ٥٩، ١٤٤.

(2) وادي الخيرات: نسبة إلى بني خيرات، انظر، المقحفي، ٢٢٦

(3) الركنة: من ذي حود، وهناك أشهر جبال وصاب السافل من أعلاها، انظر، معجم المقحفي، ١٩٨، ٢٧٣.

(4) جبل سَمَاة: جبل مطل على عُتُمة من جهة الشرق من قضاء آنس، يتصل من جهة الشرق الجنوب بناحية مغرب عنس، انظر، ائمة اليمن (سيرة الهادي)، ١٠٩.

(5) السُّمَل: عُزلة من ناحية عُتُمة وأعمال ذمار، انظر التعداد، المجلد ١٥٦/١، النور السافر، ٧٤.

أنه قدْ بَلَغَ المرادَ، وما زالَ ينتَقِلُ حولَ القلعةِ. وكان الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ قد أمَرهم عند وصولِهم القلعةَ أن يشحنوها بما يُحتاج إليه مِنَ الزاد لتكونَ لهم مأوى عند زفراتِ العجمِ، وأعطاهم من الدراهمِ ما يُحَصِّلون به تلك المحتاجاتِ. فحين وصلوا هنالك تساهلوا عن تحصيلِ ذلك، وخَلَتِ القلعةُ عن المحتاجاتِ، فكانَ ذلك من عدمِ الثّباتِ. وأيضاً فإنَّ المقدمي لم يحزم البلادَ بأخذِ الرهائن، ممن وصلَ إليه من المشائخِ. ولما استقرَّ المقدمي هنالك، لم يزلْ يصلُ إليه الإمدادُ من حضرةِ الإمام ـ عليه السلام ـ وتَلَقَّى بعضَ تلك الامداد أهلُ العقبةِ التي تُرقى من الغول، ووقعَ بينهم حربٌ، واستولوا على بيوتِهم، وأخذوا جميعَ ما فيها، وقتلوا منهم رجلاً، وهي ثلاثةُ أميالٍ من قلعةِ الحُقَيْبَة.

ثم إنَّ العجمَ لمّا بلَغَهُمْ ما قدْ ألمَّ قاموا باستدعاءِ بعضِ المشائخِ الذين استولى [عليهم](٢) النصب الراسخ.

وكان محمد نظيف بمن معه في ذاهب(1) قرية من المنار، ووصل إليه نحوُ طابورين مَدَداً من ذمار، وقَصَدوا المقدميَّ المذكورَ، ومَنْ معه، فوقَع الحربُ بينهم في محلٍّ تحتَ القلعةِ، وأما القلعةُ فمفرغةٌ لما ذكرناه آنفاً من عدمِ المُحْتاجِ، فوقَع الحربُ فيما بين العربِ والعجمِ إلى أنْ

(1) ذاهب: عُزلة الذاهبي من منار بلاد آنس في جبل ضَوْرَان انظر، اليمن الكبرى، ٢٨ هذه هي اليمن، ٢٧/٥، صفة جزيرة العرب، ١٥٦، معجم المقحفي، ٢٤٨.

(١) في أ، أسبيل

(٢) الإضافة لضرورة المعنى

أرخى الليلُ سدولَه وأظلمَ، ووقعَ في العجمِ قتولٌ كثير، واختلطت العربُ
بالعجمِ في ذلك اليومِ القَمْطَرير، وبعد ذلك انهزمت العربُ / وكرُّوا ٤٨ب
راجعين، واستولت العجمُ على القلعةِ وما حولها ظاهرين، وهذه القلعةُ
قلعةٌ عظيمةٌ من معاقلِ اليمن المشهورةِ التي كانت الائمةُ بيت القاسم
يُرَتِّبُونَها. وفيها بركٌ كثيرةٌ، وفيها أيضاً بركة لا ينفذُ ماؤها.

وحكى بعضهم أنه مما يُتَعَجَّبُ منه، أنّ البركةَ المذكورةَ، إذا نزلَ
السيلُ في مور، وقع في البركةِ لَوْنُ ماءِ السيلِ، فهذا ما كان من وقعةِ
الحُقَيْبَة، وتلك الآراءُ التي هي غير مصيبة.

ثم دخلت سنة ١٣١٣

وفي المحـرم منهـا، كانت وقعـة راعـد[1]، وإنها من أعظمِ العِبَرِ
والشّواهدِ، وراعد محلٌّ معروف في بني ضبيان، سكنَ فيه الحاج المجاهد
صالح الحميدي.

واقعة راعـــد

وصفتُها: أنّ الإمام عليه السلام، أمر السّيِّد العلّامةَ، صفيَّ الإسلام،
أحمدَ بنَ قاسم حميد الدين، حماه الله بالعزمِ إلى راعد لحثِّ الناسِ على
الجهادِ ، فوقع استقرارُهُ في راعد في بيتِ الحاج المجاهد صالح الحميدي،
وما زالَ يكاتبُ قبائلَ خَوْلان الذين أجمعَ الإنسُ والجانُ أنهم أقلُّ هِمماً من

(1) جبل راعد، في بلاد ضبيان البدو بمشارق خوْلان، انظر، أئمة اليمن، ٢/١٦٥،
١٧٢.

النسوان، وهم يجيبون عليه بما لا طائلَ تحته، ما يدلُّ على الخذلانِ، وحاملُ رايةِ الخسرانِ، شيخُهم عبدُ الله بن حسين الصوفي[1]، وكان مديراً في جهةِ خَوْلان من طرفِ العجمِ، وما زال تحملهُ المبالغةُ في حفظِ منصِبه ومالهِ حتى وقعَ في الندم.

وحكى أنَّ بعضَ أعدائهِ في هذه الوقعةِ زَوَّرَ على لسانهِ مكتوباً إلى سيدي العلامةِ الصفي، وحكى فيه بذلَ الطاعةِ، فأجاب عليه سيدي الصفي بما يفي، فأخذه ذلك المُزَوِّرُ، وأدخله عند أحمد فيضي، فطلبه، فأنكرَ ذلك، فقبِلَ منه ذلك الإنكار، لمّا عِلمَ أنّه قد خالَطَ قلبَهُ حبُّ الظَّلَمةِ الأشرارِ.

ثم إن الشقيَّ المذكورَ لما بَرَّأَ ساحتَه عن ذلك الزُّورِ، أرادَ التحبُّبَ إلى أحمد فيضي، وقال: لا يحسمُ مادةَ هذه الفتنةِ إلّا خروجُ عسكرٍ إلى بلادِ خَوْلان. فساعَدَهُ أحمد فيضي، وجهَّزَ راشد بيك وصحبته أربعةَ عشَر مئةً من العساكرِ، وتوجّهوا نحو خَوْلان، وطلبوا الرهائنَ، فأجابتهم اليمانيةُ العليا، وسلّموا ما طلبوا من المطالب.

ثم توّجها وادي مسور[2] وأخذوا الرهائنَ أيضاً. وقبضوا منهم المطالبَ التي طلبوها، ثم ما زالوا يتنقلون في بني سحام وبني شداد وبني جبر، وقد

---

(1) عبد الله بن حسين بن ناجي الصوفي، مدير الأتراك في جهة خَوْلان، انظر أئمة اليمن، ١٧٢.

(2) المقصود مَسْوَر خَوْلان: بلدة في خَوْلان العالية بالجنوب الشرقي من صنعاء، وهو وادٍ خصيب كثير الكروم والخيرات. انظر اليمن الكبرى، ٦٩، ١٠٤، صفة جزيرة العرب، ١٦٢، معالم الآثار، ٧٦، نشر العرف، ١/ ١٨٣، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٥٨.

أذعنوا لهم بالطاعةِ، وتحملوا العارَ إلى قيامِ الساعةِ، فلما تمّ للعجمِ المرامُ عَزَموا على قصدِ المقدمي إلى راعد، وحسبوا أن كلَّ بيضاءَ شحمة. وكانت طريقُهم على السُّهمان ثم من غليل[1]، وأهلُ المحلِّ المذكور، أهلُ ثروةٍ، ففرَّ بعضُهم، وبعضٌ أخذْته العجمُ، ونهبوا أموالَهم وقراشهم، وكان ذلك جزاءَ ما كسبت أيديهم من الأعمالِ القبيحةِ؛ فإنهم كانوا يتعاملون بالرّبا، فكان التسليطُ جزاءً وفاقاً، ثم إنَّ العجمَ توجّهوا من هنالك نحو راعد قاصدين صفيّ الإسلام، ومن صحبه من المجاهدين الكرامِ، فكتب صفيُّ الإسلام إلى منْ كانَ عاهدَهُ وعاقَدَهُ على الجهاد، فاختلفوا عن الوفاءِ بالميعادِ.

وكانت طريقُ العجمِ على الضيقِ[2] المعروف بضيق بـوٌّ، وهو ضيقٌ صعبُ المخـرجِ والمدخلِ، ممتدٌ من غليل إلى جبل راعد، وحولَهُ جبالٌ مانعةٌ، وكان دخولُهُمْ على حينِ غفلةٍ من المجاهدين قبل أن يرتبوا موضعَ الخُلَلِ، فوقع بينهم حربٌ يسيرٌ في الضيقِ المذكورِ فوالوهم حتى بلغوا في ذلك اليوم إلى أسفـلِ الضيق فبـاتـوا فيه ليلتهم، ثم لم يقـدوا[1] فيه ناراً بسببِ أنَّ المجاهدين، كانوا كلَّ ما رأوا ناراً رموا إليها، ثم/ لم يزل الحربُ بينهم إلى الصباح.

٤٩

(1) غليل: هو وادي غليل على مقربة من جبل راعد، وغليل بلد في الشرق الشمالي من مدينة رداع بني العباس، وجوف رداع، والغليل، موضع في جبل عويمر من صحار بصعدة انظر، صفة جزيرة العرب، ١٦٠، ٣٥٥، أئمة اليمن ١٧٢/٢.

(2) ضيق بوّ: وهو ضيق صعب القياد ممتد من وادي غليل إلى جبل راعد قد حفته الجبال المانعة، انظر، ائمة اليمن، ١٧٢/٢.

(١) يوقدوا الأصح

في الصباح تقدمت العجمُ إلى العقبةِ في الجبلِ المذكور، فواجههم من فيه، وهم قليلون من بني ضبيان آل سعيد الحميدي، والشيخ علي بن مهدي شديق، وأصحاب صفي الإسلام نحوَ العشرةِ لا غير، وكان عدةُ الجميع ثلاثين لا غير، فقاتلوا قتالاً شديداً في العقبةِ المذكورةِ، وانحازوا إلى جانبٍ من الجبل، وبلغت العجمُ إلى دارٍ لآلِ سعيد الحميدي، فأقاموا فيه بقيةً اليوم والليل، وأحرقوا البيتَ في الصبحِ، وعزموا على الرجوعِ لمّا رأوا أنَّ الدارَ ليس بدارِ مقام، وكانوا قد تركوا رُتْبَةً قليلاً في محل غليل.

وأما المجاهدون، فإنّهم رّتبوا الطريقَ في الليل، وأخذوا على العجمِ مواضعَ الضيق، فلما وصلوا إلى أسفلِ العقبةِ، كرَّ عليهم الشيخُ المجاهدُ صاحبُ المنقبةِ، ناصرُ بنُ سعيد الحيمدي، وقبض أكمةً بأسفلِ الضيق، وصار يرمي منها إلى أسفلِ العقبةِ، وأصحابُهُ الآخرون يرمون من جوانبِ العقبةِ، وطائفةٌ من المجاهدين صاروا من وراءِ العجمِ، وأكثر تحفّظِ العجمِ من ورائهم، فتركوا رتبةً من ورائهم نحوَ ثمانين رجلاً ليحفظوا وراءَهم، فحينَ وصلوا إلى أسفلِ العقبةِ رماهم الشيخُ سعيد فبُهتوا وتضعضعت صفوفُهم ورماهم أصحابُهُ الذين في وسط العقبةِ، فانهزمَ بعضُهم هاربين نحوَ الأسفلين، وبعضُهم رَجَع هارباً من حيث أتى، وكثُرَ القتلَ في العجمِ، وكرَّ بعضُ المجاهدين على الرتبةِ التي في الجبلِ من العجمِ، فساقُوهم بينَ أيديهم هاربين، فغُلبوا هنالك، وانقبلوا صاغرين، وأنزلَ الله نَصْرَهُ على طائفةِ المجاهدين، وأرَادَت العجمُ رميَ المجاهدين بالمدفعِ، فهجمَ عليهم المجاهدونَ حتى لم يقدروا على الرمي به، وأرادوا حملَهُ على عواتِقِهم، فرماهم المجاهدون فطرَحَوُه، وضاقتْ عليهم الأرضُ، وأيْقنوا بالهلَكَةِ، ثم إنَّ

رجالاً منهم صعدوا على أكَمَةٍ مُقابلةٍ لْلاِكَمةِ التي فيها الشيخُ ناصر بن سعيد، فَرَمَوْهُمْ بالبنادقِ، فاستُشْهِدَ ببعضِ تلك البنادقِ الشيخُ ناصر بن سعيد، رحمه الله تعالى، فلقدْ أبلى في هذا اليومِ البلاءَ الشديدَ. ولما قُتِلَ فَرّ مَنْ حوله، وحينئذٍ انفرجَ عن العجمِ بعضُ الهمِّ، وأيضاً فإنّ علي طاهر السحامي سلَبَ بندقتين من بنادقِ العجمِ، فأراد بعضُ رجالِ بني ضبيان أن يأخذَ إحداهما واشتدَّ بينهما الخصامُ، وكادَ الناسُ أنْ يقتَتلِوُا فيما بينهم، فلما وقَعَ ما وقَعَ، وجدَ العجمُ فرصةً للهربِ، فأخذوا المِدْفَعَ، وعزموا إلى رأسِ العقبةِ، وباتوا فيها ليلةً نابغيةً.

وفي الصباحِ باكَرَهُم المجاهدون بالحربِ، وارتحلَ العجمُ في بُكْرةِ ذلك اليومِ، وارتقى جماعةٌ منهمُ الجبلَ ليسدُّوا الخلَلَ، ولم يَزَلْ الحربُ بين المجاهدين والعجمِ في ذلك الضيقِ، وفي الجبال إلى آخرِ ذلك اليومِ، وما رانَ العجمُ غليلاً الاّ وقد رأوْا من المَوْتِ يوماً مهيلاً.

ولقد أبْلى المجاهدون مع قتلهم هذه في الثلاثةِ الأيام بلاءً حسناً، واستأهلوا من الله سبحانهَ، ومِنْ صالحي عبادهِ جميلَ الثناءِ، حتى أنه نفذ عليهم الزادُ والمونةُ، ولولا أنه نَفذَ عليهم ذلك لَلَحِقوا العَجمَ وسامُوهُمْ سوءَ العذابِ.

وكانت العَجمُ تُلْقي ما على البغالِ من الأثقالِ للتخفيفِ والهربِ بها، فتأخذُ ما ألقى المجاهدون وربّما/ كان زاداً أوْ أرُزاً فيكونُ ذلك من اللُّطْفِ الخفي. ٤٩ب

واستُشْهِدَ من المجاهدين في هذه الوقعةِ ستّةُ أنفارٍ، منهم: الشيخُ ناصر

ابن سعيد الحميدي، والشيخُ علي بن علي طاهر السَحامي، والشيخُ راجح ابن داحش الهجـام من عُقّال أرحب[1] أصابَهُ داءُ الجوف، فماتَ في حال القتالِ، وسببُ ذلك أنه كثر عليه الرصاصِ مع شدةِ الحربِ، وقلّةِ الزاد، فثار عليه داءُ الجوفِ، فكان ذلك شهادة.

وأمّا العجمُ فقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ، بعضُهم حُزَّتْ رؤوسُهم، وبعضُهم دُفِنَ، وبعضُهم صارَ في بطونِ الطيورِ والسّباعِ، والمجاريحُ أيضاً كثير.

وحكى لي بعضُهم أنَّ قدْرَ القتلى ثمانون، والمجاريحُ أربعون، وأخذَ المجاهدون سبعَ بنادق.

ومن أغربِ ما يُذكَرُ أنَّ ابنةً لعليّ بِن سعيد الحميدي أخذتْ بندقين، وأنَّ في هذه الوقعةِ عِبْرَة للمتوسِّمين، فإن هؤلاء النفرَ القليلَ لما أخلصوُا النيَّةَ وصَـدَقوا ما عاهدوا الله عليه، ولـم يكنْ مقصدُهم أخذ شيءٍ من الحطامِ، أيّدهَمُ الله بهذا النصِر المبينِ، الذي صارَ فيه مقابلةُ الواحدِ الواحدَ، لا لِما

---

(1) أرْحب: قبيلة كبيرة من همدان تنسب إلى أرحب بن الدُعام بن مالك، وهي ناحية تابعـة لمحـافظة صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥كم، من بلدانها المشهورة شِوَابة، هِرّان وأتوه وقُدَر وصرواح وهي غير صرواح مأرب والحيفة وأرحب قسمـان، زهيري وهي خمسة بطون، بنـو علي، عيال عبـدالله، الخميس، زنـدان، شاكـر وهي غير شاكـر الكبـرى التي تجمع قبائل وايلة ودُهمة، وبيت مران وذبياني وهي عشرة بطون، بنو حكم، الزبيرات، حَيَّار، بنو سلمـان، المنصـور، عيال أبي الخير، عيال سحيم، الثلث (ويقـال لهم حَسّان)، هـزَم، شعب، انظر، معجم المقحفي، ٢٤، اليمن الكبرى، ٧٣، معالم الأثار، ٥٧.

يُحصى من المائين.

ولقد أخبرني مَنْ حضَرَ الوقعةَ من المجاهدين، أنّه رأى من النصرِ والتثبيت ما يعجزُ عنه الواصفُ، وجبل راعد هذا ليسَ بمنيعٍ، وإنما هو قفرٌ كثيرُ الأشجارِ ليس فيه عمارةٌ إلاّ بيوتَ آل الحميدي، وقد كان أقطعَ ذلك الشيخَ سعيد الحميدي الإمامُ، المنصورُ بالله أحمدُ بن هاشم[1] ـ عليه السلام ـ وكانت تدّعيه قبائلُ من الحدا، فلم تَطِب نفسُ الشيخِ سعيد حتى احتاطَ بِشَرْي ذلك ممَّنْ يّدعيه.

ثم إن العجمَ بعدَ هذا الخطبِ الجليل أقاموا بغليل بعضَ أيامٍ قليلةٍ تجلّداً وتَصَبُّراً غيرَ جميل، ثم ارتحلوا عنها بعدَ ذلك إلى بلادِ الأعروش[2]، وأظهروا إنما مرادُهم بنو جبر، وأبطنوا الشَّرَّ للأعروش؛ لأنهم فرّوا منهم عندَ الدخول، فلما استمكنوا منهم قلبوا لهم ظهرَ المِجَنِّ، وساموهم سوءَ العذاب، حتى سلّموا لهم جميعَ ما يطلبون، ثم قصدوا بعد ذلك بني جبر، فاجتمعت

---

(1) الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم بن محسن، بويع سنة ١٢٦٤هـ /١٨٤٧م بمدينة صعدة، وخرج منها إلى ناحية الطلح من صعدة ثم حوث وخمر وعَمْران، سنة ١٢٦٦هـ /١٨٤٩م انتقل إلى بيت ردم ونواحيها وحاصر صنعاء فدخلها واستقر فيها، ثم خرج اثر عصيان الجنود إلى قرية دار من بلاد أرحب وبها توفي ١٢٦٩هـ /١٨٥٠م انظر، نيل الوطر، ١/٢٣٥، المقتطف من تاريخ اليمن، ٢٠١، فرجة الهموم والحزن، ٢٣٥.

(2) الأعروش: قبيلة من خولان الطيال ، المقحفي، ٣٨، اليمن الكبرى، ١٨٢.

---

(١) بشراء

الرجالُ، وتأهّبوا للقتالِ ، مع أنَّ محلَّهم حصينٌ محفوفٌ بالجبالِ ، وكتبوا إلى سيفِ الإسلام يستدعون وصولَه للنُصرةِ، وجمع الكلمةِ من الخاصِّ والعام، وأنَّ ما فعلوا ذلك خوفاً أن تدهمَهُمُ العجمُ اللّئامُ، وإلا فليس لهُمْ في الجهادِ مرامٌ، فلمّا بلغَ العجمُ ذلك، ارتحلوا عنهم إلى السُهْمَانِ(1)، فحينئذٍ كتبتْ بنو جبر إلى صفي الإسلام، يطلبون تركَ الوصولِ، فإنه قد حَصَل لهم المرامُ.

وفي هذه المدّةِ، توجَّهتْ جماعةٌ من العَجَمِ من ذمار إلى جهةِ الحدا ليكونَ شاغلاً للحدا عن معاونة مَنْ في راعد، ظَنّاً منهم المعاونةَ في تلك المشاهدِ، وإلا فلا تحقيقَ لذلك الظنِّ الفاسدِ، فإنّ مِنْ صفاتِهم في جميع المواطن التقاعدَ، وأظهر العجمُ أنَّ مرامَهم التحصيلُ، وهو المطبُ الأهمُّ الذي قامَ عليه واضحُ الدليلِ ، فسلَّطَهُمْ عليه ربُّ العبادِ، فما زالوا يتنقّلونَ في البلادِ حتى رجعوا إلى زِرَاجةَ(2)، وقد قضوا تلك الحاجةَ.

وفي هذه المدةِ جهّز الإمام عليه السلامُ، سيدي الفخريَّ عبدَ الله بنَ

---

(1) السُهْمَان: من قبائل خولان العالية، ثم من بني سحام، يقال إن سبب تسميتهم إنما يعود لاجتماع خَوْلان العالية، يوم سكن المكان قطاع الطرق، فاستهموا، فخرج السهم على بني سهام، فاختاروا منهم جماعة فسموهم السُهْمان، وسهمان عزلة من ناحية حُفاش وأعمال المحويت وقاع سهمان، حقل واسع في ناحية بني مطر، بالغرب من صنعاء، انظر التعداد (المحويت)، ٤٩ معجم المقحفي، ٣٣٠.

(2) زِرَاجة: مركز ناحية الحدا، تابعة ادارياً ذمار،شرق ذمار،انظر، رياض الرياحين ، ١٠٨، معجم المقحفي، ٢٨٩، انظر، صفحات مجهولة، ٨٧، مذكرات المؤيد، ٢١٨.

قاسم بن الإمام إلى بلادِ رازح[1] لِضَبْطِها ودَرْءِ المفاسدِ، وجَلْبِ المصالحِ، حينَ اضطّرَبَتْ أمورُهم في مدةِ العاملِ السابقِ السيدِ العلامةِ إبراهيمَ بن قاسم الشرفي، حماه الله، فلما وصلَ سيّدي الفخريُّ هنالك /وصحبته مئةٌ وسبعون ٥٠أ رجلاً، تلقّاه المخالفون بالطّاعةِ، وسلَّموا الرّهائنَ وصَلُحَ الحالُ، وكفى الله المؤمنينَ شرَّ القتالِ.

وفي هذه المـدةِ وقعتْ فتنـةٌ في الأهجر تابع بلاد كَوْكبان، وسببُها أنَّ العجمَ وصلوا إليهم، وهم نحوَ المئتين، وطلبوا من الرّعيَّةِ ما يُوْجِبُ المخُالفةَ والبَيْنَ، فثارت الفتنةُ، وقتلوا من العجمِ رجلين، فانحازتِ العجمُ إلى بعضِ البيوتِ، وخرجَ الشريفُ محمد الشويع من صنعاءَ بأمرِ المشيرِ، لحسمِ مادّةِ التنفيرِ، فأصْلَحَ الأمرَ بحسنِ التدبير.

وفي هذه المـدةِ ارتفعت الأسعـارُ، وعظُمَت الشِّدَّةُ، وكانَ ابتداءُ سني الغلاءِ من سنةِ ١٣١١، وما زال في كلِّ سنةٍ يزدادُ الأمرُ شِدّةً.

وفي هذه المدةِ قطعَ بعضُ المجاهدين من رجالِ أرحبَ سِلْكَ العجمِ، وكان لذلك وقعٌ عندهم. وفي هذه المدةِ، ارتحلت العجمُ من الأعروشِ إلى سُهمـان، وكان بينهم وبينَ القضاةِ هنالك ما كان: وذلك أنَّ بعضَ عسكرِ العجم لقِيَ امرأةً منهم، وعلى رأسِها متاعٌ، فأخذوه منها نهباً، فكَمنَ لهم القضُاةُ، وقبضوا أحدَ الخّيالةِ، وبعدُ، وقَعَ الصُّلْحُ بين العجمِ والقضاةِ، بأنَّ العجمَ يرجعون متاعَ المرأةِ والقضاةُ يطلقون الخيَّالَ.

---

(1) رازح: من بطون خولان الشام، قبائل صغيرة، انظر، المقحفي، ٢٥٨، مذكرات المؤيد، ٨٩.

وفي هذه المدةِ بدا للعجمِ من الرأيِ يقصدون بني جبر من جهة حُبُور[1]، ثم من بني شَدَّاد[2]، فاتوا البلادَ من أعلاها، وذلك بمشورةِ القاضي يحيى بن صالح الجبري، وكان هو المتولِّيَ من طرفِ العجمِ على تلك البلادِ، فكان طريقُ العجمِ على البياض[3]، ثم منه إلى مصعب[4]، ثم قصدوا بيتَ عبدِالله بنِ أحمد فرحان، فَنبهوا ما فيه، ثم رحلوا عنه حتى بلغوا جبلَ الطرف، رأس صدر العيد، ورمَوْا من هنالك إلى بيتِ أحمدَ بنِ راشد سّراح المسمى المشعف من بدبيده[1]، وكان بنو جبر قد طلبوا المقدّمي، ورَهْنَ الشيخِ أحمد راشد، وأبلَغَ الرهينةَ إلى حضرةِ الإمام عليه السلام.

وفي اليوم الثاني، عزَمَتْ طائفةٌ من العجم تريدُ المشعف، وطائفةٌ توقَّفَتْ على رؤسِ الجبال، ووقعتْ بينهم وبينَ الجبريين المقاتلةُ إلى قريبِ الظهر، وبعد ذلك فرَّ الجبريون.

ودخلت العجمُ المشعفَ، فأقامُوا به، وقُتِلَ من العربِ أربعةٌ، ومن العجمِ مثلُهم، وأما صفيُّ الإسلام، فإنَّه كان حينئذٍ في بيتِ النقيب راجح صبر.

---

(1) حُبُور: من قرى شُهارة في بلاد حجة انظر، معجم المقحفي، ١٥٠، ٣١٨، وحُبُور، بلدة مشهورة من ناحية ظُليمة، وحُبُورأيضاً محلة في جبل صبر المطل على تعز، انظر، نشر العرف، ٢/-٢٩، ٢٢٨.

(2) بنو شَدَّاد. من قبائل خولان العالية، انظر، معجم المقحفي، ٣٤٨

(3) البياض: هناك شرف البياض، عُزلة الشَرَف من ناحية ساقين وأعمال صعدة انظر، معجم المقحفي، ٣٥٢.

(4) بنو المَصْعَب: من بلاد الشاحذية وأعمال الطويلة، انظر، معجم المقحفي، ٦٠١.

---

(١) ددان، انظر، معجم المقحفي، ٦٥٣، هكذا في الأصل بديدة.

ثم إن العجمَ بعـدَ أخذِ المشعف، أرسلوا النقيبَ عبدَ الله بن حسين الصوفي، والسيِّدَ حسين بن يحيى الشامي، فلما وصلا إلى بني جبر رماهم أهـلُ البـلادِ، وأصحابُ المقدَّمي، ففرَّ النقيبُ على فرسِهِ، وبقي السيّدُ، فاعتذرَ إليه بنو جبرٍ، أنّ الرَّمْيَ من أصحابِ المقدّمي، لم يكنْ منهم، ووقعَ الخوضُ بينهم وبين السيد المذكورِ على أنْ يقطعَ لهم دراهمَ من العجمِ، وأوعدهم إلى اليوم الثاني.

وفي اليومِ الثاني، عزَمَ السيدُ على الاتّفاقِ بهم، فأتاهُ النذيرُ أنَّ مرامَهُم قبضُـه، فرجَعَ من بعضِ الطريق، وابتدرَ الناسُ الحربَ، وهجمت العجمُ على العربِ، فقُتِلَ حينئذٍ من أصحابِ المقدّمي صفيُ الإسلام، ومن بني جبر ستةٌ، ومن العجمِ مثلُهم، وفرّت العربُ وصَالَحَ بنو جبر العجمَ، وانتقلَ صفيُّ الإسلام إلى بلاد عيال سعيد[1].

وفي هذه المدةِ، رجعت العجمُ الذين كانوا في زِرَاجةَ وأعماس الحدا[2]. وفيها أيضاً، قطَعَ جماعةٌ من أرحبَ سلكَ العجمِ، وكانت العجمُ لمّا قطعت العربُ / السّلكَ سابقاً، وهو من الخشبِ جعلوه من الحديدِ، فقطعوًا الحديدَ أيضـاً، وأوْصَلـوه مع الخشب الحديـد إلى حضرةِ الإمام ـ عليه السلام ـ فاستبشرَ بذلك وأجازهم بجائزةٍ عظيمة.

٥٠ب

وفي هذه المدةِ أيضاً، أَمَرت العجمُ جميعَ المأمورين من العربِ بأن

---

(1) عيال سعيد: من قبائل بني جبر انظر، معجم المقحفي، ٣١٦

(2) الأعماس: عزلتان في الحداء، أعماس الجبل وأعماس الضُلع، معجم المقحفي، ٣٩.

يلبَسوا مثلَ لباسِهم [1] وهوَ السراويلُ والقلنسوةُ(١) والزنة(٢)، فساعَدَهم على ذلك أكثرُ المأمورين، ومن هو على جَمْعِ الحُطامِ ظنين، واستنكفَ من ذلك مَنْ فيه بقية من بعض شيمةٍ من العربِ فعزلوهم عن العملِ.

وكتبَ الإمامُ عليه السلامُ إلى حاشد وبكيل في التحذيرِ من هذا الفعلِ الوبيلِ، والتَّزَيّي بزيِّ الأعاجمِ الذين هم شرُّ جيل، وصورةُ ما كَتَبه عليه السلام: [الطويـــــل]

ألا يا لَقَــوْمـي من بكيلٍ وحــاشــدِ	ومَــنْ همْ لدينِ الله خيرُ مُعــاضِــدِ
قَعْــدُتُـمْ عن العليا وأنتم سنــامُهــا	وأســلافُكُمْ كانـوا رؤوسَ الأمَـاجِـدِ
فمنْ يعتمــدْ فيهــا على صِيتِ جَدّهِ	يَضْــرَسْ بأنيابِ العــدوِّ المـراصـدِ
ومـن كان بالأســواقِ شاكٍ سلاحُـهُ	فليسَ له يومَ الــوغــى سهــمُ زايدِ
فيا آلَ همــدانَ بن زيدٍ تيقّــظوا	فذو العــزِّ مَنْ يَطْوي بسـاطَ المَـراقد
وقـد لبستْ لبسَ النّصارى كبارُكُمْ	فأنتَ تجـازى في الـدُنـا والمعاقِد
وقــدْ باعَــتِ الأتْــراكُ قِبلةَ دينِنــا	إلى عابــدِ الأصْنـامِ شرِّ المعـابـدِ
فمــاذا نراعي بعــدَ هذا تفكَّــرُوا	وتـوبـوا إلى الـرحمنِ تَوْبَـةَ قاصِـدِ
فهـا نحنُ ندْعُوكُمْ ونرعَىٰ حقوقَكُمْ	فيا صادِقـاً بشـرى بنصب المـوائد

نُعْلِمُكُم أنها قد طالتْ رقدةُ العربِ، وقد صاحَتْ في آذانِهم موقِظاتُ النُّوَب، وتكاثَرتْ فيهم الغفلةُ ولَعِبتْ فيهم العجمُ وأعوانُهم بالظُّلْمِ والأهانةِ،

---

(1) طربوش أحمر على الرؤوس، وسراويل الجوخ، انظر، ائمة اليمن، ١٧٨

---

(١) في ع، القلانس

(٢) في ع، الذنين

وارتكابِ الآثامِ ، فمِنَ الموقِظاتِ تمليكُهُم النصارى مصرَ وبلادَها، وغيرَها من بلادِ الإِسلام، ثم تقُّربُهم إلى مكةَ المشرفةِ جوارِ بيتِ الله الحرام، ثم شروعُهمْ بإدخالِ العربِ في زمرةِ النظامِ ، وإلباسُهم لباسَ النّصارى اللئامِ ، فكيفَ يلتذُّ العاقلُ بالشّرابِ والطْعامِ ، أمْ كيفَ يهنأ بالرقادِ والمنامِ ، طالَ ما أمرْناهم أن يغسِلوا دَرَنَ الخطايا بماءِ الإنابة، ويجمعوا كلَمَتَهُمْ على الجهادِ، الذي هو عنوانُ الإصابةِ، ويغتنموا(١) أعداءهَم في مضمارِ الإدبارِ، فقد صاحَ بهم غرابُ البينِ: ما لكُمْ من قرارٍ، إنَّ الله أوْجَبَ علينا أنْ نحميَ دينهَ القائمَ، وندعوَ الصادقين إلى العزِّ الدائمِ. ولا تظنوا أنَّ الأتراكَ يتركونكم عن أنواعِ الانتقاماتِ أو يدعُونكم عن الظلمِ والإعاناتِ إلاّ بصوارمَ هبّارة، ونفوسٍ في الجهادِ صبّارة، وضربٍ بصفائحِ الهنداونِ، وتوبةٍ صادقةٍ من الآثام والأدرانِ، هنالك والله يزولُ صدأُ القلوب،وينكشفُ كَرْبُ كلِّ مكروبٍ، «قاتلُوهُم يُعَذبْهُمُ الله بأيديكم وَيُخزِهِم، ويَنْصُرْكُم عليهم، ويَشفِ صُدُورَ قَومٍ مؤمنين، ويُذْهِبْ غيظَ قُلُوبِهم»[1]. «يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصْركُم ويثبِّت أقدَامكُم»[2] والسلام.

١٥أ /وفي هذه المدةِ، رتَّبَ الإمامُ -عليه السلامُ- المقدِّمَةَ المعروفَةَ في حصنِ شُهارة بعدَ الاستخارةِ، وهي قصبةٌ فوقَ بابِ النصرِ، وخروجُ أهلِ مدينةِ شُهارة ودخولُهم غالباً من هنالك ، والسببُ لهذا، أنّه كَثُرَ الظُّلْمُ من

---

(1) التوبة: ١٤، ١٥

(2) سورة محمد: ٧

---

(١) في أ، ع، يغشموا، ويغشوا وهو الأصح

سادةِ شُهارة حتى سفكوا دماءَ بعضِهم بعْضا. فلما رتَّب الإمامُ هذه المقدّمةَ ذهبتْ تلك المناكرُ المعظّمةُ.

وفي هذه المـدّةِ أيضاً، رجعت العجمُ التي خرجَتْ إلى خَوْلانَ، إلى صنعـاءَ، وقد ضَبَطوا بلادَ خَوْلان بالرهائنِ، وأخذوا منهم الأموالَ الجزيلةَ، فقبَّحهم اللهُ من قبيلةٍ، وقـد هَجاهُم صفيُّ الإسلام بقصيدةٍ لم تحضُرْني الآن، فإذا وُجِدَتْ أُلْحِقَتْ، ولا شكَّ ولا ريبَ أنَّ رجالَ خَوْلان مِنْ أرذلِ نوعٍ في الإنسانِ، لا لزم[1] فيهم ولا شجاعةٌ ولا حميَّةٌ ولا قناعةٌ، كما قيل: زيُّ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ، وهمْ في الصَّبْرِ على الضيمِ أذلُّ من الوَتدِ والحمير.

وفي هذه السنةِ أرادَ شيخُ أفلح الدخولَ في الطاعةِ، والانخراط في سلكِ الجماعةِ وكتبَ إلى عاملِ الإمامِ في بلادِ الشَّرفِ السيدِ العلامةِ الأبّرَ أحمد بنِ مثنى عنتر(1)، فوصل إلى حِصْنِهِ وصحبته عشرةُ رجالٍ، فأغارَ عليهم رجالُ أفلحَ، وحصروهم في الحصنِ، ومكثوا يوماً وليلةً، فوصَلَ السيِّد يحيى بنُ علي النعمي غائراً على السيِّد الصفيّ، وسعى بالصُّلْحِ، فبعدَ ذلك انحسمتْ مادّةُ الفسادِ، وأذْعَنَتِ البلادُ، وبقيَ السيّدُ الصفيُّ في الحصنِ المذكور حصن

---

(1) أحمد بن مثنى عنتر الحجوري: نشأ بوطنه بمخلاف العَوْد وناحية النادرة من بلاد قعطبة جنوباً من صنعاء، وطلبَ العلم في ذمار وصنعاء والأهنوم، وكان عالماً فاضلاً شجاعاً، أرسله الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين في حملة الشرف، وعمل عاملاً عليها وعلى بلاد حجور، ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، انظر، نزهة النظر، ١٢٥، أئمة اليمن، ٢/٣٧٧.

---

[1] في ل، كذّم

ابن غوث[1]، وقبضَ الرهائن من البلاد.

وفي هذه السنـةِ أيضـاً خرج جمـاعـةٌ من العجمِ للتحصيلِ في بني الحارث[2]، فاتّفقَ أنَّ واحداً من كبارِ العجمِ باتَ عند رعوي، فراوَدَ زوجتَه، فصاحت المرأةُ، فقامَ إليه رجلٌ فطعنَه حتى قتلَه، ورمى به من طاقةٍ في البيتِ، وفرَّ ذلك الرجلُ إلى حضرةِ الإمام ـ عليه السلام ـ.

وفيها أيضاً ارتحلَ الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ إلى جبل الأهنوم لتدبيرِ عمارةِ حصنٍ هنالك وسّماه السِعدان[3]، واستنابَ ابنَه سيفَ الإسلام العلامةَ العمادَ

---

(1) الغوثيون: قبيلة من حمير تنسب إلى الغوث بن سعد بن مالك، منهم، الأخروج (الحيمة حالياً)، وحراز وهوزن والرحبه ومجيح وسيَّان وواضع والمحلل وسهمان وحبلا وسنحان وكل هذه الاماكن لا تزال معروفة بجوار صنعاء، ومنهم: ذو مأذن وذعوان وسنوان وأصبح وضروان، وذو رضوان من حمير وغيمان وذمار المخدر بعنس وبُقلان بحضـور، ومن الغوثيين أهل؛ سِهام وكُحْلَان بحضور وخدان بالحيمة انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٩١، معجم المقحفي، ٤٨٥.

(2) بنو الحارث، من قبائل بلاد رداع ثم من مخلاف الحُبيشية، انظر معجم المقحفي، ١٤١، وبنو الحارث ناحية إدارية واسم قبيلة مشهورة شمال صنعاء بخمس كم وهي خمسة أقسام، منها القابل، عُلْمان، ثُقَبان، ذاهْبان، السنينة، مَذْبح، أحداق، جَدر، العَلِّيفة، بيت الحدنة، الحدود، العروق، الحتارش، بنو زياد، الملكة، السباعي، بني عاصم، بيت خيران، بيت عُثرب، الغّراس، بيت زاهر، بيت الأكوع، المحجل الحجا، بيت الخاوي، بيت سنهوب، بيت القشم وغيرها انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٥٧، اليمن الكبرى، ١٦٦ معالم الأثار، ٢٥، اللباب، ١/٣٢٨.

(3) سِعـدان الاهنوم: حصن في جبل الأهنوم، أمر الإمام المنصور بالله بالشروع في عمارته سنة ١٣١٣هـ، واستمر في عمارته سنتين حتى كمل، وكانت أسواره منيعة وفيه محبس وبركة ماء، انظر، ائمة اليمن، ١٧٩.

في المقامِ بقَفْلَة عُذَر، فلما وصلَ عليه السلامُ جبلَ الأهنوم، حصلَ بذلك سرورُ الخصوص والعموم، وأفاضَ جميعَ الخيراتِ، لا سيّما على طلبةِ العلمِ الشريف، فإنه بهمْ رحيمٌ رؤوف، حتى كَثُرَت الطلبةُ في جميعِ الهجرِ، فجزاهُ الله الجزاءَ الأوفرَ.

وفي شهر الحجةِ من هذه السنةِ وردت أبياتٌ من السيدِ جعفر الحلي من در نجف وهي (1): [الكامل]

انشر لواك مؤيّداً منصورا ... حيًّا الإلهُ لواءَك المَنْشُورا

واقصُدْ بخيلِكَ يَمْنَةً أو يَسْرَةً ... الله جارُك لا تَخَفْ محذُورا

يا ابنَ النبيِّ محمدٍ وسَمِيَّهُ ... طابَتْ حجورُك أوّلاً وأخيرا

ماذا انتظارُكَ بالألى جَحَدوا الولي ... فمتى تصيِّرُهُمْ هَباً منشورا

التابعين لذلك الرجسِ الذي ... ماتَ النبيُّ بدائِه مقْهُورا

عدلوا عن النهجِ القديمِ وغادروا ... قرآنَ جَدِّك خَلْفَهُمْ مَهجُورا

/أعطاكَ ربُّكَ بسطةً في دينِهِ ... فانهضْ وطهِّرْ أرضَه تطْهيرا ٥١ب

أوَلَيْسَ سيفُك ذا الفقار به ظما ... لا يستقي إلّا الدمَ المَهْدُورا

وصدور سُمْرِكَ جُوَّعٌ لا تبتغي ... إلا كَلا ومناصِراً وصُدورا

يا وارثَ العلياءِ مِنْ آبائِهِ ... قد باتَ ذكرُك[1] عندَنا منشورا

وصلَ العراقَ كتابُكم فتهلَّلَتْ ... فَرَحاً وأصْبَحَ مَنْ بها مَسْرُورا

فكأنَّها قبلَ الكتابِ ونشرهِ ... كانت ظلاماً فاستحالت نورا

---

(1) ائمة اليمن، ١٧٥-١٧٦

---

(١)في أ، ذرك

كم سيدٍ لكَ بالعراقِ بودِّه | يلقاكَ لو كانَ اللِّقا مَيْسورا
ويراكَ في طيفِ الخيالِ محبةً | والطيفُ ليسَ بصادقٍ تعبيرا(١)
لو لم تقمْ بطريقِ مكّةَ حارساً | ما حجَّ شخصٌ بيتَهُ المَعمورا
لَسْنا نخافُ على الشريعةِ عادياً | وظباكَ قد ضَرَبَتْ عليها سورا
وعَمَرْتَ دينَ اللهِ بالسَّيْفِ الذي | إنْ سُلَّ خَرَّبَ(٢) للأعادي سورا
ما قاتَلَتْكَ قبيلةٌ إلا اشتَهَتْ | عُرجُ الضباعِ لها تكونُ قبورا
شاءَ الإلٰهُ بأنْ تعيشَ مُعَمِّراً | لمَّا أرادَ لَخَلقِهِ تَعْميرا
ملِكاً كبيراً عالِماً نحريرا | أَسَداً هَصُوراً سيِّداً مَنْصورا
ماذا أقولُ لكم وصادقُ مَدْحِكمْ | قَدْ جاءَ في قرآنِنا مَسْطورا
اللهُ أذْهَبَ عنكُمُ الرِّجْسَ الذي | يُخْشى وطهَّرَ بيتكُمْ تَطْهيرا
ما زلتَ تعطي الوافدينَ ولمْ تكُنْ | تبغي جزاءاً منهمُ وشكورا
ويطالبُونَكَ بالثَّراءِ كأنَّهُمْ | قدْ أوْدَعُوا كِنزاً لهم مَدْخورا
لو أنت تعطى الأرض معْ ما فوقها | من عظم قدرك لم يكن تبذيرا
اعذُرْ فَدْتكَ النفسَ شاعركَ الذي | لم يُبقِ قطُّ لهُ الزمانُ شعورا
لو أدْرَكَتْني من جنابِك(٣) نخوةٌ | ما بتُّ في قيدِ الهُمومِ أسيرا
ثم الصلاةُ على النبيِّ وآلِه | أهلِ الفضائلِ أوَّلاً وأخيرا

وقدأجيبَ على هذه الأبياتِ بجواباتٍ، أجلُّها ما قالَه سيفُ (1)الإسلام،

(1) كلمة سيف تعني ولي العهد، سيف الإسلام أو سيف الخلافة.

(١) الإضاقة من أئمة اليمن، ٢/١٧٥

(٢) في م، فرّت

(٣) في م، حياتك

يحيى بنُ أمير المؤمنين ـ عافاه الله ـ وهي (1):

[الكامـــل]

لاحَـتْ لنـا بُرقٌ فأهـدَتْ نورا ... من ثغرِ مَنْ جَعَلَ المقالَ بُحورا

أربى على الفُصَحـاءِ حتى أنَّـهُ ... جعـلَ الكـلامَ سوالفـاً ونُحـورا

وأخِـدَّةً ونواظِـراً ومبـاسمـاً ... ومعـاصمـاً وترابيـاً وصـدورا

يا نخبـةَ السـاداتِ باكـورةَ ال ... سِّبْطَيْن، يا سبـاقُ، يا نحـريرا

يا مَنْ قَرَنْتَ(١) بشعـرِكَ الديجـورا ... وفـعَـلْتَ شعـراً طيُّه مسـتـورا

/صيَّرْتَه كالـجـيشِ الاّ أنَّ ذا ... طَلَعتْ طلائِعُـهُ فصارتْ سُورا

وأتـى نظامُـكَ طيِّبـاً من طيِّبٍ ... من عُنصرٍ جَمعَ الهُدى والنـورا

من سادةٍ غُرٍّ لَهُـمْ في الله صو ... لاتٌ تزيدُ الـظالـمـين قُصـورا

باعـوا من الـرحـمنَ أنفسَهُمْ بأنْ ... يرضىٰ لهم خلدَ الجِنـانِ قُصـورا

فتـواثبـوا لقتـالِ أهـلِ الظلمِ كَمْ ... مِنْ ظالـمٍ لا يَعْـرِفُ الـتـكـبيرا

صَرعَوُه صرعـةَ أُسد غاباتِ الشرا ... وسَقَـوْهُ كأسَ منـيةٍ مشـهـورا

وتـغـرَّبـوا وتشـرَّدوا وتفـرَّقـوا ... وتخـوَّفـوا ظُلْمَ العِدا المحذورا

قَتَلَتْـهُـمُ الأعـداءُ قتـلاً فاحشـاً ... متـشِّبـتـاً حقـداً لهـم مَسْتـورا

هذا بكـربٍ قَطّرُوه وآخـرُ ... بالـجـوزجـانِ مُعَـفَّـراً مهجـورا

وبأرضِ باخمـرى وفـخ والمـدنية ... سادةٌ كانـوا هنـاك بدورا

والـرتب شبـلٌ فيه أضحى سائـلاً ... دمُـه وأضـحـى شأنُـه مشـعـورا

ولَـكَـمْ لَهُـمْ من مَصْـرعٍ متنكِّـرٍ ... ظلمـاً أعـادَ سنـا ذُكـاءَ بحـورا

٥٢أ

---

(1) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ١٧٦-١٧٧

---

(١) في م، فريت

وتـراهُـمُ لا يتـركـون قيامَـهُـمْ	لِمُـهـيْمِـنٍ لا يطلبـون نقـيرا
لم يُثْنِـهِـمْ حبُّ الـديارِ وإنـهـم	في أهـلِهِـم مُتَـهـلّلين سرورا
قلنـا بهم أسـوات صدقٍ أسهـا	بِقلوبنـا أصحـابُـهـا معمـورا
كيفَ القعـودُ ومعشَر الأتـراكِ قدْ	عَمّـوا البـلادَ منـاكـراً وفجـورا
شرَعوا من الإسلام ما لا يرتضي	ربُّ السـمـاءِ به وقـالـوا زورا
وتـجنَّبـوا سُبُـلَ الهـدى بتعمـدٍ	وأتَـوْ إلى داعي الضـلالِ كفـورا
ركـوب الذكور كقومِ لوطْ لا يتقوا	والخمـرُ أضحى عنـدهم مشهـورا
ظلمُـوا عبـادَ الله ظُلْمـاً بيِّنـاً	والعـدلُ أمسـى بينهم مهْجُـورا
هَدَمُـوا ربوعَ العلمِ حتى لن ترى	للدَّرْسِ يومـاً دفـتـراً منـشـورا
ولـقـد أقـمْـنـا هجـرةً عدلـيَّةً	في ظلِّ هجـرتِـنـا فكـانتْ نورا
وبهـا شيوخُ العلمِ كمْ مِنْ عالمٍ	كالطَّوْد أضـحـى رايُه مشـهـورا
يا حبَّـذا بشـرى دفـاتـرِ سادةٍ	أضـحى بلحيا[1] بعضهُم مقبـورا
وبـآمـلٍ والـحـل بعضٌ منـهـمُ	لا زالَ تُرْبُ رِماسِهِـم مَمْـطورا
وبـصعـدةٍ يحيى الـذي أحيابـه	الـرحـمـنُ دينـاً قيِّمـاً منصـورا
واللهَ نسـألُ أنْ يُعَـجِّـلَ نَصْـرَهُ	حتـى يكـونَ عدُوُّه مقـهـورا
ويكـونَ دينُ الله حتـمـاً لازمـاً	عنـدَ الإمـام مُحَـدَّداً مَوْفـورا
ويعـودَ ما هَجَـرَتْهُ أيدي التركِ في	سُلْطانِـهـا مُتـعـارفـاً مشـهـورا
لا أرْقَـدَ الرحمنُ عيني إنْ رضت	[2] بمـا ارْتَضَوْهُ ولا[2] انْتَضَتْهُ صبورا
أيلذّ نومُ المـرءِ والـرحـمـن يُعْـ	ـصى أم يطيبُ لهُ الطعامُ سُحورا

---

(١) في م، بلنجا

(٢ ٢) في ع، م، ما

فلئِـنْ بقـيتُ لأهْـدِمَنّ ديارهـم ولأضـربَنَّ جمـاجـمـاً وظُهـورا
ولأسـقـينَّـهُـمُ نقيعـاً أحـمـراً ولأطـعَـمَـنَّـهُـمُ قنـاً وذكـورا
ولأيتـمَـنَّ بنـيَّهُـمْ ولأثـكَـلَنَّ نسـاءَهـم ولأرضـيَنَّ شبـيرا
فتـوسَّـلوا أهـلَ الـغـري بحيدرٍ عنـدَ الإلـهِ وشـمـّـروا تشـمـيرا

٥٢ب

وقعة ساك [1]:

ودخلت سنة ١٣١٤

وفيها كانت وقعةُ ساك في صفر.

وصفتُهـا أنَّ العجمَ تجَّهزَتْ من الولايةِ، مدينةَ صنعاء، وأظهروا أنهم يقصدون بلادَ أرحب، وأسرّوا في أنفسِهم أنّهم لا بدَّ يقصدون بلادَ هَمْدَان، وبلادَ حاشد إذا ساعدهم الزمانُ، وكان قَدْرُهم ستة طوابيرَ، ورئيسُهم راشد بيك، وبعدَ خروجِهم من مدينة صنعاءَ طرحوا في بلادِ بني الحارث، وعزَمَ طابورُ عومرة من بلادِ أرحب.

---

(1) ساك قرية من قرى خارف، وخَارِف بطن من حاشـد، موطنهم شرقي قاع البـون وشماله، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام، الصَيّد والكلبيون وبنو جبر، والصَيَد وهي خُميس هَرَّاش وخُميس حرمـل وخُميس ابـو ذيبة وخُميس القُديمي وخُميس القايفي، وبلاد الواسط،متصلة بالبـون، من قراهـا كانِط نَاعط، والكلبيون وهم ثلث ضَحْيان وثلث الواسط وثلث بَيْت زُود، وبلاد الصَيَد والكلبيون من اعمال رَيدة ثم بنو جبر من اعمال ذي بين، وهم خُميس الغُـزى، وخُميس النُفَيْش، وخُميس الغولة، وخُميس الشِطِبة وخُميس ذي بين انظر، الإكليل، ٢/٨٥، اليمن الكبرى، ١٦٧، معالم الآثار، ٦٤ معجم المقحفي، ٢٠٨.

وفي بعضِ الليالي طلبوا عُقّال هَمْدَان وحبسوهم، وأظهروا أنَّ حَبْسَهُمْ بسببِ عدمِ التحصيل، والمقصود أمرٌ آخرُ، كما سنقفُ عليه، وبعدَ حَبْسِهِمْ عَزَمَتِ العجمُ، وعُقّال هَمْدَان صحبتهم ليلاً، ومرامُهم الأعظمُ الغدرُ بالشيخ يحيى بن يحيى دوده، ولما وصلوا إلى بعضِ الطريقِ أظهروا الكامنَ للعُقّال، وأنَّ مرادَهُمْ يدلُّونَهُمْ على الطريق، وظهرَ لهم أنَّ ذلك هو السببُ لحبسِهم لئلا ينذروا الشيخَ يحيى بنَ يحيى دوده، (١فلما ظهر لهم أبوا أن يدُلّوهم، فأخذوا رجلين من حراس الزرع فدلوهم على الطريق إلى بيت الشيخ يحيى بن يحيى دوده١)،

فوصلوا هنالك عند انتشار الضوء، وكان أولَ من وصلَ الخَيَّالةُ، وهم نحو سبعين، وكان الشيخُ يحيى بن يحيى كما وصفَ لنا من لسانه، قد صلّى الفجرَ ونام، فصاحَ إنسانٌ من حولِ بيتِهِ: يا فلان، التركُ فيكم، ولم يُصرِّحْ باسمِهِ خوفاً عليه، ودخلتْ يهوديةٌ، وصاحَتْ من باب مكانِه: التركُ فيكَ، يا شيخ يحيى! وكثُرَ الصّياحُ، ورجعت اليهوديةُ وهي تقولُ: اخرج يا محرامَ الترك، الترك، فقام ولبسَ بندقَه، وطلَعَ السَّطحَ، فوجدَ الخيَّالةَ حولَ البيتِ، فأراد أنْ يرميَ اثنين منهم متعارضين، فوقَعَ في قلبِهِ ما صَدَّه عن ذلك، ورأى حولَ البيتِ مقبوضاً إلا الجهة الشرقيةِ، وهي جهةُ الباب، فوجدَها خاليةً، فعزمَ على الخروجِ من الجهةِ المذكورةِ متوكِّلاً على الله، فخرجَ منها ورأى النظامَ وهم مقبلون إليه، فمشى بالسكينةِ ليوهمَ العجمَ، أنّه من ضبطيتهم حتى نزلَ من عقبةٍ ضغيرةٍ، فأوضعَ في السَّيرِ ولقيَ خالَهُ ورجلاً آخر فترافقوا، فكانوا كلَّ ما

(١ ١) سقطت من ع

قَرُبَ منهم النظامُ، مَشَوْا بالسكينةِ، وكلَّ ما غابوا عن أبصارِهم جَدُّوا في السيرِ حتى نجّاهُم الله من القومِ الظالمين، فلم يقدِروُا عليه، وخيَّبَ الله أَمَلَهُم، هذا ما سمِعْتُه من لسانِ الشيخ يحيى، وصارَ يقولُ: إنَّ ذلك من كرامات الإمام ـ عليه السلامُ ـ ولأنه هتَفَ به حينئذٍ.

ثم إن العجمَ مكَثوا في بلادِ هَمْدَان مُدّةً، وبعدْ، عزموا عيال سُريح، وغزَوْا من هنالِك إلى قرية ناعط[1] من بلاد حاشد، وكانت فيه ذخائرُ مودعةٌ لأرحب فأخذوها أجمع أكتع.

ورجعوا بلادَ أرحبَ فساموهم سُوءَ العذابِ، وهربَ بعضُ أهلِ البلادِ، وصاروا يغزون العجمَ ليلاً، ويحرقون بعضَ البيوت التي فيها العجمُ بالبارود.

وبعدَ مدةٍ بدأ العجمُ الرجوعَ إلى ذُبْيَان، ومكثوا هنالك برهةً من الزمانِ، وبعدُ، عَزَمـوا على الـدخولِ نحوَ بلاد حاشد، ظناً منهم أنَّ الدهر بذلك مساعدٌ، فلما وصلوا إلى ساك، قريةٍ من قرى خارف، كتبَ الإمامُ إلى جميعِ بلادِ حاشد، وأرسلَ اليهم بالمقدمي، سيفِ الإسلامِ محمد بنِ الهادي شرف الدين ـ عليه السلامُ ـ فاجتمعتْ رُؤساءُ حاشد جميعاً/ وتلاحقت الغاراتُ من ١٥٣أ

---

(1) نَاعِط، قرية في جبل نَاعِط في بلد خارف من حاشد، بالشرق من مدينة عَمْرَان بمسافة ١٢كم، فيه أطلالَ قصور حميرية منها قصر يَعْرُق وقصر ذي لعوة، كانت من العواصم اليمنية القديمة انظر، معالم الأثار، ٢٥، الاكليل، ٢٨٨، اليمن الكبرى، ٨٣، ١٩٤، تاريخ اليمن الثقافي، ٢/٨٠، معجم المقحفي، ٦٥٢.

(2) ذُبْيَان: قبيلة من بكيل، تقـع مسـاكنهـا بين مَرْهَبـة وأرْحَب، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١/٦٦، البدر الطالع، ٢/٢١٦.

جميعِ القـرى حتى بلغوا نحوَ أربعةِ آلافٍ، ووقعَ الحربُ فيما بينهم ثلاثةَ أيامٍ: السبت والأحد والاثنين، وكان وقوعُه يومَ السبتِ في ساك، ويومَ الأحد في ابن حاجب، ويومَ الاثنين في نقيل شيبره، وبلغت القتولُ من العجمِ نحوَ الأربعِ مئةٍ وخمسين مُكاناً، واستُشهِدَ من العربِ ستةُ أنفارٍ لا غير.

ثم إنَّ اللهَ سبحـانه بعدَ وقوعِ هذه الملحمةِ، أنزلَ الرُّعْبَ في قلوب العجمِ والعربِ، فأمَّا العربُ فإنّهم تفرّقوا بعدَ الثلاثةِ الأيامِ شذرَ مذرَ، وكلُّ إنسانٍ عَزَم بيتَه حتى لم يبقَ عنـد المقدّمي إلا نفرٌ يسيرٌ.

وأما العجمُ، فإنّهم لما رَأَوْا ما دَهَمَ من القتلِ مَعَ ما انضمَّ إلى ذلك من الرعبِ الرّباني، ظنّوا أنَّ العربَ لا بدَّ أنْ يتّبعوهم، فشدّوا في الليلِ من حِيَلِهم لا يلْوُون على شيءٍ، وولّوا على أدبارِهم متوجهين إلى مركزِ ولايِتهم: مدينةِ صنعاء، وقد ضاقتْ بهم الأرضُ ذَرْعاً.

ثم إنّهم بعدَ ذلك أرسلَ الله عليهم الطاعونَ، وكان هذا النصرُ المبينُ يُعَدُّ من آثارِ بركاتِ مولانا أميرِ المؤمنين.

وفي هذه السنةِ أو التي قَبْلَها، توفي النقيبُ الأَجلُّ ناجي بن عبد الوهاب الشايف[1]، وكان مرابطاً في الحضرةِ الشريفةِ، ملازماً لمقامِ الإمامِ ـ عليه السـلامُ ـ فلمـا تحركتْ رجالُ أرحبَ للجهاد، استأذنَ من الإمامِ للخروجِ معهم هو ومن انضـاف إليه من أصحـابِـه، فلمّا وصَلَ إلى الحلحلِ، من

(1) ناجي بن عبدالوهاب الشايف البكيلي البَرَطي الهمداني، كانت له معرفة بالتاريخ وعلم الفلك، انضم للإمام بعد تركه للأتراك، انظر، أئمة اليمن، ـ/ ٢٠٤.

أعمالِ بني علي[1]، مرِضَ هنالك، وانتقَلَ إلى رحمةِ الله ورثاه الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ بأبياتٍ[2]، وهي: [البسيـط]

من حلحلٍ عَسْعَسَ الدَّيْجُورُ بالظُّلَمِ ... وانهــدَّ ركنُ العُـلا والمجـدِ والكـرمِ
بِمَـوْتِ من رَفَض الــدُّنيا وزينَتَهــا ... ولم يخَف سَطَواتِ الفَـوْتِ والعَـدَمِ
من كان في عِلْمِي الأنســابِ والفلَكِ ... الــدوّارِ فرْداً وعـلمِ الـسَّيْفِ والقَلمِ
مَـنْ كـانَ قُطْبــاً لأهلِ البيـتِ دائرةً ... رحـى التشيـعِ عنـه ثــابتَ القــدمِ
سيفُ المـلاحمِ سَّبـاقُ المكارِمِ في ... مضمــارِهــا لَيسَ في العُليا بمنهزمِ
فَلْتَبْكِـهِ الخيلُ في الفيحــاءِ سابحةً ... ولْتَبْكِـهِ عَزمـاتُ السُّمْـرِ والخــدمِ
ولـتبكــه(١) مِنْ آلِ قحــطانَ منتسب ... ومَـنْ تنــاســلَ مِنْ عادٍ ومـن هَرِمِ (٢)

وقعةُ جبل اللوز

وفي شهرِ رجب من هذه السنةِ كانت وقعةُ جبل اللوز:

وصفتهـا: أنَّ المشـائـخ بني الحسيني[3]، والشيخ أحمد مساعد عزمَوا للهجرةِ إلى حضرةِ الإمامِ عليه السلامُ، فلمّا وصلوا الحضرةَ بعدَ مشاقٍّ وقعتْ لهم في الطريقِ، طلبوا من حضرةِ الإمامِ تجهيزَهُمْ للجهادِ، فجهزهم. وهم

---

(1) المقصود بنو علي، قبيلة من بني زهير بن أرحب انظر، معجم المقحفي، ٤٦١.
(2) ائمة اليمن، ٢/٢٠٥
(3) المقصود آل الحسيني، أهل وادي رِجام، انظر، أئمة اليمن، ٢٠٢.

---

(١) في الأصل ولبتكه
(٢) البيت فيه خلل عروضي ويقرأ «وليبكِهِ آلُ قحطانَ ومِنْ نَسَبِ

نحو اثني عشرَ رجلاً، ومن السادةِ آلُ الوزيرِ وآلُ عثمان نحو العشرةِ، ومقدَّمُهم السيدُ الصفي أحمد بن محمد الوزير، فعزموا من حضرةِ الإمامِ قاصدين بلادَ خَوْلان حسْبَ أمرِ الإمام(١) لمضايقةِ العدوِّ من هنالك.

فلما وَصَلوا إلى وادي القراميش من بني جبر، عرّف إليهم مشائخَ بني جبر، وبني سِحام وجبل اللوز والنيني أن يبادروا للجهاد، وهم فاتحون البلادَ وراهنون، وان العجمَ قد همَّ في شاحك(1)، فساعَدَهم المقدّمي، وعزمَ إلى العرقة(2)، وإلى ذَرب عسكر، وما يليه من القُرى، واجتمعَ الواصلون من حضرةِ الإمام، ومن انضافَ إليهم من أهلِ البلاد، وأمرهم المقدّمي بأنْ يغزوا على العجمِ بليلتِهم التي وصلوا فيها،/وكان التدبيرُ على أن الغزاةَ مئةُ نفرٍ، والآخرين مددٌ إلى أين ما وقعَ الحربُ، وكانوا قدرَ الستِ مئةٍ، فلما وصل الغزاةُ، وهم مشايخ بنو الحسيني، ومن انضاف إليهم إلى ذرب عسكر، تخلّفَ عن المشائخ بني الحسيني جميعُ المعينين معهم، ولم يعزمْ للمغزا غيرُ بني الحسيني، نحو اثني عشر، وقصدوا العجمَ إلى حَيْد شعران، وأحربوا

٥٣ب

---

(1) شاحك: سد حميري مشهور في بني سحام من بلاد خولان الطيال فوق قرية تنعم يحيط به جبل اللوز من جميع جهاته إلا من جهة تنعم حيث كان السد بين جبلين متقاربين والقرية منسوبة إليه، انظر، معالم الآثار، ٢٥، معجم المقحفي، ٣٣٩-٣٤٠.

(٥) قرية العرقة من جبل اللوز بخوْلان الطيال النظر، معجم المقحفي، ٤٤٠، أئمة اليمن، ٢/٢٠٣، الإكليل، ٢/٣٦٩، صفة جزيرة العرب، ١٧٢، ٣٠٢.

---

(١) في أ، الله

العجم من هنالك إلى شاحك، فخرجتْ عليهم العجمُ هجوماً، فوقعَ الحربُ العظيمُ من الأسفارِ إلى نصف النهار، وأحاطت العجمُ بالمجاهدين من كلِّ جهةٍ، وكان العجمُ نحوَ ألفِ مقاتلٍ بمدافِعِهم، فثبّتَ الله المجاهدين، وفعلوا في العجْمِ مَقْتلةً عظيمةً نحوَ الأربعِ مئةً، وقدرَ ستين مُكان، واستُشْهدَ من المجاهدين الشيخُ محمدُ بنُ عائض الحسيني رئيسُهم، وبعدَ أن استُشْهِدَ، أحاطتَ العجمُ بالمجاهدين، ولم يبقَ لهم مفر غيرَ أن الطريقَ من كلِّ جهة قد أحاطَ بها العجمُ، فلما رأى المجاهدونَ ذلك لم يَسَعْهُم إلا أن جردوا نصالَهم، وخرجوا من بينهم واختلطوا. ووقعتْ مقتلةٌ من اليدِ، واستُشهد محمد خليل الحسيني ورجلان من بني عزيز من الذرب، وتكَوَّن حسين بن علي الراحمي، وتكون محمد السنحي، وتكوَّن ابن النيني(١)، ثم تكوَّن الشيخ عبدُ الله الحسيني ضربتين بسيفٍ في رأسهِ، وطعنةٍ في رقبته بزغرة(1)، وثلاثِ رصاصاتٍ حتى انطرحَ بينهم، وأخذوا سلاحَهُ، وأيستَ منهُ خبرتُه، وعزموا من لديه، وظنوا أنه قتيلٌ وأغميَ عليه.

وبعد ذلك قامَ من بينِ العجمِ، وقد أرادوا أن يقطعوا رأسه، وفرّ من بينهم، ووصف لنا أنه لم يشعرْ إلّا وهو بين خبرتِهِ، ولم يدرِ كيفَ خروجُه، وهذه عبرةٌ عظيمةٌ. وبعدَ ذلك عزَمَ من بقي من المجاهدين إلى حضرةِ المقدّمي في الذرب، ولوَّموا عليهم من عدم الغارةِ الموعودِ بها، وبقي العجمُ مكانَهم في شاحك.

---

(1) الزغرة: نوع من السكاكين.

---

(١) في م، التيني

وبعد مدةِ ثمانيةِ أيامٍ إلى يومِ الجمعة، قدمت العجمُ إلى العرقة، وكان المجاهدون في قُرىً أخرى. وكانَ في العرقةِ المقدّمي والسادة: آلُ الوزير وبنو الحسيني، ومن انضمَّ اليهم فصبحهَم العجمُ من فجر، وكانت العجمُ قد أرسلوا إلى كلِّ قريةً من القرى التي فيها القومُ، جماعةً شغلوهم عن الغارةِ، وقصَدَ العجمُ المقدّمي ومن معه في العرقةِ، ووقع حربٌ عظيمٌ، وهجموا على المجاهدين من كلِّ جانبٍ، وكان قدرهُم نحوَ الخمسين.

واستُشْهِدَ السيدُّ عليُّ بنُ أحمد مفَضّل، رحمه الله، وجماعةٌ من بني سِحام وما زال المجاهدون متردِّدين في بلادِ خَوْلان، ولم يفتحْ لهم خَوْلانُ البلادَ، وبعد ذلك رجعت العجمُ صنعاءَ.

وقعةُ بني جل [1]:

يومَ الربوع، خامسَ شهرِ رمضان سنة ١٣١٥هـ، وهي الوقعةُ العظمى والفتحُ الأسمى.

وصفتها: أنَّ الشيخَ يحيى بنَ ناصر الريحي من بني جل، وفِدَ إلى حضرةِ الإمام قبلَ وقوعِ الوقعةِ بأيامٍ، نحو العام، فحرَّضَهُ الإمامُ على الجهادِ، وأنه الشرفُ في الدنيا والعملُ الصالحُ النافعُ في المعادِ، فأذعنَ لذلك، وعاهَدَ اللهَ على إحداثِ عملٍ من أعمالِ الجهادِ عندَ وصولِ العجمِ للتحصيل.

فلما كان شَهرُ رمضانَ، خرجَ العجمُ معَ طاغيتِهم بهاءِ الدينِ للتحصيلِ

---

(1) بنو جل من بلاد الشرق.

ومعه خمسُ مئةٍ، فلما وصلَ أنعموا له بالتحصيل، ففرَّقَ عليهم خمسةً وثلاثين مئةَ ريالٍ، فما زال يتخلّصُ ما ذكر هو والشيخ حتى قبضَ منهم المفروق، والشيخُ يحيى بن ناصر، يديرُ فكرَهُ ويدبِّرُ الحيلةَ لتحصيلِ ما قدّمه من العهد واستمال رجالاً سراً، وعاقدَ رجالَ أفلحَ، فكان سببَ ثورانِ الحربِ أنَّ رجلاً من بني جل، وهو محمد بن محسن الصبيحي، أخذت العجمُ ما يملكُهُ من الحَبِّ، فأتى إلى الشيخِ / يحيى بن ناصر الريحي، واستغاثَ به، واستجارَ ١٥٤أ وآلىٰ على نفسِه، أنّ العجمَ إذا لم يُرجِعوا حَبَّه، فلا بدَّ يقتلُ منهم، فحينئذٍ لاحت الفرصةُ للشيخِ يحيى، وأشارَ إليه، أن إفْعَلْ ما بدا لك، ومقصودُه: أنه مفتحُ الحربِ، ففتحَ الحربَ محمدُ بنُ محسن، وثارت العامةُ، فقتَلوا من العجمِ أربعاً، فانهزمت العجمُ، وانحازوا إلى بيتِ عباس وبيت القَرْوي والوسط، ورُمي بهاء الدين، فجُرِحَ وأحاطتْ بهم بنو جل من كلِّ جانبٍ، وأمَدَّتْهم رجالُ أفلحَ بموجبِ التدبيرِ الثاقبِ، فلمّا رأت العجمُ ما قد دهَمَ طلبوا الأمانَ على أن يخرجوا من تلك المحلاّتِ، ويصحبهم الشيخُ المذكورُ، فلم يُسْعِدْهُم المجاهدون، فخرجوا والشيخُ يحيى صحبتَهم، وقد أبطنَ لهم الشرَّ، فلما توسَّطوا في البلادِ تخطفهم أهلُ الجهادِ بالسيوفِ الحدادِ، فصاروا صرعىً في كلِّ واد، وأُسِرَ مَنْ أُسِرَ منهم، وألقوا ما بأيديهم من السلاحِ، وأخذَ المجاهدون آلاتِ المدفعِ، فألقوه على بغلةٍ، وقدَّموه قبلَهُم، وكانوا نحو أربعين، ولحقوه على الأثرِ، فلحقهم المجاهدون، وكادوا يأخذونَهُ، فصاحَ بهم الشقيُّ الهيجَ! فمضوا به سريعاً فنجا. وكانت البنادقُ المسلوبةُ خمسَ مئةِ بندقٍ، وجملةُ القتولِ ثلاثَ مئةٍ من العجمِ، ومئةً من العربِ.

ثم إن بهاءَ الدين طلبَ أماناً له، ولمن صحبه، وهم نحوُ خمسةٍ وعشرين

فأمنوهم، فأدخلَهم بعضُ المجاهدين في ديرٍ خوفاً مِمَّن حضرَ. فجاءت إمرأةٌ وفي يدِها حجرٌ حتى إذا قاربت المجاهدين، قالت: تريدون أنْ تؤمنوا الذي أخذ بقرتي؟ ورَمَتْ بالحجَرِ فوقعت على رأس بهاء الدين فسقط، وبعدذلك أخرجوهم إلى مأمنهم، ثم لما استولت العربُ على البنادقِ والبغالِ وجميعِ الأثقالِ، وقعت الفتنةُ فيما بينهم في تقسيمِهِ، فوقعَ بينهم الحربُ والمخاصمةُ، وقَتَلَ العجمُ الشيخَ يحيى بن ناصر الريحي في بيتِهِ، وأوْصَلَ إلى حضرةِ الإمام ـ عليه السلامُ ـ آلةَ المدفعِ، وهي المجرى والعجلاتُ، وصارَ خبرُ هذه الوقعةِ في جميعِ الجهاتِ، ودخلَ على العجم من ذلك أشدُّ الغمّ.

ولما نمي الخبرُ إلى عدوِّ الله أحمد فيضي، عَلِمَ أن العداوةَ كامنةٌ فيما بينَ العربِ والعجمِ تخفيها وتبديها القوةُ، فإذا قوي أحدُهما على الآخر وثَبَ.

ثم إن عدوَّ الله، رأى من الرأي الديّار، أنّ الأوْلى المسارعةُ في الأخذِ بالثار، قبلَ أنْ يقوى العربُ، وكتبَ إلى بني جل ما تضمَّن أنَّ الفتنةَ الواقعةَ نزعةٌ شيطانيةٌ، وأنه قد عفا الدولةُ عن القتولِ، وأمّا السلاحُ فلا بدَّ من إرجاعِهِ فليحتفِظوا[1] به وإلاّ نالَهمُ العقابُ الشديدُ، والأمرُ المهول.

وكان الإمام ـ عليه السلام ـ بعدَ هذه الوقعةِ، قدْ أرسَلَ سيف الإسلام محمد ابنَ الإمام الهادي مقدّمياً على بني جل، فلمّا وصلَ إلى حجورِ الشامِ كان بلغَهُ كلامٌ، فعاد إلى المَدَان بموجبِ رفعِ الإمام.

---

(١) السياق، وإلاّ يحتفظوا به.

ثم إنَّ أحمد فيضي وجَّهَ حمدي بيك من حجة يرُيدُ قُفل شمر، ومعه عساكرُ من العَجمِ، فلمّا وصلَ قُفل شمر ما زال يتردّدُ إلى بني مَدِيْخة والشاهلِ، وصارَ يلومُ بهاءَ الدينِ على ما وقعَ في بني جل، وأنّه لا بدَّ أنْ يأخذَ بالثارِ، فأجابهُ بهاءُ الدين بما تضمَّنه: إنّك لا تقدِرُ على اولئك الصابرين.

وفي شهرِ شوالَ من السنةِ المذكورةِ، أرسلَ الإمام-عليه السلامُ-السيدَ الحسامَ محمدَ بنَ حسن العوامي وصحبته جماعةٌ من حاشد إلى حبُور، وأمَرَهَمُ بالمرابطةِ هنالك لأنّها ثغرٌ من الثغور.

وفي هذه المدةِ، جهَّز أحمدُ فيضي، راشد بيك بمن مَعَهُ، وأَمَرَهُ أن يلويَ إلى تهامةَ، ويجمعَ من هنالكَ مَنْ وجدَ/ من العساكِرِ مضافاً لمن معه، ٥٤ب ثم يقصدَ بني جل والشرفين، فتوجه حسب أمره، وكتب إلى مَنْ بعسيرٍ منَ العساكرِ، فلما تمَّ له الأمرُ توجَّه بمن معه نحو قُفل شمر، فلما بَلَغ بني جل وأهلَ الشرفين ما رامَهُ الأعاجِمُ، كتبوا إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ بأنْ يُنْفِذَ إليهم المُقدَّمي، فأرسلَ إليهم سيفَ الإسلام، محمدَ بنَ الإمامِ الهادي وصحبتَهُ نفرٌ يسيرٌ، ومقصدودُه ـ عليه السلامُ ـ بذلك جمعُ كلمةِ أهلِ الشرفِ، فلما وصل إليهم سيفُ الإسلام، ورحَّب به المقام، صار يتردَّدُ في تلك البقاعِ، ويأمرُ الناسَ بالصَّبْرِ والاجتماع.

وأما عساكِرُ العجمِ، فإنها تكاثَرَتْ حتى ملأت المراكزَ.

وفي هذه المدةِ، ارتفعت الأسعارُ، وعظمُ الاضطرارُ حتى وصَلَ في

جهـاتِ القِبْلَةِ ستـةَ أنفـارٍ بريال، والجهاتِ اليمانية اثني عشر نفراً بريال، وارتحلَ الناسُ من بلادٍ إلى بلادٍ لطلبِ الزادِ، سوطُ اللهِ ضرَبَ بِهِ العباد، حين كثرت المعاصي والفساد، ﴿وما أصابَكم من مصيبةٍ فَبما كَسَبَتْ أيديكم، وعْدُ اللهِ، إنَّ الله لا يُخْلِفُ المِيعاد﴾ [1].

ولقد شاهَدْنا في هذه السنةِ عَجَبَ العجاب، مما يخرُجُ عن الحصرِ، ويقلُّ فيه الإطناب، ولو تعرَّضْنا لخَرَجنا عن المقصود.

وفي هذه المدةِ كثُر الهَرَجُ في اليمنِ الأسفلِ بينَ مشايخها العتاةِ الطغاةِ، فكانَت فتنةٌ فيما بين الشيخ علي بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن علي بن سعيد، أكبـرِ شيخٍ في اليمن، وبين الشيخ عبدالـوارث بن ياسين شيخِ الضِّريبات [2] وشَرْعب [3].

قُتِلَ في هذه المدةِ خلقٌ كثيرٌ، وسُفِكَ فيها دمٌ غزيرٌ، كلُّ ذلك في طلبِ التكاثرِ من المشايخِ، وفتنةٌ أيضاً فيما بين الشيخ علي بن عبدالله، والشيخ عبـدالواحد بن قاسم، وفتنةٌ أيضاً فيما بين مشايخ حبيش، بني الشبيبي [4] والحراسيس [5]، وفتنة أيضاً فيما بين الشيخ منصور بن نصر، شيخ العنسيين،

---

(1) سورة الشورى: ٣٠.

(2) الضِّريبات: الضِّريبة في أعلى نخلة الشامية، انظر، صفة جزيرة العرب، ٦٤.

(3) شَرْعَب: ناحية معروفة بالشمال الغربي من تعز بمسافة ٤٠ كم، انظر، الإكليل، ٣٨٢/٢، هذه هي اليمن، ١٣٥/٥، نشر العرف، ٦٥٢/٢، اليمن الكبرى، ١٧٣.

(4) بنـو شَبيب: عُزلـة من ناحية حُبيش وأعمال إب يُنسب إليها بنو الشبيبي، مشايخ حُبيش، انظر، معجم المقحفي، ٣٤٤، نشر العرف، ٢٩٠/١.

(5) الحراسيس: فرع من الهناوية انظر، لقمان، القبائل اليمنية، ٣٧٨.

بلاد ذي السفـال وبين آل أبي راس. كلُّ هذه الفتنِ سُفِكَتْ فيها الدماءُ، ونُهِبَت الأمــوالُ بلا مُوْجِبٍ إلَّا طلبَ التكـاثـرِ في الـدنيا التي هي كطيفِ الخيالِ، فما ظفروا من ذلك المرامِ بطائلٍ، بل صاروا كما قال القائل:

[الطويــل]

ومــا من يدٍ إلّا يدُ اللهِ فوقَــهـــا ... (١)وما من ظالمٍ(١) إلا سيُبلى بأظلمِ(٢)

ولا بدَّ أن يكافِئهم بما فَعلوا، الملكُ الدّيان، «وكيفَ ما تَدينُ تُدان».

ثم آلَ أمْرُهم بعدَ اللُّتيا والتي، أن طُلِبوا من طرفِ أحمد فيضي، فوصلوا إليه أجمع أكتع.

ولم يكنْ له مرامٌ منهم غيرَ أخذِ الرِّشا، فتلقّاهم إلى قريبِ حزيز(1) بأهبةٍ عظيمـةٍ، كان بها قد أحرزَ، وبعدَ أن قضى وطَرَهُ منهم أصْلَحَ بينهم على دُخنٍ، ورجعوا آسفين إلى اليمنِ.

وقعة بني جل

وهذه الوقعة، هي أعظمُ الوقائعِ، والفتحُ الأزهرُ الصَّادع، والعرفُ الذكيُّ الذي هو ضائعٌ غيرُ ضايع، وصفتها:

أنه في شهرِ القعدة من السنةِ المذكورةِ توجّه راشد بيك بمن معه من العساكِرِ، والجموعِ قاصدين لبني جل، وقد آلىٰ على اللهِ عزّ وجل، وتردى

---

(1) حَزيز، بلدة جنوبي صنعاء بمسافة ٥كم، وهي من ناحية سنحان، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٥، معجم المقحفي، ١٧١.

---

(١) في م، ولا ظالمٌ الا سيبُلى بِظُلْمِ وهو الصحيح

(٢) البيت لزهير بن ابي سلمى

برداءِ الكبرياءِ وبئسَ ما فعلَ، فتقدَّمَ بمن معَهُ من بني مَدِيْخَةَ، الثالثَ عشرَ من الشهرِ المذكور، ويدأ في بني خولي[1]، فوقعَ بينهم الحربُ، وأخذت العجمُ مواشيَ بني خُولي، ودخلوا بعضَ البيوت، فأصدَقَهم المجاهدون، وهجَموا عليهم حتى أخرجوهم منها، وأخذوا بعضاً من سلاحِهم، فجاءَتْ فرقةٌ أُخرى من العجمِ، فاستولت على البيوتِ المذكورةِ، وأتتْ فرقةٌ أخرى من المجاهدين، فقصَدوا البيوتَ/ فاشتُشْهِدوا عن آخِرِهم، فتركوا البيوتَ جميعاً، لم يبقَ فيها أحدٌ من الفريقين. ٥٥أ

وقد أخذَ المجاهدون من أسلحةِ العَجَمِ، واستولى العجمُ على أسلحةِ الشهداءِ، وكان عددُ القتلى من العجمِ عشرين، ومن العرب تسعةً أو يزيدون.

ولما كانَ ما كانَ في هذه الوقعةِ، جمعَ راشد بيك العساكِرَ، وتقدَّمَ بِمَنْ مَعَهُ من الجَمْعِ المتكاثرِ، وكان خروجُهم من قفل شمر، ثامنَ عشرَ مِنْ ذي الحجةِ، وكان قدرُ العساكرِ نحوَ ألفين. وكان المجاهدون قد تجمّعوا للحربِ، فلمّا توجّهوا انهزمت العربُ هزيمةً فاضحةً من محلٍّ إلى محلٍّ، وصارت العجمُ تطوي قرىٰ بني جِل وطي السجل، فما ظهرَ الأحدُ، تاسع عشرَ الشهرِ إلاّ وقدْ أخذت العجمُ ديارَ بني خولى، وقلفاح[2] والقفرة والمساغاة

---

(1) بنو خُولي: بطن من حجور من بلاد شرف حجة، انظر، الإكليل، ٨٦/٢، معجم الحجري، ٣٢٢/١، معجم المقحفي، ٢٢٥.

(2) الأصح قِلْحَاح: من قرى حاشد في البَطَنة، وجبل قِلْحاح في بلاد الشرفين من أعمال حجة انظر، معجم المقحفي، ٥٢٢، تعداد صنعاء، ٤٢٧١/٢.

وشمسـان وبيت الـرَّمـادي، وبلغتْ هزيمةُ أوائلِ أهل الشرفِ الأعلى إلى بيوتِهم، وبقيَ سيفُ الإسلام ومن معه في المسيَّب، بيت الصَّبيحي، وطرحت العجمُ في بيتِ القـرو، وفيه خمسةُ رجالٍ من السادةِ آل العريج، والشيخ صالح بن أحمد قاريه، وثلاثةُ نفرٍ من الشرفِ الأعلى، فنصَبَتْ عليهم العَجمُ مدفعين، ومـا زالوا يرمُونهم من قربٍ، فمنْ ألطافِ الرَّبِّ سبحانَه، أنه لم يُصِبِ البيتَ شيءٌ من الرصاصِ، ولم يكنْ مقصدُ مَنْ في البيتِ المذكورِ، ومَنْ في بيتِ الصبيحي إلَّا الحربَ إلى الليلِ ويفرّونَ، عادةُ العربِ التي يعتادون! ولكنَّ الله سبحانَه تفضَّلَ بنصرِ المجاهدينَ الذينَ في بيت القرو، فتراجعَ بعضُ المنهزمين، وكان رجالُ أفلح وخيران[1] وحَجَر وأسلم[2] وغيرِهم في بطونِ الأوديةِ، ينتظرون لمن تكونُ الدائرةُ، فلمَّا نَزَل النصرُ ممَّنْ بيدهِ الخلفُ والأمرُ، كان كلُّ ما رمت العجمُ لَمْ تُصِبِ الدارَ. وكلُّ ما رمى مَنْ في بيت القَرْوي وقَعَ الرصاصُ في رأسِ مِنْ رؤساء العجمِ إلى ضابطٍ من ضباطِهِم. فلمَّا كانَ آخرُ النَّهارِ قُبَيْلَ المغربِ، وثبت العجمُ إلى المدفعِ ليأخذوه قبلَ الليلِ، فرأتهم العربُ، وهمْ على هيئةِ الفرارِ، فطمِعوا فيهم ووثبوا عليهم، ونزلَ النصرُ من الواحدِ القهّارِ، وكانت الأعرابُ التي ذكرناهم مكتمنين في

---

(1) خيران: ناحية من بلاد الشرفين، حجور، انظر، معجم المقحفي، ٢٢٧، الإكليل، ١٥٧/٨ هذه هي اليمن، ٥٨/٥.

(2) أسلم: ناحية من قضاء الشرفين بالشمال الشرقي من مدينة عبس بمسافة ٢٠ كم، انظر، معجم المقحفي، ٣٠.

---

(١) في أئمة اليمن ص ٢١٧ قلحاح

(٢) في الأصل صحر والتصويب من أئمة اليمن. ٢١٨/٢

بطونِ الأودية، ينظرون لمن تكونُ الدائرةُ.

فلما سمِعوا بالهزيمةِ، وثبوا لأخذِ الغنيمةِ، فلمّا توسَّطت العجمُ في بطونِ الأوديةِ أخذتْهمُ السيوفُ القواطعُ من كلِّ مكانٍ، وقذَفَ اللهُ في قلوبِهم الرعبَ والهوانَ، فطَفِقُوا يرمون أسلحَتَهُمْ إلى المجاهدين رجاءَ أنْ يُسلموهم من القتلِ، وظنّوا أنّه لا رغبةَ لهم إلّا في الغنيمةِ، وما علموا [البسيط]

أنّ الأسُودَ أسودَ العيلِ هِمَّتُها يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السَّلبِ

فأخذَ المجاهدون أسلحَتَهُم، ثم عَطَفوا عليهم عطفةً واحدةً، فما زالوا يقتلُونَهُمْ بها، وانتَهَبوا مدفَعين من المدافعِ أخذتْهُ اللجوجُ، وأرجعوهُ إلى العجمِ بدراهمَ استلموها، والآخرُ أخذَهُ بنو الصبيحي (1)، وأوْصلوه إلى حضرةِ الإمامِ ـ عليه السلامُ ـ وكان ذلك بحمدِ اللهِ أولَ غنيمةٍ من مدافعِ العجمِ اللئام.

وقد كانت العجمُ حَمَلَتْهُ على بغلةٍ، فرماها المجاهدون، فسقَطَ فأخذَ رجلٌ من العجمِ سدَّادةَ المدفعِ، وهربَ بها لئلا يُسْتَنْفَعَ به، فاعترضَه رجلٌ من المجاهدين فقتَله وأخذَ السدّادةَ، فكَمُلَتْ آلاتُ المدفعِ أجمعَ، والنصرُ بيدِ اللهِ، يخفض من يشاءُ ويرفع.

وفي اليومِ الثاني، قصد الناسُ مَنْ في بيتِ الرمادي، وفيه نحو مئتين من العجمِ، فلم يشعر العجمُ إلّا وقد تسوَّر المجاهدون البيوتَ من ظهورِها.

---

(1) الصُبيحَات: من قبائل وادعة حاشد، والصُبيحات ـ أيضاً ـ لُحْمَة من عيال عبدالله في أرحب، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٩٥.

/فترامَوْا من السقفِ الأسفلِ إلى الأعلى، وما زالت العربُ بِهِم حتى ٥٥ب
استأصلوها وسلبُوا سلاحَهم، واستُشْهِدَ من المجاهدين نحو الأربعين.

ومن أعجبِ ما وقعَ أنَّ في بعضِ تلك الليالي أصاب الناسَ الجوعُ، فجعلوا يطلبون الزادَ، فقالتْ لهم امرأةٌ: إنْ أردْتُمْ الزّادَ تبعتموني. وتقدّمَتْهُمْ حتى أوصَلَتهم إلى بيتِ الرمادي، وكانَ ما كانَ بينهم وبينَ العجمِ مما وصفناه آنفاً.

ثمَّ لما انجلتْ تلك المعاركُ العظيمةُ حصرَوا القتلى من العجمِ، فإذا همْ ألفُ رجلٍ والأسارى مئتان، ولم ينجحْ من العجمِ الحاضرين هذه الوقعةَ، إلا نحو خمسةٍ وعشرين، وكان عددُ البنادِقِ المسلوبةِ اثنتي عشر مئة، وغنموا غيرَ ذلك من المؤونةِ والذهب والأشياءِ النفيسةِ، وانحازَ مَنْ بقيَ من العجمِ إلى جبلِ بني مَدِيْخَة وإلى قُفل شَمِر والشاهل، وقد ذُهِلَت عقولُهم مما دَهم، واستُشْهِدَ في هذه الوقعةِ من العربِ نحوُ أربعِ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ لا غير، إلاّ أنَّ أكثرَهُمْ لم يُعْرف لكثرةِ منْ حضرَ الوقعةَ من أخلاطِ الناسِ.

وكانَ المجاهدون حينئذٍ بمن أنضافَ إليهم نحوَ سبعةِ آلافٍ فيهم نحو نصفِهم رماةٌ، والآخرون بالجردِ، وبعدَ أن سكنَ الحربُ طفِق الناسُ يتواثبون على السَّلْبِ، حتى أنَّ رجلاً أخذ بندقين، فجاءه رجلٌ، فسألهُ أنْ يُعْطيَهُ، فأبى فقَتَلَهُ، وأخذَ البندقين فجاءه رجلٌ آخرُ فقتلَه وأخذَ البندقين. وحلَّتْ أكثرُ الغنائمِ بيدِ أهلِ الأوهادِ(١ ولم يحصل بيد أهلِ الجبالِ إلا قليل، حتى أنهم صاروا يستخفون بما أخذُوه من أهلِ الأوهادِ١)، خشيةَ أنْ يفطِنوا لذلك فيقاتلوا

(١ ١) سقطت من ع، م

عليه، لأنها قد تغيرتْ عقولُهم عندَ رؤيةِ الطمع.

ثم بعدَ انقضاءِ الحربِ،أوصلَ المجاهدون بعضَ الرؤسِ والأسارى والمدفعَ إلى حضرة الإمام، فكانَ ذلك مِنْ أعظمِ الفتوحِ في الإسلام، الذي لم يُعْهَدْ مثلُهُ في سالفِ الأيام، وحينئذٍ خضعت العجمُ، ورجفتْ قلوبُهمُ وذُهِلَتْ عُقولُهم ممّا قدْ ألمَّ، وأيقنوا أنَّ سلطانَ مُلكِهم قد انهدَمَ، وبلغَ خبرُ هذا الفتحِ المبينِ، وطارَ إلى جميعِ النواحي والأقطارِ، وسُرَّ بذلك المؤمنون، وأصبحَ المسوّدون في ليلِ همومِهم يعمهون.

فتارةً يكذبون بعدَما كان، وأُخرى يتوعّدون أهلَ الإيمان.

وقال في ذلك الفقيهُ العلامةُ حسينُ بنُ أحمد العرشي حماه الله(1):

[الطويل]

طَرِبْتُ ولي قَلْبٌ عن اللَّهْوِ عازِبٌ ... سِواهُ لغيري حين تبنىٰ المذاهبُ

تُجاذبُهُ الألحانُ كَيْ تستجيدَها ... سجيَّتُهُ والمنكرُ الشيءَ عائبُ

وصاحبتي(1) في طول يومي وليلتي ... تُراجِعُ(2) مجداً حرّكتهُ الدَّوالبُ

تَطَلَّبْتُهُ لمّا تَطَلَّبْتُ أنْ أرى ... سُروراً أراهُ وخليلاً يُناسِبُ

وجِزْتُ فوافاني على الصُّبْحِ مطْلَعٌ ... أنارَ منارَ الدينِ فيهِ المغاربُ

وبرقٌ سَرى فاستاقَ سحباً ثقيلةً ... لها رَجُلٌ قد صاحَبَتْهُ الحَواطبُ

سقىَ عسكرَ العُجْمِ الخبيثةِ صَوْبُهُ ... منوناً وأولاها الطّلا والمناكِبُ

---

(1) انظر، أئمة اليمن، ٢١٩-٢٢٠

---

(١) في أئمة اليمن، ٢١٩، وصاحبي.

(٢) في ائمة اليمن، ٢١٩، تراجيع مجدٍ

(٣) في البيت خلل عروضي.

تُرَدِّدُهُ مِنْ شَمالِ الأرضِ شِمالٌ ... هنـاكَ ومِنْـهُ للجنـوبِ جوانبُ
تصبَّبَ حتى ما سقى بطنَ أوهـدٍ ... منَ الـدارِ إلاّ والجبالُ الصبايبُ[1]
/وحطَّ على الأتراكِ من كلِّ وُجْهةٍ ... منـايا لَعَمْـري وافقَتْهـا المـآرِبُ ٥٦أ
غَداةَ اشْتَـرَتْ فيهـا من اللهِ ربَّهـا ... فخـاراً بنـو جلٍّ هنـاك وحـاربوا
ليومٍ تراءى العـزُّ شابـاً وخـاطِبـاً ... على مِنْبَـرٍ من تحتِـهِ الـذلُّ شائبُ
وطـالَ فكـانَ اليومُ يوماً عَصَبْصَبـاً ... على قَيْدِ رمحٍ في مناهُ[2] العجائب
فلم تَنْـظرِ الأتـراكُ إلاَّ رؤوسُهـا ... تُجَـرُّ وقـد دارتْ عليهـا النَّوائبُ
هنـاكَ استبـاحَ السيفُ كلَّ مُجَمَّعٍ ... ضريٍّ وجـاشَتْ بالمنونِ السَّحائبُ
ومـا كَذَبَ الـراوون إنْ قالَ كُلُّهم ... لقـدْ أَلِـفَتْ قتـلاهُمُ أوْ تُقـارِبُ
هَدَتْ[3] نحوَها الساعون كلَّ غضنفرٍ ... هزبـرٍ حمـاه ظفـرهُ والمخـالبُ
ومالت على الأسلابِ والأسرِ فاحْتَوَتْ ... علي ذاكَ حتّى في النضـار الكواعبُ
وعَـدّوا إلـى ما فَوْقَ ألـفٍ بنـادقـاً ... حكتهـا المعالي واقْتَضَتْها المحاسبُ
ومـا دافَعَتْ عن مدفـعٍ بمـدافـعٍ[4] ... ومن أينَ يَدْري الـدَّفعُ مَنْ هو هاربُ
وكـانَ نهـارٌ فيهِ للقُـرْبِ مغنـم ... حَوَتْـهُ وعِنْـدَ الأعجمين مصـائبُ
يَتِـيهُ على الأيامِ لمّـا تمـكَّـنَـتْ ... عواليه واسْتـرَّتْ هنـاكَ المَضـاربُ
وقـدْ كانَ أمُّ المجـدِ قبـلَ عقيمَـةً ... زمـانـاً ولكنْ أولَـدَتْهـا القواضبُ
ودارتْ رحى الحربِ العوانِ فأصبحَتْ ... رؤوسُ الأعـادي قدْ طَوَتْهـا المعاطِبُ

---

(١) في ائمة اليمن، ٢١٩، الصياهبُ
(٢) في ائمة، ٢١٩، مداه
(٣) في ائمة اليمن، ٢٢٠، غدت
(٤) في ائمة اليمن، مدفع بعد مدفع

فلِلّهِ هاتيكَ الرِّجالُ التي مشت إليهِ كما تمشي الجِيادُ الشَّوازبُ
بنو يعربٍ من حيٍّ همدانَ فتيةٌ مَساعيرُ حربٍ حينَ تخفىَ الحواربُ
ومِنْ حَكَمٍ أعني ابنَ سعدٍ عصابةٌ توالتْ لعزٍّ لا يطأهُ المغالبُ
وإن شِئْتَ فصَّلْنا فقُلْنا لأفلحٍ وخيران في هذا الحديثِ مراتِبُ
وقد صاحبت حجرٌ هناكَ وأسلم بحزمٍ وعزمٍ في رُبا العزِّ راسبُ
وما لبني خوليّ إلا سماحةٌ عَرَتْها وقد دَارَتْ عليها العَصائبُ
يقودُهُم من سادةِ العزمِ سيِّدٌ قئولٌ لهُ مَجْدٌ وهمٌّ مناسِبُ
سليلُ أميرِ المؤمنينِ محمدٍ أخو كلِّ فخرٍ حينَ تُدْعى الأقاربُ
ومن حيٍّ [1] عدنان لديه وهاشمٍ ليوثُ وغى قد حنّكَتْها التجاربُ
أوْلاكَ إذا ما عدَّاَ المجدُ أهلَهُ يقولُ وأَوْلى الناسِ هذا المواثبُ
وعن رأيِ مولانا الإمامِ محمّدٍ مواردُهُم هذا وهذا المشاربُ
إمامٌ إذا ما الظُّلْمُ أرخى سدولَهُ فعِندَ هُداه للمُضِلّينَ جاذِبُ
تحّلتْ بهِ الأيامُ حتّى لقد غَدَتْ وفي جيدِها نجمٌ من العزِّ ثاقبُ
رأتْهُ اللّيالي وهوَ إكليلُ تاجِها فتاهَتْ ونادَتْ أيَّ فجرٍ أُصاحبُ
وجَلَّ لدى الإنصافِ تعدادُ وصفِهِ لِطالعِ وقتٍ أوْ لما هُوَ غاربُ
وصاحَبتُهُ والعينُ لا تنكرُ الضُّحى إذا شاهدٌ أعمِي عليهِ وكاتبُ
ووعدني مذْحي له كلَّ غايةٍ أضلّ ومِنْ أبعاضِ تلك المواهبُ
وآليتُ لا تنفكُّ راياً لرائه[1] تتابعُه ما عاهَدَ الله تائبُ

---

(1) حي: هو تعبير شائع في المخطوطات والوثائق اليمنية، وتعني حياةُ، انظر، وثائق يمنية، ٥٣.

---

(١) في أ، لوائه

وصــبَّــرْتُ نفــسي كلَّ ما مرَّ عاذلٌ ... وذو شنــنَ مرَّ أو مَرَّ عاتــبُ
ولـمــا رآنــي قلتُ للصَّبْــرِ مرحبــاً ... قراهُ فنــادَتْــنــي الـيه الـمــراجِـبُ
وقــالَ لســانُ الحــال والحــالُ بيِّنٌ ... لحـا الله أقـواماً عن العُـرْف جانبـوا
ووقتــاً أقـامَ الليلَ في رتبةِ الضُّحى ... عَيانــاً وأمْنَتْــهُ الــظّنـونُ الكـواذبُ
وحـينــاً به قد عرَّفَ الـمــرءُ نفسَــهُ ... إلـى أهـلِهِ واستنكَــرَتْــهُ الأجــانبُ
وفي الناسِ أصحابٌ وفي الناس مُصْحَبُ ... وفـيهــمْ ذيابٌ مرَّةٌ وعـقــاربُ
ولستُ أُبالي بعدَ أنْ صاحبتْ يدي ... ـ على رأي حَظي فيه ـ ما لا يجانبُ
وأحـسـبُـهُ منجــاةَ يومي وعــدّتي ... ليومِ قيامي حينَ تَبْلى المكـاسبُ
أقــولُ وهــذا القـولُ يبقى مؤرَّخـاً ... إلى كلِّ مجدٍ دونـكَ اليومَ جانبُ
وأنت الـذي استـودْعتَ كلَّ كريمةٍ ... عَلَتْ وبك الذِّكْرُ الجميلُ المراقبُ
وخَتْـمُ كلامي أنْ أقــولَ متمّمــاً ... عليكَ سلامٌ ما تدورُ الـكــواكـبُ

/ثم إن أحمد فيضي بعدَ هذه الوقعةِ صار يكاتبُ السلطانَ، ويعرِّفُهُ بما [٦٤ب] وقعَ من العربِ، وما نزَلَ بالعسكرِ من القتلِ والنهبِ والهوانِ.

وبعَد هذه الواقعةِ، عادَ سيفُ الإسلام إلى القاهرةِ من الشرفِ الأعلى، وكانَ قد استنفرَ الناسَ للغارةِ قبلَ الوقعةِ، فأبطأَتْ حجور الشامِ، فلم يوافوه إلا في القاهرةِ، وقد تمَّ الكلامُ وحصلَ بحمدِ الله المرام.

ومن بعـدِهـا تشـاورَ المجـاهـدون، وسيفَ الإسلام بأنْ يغزوا الشاهلَ لاستئصـالِ مَنْ بقي فيه من حزبِ البـاطلِ، وكان فيه للعجمِ قشلتان[1]،

---

(1) قَشلة: ثكنة عسكرية (قشلاق).

إحداهُما شرقيه، فتقدَّمَ سيفُ الإسلام بِمَنْ معه، وكانوا نحوَ ثلاثِ مئةٍ، فما بلغَ إلى الشاهل، الأوهم نحوَ الألف أو يزيدون.

فلما وصلَ سيفُ الإسلامِ إلى الشاهل رحَّب به مَنْ فيه من السادةِ الأفاضلِ، وفتحوا بيوتَهم لكلِّ نازلٍ إلا رجلاً منهم يسمى عبيد الله بنَ حسين شيخ، فإنه من أعوانِ العجمِ، قدْ عضَّ على ودِّهم بالنواجذِ والفمِ. فإنه لما دخلَ سيفُ الإسلام، بادرَ حسين شيخ المذكورِ إلى رمي المجاهدين، فقتَلَ منهم رجلين، وقُتِلَ هو وأُخِذَ بيتُهُ، وهربَ والدُه ودخلَ مع العجمِ، وبعدَ ذلك خرجَ مؤمناً إلى سيفِ الإسلام، وبعدَ ذلك ظهرتْ منه خياناتٌ وجناياتٌ أوجَبَتْ حبْسَهُ، فحُبِسَ وأرْسِلَ إلى مقامِ الإمام عليه السلام.

ثم إنها تبادَرَتِ الرجالُ وتواثبتِ الأبطالُ إلى حطامِ منْ بقيَ في القشلةِ الشرقية من العجم الأنذالِ. وكانَ إلى جانبها بركة ماء، فغيرها المجاهدون بالبارود والذخيرة وحالوا فيما بينَ القشلةِ وبينَها. وفي القشلةِ خمسةٌ وعشرون رجلاً فضايقوهم مضايقةً شديدةً. وكانت العجمُ قد حفرتْ نقباً من القشلةِ إلى البركةِ، فهدمه المجاهدون، فتعذّر إليه الوصول:

ثم لم يزل الحربُ في كلِّ يومٍ حتى تسوَّروا عليهم الحائطَ الذي إلى بابِ القشلةِ، وفيه آنيةُ نحاسٍ قد ملؤوها ماءً، الواحدُ منها يسعُ ألفَ رطلٍ، فرمى المجاهدون تلك الآنيةَ حتى ثقبها الرصاص، وانفجرتْ إلى الأرضِ، ولم يبقَ فيها شيءٌ. وهذا كلُّه، وقد كثُر القتلُ والجروحاتُ في المجاهدين؛ لأنهم كانوا يريدون أنْ يَنْقُبوا القلعةَ، ويدخلوا عنوةً، وكانت العجمُ الذين في القشلةِ، كلّما أحسّوا بذلك، رموا المجاهدين بالقنابرِ حتى كثُر الجرحى، وعادَ

النّاسُ إلى الحصارِ، حتى نالَ العجم الاضطرارُ. وبعدَ ذلك نادُوْا بالخروجِ فوثَبَ عليهم العربُ فقتلوا أكثَرَهُمْ وأمَّنوا الباقين، وأوْصَلُوهم حضرةَ الإمامِ ، ـ عليه السلام ـ وقبضوا القشلةَ، وأخذوا ما فيها.

وهـذا ما وصـلَ إلى راقمِ هذهِ السيرةِ من الوقائعِ الخطيرةِ على جهةِ التحقيقِ واليقينِ مِنْ دونِ كذبٍ ولا تخمينٍ. وبقي وقائعُ في الجهةِ الآنسيةِ لا بدَّ أنْ نُلحقها في كراسٍ مستقل كما أخذه ذلك مفصَّلاً من عده ممَّن شاهدَ ذلك ، منهم: الشيخ عبدالله بن علي راجح وابنُه الشيخ عزيز بنُ عبدالله وغيرهم، وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

نعم، بقيَ مما ينبغي أنْ يُذكَرَ، وتجري بذكرِه أعنَّةُ الأقلامِ ويُسَطّر، وهو ما وقَـعَ من الوقائعِ الخاصّةِ في بعضِ أعوانِ العجم الذين هم أعقُّ منهم وأظلم، ومـا يلحق بذلك من إحراقِ بعضِ بيوتِهم بالبارودِ، فلقد حَصَلَتْ بذلك النكايةُ العظيمةُ، وتكرَّرَتْ مِنْ أجلِ ذلك الأحوالُ المستقيمةُ، ونزلَ بهم من الخوفِ مالا يُقادُ قدْرُه حتى ادّعى التشيُّعَ مَنْ هو خليٌّ عنه بالمرة.

فمن ما جرى ولَمْ أعرفْ في أيِّ شهرٍ كان، قَتلُ الفاسقِ المرتد[1] ابن قُنبُـع، وذلـك أنـه وصلَ إلى حضرةِ الإمامِ ، ـ عليه السلامُ ـ مظهراً التّوبَةَ والـرجـوعَ عن الآثـامِ ، وكـانَ من أعوانِ العجمِ اللئامِ فبقي/ في المقامِ الشريفِ مرابطاً مدّةً. ٥٧أ

ثم لمـا وقعَ الجهادُ في جبل اللوزِ، أخذ بندقاً من بنادقِ بيتِ المالِ

(١) سقط من ع

وهربَ راجعاً إلى خدمةِ العَجَمِ متمدّحاً بما صَنَعَهُ من الفعلِ الألومِ، ولم يعلمْ أنَّ الطالبَ حثيثٌ، وأنَّ نقضَ العهدِ مِنْ أخبثِ الخبيثِ.

فلم يَزَل الإمامُ عليه السلام يُرسِلُ إليه من يُذيقهُ طعمَ الحِمامِ حتى أظفَرَهُ الله عليه في بعضِ الليالي العظامِ من ليالي شهرِ رمضان، فبرزَ إليه بعضُ السادةِ الكرامِ محمد بن عبدالله بن الإمام، وهو في السوقِ خائفاً يترقَّبُ، لأنّهُ قد عَلِمَ بشدّةِ الطَّلب، فلما تمكَّن منهُ السيّدُ المذكوُر طَعَنَهُ طعنةً ألحقَتْهُ بأصحابِ القُبور، ومرَّ كأنْ لم يكُنْ له بذلك شعورٌ، فوقعَ ذلك أشدَّ موقعٍ عندَ العجمِ وأعوانِهم، ومِنْ ذلكَ أنَّ السيّدَ المذكورَ، وكان من الفتّاكِ الذين لا يهابون الدخولَ في عظائمِ الأمورِ، أخذَ باروتاً وأدخَلَه إلى بيتِ الحكومة في صنعاءَ، البيت المعروف، وكان إدخالُهُ نهاراً ثم أعلقه بذريرةٍ، فقرحَ الباروتُ المذكورُ حتى هضّ الدارَ المذكورةَ لكن لم يضرّ أحداً، إلاّ أنّه حصَلَ مع العجمِ حاصلٌ عظيمٌ، ونزلَ بهم المقعدُ المقيمُ، ومِنْ ذلك أنَّ الإمامَ، حفظهُ الله، أرسلَ جماعةً إلى مدينةِ يريم لإحراقِ بيتِ الحكومةِ، فوضعوا الباروذَ وأعلقوهُ، وذهب نحو ثلثِه من الجهةِ العدنيةِ، إلاَّ أنَّه لم يكنْ فيه أحدٌ، ومن ذلك أنَّ الشقيَّ ابنَ الشقيِّ، الشيطانَ محمدَ بن محمد جغمان، لمّا صدرَ منه التفوُّه في جانبِ الإمامِ السويّ، والنصبُ العظيمُ في جنابِ[1] أهلِ البيتِ النبوي، وإظهارُ المحبةِ للعجمِ، والمعاونةِ لهم باللّسانِ والقلمِ، حتى رانَ على قلبِهِ، واستولى الشيطانُ والهوى على عقلِه ولُبِّهِ. كلُّ ذلك في محبَّةِ الدنيا الدنّيةِ، والتعبِ لحطامِها الذي يأباهُ أهلُ الحريةِ. فلمّا

(١) في م، جانب

تمادى في طُغْيانه، وأطاعَ أمرَ شيطانِه، أرسلَ إليه الإمامُ ـ عليه السلامُ ـ من يُنزِلُ به الانتقامَ ويُذيقُهُ غبَّ ما صنعَ من الإجرامِ، فدخلَ عليه بعضُ السادةِ الكرامِ وهو يتوضّأ في المطهر، وطَعَنَهُ ثلاثَ طعناتٍ كادت أن تَعْرِضَ روحَه على النار. إلَّا أنَّ في سابقِ الأقدارِ حكمةً تقضي ببقائِهِ، فاعتبِروا يا أولي الأبصارا، فبعَد أنْ طُعِنَ، صاحَ وتيقَّنَ الهلاكَ، فحُمِلَ إلى بيتِهِ، وبقيَ مدةً مريضاً من تلك الجراحِ، وخولِطَ عقلُه من الجُبْنِ، ولِلّهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ.

وفاةُ السيدِ العلامةِ عمادِ الدين، ونجمهِ الزاهر، يحيى بن قاسم عامر (1).

وفي هذه السنة، كانت وفاةُ السيدِ العلامةِ الجهبذِ، عماد الإسلام، وركنِ الفضلِ، الشامخِ الذي لا يرام، مَنْ فاقَ الأوائلَ والأواخر، السيد يحيى ابن قاسم عامر. وكان ابتدأ مرضُه في المقامِ الشريفِ بقَفْلَة عُذَر، ثم نُقِلَ مريضاً إلى وطنهِ جبل الأهنوم، وكان السيدُ المذكورُ من رجالِ الدنيا والآخرةِ، من أرْكانِ الأئمةِ باذلاً في نُصْحِهم الهمةَ، ناصحاً أولاً مع الإمامِ المتوكلِ على الله، المحسن بن أحمد ـ عليه السلام ـ وبعدَ وفاتِهِ لازَمَ الإمامَ

---

(1) يحيى بن قاسم بن إبراهيم من نسل السيد الشهيد عامر بن علي بن محمد الحسني الأهنومي، ولد بالأهنوم حوالي سنة ١٢٥٠هـ، ورحل في طلب العلم، بايع الإمام المتوكل المحسن بن أحمد،وكان من أعيان أعوانه، ولي له بلاد حجور، وكان من أعوان الهادي شرف الدين بن محمد الحسيني، ومن ثم تبع الإمام المنصور بالله، كان كاتباً قديراً توفي في قرية الراس من جبل الأهنوم، انظر، أئمة اليمن، ٢/ ٢٣٣.

الهادي، عليه السلامُ، وبذل النصيحةَ، ثمَّ الإمام المنصور ـ عليه السلام ـ وكان عارفاً بالعلومِ، خبيراً بأمورِ الناس.

ولقد سمعتُ الإمامَ ـ عليه السلامُ ـ كثيراً ما يثني عليه، وأنه ما رأى مثلَه في مراجعةِ الإمامِ، وبذلِ النصيحةِ للخاصِّ والعام، رحمه الله.

وقد كانَ شرعَ في سيرةِ مولانا الإمامِ المنصورِ باللهِ، عليه السلامُ، ولقد أوْلَدَ فأَنْجَبَ السيّدَ العلامةَ محمّد بنَ يحيى، وهو الآن عاملُ الإمامِ في خَوْلان، وأولُ ولايتهِ في أيامِ والدِه، ثمَّ استدامَ ذلك، وابنَهُ السيّد العلامةَ ذا الفهمِ الثاقبِ، والفكر الصائب، صفيَّ الإسلامِ، أحمدَ بنَ يحيى، أبقاهُما الله، فَمَنْ خلَّفَ مثلَهُما ما ماتَ، وما ماتَ مَنْ كانت بقاياه مثلَهم.

٥٧ب /ومن الأشعارِ التي لها تعلُّقٌ بما مضى من الوقائعِ، ما قاله بعضُهم في وقعةِ الظفير، وهي:

[الطويل]

أهلْ قَدْ سَمِعْتُمْ يا ذوي البأسِ والصَّبْرِ ... بِصَدْماتِ أهلِ الفتكِ بالقتلِ والأسرِ

بحصنِ ظفير يومَ الاثنين وقعةً ... باثنين وعشرينَ شعبانَ فاستقرِ(١)

بملحمةٍ ما قد أتَتْ في زمانِنا ... سِوى الذاريَ المشهورِ في فَتْكِ ذي الكفرِ

وذاكَ بأبناءِ العُلوجِ الذي لَهُمْ ... مناكرُ لا تُحصىٰ بِعَدٍّ ولا حَصْرِ

وذاكَ بأنَّ العِلْجَ حاطوا جَميعُهم ... بحصنِ الظفير الشامخِ العاليَ الوعْرِ

أحاطُوا على حصنِ الظفير ومَنْ به ... يريدوا دخولاً لذوي البطش والقهرِ(٢)

---

(١) في البيت خلل عروضي.

(٢) في البيت خلل عروضي.

وفــيـهِ من الأنــصــارِ كلُّ سَمَـيْدَعٍ ... ليوثُ بني الهيجـا بمصـطلم الشـرِ

وعـامِـل مولانـا وبهجـةُ عصرِنـا ... إمامُ الورى المنصورُ بالرعبِ والنصرِ

وذاكَ الشريفُ الماجدُ القَرْنُ في المَلا ... سليلُ أُولي التّقوى وذو العلم والصبرِ

وسيفُ إمامٍ، ناصرِ العدلِ ذي التقى ... وأعني بهذا لُطْفَ ساري ضِيا البَدْري

ومَـنْ هو في تلكَ الـمـلاحِـمِ سَيّدٌ ... نجيبُ[1] بني الزّهراءِ مِنْ أحْمَدَ الطُّهر

سليلُ رسـولِ اللهِ وابـنُ رسـولِـه ... المؤيد يحيى ابن حمزة ذي الفخر[2]

ضياءُ الهـدى لُطْفُ الإلهِ الذي سَرَى ... على الـزُّمْـرةِ الأخيارِ جنّتُهُمْ تجري

أحـاطـوا بهِ شرْقاً وشاماً ومغرِباً ... وَمِـنْ يَمَـنٍ لَقَـوْا به.. الـخـزي[3]

وأحْمـوا لظىٰ حربٍ تَهُـدُّ ذوي القُوَىٰ ... وكـانَ ابتداها قبـلَ ضحضحةِ الفجرِ

وثـارَتْ جَليلاتُ المـدافعِ مثـلَ ما ... سوابـلُ غيثٍ مثـلَ أنصـارِ ذي صَبـرِ

خلى من شيشخـان فلمْ يُحصَ حَصْرُها ... ولا عدَّهـا من أهـلِ بدوٍ ولا حَضـرِ

يهـولُ بهـا أهـلُ الشجـاعـةِ والنُّهى ... بذي البُعْـدِ ما ظنُّـك بمُصـطلمٍ وعرِ

وقـد فرَّقـوا تلكَ الـطوائفْ تقـدّمـوا ... محيطون بالحرب العوان الذي يغري

وصـالَتْ أُسـودُ الغـابِ أنصارُ مالكي ... عليهـم كعقبانٍ على ملأ الـطيرِ

أتـاهُـمْ عذابُ اللهِ بأيدٍ فواتـكٍ ... ليوثِ بني الـدنيا وأُسـدِ بني العصـرِ

فإخْتَطَفَتْ[4] أرواحَهُم من صدورِهِمْ ... فصـاروا كأجْـذَاعٍ بذي مَهْمَـهٍ قَفْـرِ

حواليْ ظفيرِ العلم والـدينِ والهُـدى ... وطيبـةِ أبنـاءِ النبيّ محكَمِ الـذكـرِ

---

(١) في م، مجيب

(٢) فيه خلل عروضي

(٣) بياض في الأصل

(٤) الهمزة للضرورة الشعرية.

إمامُ الهدى المهدي لدينِ محمّدٍ … وسِبْطٌ له المتوكل العدل ذي الأمر[١]

فما أغْنَتْ مدافِعُهْم ولا قوةٌ لهم … لذي قوّةِ القّهارِ ذي البطْشِ والقَهْرِ

فَقَدْ حَصَدُوهُمْ حَصْدَ زرعٍ مُرَوَّعٍ … بجنـدٍ جرادٍ مُهْلِكِ الزرعِ والأرز

وقد نَقَلوا منهم غنائمَ حبذا … غنائمُ ذي فسقٍ وظلمٍ وذي كُفْرِ

غنائمُ لا تُحصىٰ مؤاتين أجلبتْ … لها الكافرون الظالمون ذوي الفجر[٢]

وكم عسجدٍ نالوه منهم ذوي التقى … وكم ورقٍ حازوه وكم دُرَرٍ تبرِ[٣]

٤٥٨أ /وكَمْ من رؤوسٍ قُطِّعَتْ لينـاعِها … ببيضٍ جَرَتْ في كلِّ أعضائِهم تفري

وتلكَ كراماتُ الإمام وليِّهم … ومُوْسِعِهِمْ بالجُنْدِ والمالِ والوفرِ

وبالرأيِ والتدبيرِ والحزمِ دائماً … بحَشْدِهِمُ بالباسِ والفَتْكِ والصَّبْرِ

إمامُ الهُدى المنصورُ أفضلُ مَنْ نشا … مُجَرِّدُ سيفِ الحقِّ والنَّهْي والأمْرِ

إمامُ الرِّضا واليُمْنِ والفَوْزِ والمُنى … بقَتْلِ الأعادي سَلْ بها كلَّ ذي قطرِ

إمامُ الفخامةِ والزّعامةِ والذي … لَهُ الله بالتّأْييد كافلُ النَّصْرِ

إمامُ المعالي والعَوالي والضِّيا … إمامُ المواضي والمُثَقَّفَةِ السُّمرِ

إمامُ البرايا، سيّدُ الناسِ كلِّهمُ … إمامُ السّخا والجودِ والبَذْلِ والبِرِّ

إمامُ العَطايا والسّجايا التي بها … صَلاحُ جَميعِ النَّاسِ في البرِّ والبحرِ

إمامُ السَّرايا والمغازي التي بها … هلاكُ جميعِ العِلْجِ في كلِّ ذي شهرِ

إمامُ جهادٍ واجتهادٍ ومَنْعَةٍ … وقُوّةِ جَأْشٍ عندَ قاصِمَةِ الظَّهرِ

إمامٌ ومِنْ نَسْلِ الإمامةِ أصْلُهُ … إمامٌ وَمِنْ نَسْلِ النُّبُوَّةِ والفَخْرِ

إمامٌ لهُ كلُّ الكراماتِ تعتزي … بِذا شَهِّدوا أهلَ الفضائلِ والذكرِ

---

(١) فيه خلل عروضي

(٢) فيه خلل نحوي

(٣) فيه خلل نحوي عروضي.

وآبــاؤه الــغــرُّ الأئــمّــةُ كُلُّهُــمْ ... مِنَ القاسمِ المنصورِ ذي النّهي والأمر

ومَــنْ جَاهَــدَ الأتــراكَ في كلِّ بَلْدةٍ ... وأحْصــدَهُم قتـلاً وأسـراً مع الأسـرِ

كذا ابْـنُـهُ أعـنـي الـمؤيَّدَ والــذي ... نَفَاهمْ وأجـلاهُمْ مِنَ اليَمَنِ الـطُّهْـرِ

وَصِنْــواهُ سيفــاهُ على كافـةِ العِـدا ... ومن جاهداه في الله بالبيضِ والسُّمْرِ

ومــن شمــرا لله تَشْــمـيرَ ساهِــمٍ ... لقتــلِ بني الـطغيانِ مرتكبي الـوزْرِ

ومَنْ أرغمــا آنــافَ[1] علجٍ نواكسٍ ... ومَنْ طردا تلك الـطوائفْ ذوي الكُفْرِ

ومن أخـرجـاهم من بلاد ذوي التُّقى ... من اليَمَنِ المَيْمـونِ قَهْراً على قهرِي

لحتى لقــد قالا مقــالاتٍ مُفَصَّــحٍ ... ألا اشهَدْ لنا يا بحرُ إنّا أولو النصرِ[1]

هُمــا الحسنــانِ الـراكبان كلاهُمـا ... مُشَيـدا بنيـانِ الـدّيانـةِ والـذكْـرِ[2]

أولئــك آبــاءُ الإمــامِ ولــيِّنــا ... وأوْلىٰ جميـع الناسِ ليثِ بني الطُّهرِ

فيهنــاكُـمُ جنـدَ الـظفير بجنّــةٍ ... فواكُهُهــا تُمْــري وأنهـارُهـا تجـري

فيهنــاكُمُ الـفخــرُ الجميلُ وجنَّــةٌ ... بهـا ما تُريدُ النفسُ من كلِّ ما تطوي

ويهنــاكُمُ المجـدُ الأثيلُ فذكْــرُكُمْ ... لَقَدْ فاحَ مِسْكاً يا ذوي الناسِ والصَّبْرِ

تعــطَّرَتِ الــدُّنيا بعنبـرِ ذِكْــرِكُمْ ... ومِسْكِ معـاليكُمْ إلى آخرِ الـدَّهـرِ

فأوْصــيكُــمُ تقــوى الإلــهِ وحُبَّــهُ ... وحبَّ رسـولِ الله في السرِّ والجهـرِ

وحبَّ ذوي القُــربى وعتــرةِ أحمـدِ ... وقــائمُهُمْ من حُبِّــهِ مُنْتهى الــذُّخـرِ

وطــاعتــهُ في كلِ وقتٍ وســاعــةٍ ... وخــدمتَه فيمـا يشـا يا ذَوي الفخـرِ

وشدّوا و إشْتَدّوا[3] كحرب الذي مضى ... مع القائمِ المنصورِ بالبيضِ والسُّمْرِ

وجِـدّوا وصُولوا واصبِروا في ملاحِمٍ ... ولا تهنـوا من حربِ أهلِ ذوي النُّكرِ

يَزِدْكُــمْ إلــهــي قوةً بعــدَ قوةٍ ... بهــا غايةٌ بالفتــحِ والفخرِ والنصـرِ

---

(1) في البيت خلل نحوي وعروضي. (2) في البيت خلل عروضي. (3) الهمزة للضرورة الشعرية.

ويُعْـطِكُم التـأييدَ والنصـرَ والـرِّضى … ويَمْنَحْكُمُ مِنْ فَضْلِهِ مُعْـظَمَ الأجْـرِ

وقـد اقتديتم يا ذوي الحلمِ والحِجا … بحصـدِكُم أهـلَ الخيانـةِ والوزر

بصـدمـةِ أنـصـارٍ برأيِ إمـامِنـا … ذوي الشَّرفِ السامي فأفعالُهم تمري

عَلَوْهُـمْ ووافـىٰ رأسُ باشـا جمعَهُم … (محمد العارف) إلى موضعِ الحجرِ

وفـي يومِ الاثنين العبـوسِ عليهمُ … كسفـحِ قفيلٍ صالَ فيهم ذوو الصبرِ

٥٨ب /وبـرقُ قِتـالٍ أرسلَ الموتُ نَحوَهم … صواعقَ موتٍ لم تذرْ فاسقـاً يجـري

وشـدّوا ليوثَ الحـربِ من كلِّ وجْهَةٍ … تُنـاوِشُـهـم بالشيشخـان وبـالبتـر

وجَـدّوا إلـيهـم مُسْـرِعينَ ببـأسِهِمْ … وقَـدْ ألْجَمُـوهُمْ بالبنـادقِ في القفـرِ

وظـلَّ من البـاروتِ ما أظلمَ الهَـوَا … عليْهِمْ وعمَّ الشمسَ جرمٌ من الغَبْـرِ

لحتى التقى الجمعانِ في مَهْمَهِ البلا … فأرْوَوْا جنـاينِهمْ دمـاً بَعْـدَمـا يَفْـري

ومـاتَتْ طيورٌ من رَصـاصِ بَنـادِقٍ … وآفـاتِ حَيّاتٍ وحـنْشـانِ ذي البَـرِّ

وأُحْـرِقَتِ الأشجـارُ من كُثْرِ رمْيهِمْ … وأظلَمَتْ الأرجـاءُ مِنْ عنتـرِ القفـرِ

وتسمعُهـا كالـرَّعْـدِ في الجوِّ والهوا … رعودَ رماةِ القـومِ في ذلك الحشرِ

فأفْـنُـوهُـمْ في كلِّ وادٍ ورَبْـوَةٍ … وسهـلٍ وحَـزْنٍ في القُفيلِ بلا فخـرِ

وإقـتـطعـت منهم رؤوسٌ وأرْجُـلٌ … وإغـتـنـمـت منـه دقيقٌ مع البُـرِّ

وقـد شبعـتْ منهم وحـوشٌ وقَـدْ ثَوَتْ … عليهِمْ نسورُ الأرضِ شهـراً مع الشهـري

عكـوفٌ عليهـم ذائـبـاتٌ رواتِـعٌ … نواعِمُ مِنْ أكـلِ البُـطونِ مع الظّهرِ

على يد مولى النـاسِ أعني إمـامَنـا … محمـداً المـوسـومَ بالبـاسِ والصَّبْرِ

إمـامُ الهُدى، شمسُ الضّحى، جاسمُ العدا … أميرُ الـوَرى بحـرُ القِـرى ولـدُ الـطهـرِ

أتَتْ عنـده روسُ الأعـاجمِ عَنْ يدٍ … بأيْديَ أنـصـارٍ مواقِـفُـهُـم تُعـري

وذاكَ بنَصْـرِ ابنِ الإمـامِ إمـامِنـا … محمـدٍ المنصـورِ مولى بَني العَصْـرِ

وهـذا لَهُ سِبْطٌ وسَـيْفٌ وذابـلٌ ومنصـورُ حقٍ في جهـادِ ذوي البكـرِ

طريقـةُ آبـاءٍ له بهِـم اقـتـدى[1] ويا نعـمَ آبـاءٌ ويا نعـمَ ذو الـبـدرِ

عليهِـمْ سلامُ اللهِ ما سَجَـدَتْ لَهُـمْ صوارِمُ حقٍّ في نُحـورِ ذوي الكفـرِ

وصـلِّ على طٰه الـشـفيعِ وآلِـهِ مُحَمَّـدٍ المختارِ والآلِ ذي الـذكـرِ

تمَّت القصيدةُ، وفيها ما لا يخفى، وإنما ذكَرْناها لشرفِ من قيلت فيه.

وللسيِّدِ العلاّمـةِ إسمـاعيلَ المـرتضى المُحَطْوري، عافاه الله، مقدمةٌ إلى الحضرةِ الشريفةِ: [الوافـر]

على هامِ السِّمَـاكِ سَمَـوْتَ قَدْرا وفَـوْقَ القُـطْبِ طال عُلاكَ فَخْـرا

وقَـدْ نَشَـرَ الإلـهُ لَكَ المعـالـي جَهَـاراً عنـدَ كلِّ النـاسِ نَشْـرا

وضـاءَ بكَ الـفـخـارُ ضِياءَ نورٍ على ضَوْءِ النَّـهـارِ وزادَ فَخْـرا

وقَـدْ شَرَحَ الإلـهُ لكُـمْ صُدوراً كَوسْـعِ الأرضِ بَراً ثم بَحْـرا

كَذا وَسِـعَـتْ أمـورَ النَّـاسِ كُلّا شريفـاً ثمَّ عَبْـداً ثم حُرا

وصَيَّرتَ الجـهـادَ وَحَمْـلَ أعبـا ئِهِ نَزْراً ولَـنْ تَجِـدَنَّ أَزْرا

ولـو أنَّ الـخـلائِـقَ حُمِّـلوا بَعْـ ضَ ما حُمِّـلْتَ لا يجـدون صَبْـرا

تَحَـمَّـلْتَ الخِـلافـةَ يا ابنَ طٰه وقـد أحْكَـمْتَـهـا رأسـاً وصَـدْرا

وبَـعْـدَ دَنَـتْ إلـيكَ بِحُسْـنِ دَلٍّ مُذَلَّـلَةً تطأْ بطنـاً وظـهـرا[2]

وصـاحَـتْ مِلْءَ شِدْقَيْهـا وقـالَتْ فهـذا يُعْـلِيَ الـمشهـورَ ذِكْـرا

فذا ابـنُ الـنُّـبُـوَّةِ يا أنـاسـاً وذا ابـنُ الـرسـالـةِ تُهْـتَ فخـرا

---

(١) في م، أقتدي

(٢) السكون في (تطأ) للضرورة الشعرية.

وذا ابنُ الإمامَةِ وهو أوْلى   بها في النَّاسِ عَصْراً ثم عَصْرا

أقامَ بفرضهاوحمى حماها   وشيَّدَ رُكْنَها وأقامَ نَصْرا

ومنذُ نشا دَعَاها لِلْمعالي   وقالَ لها فَلَنْ تَجِدِنَّ عُذْرا

٥٩أ / هَلُمَّ بِفَتْكِ أهلِ الجَوْرِ فتكاً   فَنُهلِكُهُمْ فما أهْنى وأمْرا

ونوردُهُم حِياضَ المَوْتِ هَلْكاً   ونَسْبي مُلْكَهُمْ للهِ قَسْرا

نُجَرِّعُهُمْ بكاساتِ المنايا   ونُكْرِعُهُمْ بها غَضْباً وقَهْرا

أجابَتْهُ لذلكَ وهيَ تجري   شريعاً كالعروسِ تَتِيهُ فَخْرا

وتحلِفُ أنَّ ما بِهِ في البرايا   أساقَ لها من الأصداقِ مَهْرا

فَبَثَّ جيوشَهُ في كلِّ قَطْرٍ   وأوْسَعَهُمْ من الآلاتِ شَطْرا

ومِنْ كلِّ الكفايةِ قدْ أتاهُمْ   بما يُغْنيهُمُ عَبْداً وحُرّا

وقالَ عليكُمُ بالضَّرْبِ فيمَنْ   عصى الباري وقدْ إزدادت كُفْرا

وجِدّوا في نِكالِهِمُ بِطَعْنٍ   يَرَوْنَ بِهِ الهلاكَ ضحىً وظُهْرا

وكانَ مراكزُ الأنصارِ مِنْ ما   لكي لا يُخْتَصىٰ عَدّاً وحَصْرا

ففي الشَّرقِ الشَّريفِ وفي ظفيرٍ   ونجرةَ والشغادر قوم حمرَا

وكَمْ من غارةٍ يُرْسَلْ بها في   صيممِ العزمِ للطّاغين تَتْرى

وكَمْ غزواتٍ تسرع في نكالٍ   لِعِلْجِ الرّومِ لا يجدون أَزْرَا

فأوَّلُ صَدْمةٍ في التركِ كانت   ببلدةِ شاهلٍ قتْلاً وأسْرا

بموضع اسْمُهُ الذّاري ذَرُوْهُمْ   حَصيداً مُنْتَشرا شَفْعاً ووَتْرا

يزيدُ على المائَتَيْنِ القتلُ فيهِمْ   وأمّا الأسرُ لا أسطيعُ حَصْرا

ويومٍ بالقفيل غَدَوْا جُزورا   لِوَحْشِ الأرضِ تأكلُ منه شهرا

وكم وقعاتٍ لا تِحصىٰ عليهم   بها لَهُمُ الهلاكُ عِشاً وفجرا

وفي حصنِ الظفير جَرَتْ عليهم ... ملاحِمُ من جنودِ الحقِّ تَتْرى
فكانَ بها الهلاكُ لقومِ سوءٍ ... تَعَدَّوْا في حدودِ الله جَهْرا
وكم قَتْلٍ وكَمْ أَسْرٍ ونهْبٍ ... وكم أنفال حازُوها وفخرا
وذا بسرائرِ المولى الذي قدْ ... حباهُ الله تأييداً ونَفْرا
أميرُ المؤمنين وخيرُ داعٍ ... دعانا لِلجهادِ جَزاهُ أجْرا
أميرُ المؤمنين وخيرُ هادٍ ... إلى أحيا كتابِ الله طُرا
أميرُ المؤمنين إمامُ حقٍّ ... دعا لله إعلانا وجَهرا
إمامٌ لا يُقاسُ بِهِ إمامٌ ... وقَدْ رَفَعَ المُهَيْمِنُ منهُ قَدْرا
إمامٌ سَلَّ سيفَ الحقِّ يفري ... مِن الأعدا بذلك كُلًّا وظُهرا(١)
إمامٌ هدىً وآدابٍ وعِلْمٍ ... وحلمٍ واسعٍ وقِرى وأقرا
إمامٌ ملاحمٍ وإمامُ فَتْكٍ ... لأهلِ الظلمِ لا يجدون أزْرا
إمامٌ معاركٍ وإمامُ بأسٍ ... وسطوةِ فاتكٍ إذْ ما اكْفَهَرّا
إذا نُشِرَتْ بيارِقُهُ خُفوقاً ... ليومِ كريهةٍ يرتاحُ بِشْرا
إمامٌ مكارمٍ وإمامُ جودٍ ... (٢فاقصده تجده صاحِ بحرا٢)
إمامٌ شمائلٍ ما الرَّوْضُ يحكي ... شمائِلَهُ وللأزهارِ زهرا
إمامٌ عزيمةٍ خُلِقتْ لمجْدٍ ... يُسَيِّرُها يَميناً ثمَّ يُسْرا
إمامٌ فضايلٍ وإمامُ فَضْلٍ ... إمامُ فواضلٍ تُتْلى وتُقرا
إمام هَمُّهُ مَلأ البسيطة ... وقَدْ وَسِعَتْ همومَ النّاسِ طرا

---

(١) فيه خلل عروضي

(٢ ٢) في الأصل: «الا اقتصده تجده صاحَ يا بحرُ». الصحيح: ألا اقصده تجدْ يا صاحِ بَحْرا.

وهِمَّتُهُ سَمَتْ فَوْقَ الثُّرَيّا ... لِيُحْرِزَ في العُلى دُنيا وأخرا

إمامُ سياسةٍ للنّاسِ كُلًّا ... وتدبيرٍ مصيبٍ ليسَ أمرا

لذلك أعْنيَ المنصورَ باللّهِ ربُّ الخلقِ مَنْ أعطاه نصْرا

إمامٌ نُسْكُهُ نسكُ النّبيّنَ ... قولاً ثم فعلاً ثم ذِكْرا

وأنْتم آلَ ياسينَ وطه ... سفينَتُنا بِكُمْ لم تَخْشَ وِزْرا

عليكُمْ كلَّ حينٍ صلاة ربي ... دواماً ما تلا التالون إقرا

٥٩ب /ومما قاله السيدُ العلاّمةُ إسماعيلُ المرتضى، حماه الله:

[الطويل]

مديحُك أرْضىٰ في فُؤادي وأوْجَبُ ... وأوْلىٰ وأحْلى عندَ نفسي وأنْسَبُ

وأَحْسَنُ تصديرِ اليراعِ برقْمِهِ ... ثناءَك يا مَنْ هُوْ أَجَلُّ وأنجبُ

(١ وأفضلُ ما مَدَّتْ أنامِلُ ناظمٍ ... لجوهرِ قاموسٍ لِنَظْمِكَ يَكْتُبُ(١

وأفضلُ آفاقِ الورى أنْ ترى سنا ... مُحَيّاكَ، يامَنْ هو لنا الشمسَ يَنْسبُ

طَلَعْتَ علينا شمس فضلٍ وحكمةٍ ... ونوراً وبرهاناً لهُ الناسُ يرغبُ

وبحرَ ندى علمٍ وجودٍ ونائلٍ ... وبرٍ وإحسانٍ لمن جاءَ يَطْلُبُ

وقلباً رؤوفاً ذا حنوٍّ ورأفةٍ ... لكلِّ تَقيٍّ عالمٍ يتحببُ

وأعْتى وأقسىٰ مِنْ حديدٍ على العِدى ... وأجلدُ مِنْ صُمِّ الحِجارِ وأصلبُ

وما فاهَ ذو تظمٍ بحقِّكَ موجزٌ ... وما إنْ وفَى لحنٌ بفضلِكَ مُطْنِبُ

وما ليس أنْ يحصي صفاتِكَ مِصْقعٌ ... وأيضاً فلا يُحصي خلالَكَ مُنْسبُ

ولوْ لمْ تكُنْ إلاّ الشجاعةُ وحدَها ... كَفَتْكَ خلى ما في وطائِك أطيبُ

تحمَّلْتَ أعبَاءَ الخلافةِ في الوَرى ... ورَمَيْتها بالحزمِ والحزمُ أغلبُ

(١ ١) سقطت من ع

وقــطَّعْتَ وجهــاً للعَــدُوِّ مكــافحـاً أشــدَّ عليهِ من جحــافـلَ تَنْـهَـبُ
وقُدْتَ جيوشَ الموجِ في كلِّ موطنٍ على الـعـلجِ فارتجتْ بِهِمْ تَتَـوَثَّبُ
فمـا إنْ نجا مِنْهُمْ مِنَ المَوْتِ باسلٌ ومـا إن بقي غيرُ الـذي صار يهـربُ
فإمّـا قتـيلٌ شاخـبٌ بدمـائِـهِ وإمَّـا أسيرٌ في الـحـديث مُكَـتَّبُ
خُلِقْـتَ لهـذا يا ابْـنَ طه وهكـذا جدودُك كانـوا هُمُ أشـدَّ وأصـلـبُ
وإنـك سرُّ السـرِّ فيهم بعصـرِنـا وإنّــك لبُّ الـلُّبِّ فيهـم وأنْـجبُ
عليكَ صلاةُ اللهِ ثمَّ سلامـهُ بفجـرٍ وعصـرٍ كلَّمـا الغَيْثُ يَسْكُبُ
ورحـمـتُـه بعـدَ الـنـبيِّ وآلِـهِ عدا ما أضـاء بدر وشمس وكـوكبُ
ودُمْـتَ دوامَ الـدّهْـرِ ظِلاًّ لأهـلِهِ ليحـيىٰ بكُـمْ دينٌ وعـلمٌ ومَـذْهَـبُ

وقال السيد الأديب محمد بن عبدالله الخراز: [الطويـل]

أرى بارقَ الـيُمْنِ اليمـانيِّ خاطِـرا سرى في سَحـابِ الجودِ بالخيرِ ماطرا
وبـدرُ الـرِّضىٰ لا زالَ بالبِشْرِ طالعاً فتـمَّ بإقبـالٍ وجَـلّى الـخـواطـرا
وشمسُ المعـالي قد تجلّى شعـاعُها هَجيراً وليلُ النَّحْسِ ما انفكَّ حاسرا
ولاحَ بِدَفٍّ طائـرُ الـسَّـعْـدِ مُقْبـلاً فظلَّ بأُنْسٍ للجـنـاحـينِ ناشـرا
فبينـا المكــارمُ قدْ توالتْ جميعُهـا وَفَتْ في سرورٍ قد أقـرَّ النـواظـرا
تذكَّـرْتُ مَنْ أهـوى ولا زلْتُ ذاكـراً وفـكَّـرْتُ في ألـفٍ يحـيا مذاكِـرا
أرانـيَ مطَّالاً لا وصـالاً محـاولاً وقـد كان لي خِلاًّ سَميْرا مسـامـرا
/فصِـرْتُ لنَحْسِ الصَّـدِّ صَبّاً مُتيّماً وهمت بُحسْنِ القـدِّ ولهـانَ حائـرا ٦٠أ
وهِمْتُ هوىً[2] فازدادَ قلبي مِنَ الجَوَى طَعِمْتُ الهـوى مُراً وأمْسَيْتُ ساهـرا

---

(١) في م، أطلب

(٢) في ع، الهوا

فلمّـا رأى ما بي من الـوَجْـدِ والضّنا ... عليَّ فبُـلِّغْـتُ الـمُـنـى عادَ زايرا

مشىٰ في دلالٍ مايسَ القــدِّ أهيفـا ... وجـالَ كغصنِ البـانِ في الهـزِّ سائرا

وأقبـلَ في حسـنِ البُـرودِ لِحلْيةٍ ... تجلّى وأثنى ثانيَ العِـطْفِ خاطـرا

فوافـىٰ عقـيبـاً خائـفـاً متـرقّبـاً ... لِواشٍ قريبـاً خشـيةً جاء حاذَرا

وأَظْهـرَ وْجهـاً عينُ شمسٍ مضيئـةٌ ... وظـلَّ لهُ جُنْـحُ الـظّلامِ غَدايرا

لهُ رُجـحُ يونـانٍ وفـي حاجـبيه ما ... بَعَـيْنَيْ مهـاةٍ قَدْ رَنـا الصبُّ حادرا

سقامُ جفونِ اللَّحْظِ صَحَّتْ بكَسْرِها ... فصِـرنْ السقيمـاتِ الصِّحاحَ الفواترا

وأشـرقَ نورٌ في الـجـبـينِ بَطرّة ... يزينُ بهـا ليل الـشـمس مُبـاشـرا

وقد فاقَ أقْنى الأنفِ في حسنِ وجههِ ... بهـاءً وأزهـرَ وردُ خدّيْهِ شائـرا

وألـعسَ ثغـرٍ أشنبِ الـدُّرِ باسمـاً ... أضـاء كبـرقٍ قد ترفـرف ثائـرا

وجـيداً حـواه جيدُ ظبـيٍ مشـردا ... وعـقـداً لؤاهُ عسجـداً وجـواهـرا

بكـلِّ صفـاتِ الحُسْنِ جاء مكمَّلاً ... وفـي حِلَلٍ مع حِلْيهِ متـفـاخـرا

وفـاهُ ينـطِقُ لي رَخيمـا مُراجعـاً ... ومستفْهمـاً لي في الكـلامِ مجاورا

فقـالَ أرى في جسمِكَ الصَّبُّ نافعاً ... فَقُـلْتُ له لكنَّـه بان جائـرا

فقـالَ فهـلْ كنتَ اصـطبْرتَ مُرَحّباً ... فَقُلْتُ ولكنْ ظلْتَ في المُكْثِ هاجرا

فقـالَ وهْـل عهـداً بنينـاه بيننـا ... فَقُلْتُ نعمْ عمـداً وعُـدْتَ مناكِـرا

أليسَ قديمـاً منـك قدْ كانَ واقِعـاً ... بأنّـكَ تُرضـيني خبيرا مخـابـرا

ولـو زِدْتَ مَطْلاً في الـوِصـالِ تأنّياً ... لكنتَ كَمَنْ قدْ صارَ في الحبِّ غابـرا

ولكنْ أرى أنّ الـدنـاءات في الصبا ... وأن الهـوى يُزْري بمنْ كان كابِـرا

عَدِمْتُ الـرِّضى والعز من شِيمَي إذا ... رَجِعْتُ لمـولىٰ اللّهْوِ إلفـاً سائـرا

ومـا البُـرءُ لي إلاّ التـلافي لِصَبْـوَتي ... ومـا مَخْلَصي إلاّ لأحْـوي المفـاخرا

بمـدحِ إمـامٍ قامَ للهِ داعـياً إلـى دينـهِ حَقـاً مُغـيثـاً ناصـرا
هو الـقـائِـمُ المنصـورُ بالله ساعيا يُداعي جميعَ النـاس بالصوت جاهرا
إلـيَّ عبـادَ الله لَبُّـوا لدعـوتـي فإنـي لدينِ الله قدْ قُمْـتُ ناصِـرا
وقـومـوا بحـقٍ واجـبٍ لي عليكُـمُ يكـونُ وفـاءً كامِـلاً ليسَ قاصِـرا
وذاك هما شيئان لا عُذرَ عْنهمـا فأدُّوهُـمـا أمـوالَـكُـمْ والـمـزايرا
ألـيسَ بهـذا الله قدْ دَلَّ شارعـاً بلىٰ إنـه قد ألْـزَمَ النـاسَ آمرا
فأوْجَبَ معنى ما ذَكَـرْنـاهُ مُحْكَمـاً بنصٍّ كتـابِ الله للكُـلِّ ذاكِـرا
كذلـك أخبـارُ الـرّسـولِ تواتَـرَتْ فيعلمُهـا ذو العلـمِ مَنْ كان خابِـرا
فمنْ سَمِعَ الداعي على الفورِ واجِباً يُجيبُ إمـام الحقِّ سَعْيـاً مُبادِرَا
يقـول له: لبَّـيْكَ أنْـتَ إمـامُـنـا وسَمْعـاً لكم طَوْعـاً فلستُ مغـايرا
على المرءِ أنْ يسعىٰ بصبرٍ مجاهِداً فمـا أسعـدَ السّـاعي إذا كانَ صابرا
ومن لا يلبّي ـ خائبـاً ـ داعيَ الهُدىٰ فيأتـيه قسـراً راغـمَ الأنْـفِ داحِـرا
وإلّا فأَسْـراً أو طريداً مشـرَّدا أو السيفُ يمضي فيه للروحِ باتِـرا
فَهُـوْ لعـذابٍ واقـعٌ لمن اعتـدى وغـوثٌ لمن أمَّ الهُـدى ليسَ فاتـرا
ومغني البواطـل كلِّهـا ومبيدُهـا ومـحـيي لدينِ الله بالسيفِ شاهـرا
فيا طالبـاً نَهْجـاً إلى اللهِ واضحـاً عليكَ بهـذا انْـظُرْ إذا كنتَ ناظـرا
والّا فتـلقى السـوءَ عيْشـاً منغَّصـاً وتُصْبِـحُ في العقُبى حَسيراً خاسـرا
ألآ كيفَ لا فيمـا توضَّـحَ وانْـجلى فكُنْ حاضِـراً لاتَنْـأَ عَنْـهُ مكـابِـرا
فإنَّ إمـامَ العصرِ في الفَضْلِ راسِخاً حوى كلَّ شَرْطٍ كامِـلاً متـواتـرا
فأحـرزَهـا طِفْـلاً جميعـاً ويافعـاً وكَهْـلاً إلى أنْ صارَ لِلْكُل حاصـرا
على ذِرْوةِ الـعـلياءِ لا زال عالـياً عُلاً صايراً فوقَ السِّمـاكَيْن ظاهـرا

هو ابـنُ رسـولِ الله وابـنُ وصيِّهِ   لقد طابَ أصْلاً شامِخاً وعناصِرا

حوى أمّهاتِ الخيرِ كلّا بأسرِها   فمِنْ أجلِها فاقَ الأُولى والأواخرا

وجلّى على كلِّ الورى متقدِّماً   أفاضِلَهُمْ طُرّاً معاً والأكابرا

٦٠ب /بدعوتِهِ الغرّا رأيْنا دلائلا   تَلُوحُ بإقبالٍ آثارَ البشايرا

وزحْزَحَ أقطارَ البلادِ جميعها   وعادَ ظلومٌ صاغِرَ الخدِّ صاغرا

فأنت - أميرَ المؤمنين - وليُّنا   ومَنْ كُنْتَ مولاهُ لَقِيْ الرُّشْدِ ظافرا

ومَنْ رامَ عِصْيانا لكم وتهاوناً   فَمُرْتَطِمٌ لا شكَّ في الخِزْي عاثرا

فَوَجِّه أيا ابنَ المصطفى كلَّ ماجِدٍ   أميراً بتدبيرٍ يقودُ العساكِرا

إلى كلِّ إقليمٍ إلى كلِّ بْلدةٍ   إلى كلِّ خَوّانٍ عن الدين نافِرا

بخيلٍ وسُمْرٍ وصبا وبنادقٍ   وأنْزِلْ بأربابَ المعاصي دوايرا(١)

ودمِّر أهالي الظلم والبغي والخنا   وغيِّر مناكِرَهُمْ وأَمْضِ الأَوامِرا

فتبّاً لَهُمْ أفْسَدْتَ مولاي مُلْكَهُمْ   وأعْمَيْتَ أبصاراً لَهُمْ وبصايرا

فيا خيرَ أهْلِ الأَرْضِ يا خيرَ قائمٍ   ويا مَنْ على هامِ العُلى صِرْتَ عابرا

أدامَكَ ربُّ العرشِ للدِّينِ حافظا   ولا زِلْتَ محفوظاً تُزيل المناكرا

بدعوتكم ناداك تاريخا بلفظِه   دمت يا منصور للدين ناصرا(٢)

ومما قَالَهُ بعضُ الشيعةِ مُقَدِّمةً إلى حضرةِ الإمام - عليه السلام - [الطويل]

شوقاً أقامَ القَلْبُ مني وأقْعدا   وصَبْراً أذابَ الجِسْمَ حتى تقيّدا

نَحُثُّ السُّرىٰ في السَّعْي شوقاً إليكُمُ   ونَطوي الفيافي فَدْفَداً بعد فَدْفَدا(٣)

شكَرْنا أيادي العيشِ إذْ بلغَتْ بنا   لتقبيلِ أقدامِ الهِزْبرِ الممجّدا(٤)

---

(١) في البيت خلل عروضي.

(٢) في البيت خلل عروضي.

(٣) في آخر الشطر خلل، يُفَضّل أن يكون: ثمَّ ندفوا.

(٤) في آخر الشطر خلل نحوي.

فقــرَّتْ عُيونٌ ثمَّ طابَــتْ خواطِــرٌ ... برؤيا إمـــامِ العصــرِ أعني محمَّـدا

إمــامٌ أقــامَ الله عُنْــوانَ نَصْــرِهِ ... وأحــيا بهِ الإســلامَ أيضــاً وشــيَّدا

ووفّــقَــهُ الــمــولــى لطوعِ مُرادِهِ ... وكـــانَ له عونــاً مُعــينــاً مؤيِّدا

ولمــا رأيْنــا في الــوقــوفِ غنيمــةً ... لديه أنَخْنـا العَيشَ تَحْـظَى وتَسْعـدا

ومـا كلُّ نجمٍ في الهُـدى يُقتدىٰ بهِ ... ولا كلُّ نارٍ عنــدَهـا تُوجِبُ الهُـدى

فيا أيُّها الموروذُ(١) في لُجَجَ الهَوى ... إلى سوحَــهِ يَمِّمْ لتُهــدىٰ وتُــرْشَـدا

وقِفْ بحمــاهُ خاضِعــاً متــواضِعــاً ... وادعُ كريمَ الصَّفْــحِ توْمــاً ومفــردا

ومِنْ فَضْلِهِ تَحْــظى بمن أنتَ آمـلٌ ... وحاشا عريضُ الجاه يُضْلِل مَنْ اهتدى

ودعْ ماسِوى الــمنصــورِ مَنْ يُرتجى به ... منــارُ الهـدُى والناسُ من دونهِ صدى

وَقَــفْــنــا ببــابِ الــعــزِّ عِدّةَ أشْهُــرٍ ... وطُــفْــنــا حَوَالَــيْهِ مِراراً معدّدا

ومــرَّتْ بنــا الأيامُ كأضْغــاثِ حالِمٍ ... ورؤياهُ أنْـــســـان الأهــلَّةِ والمـدا

فنــعــمَ شريفــاً شرَّفَ الله قدرَهُ ... ويا نعمَ سيداً قامَ في النــاسِ سيِّدا

وحــاشــا بأن قدْ مَرَّ في الــدَّهْــرِ مثلُه ... وكَــلّا بأنْ يأتي به الــدهــرُ سَرْمـدا

أقِــلْ عُصْبــةً لاذوا بعفــوكِ والتجَــوْا ... يريدوا فِكــاكَ الأســرِ كُنْ لَهُــمُ يَدا

/وألْقِ جناحَ الــذُّلِّ منــكَ تفضُّــلا ... وأقْــبــلْهُــمُ رِقــاً رَضَــوْا بكَ سيِّدا

وأرْدُدْ غداهــم(٢) غاضِضين أكُــفَّــهُمْ ... منَ الغيضْ وارجعْ منهمُ الطَّرْفَ أرْمدا

وأكْفِــلْ بهمْ مَنْ يحتفل برجُــوعِهِمْ ... وأوْصِــلْهُــمْ مأمــنــهُــمْ أنْــتَ مُرْشِـــدا

لتستكمــلَ الفِعْلَ الجميلَ جميعــهُ ... ويستــوليَ الــذكرُ الجزيلُ أنتَ مُفْرَدَا

---

(١) في م، المورروط

(٢) في م، غلاهم

وتـبقى لكَ الأشخاصُ مادّاً أكفَّهـا بليلٍ وأطـرافِ النهـارِ مدَى المـدَا

تَمَلَّكْ صِغـارُ القـومِ ثم كبـارَهُمْ مَدى الـدَّهْـرِ ما أبقـاكَ مَوْلاك وأيّدا

إليكم منها هيَ سيّـدي قَدْ اتتكمُ[1] تجـرُّ ذيولَ التّيه ـ في ثوبٍ ـ مُوَلّـدا

تَقْـبَـلُها مولايَ فانـي جاهـلٌ عَنْ الـشِّعـرِ والآدابِ أعمِىَ مُقَّـودَا

ولـيسَ لنـا غيرُ الـدُّعـا وسيلـةً إلى الله يجعلْكُمْ مدى الدهر أثمـدا

وصـلِّ إلـهـي كلَّ يومٍ ولـيلةٍ على أحـمـدٍ والآلِ ما الـطيرُ غرَّدا

---

(١) هنا خلل عروضي.



تطلب جميع منشوراتنا من
الشركة المتحدة للتوزيع
بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة